

تسأليني عن المذاق ! (145) بقلم الكاتبة كاردينيا73

أو تسأليني حقا ...؟!!

حسنا ما دمتِ مصرة ....

سأصف لك مذاقه كيف يكون

وعذرا لن اسهب

فبعض المذاقات

لاتحتمل كثرة الكلمات

انه مذاق يبقى عالقاً

على طرف لسان الذاكرة

والمدهش أنه يتغير ويعيد

تشكيل نفسه باستمرار !

يبدأ حرّاقا ناريا يمزق الاحشاء

ثم مرّاً حنظلاً يسبب الاختناق

لينتهي يا عزيزتي كعلقة !

علقة شرهة

تمتص انسانيتي

دون شبع او إرتواء

هل أعجبك الوصف اكثر

ام أثارك المذاق ؟!!

تصميم كاردينيا73


أو تسألينني حقا ...؟!!
حسنا ما دمتِ مصرة ....
سأصف لك مذاقه كيف يكون
وعذرا لن اسهب
فبعض المذاقات
لاتحتمل كثرة الكلمات
انه مذاق يبقى عالقاً
على طرف لسان الذاكرة
والمدهش أنه يتغير ويعيد
تشكيل نفسه باستمرار !
يبدأ حرّاقا ناريا يمزق الاحشاء
ثم مرّاً حنظلاّ يسبب الاختناق
لينتهي يا عزيزتي كعلقة !
علقة شرهة
تمتص انسانيتي
دون شبع او إرتواء
هل أعجبك الوصف اكثر
ام أثارك المذاق ؟!!
الجزء الرابع من سلسلة قلوب تحكي
تسألينني عن المذاق !
بقلم كاردينيا73
www.rewity.com
روايتي
تصميم كاردينيا73





عشتار
ثأرُكَ ....لايهدأ !
كما الذي في قلبي لايهدأ !
كلانا ابتلينا بالثورات .....!!!
سؤال اناني خطر ببالي فجأة..
هل ما زالت ضحكتكَ كما تركتها .. ؟
مخبأة في دُرج مخفيّ من قلبك
لاتعرف امرأة غيري كيف الوصول اليها ....
بقلم كاردينيا73
تسألينني عن المذاق !
تصميم كاردينيا73

أيهم
كلما نظرت لنفسي صباحاً في المرآة
اتذكر أنّ عليّ اليوم تحذيركِ (مني)
وحالما أراكِ ... أتناسى التحذير
وأؤجله لليوم التالي !
بقلم كاردينيا73
تسألينني عن المذاق !
تصميم كاردينيا73

عشتار
قل لي انك لاتستطيع النسيان
قل لي ان للعشق سلطان
قل لي لاتجزعي معشوقتي فقد نلتِ الغفران
قلها يامن أعشق فقد....اشتقت....
كما تشتاق الانهار لتجري في الوديان ...
بقلم كاردينيا73
تسألينني عن المذاق !
تصميم كاردينيا73

أيهم
ح و خ
حرفان تفرقهما نقطة... صغيرة
هما كل ابجديتي في المشاعر يا ..صغيرة !
ولا اجيد تهجئة الا كلمتين من ذلكما الحرفين
حب و....خيانة
بقلم كاردينيا73
تسألينني عن المذاق !
تصميم كاردينيا73

عندما تضحك من قلبك

تتغير جغرافيا روحي

انهار فرح تنساب رقراقة في جداول اوديتي

تنتعش سهولي

تشدو الزهور لعرس تقيمه لاجلك على هضابي

حتى زرع العلقم منك تتشرب مرارته ارضي

يحتضن جذوره القاسية ترابي

ثم تحنو عليه وتظلله اوراق اشجاري

بقلم كاردينيا73

تسأليني عن المذاق !



هيفاء

باسل

صمتا .... فربما بعدها ...

سنتكلم

بقلم كاردينيا73

تسأليني عن المذاق !

تصميم كاردينيا73

باسل

لهيفاء..

ولا زال حلم بعيد يراودني

عن عروس.....

ثوبها الابيض لم يُخاط لاجلي

بقلم كاردينيا73

تسأليني عن المذاق !

تصميم كاردينيا73

سعد

وعدت ....

عدت لبداية السطر ...

ابحث عن كلمات جديدة أكتبها ...

ابحث عن شمس لوّحت بشرتي فميزتني

عن أرض من أديمها خُلقت

ثم في احضانها تلقفتني

بقلم كاردينيا73

تسأليني عن المذاق !

تصميم كاردينيا73



تسأليني عن المذاق! .... بقلم كاردينيا73
معاني أسماء الابطال
أَيهَم
اسم مذكر (ولد)
اسم علم مذكر، من الأَيهَم وهو الجنون.
وله معانٍ عديدة منها: المصاب في عقله،
عديم الفهم الولد البَرّ،
الأصمّ الذي لا يسمع،
الشامخ من الجبال،
الجري، مَنْ لا يُستطاع دفعُه،
الحجر الأملس،
الجبل الصعب المرتقى،
الضياء. وهم سموا به على المعاني الحسنة.
اصل اسم أَيهَم : عربي
جدايل او جدائل
جَديلة : (اسم)
الجمع : جدائل
الجَدِيلَةُ : قَفَصٌ يُصنَعُ
من القصبِ لِلْحَمَامِ ، ونحوه
الجَدِيلَةُ : القبيلة
الجَدِيلَةُ : النَّاحيةُ
ركب جَدِيلَةَ رَأْيه : عَزِيمَته
جَديلة : ضفيرة من الشَّعر
مَا زَال عَلَى جَدِيلَةٍ وَاحِدَةٍ : عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ،
طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ
عَشتار
اسم مؤنث (بنت)
اسم علم مؤنث سامي قديم،
وهو اسم إلهة مختصة بالحب والحرب
لدى سكان ما بين النهرين،
وهي ابنة آنو وإنليل،
رديفة عشتروت الفينيقية،
ثم أفروديت وفينوس
عند اليونان والرومان.
والاسم مطوَّر عن أم الإلهة السورية "عطّار".
قيل: هي نجمة الصباح ونجمة المساء معاً.
اصل اسم عَشتار : فينيقي

تسألينني عن المذاق!

الجزء الرابع من سلسلة قلوب تحكي

بقلم الكاتبة كاردينيا73

رواية حصرية فقط بشبكة روايتي الثقافية

www.rewity.com

تنقيح لغوي : كاردينيا73

تصميم الغلافين (الرسمي وغير الرسمي)

وتواقيع الابطال وتصميم الخواطر والفواصل

ووسام التفاعل المميز : كاردينيا73

تصميم الصفحات الداخلية والكتاب

الالكتروني : كاردينيا73

تصميم البنر الاعلامي : gege86

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

كلمة الكاتبة كاردينيا73

هذه الرواية هي نبضة مجنونة مني ...

مذاق حاد لاسع وحارق مر احيانا

لكنه ... ملهم...

افكاري كانت تزدحم بها طوال الوقت وتدور حول ابطالها باستمرار...

فأي المذاقات ستكون بالنسبة لكم ؟

سأنتظر اراءكم بعد قراءتها

الرواية هي الجزء الرابع من سلسلة قلوب تحكي ...

سلسلة قلوب تحكي مختلفة عن باقي السلاسل التي كتبتها فهي متصلة منفصلة.. متصلة برباطات خفية تعبر عن روح السلسلة التي تتطرق في مجملها لقضايا الزواج بشكل خاص ، ومنفصلة حيث لكل جزء احداثه المتكاملة التي لاتعتمد الا بلمحات بسيطة من الاجزاء الاخرى

ملاحظة : اتمنى منكم قراءة الجزء السابق من السلسلة .. رواية سحر التميمة لانها مرتبطة مع هذه الرواية ببعض الشخوص

واخيرا ...

هذه الرواية اهداء خاص لتوأمتي الروحية

فاطمة كرم في يوم عيد ميلادها

المقدمة

الغضب سلاح فعّال للمواراة عن مشاعر نرفضها لكننا حمقى ان لم نعترف انه- للاسف -سلاح ذو حدين فقد يكون ببساطة .. يعرّيها !

قلت لك هذا تلاعب واضح بالارقام بين الداخل والمستهلك وانا لن اوقع عليه"

كان صوتها مرتفعا اكثر مما يجب لكنها لم تبالي ، يكفي انها مضطرة تحمل الوقوف امام هذا الصفيق !

نظر اليها (الصفيق) نظرة باردة كريهة ثم اخذ يحرك قلمه بحركات معينة تدعي التململ وتعبر عن استهانة بالواقف امامه او الاصح (الواقفة) امامه !

ثم همس اخيرا بسخرية واضحة " لم يبقَ الا المتخرجين حديثا يعلموننا كيف نسير امور العمل ..! "

تقبضت يداها بتوتر بينما يضيف ببرود

" السيد أيْهَم عاد صباح اليوم من سفره الطويل وهو موجود في مكتبه بامكانك شكواي عنده ان لم يعجبك قراري .. "

وكأنها لاتعرف انه عاد !

وكأن قدميها لاتنغزانها بدبيب نمل وهمي منذ لمحته عيناها يدخل الشركة ..

وكأن قلبها لم يتحامق وينكمش على نفسه في اقصى حجرات قفصها الصدري كفأر جبان مرتعب ..

هل مضى شهر حقا على تلك الليلة التي تحطمت بها احلامها الطفولية ؟!

لماذا دوما نصف الاحلام الرومانسية البريئة انها طفولية ؟!

لماذا نستهين بها ولانتركها على براءتها الفطرية ونصر على تلويثها بهاجس الحكمة؟!

اية حكمة تجعلنا لانعشق بكامل مشاعرنا دون توجس ممن نحب ؟!

ان نمنح الثقة دون رهاب الغدر....

" جدايل ! "

ادركت ان الصفيق يحدق فيها بامتعاض ينتظر مغادرتها بملل واضح..

يظنها تهاب صاحب المكان .. أيْهَم سليماني ..يظنها لن تجرؤ على تجاوز رئيسها المباشر المتمثل بشخصه القميء لتذهب شاكية للرئيس الاول لكل هذه المؤسسة ...

يظنها ستخشى المجازفة بوظيفتها التي ثُبتت بها رسميا قبل ثلاثة اسابيع فقط .. يظنها لن تجرؤ على التضحية بها الآن بعد تعب الشهور..

انه محق ... هي جبانة ولاتجرؤ على فقدان وظيفتها .. ليس حبا بالوظيفة ، لكن ...

اخذت جدايل نفسا عميقا ثم استدارت دون اي كلمة مولية (الاستاذ فريد الصفيق) ظهرها وهي تكاد تتخيل ابتسامته السمجة تزين بانتصار وجهه المنفر دوما بتعابيره...

تجرأت قدماها الخائنتان على قيادتها ناحية الممر المؤدي لمكتب الرئيس ..

(الشوق..)

شعور لم تعرف مرارته الا مع أيْهَم ...

كانت تؤمن ان الشوق يحمل حلاوة خاصة ، حلاوة اللقيا القريبة بعد الفراق ، فما بال الشوق يتخذ مسارا آخر لاتعرفه ؟!

لماذا يتلبس هذه المرارة ؟!

ام ان المرارة الخفية تنضح منه هو شخصيا فتوشح اي مشاعر اخرى تتعلق به..

شمخت بأنفها الصغير وهي تدرك بغيظ انه لن يساعدها على فرض هالة الكبرياء التي تنشد !

طرقت باب مكتب السكرتارية الخاصة قبل ان تخطو للداخل بثقة مهزوزة ثم طلبت من تلك السكرتيرة الغيور دوما على رئيسها ان تخبره برغبتها في مقابلة عاجلة تخص العمل لاتحتمل التأجيل ولا التأخير.....

تلك السكرتيرة التي التحقت بالعمل منذ شهرين فقط لاتطاق حقا !

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

رأتها جدايل كيف أمالت رأسها بامتعاض واضح لتتغير نبرات صوتها نحو انثوية مفرطة ممجوجة فتبتسم بغباء وهي تكلم رئيسها عبر جهاز الحاكي

" مرحبا سيد أيْهَم اعتذر لازعاجك لكن هناك من يود مقابلتك من قسم الموارد لحاجة ملحة تخص العمل ، اذا كنت مشغولا فسأ...."

قبل ان تتبرع بصرفها كانت رد الرئيس حاسما كطبيعته

" لابأس ... لكن ليس لدي الا عشر دقائق لاأكثر.. "

انفاسها تحشرجت في صدرها وانتابها الندم لاستسلامها لشوقها اليه وها هي المرارة تسد حلقها وتملأ صدرها بالضيق....

طرقت الباب مرتين قبل ان تسمع صوته الرجولي " ادخل.. "

اغمضت عينيها للحظة ثم فتحتهما بارتعاش لتدخل .... عرين الاسد ......

دوما قرأت تعبير (عرين الاسد)كوصف ملاصق للرجال الاقوياء ذوي الهيبة والمكانة والسلطة وربما ....الخطورة !

لكن مع ... أيْهَم سليماني ....يبدو عرينه كفخ ناعم خبيث غامض دون سمة تعرفه ..

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

أو كمصيدة لامعة تعكس وهج الشمس

تخفي بلؤم اسنانا حادة مثلمة تتشبث

بضحيتها .. تمزقها ... وتستمتع برؤية ألمها

المضاعف دون ان تعتقها ...

لا ... لا ...

لا هذا ولا ذاك...

بل انه ... كبئر ....

بئر لانهاية له وانت تمد رأسك اليه يقتلك

الظمأ فتنظر لعمقه على امتداد بصرك

وعندما يشاء سوء حظك ان يختل توازنك

وتسقط فيه فإنك تتهاوى ببطئ..ببطئ شديد

لتعيش اللحظة بالف لحظة دون ان تخذلك

بارقة الامل فتتمسك بك او تتمسك بها

فتنسج لك خيالات عقلك انك ستصل

لقرارة البئر في النهاية ...

لكن ...للاسف .... أنت لا تصل !

وتظل هكذا مستسلما لشعور التهاوي البطيء

والاحساس بالوحدة وسط ظلمة غامضة

مرعبة من نوع ما...

وكلما مرّ الوقت اكثر يتملك خيالك يقين

من نوع اخر ، ان قاع البئر جاف متصلب قاس

صلد كحجر صوان وحتما سيتحطم ما تبقى

من كيانك ما ان تصله وترتطم به بعنف..

وعند هذا اليقين ... تنطفأ آخر شعلة للامل

فتغمض عينيك باستسلام تاركا للهوة

السحيقة متعة ان تبتلعك... !

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

تطلعت جدايل اليه تتسابق عيناها لالتهام تفاصيله غير آبهة بوجع قلبها ..

همسة مخنوقة تتردد في داخلها

" فخ .. مصيدة .. بئر جاف ... لا يهم .... انه أسد ...! وسيبقى أسدا في نظري .. "

واي اسد ؟! أسد جسور بقلب جريء ومزاج لذيذ مجنون متقلب يختطف انفاس كل من حوله ..

تجعلهم يهوون بشغف الاقتراب منه .. النظر اليه ... ملامسته ان امكنهم .... وفي نفس الوقت فانهم ... يخشونه...

فلماذا لم تخشاه هي ؟!! لماذا ؟؟

تحدق فيه يحطمها الشوق تحطيما وكأن ما كان لم يكن .... !

لتناورها مشاعر اخرى تجعلها تكتم انفاسها جزعا ...

هل هي مجنونة ام انها فعلا تشعر بالحسد من تلك الاوراق في يده والتي يمعن النظر فيها بتركيز واهتمام حقيقيين فلم يشعر حتى بدخولها المتعثر !

ام انها مهووسة بتفاصيله الى درجة اخذت تدقق في هيئته .. تحلل جلسته على طارف مكتبه الفخم واختياره لهذا اليوم حلّة بنية غامقة وقميص بلون اغمق ..

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

ثم تتمادى بملاحقة تفاصيل اخرى كتخليه عن ارتداء ربطة عنق تاركاً فتحة قميصه العليا حرة من تقييد اعلى زرين...

فتستسلم اكثر لهوة مشاعرها فتفيض عيناها حنانا عاشقا وهي تلامس بنظراتهما خصلات شعره الداكن الذي استطال .. استطال جدا حتى غطا رقبته بالكامل من الخلف ..

حتى لحيته التي يشذّبها باناقة عادة قد استطالت اكثر من المعتاد لتصبح كثيفة بشكل ملفت ..

بدا ... فاتنا مختلفا ... مُحيّرا .. غير قابل للتكهن !!

وهذه .... عادته ؟

انعصر قلبها عصرا....

منذ عرفته كمدير ومالك لهذه المؤسسة وهو يفاجؤها دوما بتقلباته العجيبة..

وهذه المؤسسة بفروعها المتعددة تعكس مزاجه المتقلب وشخصه المتذوق لانواع متناقضة من الاعمال..

فمن اقتناء اقدم الانتيكات والتحف الاثرية وبيعها في المزادات وهي حرفة ابيه الاصلية ينتقل برشاقة وسلاسة لتجارة السيارات باحدث طرُزها واكثرها سرعة وجنونا... ؟

لم ينس ورش صيانة السيارات ليتشعب منها نحو اعمال البناء ومصانع الحديد الصلب....

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

يبني الابراج العالية في بلد ما ويرمم اقدم المتاحف باهتمام شخصي في بلد آخر...

انه كتلة غريبة ملفته من جنون العصر الحديث وتأمل فنان موهوب متبجح ساخر من عصر النهضة الاوربية...

هذا هو أيْهَم سليماني ....

الرجل الذي امتلك قلبها دون رحمة ......

الرحمة... !؟

اين الرحمة وهي تقف امامه هكذا تطيل لحظة التهاوي اكثر او ربما.... تعجلها !

وفي كل الاحوال هي لاتبالي بنتيجة السقوط الحتمية والتحطم بقاعه الجاف !!

هزّت راسها بعفوية لتستعيد تركيزها ثم قالت باختناق ملحوظ " صـ..صباح الخير "

جسده ....تجمد !

ثم عاد وتراخى بسرعة قياسية ليضع الاوراق جانبا على سطح مكتبه ويستعدل بجلسته على المكتب فيأخذ وضعا اكثر راحة وبوهيمية لاتليق بمركزه لكن مؤكد تليق بشخصه..

ثم رفع اخيرا عينيه البندقيتين اليها يحدق فيها مباشرة دون ان يبتسم ليقول بنبرة متفكهة باردة

"صباح الخير يا سمراء ذات الجدائل "!؟

تجاهلت تلك التسمية التي تؤرق لياليها دوما ،
انها الشيء الناعم الوحيد الذي لمسته انوثتها
من هذا الحجر الصوان المسمى)أيْهَم(

قرّعت نفسها متأخرا جدا...

كم انت غبية يا جدايل ؟!!

ما الذي اتى بك اليه ؟!!

غبية .. غبية...

تماسكت وهي تتطلع اليه بنفس بروده

" سيد أيْهَم...أ "

قاطعها متشدقا وعيناه تبثان القسوة

" سيد أيْهَم ؟! اخر مرة ناديتني باسمي مجردا
كما اذكر .... "

ارتبكت واطرقت برأسها تتطلع بغباء للاوراق
في يدها لتقول باضطراب واضح

" سيد ... أيْهَم.... هناك امر مهم يخص العمل
اود ... اطلاعك عليه "

قال وهو يرفع حاجبيه مدعيا المداعبة
البريئة

" الا يوجد حمدا للّه على السلامة اولا ...
اشتقنا اليك مثلا ؟"

اوشكت الاوراق ان تقع من يدها بينما
الاستهانة القاسية كانت تنضح من كلماته
وهو يضيف ببرود صقيعي

" هل ما زلت تعيشين دور الغضب و ..الصدمة مما حصل يا سمراء ؟!! ام ربما .. لانه لم يحصل ؟ "

بعزيمة مهلهلة تبعد تلك الصور المخزية عن مخيلتها لتمد يدا شبه ثابتة باتجاهه وعيناها مطرقتان نحو الارض ثم قالت بنبرة متعثرة

" هذه .. الاوراق .. اتمنى لو .. تطلع عليها .. بنفسك ... امور تحدث في قسم .. الموارد ... وتستدعي تدخلك .. المباشر "

صوته بدا متسليا وهو يسأل " مدهش اسلوبك الجديد في تجاهل ما يحرجك .. اسلوب مثالي يليق بطفلة قادمة من الريف !... حسنا ... للفضول فقط ... منذ متى وانت في قسم الموارد ؟! اذكر اني تركتك في الأرشيف "

ضغطت على كل ذرة انهيار توشك ان تنفجر فيها لترد بصمود ويدها ما مازالت ممدودة نحوه

" منذ .. ثلاثة .. اسـ..ابيع.. "

شعّ صوته بالامر الصريح

" ارفعي رأسك وانت تكلميني "

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشتم نفسها لقدومها اليه...

اخذت نفسا ثم رفعت رأسها اليه تناظر ملامحه التي تنضح بالقساوة ..

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

يدها الممدودة ارتجفت ككل جسدها فأمال

رأسه جانبا قائلا بتسلية ساخرة ولهجة

ممطوطة " انت ...ترتجفين حقا ! "

ثم فاجأها وهو يمد يده نحوها قائلا بلا

مبالاة

" هيّا .. اعطني هذه الاوراق... "

بضعة سنتيمرات .. كان بامكانه مد جذعه

قليلا ليقطع هذه المسافة القصيرة جدا

ويأخذ الاوراق من يدها ...

لكنه يهوى تعذيبها وببساطة لم يفعل..

تقدمت هي لتنهي هذه المأساة التي اوقعت

نفسها فيها وحالما اصبحت الاوراق قرب يده

باغتها وهو يمد تلك اليد سريعا وبتعمد

واضح احتوى يدها بجرأة !

شهقت بقوة لتفقد اصابعها قوتها واستقرارها

فتتهاوى الاوراق منها ارضا بينما تنتزع يدها

سريعا من كفه الدافئ المتراخي فتضمها في

قبضة مرتجفة لصدرها وهي تلهث !

اما هو ... ارجع رأسه للخلف يضحك بصوت

عال والاوراق قد تناثرت على الارض بفوضوية

كفوضوية مشاعرها ... لم تحتمل اكثر

فاستدارت بعنف لتخرج شبه مهرولة وصدى

ضحكاته المستهينة يجلد قلبها بالسياط..

لم تجد غير الحمام ملجأ لشعورها بالخزي و .. الألم ... تبكي بحرقة قلبها الخائن الذي يعذبها بحبه...

متى افلت منها الزمام لتقع في حب يائس بائس كهذا ؟!!! متى ... متى.. ؟!!!

متى اختفت تلك الفتاة في داخلها و التي كانت تضج عنادا وقوة وانفتاحا للحياة... ؟؟

منذ سبعة اشهر.. ؟

لا .. سبعة اشهر هو تاريخ حصولها على وظيفة تحت الاختبار في مؤسسة سليماني العامة ..

اما القلب ومأساته فكان منذ ستة اشهر تقريبا ...

وخمسة اشهر تحديدا منذ اعترفت بالمأساة التي ظننتها بغباء انها ....

الحدث الاهم...

والاجمل....

والاكثر ابهارا ...

في حياتها البسيطة......

تزحزح قليلا عن حافة مكتبه متقدما بجسده للامام حتى لامست قدماه الارض بسلاسة لينتصب برشاقة وشموخ بارد...

عيناه نصف مغمضتين بينما تحدقان في الباب الذي اغلقته سكرتيرته للتو بعد مغادرة جدايل الدرامية...

جدايل .... السمراء ذات الجدائل....

في نفس هذا المكتب وقبل شهر واحد دخلت اليه تجر شجاعتها جرا معها لتصارحه بالنظرات ما عرفه سلفا بل وسعى اليه بتعمد متسّل وبرود قاتل... !

قالت وعيناها تلتمعان بتوسل عاطفي تناشدان ما تعتقده في قلبه " أيْهَم .. انا .. انا.. "

تبتلع الكلمات وعواصف عاطفية تلفها لفاً فتبدو رغم كل شيء ... ملفتة ..مؤثرة....

يقترب منها في وقفتها المرتعشة امامه ملامحه لاتعبر الا عن غموض بارد ، يميل برأسه قليلا يصدمها وهو يتشممها بحميمية مقصودة دون ان يمسها فيكاد جسدها النحيل يختض قبالة جسده ليهمس باغواء محترف

" انت ماذا يا سمراء ذات الجدائل ؟ "

تهتز اكثر ... فيتلاعب بالكلمة ..يمطّها على لسانه وتهمسها شفتاه قريبا من اذنها

" تحبينني ؟! "

خفر مضحك وشّح خديها الاسمرين ولمعة عشق يتوهج بها سواد عينيها ويعجز لسانها عن نطقها فتهز رأسها عشوائيا بـ (نعم..)

عندها زمجر داخله بما لاقبل له على صدّه فقال بقسوة باردة مفرطة " حسن .. ما دمتِ تحبينني فلا مانع لدي لاعلمك الحب على طريقتي ... الحب مع الكبار ... يا صغيرة.. "

رنين هاتفه النقال اوقف سيل الذكريات...

التقطه من على مكتبه وحالما رأى الاسم شعّت عيناه بشراسة مفترسة ...

انه لم ييأس ولن ييأس...

فتح الخط ليقول بنبرة لاحياة فيها

" هل وجدتها.. ؟ "

فيأتيه صوت الرجل مترددا بعض الشيء

" ليس تماما سيد أيهم .. لكنها شوهدت بشكل مؤكد في ريف فرنسا... "

تصلبت ملامحه بشكل كامل فبدا وجهه كتمثال من الرخام ! لايمنحه الحياة الا شعاع الغضب المجنون من عينيه ....

وفي داخله .. في اعماقه التي هي سر علته فأن قلبه يفلت من زمامه ليرتج بين ضلوعه..لوعة!

لقد مر عام ... اكثر من عام ولم يرها ....

لم يبحر في زرقة عينيها ...

تلك .... الخائنة !

همس بصوت قاتل " اريد موضع وقوف قدميها الآن ... جنب اي كرمة عنب قد تقف قربها وتختار ان تأكل منها حبة !"

الفصل الاول

قبل ستة أشهر ...

اللقاء الاول وبداية الحكاية...

دسّت باقي الشطيرة في فمها دفعة واحدة وبطريقة طفولية متعجلة ثم قالت لخالتها

وتكاد تخنقها اللقمة " انا ... ذاهبة .. ادعي لي ان لا ارتكب الحماقات قبل ان يثبتوني.."

تحركت مبتعدة عن طاولة الطعام بعجالى وتبتلع لقمتها الكبيرة بصعوبة بينما خالتها تقف على قدميها ويداها مشغولتان باعداد شطيرة جبن اخرى وهي تقول بحزم

" جدايل .. خذي شطيرة ثانية معك تأكلينها في طريقك .. انت تنهكين نفسك في العمل منذ التحاقك به وبتّ تنسين حتى تناول الطعام فلا يدخل شيء في جوفك طيلة النهار ...لقد اصبحت كعيدان القصب ! "

عند باب البيت وقفت جدايل تبتسم بشقاوة لخالتها التي اقتربت منها وهي تلفلف الشطيرة ببضعة مناديل ورقية وحالما وصلت اليها دست الشطيرة في حقيبة جدايل ذات الالوان الصارخة ...

مالت جدايل ناحية خالتها لتقبل خدها وتقول

" شكرا يا حلوى التفاح..."

اتسعت ابتسامة الخالة منيرة بينما تردد لابنة اختها مودعة عند الباب

" انتبهي من الطريق .. في حفظ اللّه حبيبتي "

تحركت جدايل على عجل نحو باب البيت الخارجي ذو القضبان العمودية فتلمح من الجانب الايمن لها جارهم السيد مهيب الذي كان ينزل درجات سلم حديدي ابيض يربط من الخارج الطابق العلوي من بيت الخالة منيرة وينتهي لمرآب صغير منفصل عن المرآب الرئيسي للبيت...

لوحت له جدايل بتحية الصباح فيرد لها تحيتها بملامحه الجدية التي لاتتغير ابدا فلا تعرف ان كان سعيدا ام حزينا .. !

لكنها تحبه وتحترمه و ستبقى دوما ممتنة له لتوسطه في ايجاد عمل متواضع لها في مؤسسة ضخمة كمؤسسة سليماني...

السيد مهيب رجل هادئ بطبعه وقور قليل الكلام وهو يسكن الطابق الثاني مذ عزلته الخالة منيرة عن الطابق الاول من بيتها بعد ان اجرت تعديلات مناسبة عليه ليكون كشقة منفصلة ثم أجّرته له ليسكنه مع عائلته الصغيرة التي تماثله طباعا... !

فزوجته وابنتاه التوأم اللتان دخلتا طور المراهقة الآن هادئات لطيفات لكن بتحفظ ونوع من الانعزال....

ورغم هذا فأن الخالة منيرة كانت سعيدة بوجودهم معها وتحب دوما ان تتسمع اصوات خطواتهم المكتومة على ارضية الطابق العلوي فتبتسم بحبور ورضا ، انها امرأة دافئة وتحب وجود الناس حولها وقرارها بتأجير البيت جاء بعد شعورها بالوحدة الشديدة إثر سفر ابنها سعد)الخطيب المفترض لجدايل منذ ولادتها(الى الخارج منذ اكثر من ست سنوات واستقراره هناك ، فقررت الخالة ان تقدم على خطوة العزل والايجار ، فمنه كوارد مادي اضافي لها ومنه كي تقلل من احساسها بفراغ البيت من اصحابه بعد وفاة زوجها وسفر ابنها...

فقلصت مساحته التي تسكنها مع تقلص عدد قاطنيه....

وقبل خمس سنوات فقط جاءت جدايل لتشاركها السكن في الطابق الاول فأنهت الثانوية العامة في العاصمة تحت عناية ورعاية هذه الخالة الحنون لتمتد تلك العناية والرعاية لسنوات اخر بدخول جدايل للجامعة قسم اقتصاد ومحاسبة.

وبعد التخرج شجعتها الخالة منيرة لتبقى معها وتعمل في العاصمة بدلا من العودة لبلدتها الصغيرة حيث مجالات العمل اقل واردا وشأنا .. حتى انها هي من كلمت السيد مهيب ليجد عملا مناسبا لابنة اختها ولو بأجر ضئيل..

واما جدايل فقد سايرتها وهي تعلم عن يقين ان لخالتها اهداف اضافية بعيدة المدى تدور حول تزويجها لسعد في يوم ما والاستقرار نهائيا في العاصمة...

انها تحب خالتها ولا تريد صدمها بواقع الحال ان سعد ربما لن يعود ابدا خاصة انه لايتصل الا كل بضعة اشهر ومنغمس بحياته الخاصة وعمله في احدى الدول العربية ... ومؤكد فأن ابنة خالته جدايل لاتخطر على باله قط كزوجة مرشحة...

من جهة اخرى فأن جدايل كانت اكثر من مرحبة بفكرة البقاء مع خالتها دون فكرة الزواج من سعد طبعا...

فسعد بالنسبة لها هو ابن الخالة فقط وذكريات جدايل عنه ضبابية تماما نظرا لانها كانت تعيش في بلدة بعيدة نسبيا عن العاصمة...

والاهم من كل هذا ان موضوع الزواج حاليا لايخطر على بال جدايل نهائيا ، انها تريد بناء مستقبلها لتعتمد على نفسها...

كما ان لها اسبابا اخرى لرغبتها في البقاء في العاصمة مع خالتها ، قد لاتكون باهمية بناء المستقبل لكنها تبقى مهمة ...

فبعد السنوات الخمس التي قضتها في بيت خالتها بعيدا عن والدها وعائلته الجديدة

وجدت انها ترتاح اكثر مع خالتها وستريح زوجة والدها من شعور الغيرة الذي يتملكها كلما دللها والدها لشبهها الشديد بوالدتها المتوفاة..

زوجة والدها امرأة مسكينة ، حاولت جهدها التعامل مع جدايل بلطف ومراعاة لكنها لم تستطع تقبلها كأبنة خاصة بعد ان انجبت اطفالا ... اختين لجدايل .. عبير ونجوان..

على الرصيف المغبر اخذت جدايل تعجل من خطواتها اكثر وهي تنظر لساعتها اليدوية ، نفضت عن رأسها الافكار المتداخلة وهي تكاد تركض لتلحق بالحافلة عند ناصية الشارع القريب من بيت خالتها ، واخيرا اخذت تنهت وهي تصل لتتعلق بباب الحافلة بينما السائق يتحرك دون مراعاة لها بل و ينظر اليها بلامبالاة..

تهز كتفيها فتتقدم للعمق بحثا عن مقعد شاغر فأما ان تشغره هي او ان تتقبل بروح رياضية ان هناك غيرها قد شغره قبلها..

حسنا ... هذا الصباح اكتفت بـ)الروح الرياضية) فرفعت يدها عاليا لتتمسك باحد المقابض الدائرية المعلقة بسقف الحافلة للركاب الواقفين..

يتأرجح جسدها قليلا مع تأرجح الحافلة وعقلها ممتلئ بتنظيم شؤونها في العمل لهذا اليوم..

انها تنهك نفسها حقا في عملها الجديد الاول فتعود لبيت خالتها منهكة جائعة كهريرة ضالة وسط عاصفة !

فتطعمها خالتها وتعتني بها دون ان تنسى تقريعها ثم تأمرها كطفلة بأخذ حمامها لتمتثل جدايل للامر وبعد الحمام تزحف نحو سريرها اخيرا وهي شبه مغمضة العينين فتغرق بالنوم حالما يمس رأسها الوسادة..

نوم عميق جدا تجافيه الاحلام حتى شروق شمس اليوم التالي فيحين موعد استيقاظها..

ترجلت من الحافلة ببعض التدافع من الراكبين وهي تتشبث بأي شيء حولها كالمعتاد ، لا لتحمي نفسها من السقوط بل لتكبح وبعناد غريزي جماح هذا التدافع البشري !

مجنونة ؟!

اجل هي مجنونة احيانا وعنيدة كالثور اغلب الاحيان !

دخلت لمؤسسة (سليماني) وهي عابسة لتكرمش قميصها الزهري الذي كوته لها خالتها منيرة بنفسها ، تأففت وهي تدخل المصعد وحاجباها معقودان بتمرد..

فاليوم يفترض ان تبدو بافضل هيئة على امل الحصول على دعم لترشيح وظيفي اكثر ثباتا في المؤسسة في الاشهر القليلة القادمة ..

لكن بحالة قميصها المزرية هذه عليها
التغاضي عن التأثير بهيئتها المرتبة الانيقة
والتركيز على عملها فقط وعسى القائمون
على التقييم ان يفعلوا المثل..... !

بعد ربع ساعة كانت تتحرك في الجانب
الاخر من الشركة وهي تبحث عن مدير
الارشيف لاستشارته بأمر ما ... هيفاء قالت لها
انه ذهب لمطعم الشركة حتى يفطر !

تساءلت جدايل في سرها بعبوس

" الايفطر قبل ان يخرج من بيته ؟!!"

شهقة غرّدت بها حنجرتها بينما ترتطم بالعم
عبد الجليل فتهتز الصينية في يده ليهتز
قدح الليمون بالنعناع ويتمايل حتى هوى
جانبا لتقذف محتوياته على ....

المأسوف عليه ...

المنحوس لهذا اليوم كصاحبته...

قميصها الزهري !

" آسف يا ابنتي ! "

عافرت جدايل لترسم ابتسامة لطيفة في
وجه العجوز المرتبك بينما داخلها يغلي بؤسا
لسوء طالعها اليوم...

تحركت بخطوات تفيض عنادا واحباطا نحو
الحمام وعيناها تناظران بغيظ تلك البقعة
الكبيرة المضحكة على القميص..

وقبل وصولها الحمام بثوان شهقة ثانية
صدرت عنها وهي ترتطم بشخص آخر يفوقها
طولا بكثير وبينما اوشكت ان تشتم هذه
المرة سمعت شتيمة رجولية سيئة !

رفعت رأسها اليه وعبوسها يزداد لتنظر لمن
ارتطمت بصدره قبل ان (يرتطم) انفها برائحة
عطره الرجولية القوية...

ذابت الكلمات على لسانها بل بهتت وتقهقرت
حتى عادت لتستقر في جوفها حالما رفعت
رأسها بالكامل لتحدق في وجه الرجل ...

فغرت فمها وعقلها يتعرف ببطئ مصدوم على
هيئة هذا الشامخ امامها بعبوسه الواضح...

تمتمت في داخلها بهلع "يا الهي! "

قلبها يقرع اضطرابا وارتعابا .... انه هو ... !

ايهم سليماني ....

صاحب المكان...

لقد رأته سابقا .. لمحته في اروقة المؤسسة
مرة او مرتين خلال هذا الشهر و من بعيد فقط
ومرة ثالثة لمحته منزويا في مطعم الشركة
يحتسي فنجان قهوة دون ان ينظر لاحد ،
لكنها تعرف وجهه وهيئته بشكل ممتاز وقد
تمعنت فيه مرارا عبر اعلانات المؤسسة
المصورة ومنشوراتها الالكترونية المتعددة..

انه ....هو ...

نفس الاناقة والوسامة....

نفس الشعر القصير الكثيف المشذب بعناية
و اللحية التي حظيت بعناية مماثلة...

نفس النظرة الرجولية... الـ..باهتة !

اما هو فقد تجاهل تحديقها المرتعب الابله
لينزل بنظراته نحو قميصه الحريري الابيض
ليلامس بسبابته البقعة الصغيرة التي لطخت
اناقة ذلك القميص كما لطخت ربطة عنقه
ذات النقاط السود..

لم تصدق انها تقف هذا الموقف معه هو
تحديدا ! ما هذا الحظ ؟!!

تمتمت بعفوية " اسفة .. اسفة سيد .. سيد.. "

لتتعثر كلماتها وهي تتساءل بغباء مفرط

" انت .. السيد ايهم ... صح ؟ "

لم تتنبه انها استخدمت اللهجة المحلية
الممطوطة بطبيعتها لسكان بلدتها الصغيرة
وهذا كان يحدث معها كلما ارتبكت بشدة
او انفعلت بقوة ، رغم انه قد مضى زمن لم
تفقد السيطرة على طريقة نطقها هكذا..

عيناه البندقيتان الان تحدقان فيها بنظرات
مزجت الدهشة بالسخرية ليرفع حاجبا واحدا
وهو يقول بتسلية غير مريحة لها

" يقولون ...اني هو ؟"

ثم اضاف بنفس النبرة المتسلية

" ما هذه اللهجة يا فتاة ! من اي قرية اتيتِ ؟!"

غادرها سريعا كل شعور بالاضطراب والحرج

ليتملكها نفس الغيظ القديم والحنق

المتربص بمزاجها العنيد...

)من اي قرية اتيتِ (

سؤال حمل دوما رائحة الاستخفاف !

وما فرق هذا الانيق المغرور عن نخبة مترفعة

من فتيات الثانوية العامة المتبجحات ؟!!

كانت في سنتها الاخيرة من الثانوية العامة

عندما ارسلها والدها لخالتها في العاصمة

لتلتحق بمدرسة جديدة هناك...

وهناك .....هناك تحديدا....

عرفت لأول مرة معنى ان تصبح مادة للتندر من

قبل الاخرين ! فاولئك الفتيات المتحذلقات

اتخذن من لهجتها الممطوطة ذريعة تسوغ لهن

السخرية منها باقسى الكلمات !

لكن جدايل لم تستسلم لهن ولم تركن

لاحساسها المبتئس وقد تحاملت على نفسها

لتتجاهل الغمز واللمز الساخرين من اصولها

ومسقط رأسها حتى اجتهدت و تعلمت بل

واجادت لهجة سكان العاصمة..

لتظهر صلابة وهي تتحدث بطلاقة كما

يتحدثن لكنها بين الفينة والاخرى تنتقم

منهن بطفولية لاتخلو من الخبث فتستخدم

لهجتها الام في السخرية منهن او التندر

عليهن ببضعة تعابير لايفهمها الا سكان

بلدتها...

فكانت تربكهن وهي تطلق جملا معينة
لكل واحدة من هذه المجموعة فيعبسن وهن
يحاولن فك طلاسم تلك الجمل المبهمة
بالنسبة لهن بشكل كامل...

وهكذا اصبحت جدايل مشهورة بطريقتها
الانتقامية الخاصة وقد علمتهن درسا لن
ينسيْنَه ابدا..

لكن بدخولها الجامعة آثرت جدايل الالتزام
بلهجة اهل العاصمة منعا لاي موقف سخيف
قد تتعرض له...

فالجامعة بدت لها ضخمة كوحش سيفترسها
ان لم تجيد مقارعته..

لقد كانت تحتاج لتركيز منها ولم يكن
لديها وقت لتلاعب الفتيات التافهات ناهيك
عن فتيان اكثر تفاهة وسطحية...

فمستقبلها شغلها عن اي شيء اخر...

صوته بدا متراخيا متسليا بشكل كبير وهو
يقول " هل سيستمر النقاش طويلا ؟!"

فاجأها وقد كانت تستعد لمفاجأته !

تمتمت بغير فهم " اي نقاش ؟!!"

رد بابتسامة متلاهية على شفتيه

" النقاش بين انت و ....انت... "

رمشت ومعالم الدهشة تكسو ملامحها ثم اخذت تعقد حاجبيها ببطئ لتقول

" اسفة سيد ايهم .. كنت افكر فقط في معنى سؤالك عن)قريتي) كما وصفتها ، فتذكرت ايام الثانوية وبضعة فتيات مراهقات يسألنني نفس السؤال... "

لم تنفرج شفتاه بالابتسامة لكنها كانت واضحة في عينيه ... بدا حقا يجدها مادة للتسلية المختلفة...

سألها ببساطة اغاظتها

" ما اسمك وفي اي قسم تعملين ؟"

كبتت غيظها وهي تذكر نفسها بهوية هذا الرجل وما يستطيع فعله اذا تجاوزت الحدود

واظهرت انفعالا غير مقبول او اذا تمادت وردت على استهانته بها بما يستحق..

تحاملت على نفسها لتقول باعتدال " اسمي جدايل توفيق واعمل في الارشيف كفترة اختبارية تمتد لبضعة اشهر "

هذه المرة انفرجت شفتاه بابتسامة عريضة وهو يتساءل بتفكه " جدايل ؟! اسم ... مختلف ... يليق بفتاة صغيرة سمراء ذات جدائل بقميص وردي ملطخ ببقعة كبيرة "

تقبضت يداها الصغيرتان وهي تفكر ...

هل يتقصد الاهانة عبر السخرية منها ؟!

عيناها ارتحلتا من وجهه الساخر لتنحدرا نحو قميصه بينما تقاوم شعورها بالقهر لاضطرارها السكوت ..

ما هذا اليوم العصيب ؟!

لقد كانت بمعنويات مرتفعة حال استيقاظها صباحا والان تشعر انها في الحضيض..

صوته جاء باردا رغم استمرار الفكاهة فيه

" لااحب استمرار هذا)النقاش الدائر (في الخفاء بينما يظل مبهما لي تماما ، هل هذه طبيعتك ام ربما... لاتجيدين الكلام كما لاتجيدين السير بانتظام في اروقة مؤسستي؟ "

لاتعلم ما الذي جرى لها لتنفلت بقول اول ما خطر في بالها " انت تسخر مني بقسوة ... سيدي ... اظنك .. لاتسامح احدا بسهولة ... "

ثم رفعت عينيها اليه مباشرة لتواجهه بشجاعة فاصطدمت بالقساوة المرعبة التي تطل من عينيه !

اشتعلت تلك العينان بشكل خنقها دون ان تستطيع التفسير بينما همهمت شفتاه بتركيز مخيف " انت محقة ... انا ..ابدا ... لااسامح .... "

خبتت نيرانه الغامضة فجأة كما اندلعت فجأة ليستبدلها بابتسامة اكثر غموضا وارباكا !!

هل هذا الرجل مجنون ؟!!

تجاوزها متحركا وهو يقول " ولأني لااسامح فعليك ان تحددي من التي سأرسل لها فاتورة تنظيف ملابسي ... انتِ أم ....انتِ ؟ "

تمتمت بتشوش " ما..ذا ؟"

التفت اليها غامزا بجاذبية هامسا بصوت مغوي بشكل متعمد " اريد المسؤولة منكما لارسل لها فاتورة تنظيف قميصي ... يا سمراء... "

ثم ضحك عاليا ليتركها ويكمل طريقه مبتعدا بينما جدايل تفغر فمها لتشعر متأخرا جدا كم كانت بلهاء عديمة الحكمة !

دخلت قسم الارشيف وهي تشعر بطاقات الغضب تنتشر حولها...

هيفاء تلك المرأة الثلاثينية المتحفظة التي تعمل معها اخذت ترمقها بنظرة فضولية عابرة لكنها كما اعتادت جدايل منها آثرت الصمت ولم تسأل ..

هذه هي هيفاء ..

لاتتدخل بشؤون احد ولاتريد من احد التدخل بشؤونها..

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

كزت جدايل على اسنانها والغيظ ما زال يتفاعل بقوة في داخلها ولم تكن في حالة تسمح لها باطلاق العنان لفضولها المعتاد حول هذه المرأة التي التحقت بالعمل معها في نفس اليوم وكل ما علمته عنها انها تعمل لاول مرة في حياتها رغم تخرجها من سنوات.... !

هذا عدا المكالمات الهاتفية الغامضة التي تتلقاها بشكل يومي فتخرج هيفاء مغادرة مكتب الارشيف ولاتعود الا وهي مبتسمة بنظرة حنان خاصة...

جلست جدايل بقوة على مقعدها المتواضع ثم اخذت تحرك الاشياء بخشونة هنا وهناك فتصدر اصواتا مزعجة حتى لاذنيها بينما التزمت هيفاء نفس الصمت وانتحت بنفسها بعيدا عما حولها لتنغمس باداء عملها .. فهي الاخرى بفترة تجريبية كجدايل ومؤكد لاتريد المشاكل...

وجدايل تبدو بوضوح صانعة مشاكل من الطراز الاول!

(انت لاتسامح. .)

هل كان يجب ان يسمعها اليوم ؟

افرغ محتوى العصير البارد في جوفه دفعة واحدة فلا برودته اطفأت اللهيب الذي يتقد سرّا ويخبث في احشائه ولا حلاوته صرعت المرارة العالقة دوما على طارف لسانه!

همس بسخرية مريرة وكأنه يرد على نفسه "وما فرق اليوم عن غدا او ...بعد غد ؟!!"

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا 73

وقف عند شباك مكتبه الضخم ....

الافكار عادت لتهاجمه...

هذه الافكار دوما بين ...كرّ و ...فرّ ..

وهو بينهما ..يلتقط انفاسه لينظم دواخله
حتى يصل للاستقرار الضروري ليظهر بالصورة
التي يريدها امام الجميع دون ان ينسى اكمال
ما بدأه ...

ما يسعى اليه منذ أشهر..

كم مر ...

خمسة اشهر ام ست... ؟!

ام انه يتجاهل ببساطة التواريخ التي
تستنزفه...

اغمض عينيه بقوة وهو يعتصر الكأس الفارغ
في يده .. ها هو الكر ... عاد .. !

ذلك الصوت الانثوي المغناج الذي يبدو مشعا
حتى في قمة ضعفه ...

عشتار ...

(" انا احتاجك ايهم ... اترك كل شيء
وتعال الي ... تعال لاسبانيا ... احتاجك
جدا "...

فيرد لها عبر الهاتف " لااستطيع حبيبتي ..
فقط افهميني .. لااستطيع .. العالم الاقتصادي
كله في فوضى عارمة والمؤسسة قد تنهار
تماما كما انهارت عدة مؤسسات اخرى ان لم
ألحق الخسائر والتداعيات "..

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

فتهاجمه بتدللها الغاضب المعهود " انا اهم ... الا تقولها لي دائما ؟ اريدك بقربي .. الآن " .. فيتماسك وهو يقول بصوت مبحوح

" تعالي انت بقربي ... لماذا تصرين على البقاء هناك .. تعالي وعندها ساعتني بك كما يجب.."

تصرخ به " قلت لك لااطيق البقاء في البلد ..لااطيق .. بعد ما ماحصل..لااطيييييييييق")

لماذا يتمسك دوما بتلابيب هذه الذكرى المقيتة ؟ هل يهرب بها من ذكرى اخرى شنيعة قاتلة ؟

ام انه بغباء مفرط غريب عنه يحاول ايجاد الاعذار ؟!!!

اعذار ؟!!! اعذارا لل ..خيانة ؟!

لم يشعر الا بقرقعة تكسر الكأس في يده ليفتح عينيه مبهوتا والدم يسيل من تلك اليد ....

بضعة اجزاء من الكأس ما زالت في باطن كفه بينما تساقطت الاجزاء الاخرى ارضا متناثرة على السجاد الازرق الوثير...

يحدق في الدم الاحمر بعيون جاحظة لتقتحم حصونه الواهية ذكرى مكالمة اخرى ... بعد بضعة اسابيع فقط من الاولى......

ذلك اليوم ...

تغير تاريخه كرجل وكانسان .. تغير مستقبله للابد في ذلك اليوم... !

كان منهكا مستنزفا ذهنيا وبدنيا وقد قضى اسابيع لايغادر الشركة ولاينام الا بضعة ساعات لتأتيه مكالمة عشتار الهستيرية قرابة الفجر ، كان شبه نائم على كرسيه الجلدي في المكتب عندما رن هاتفه ليفتحه ببعض التشتت العقلي فيأتيه صوت عشتار....

هذه المرة كانت تصرخ بانهيار باكٍ ...

بل بجنون هستيري هادر

" هل ارتحت الآن ؟! هل ارتحت يا ايهم... ؟؟"

هب من على كرسيه وقلبه يدوي في صدره يكاد لايميز هل هي تبكي حقا ام تصرخ بجنون نادى هلعا عليها " عشتار ... ماذا حصل؟! يا الهي .....ما بك حبيبتي ؟ "

اخذت تعربد في الصراخ والبكاء معا دون ان يفهم شيئا ، دوما كانت نارية الطباع .. دوما كانت متدللة ... لكنها امرأة فريدة من نوعها وهو احبها لجنونها وتدللها ...

اخيرا اخذت تهذر بانهاك وبدت محطمة بالكامل " انت السبب ... انت ... قلت لك احتاجك قربي .. اشتاقكك ... لااحتمل الوحدة ... "

لم يكن يخطر على باله شيء محدد ...

ظنها تمر بنوبة اكتئاب جديدة بعد تلك التي هاجمتها بضراوة عند فقدانها للطفل..

وكم كان غبيا !

غبي بتصوراته الحمقاء عن تلك الانثى التي عرفها منذ صغرها لتكون له حالما غدت امرأة متفجرة الانوثة...

اخذ يحايلها ليهدئها قليلا " عشتار... حبيبتي سآتي اليك خلال اسبوع واحد ... اعدك ... لقد استقرت الامو ".....عندها فقط وقبل ان يتم جملته قالتها ببرود قاتل وانفاس تصله ثقيلة متحشرجة عبر الهاتف

" لقد خنتك....."

وكأن احدهم امسك بجسده بالكامل وضربه بحائط كونكريتي !

لم يستوعب .. حتى ان عقله لم يسمح للكلمة بالمرور مرتين !

لكن هي اعادتها ... تجرأت وفعلتها !

بل وتمادت بجنونها فتعيدها وتكررها

" لقد خنتك ايهم ... خنتك .. خنتك ... خنتك مع رجل اخر.. "

كيف يكون وصف شعور الالتحام البطيء بحريق؟! حريق يبتدأ باحشائك من الداخل قبل ان يلمس جلدك! يمرر انامله النارية بين تلك الاحشاء ثم يقبضها.. يعتصرها ..

لتجد نيرانه حطبا من ذاتك فتلتهمك دون ابطاء .. كل هذا وانت لا تفهم تماما حقيقة ما يجري لك !

تمتمة منه لم يشعر بها الا وهي على شفتيه الجافتين " م...مـ...اذ..ا... قلـ..تِ؟"

فاعادت الكرة بهستيرية " خنتك ...
خنتك مع حثالة لايعني لي شيئا .... لاشيء .. الا انه كان موجودا حيث لم تكن انت... "

بكاء اكثر هستيرية منها بينما يشعر بالعرق يتصبب منه والدماء تكاد تفور في كل مكان من اوردته وشراييينه .. تضج .. تهدر وتكاد تخرج من انفه واذنيه .. والنار في الاحشاء تمتد مستعرة لتأكل الاخضر قبل اليابس...

بضع قطرات لمحها بذهول تنزل على قميصه فأدرك ان انفه ينزف .. ثم انقطع الخط معها !

لم يعلم كم مر من الوقت وهو يقف مكانه جاحظ العينين جامد الجسد لايبدي حتى اي بادرة ليمسح الدم النازف من انفه ...

ثم رنتين خافتتين جعلته يتطلع بانشداه مصدوم للهاتف في يده ... كانت رسالة نصية منها (سأختفي من حياتك ...احتاج ان ابتعد لاتعامل مع ما فعلت بحق نفسي قبل ان يكون بحقك ...

لن اريك وجهي مرة اخرى .... نحن لن نستطيع يوما تجاوز هذا ... لا انا ولا .. أنت ... انت... يا ايهم ... انا اعرفك ... لن تغفر لي ...وان حصل المستحيل وغفرت فلن أكون كاملة في عينيك كما عودتني منك ... المرأة الكاملة... انتهى كل شيء ... انتهى ...طلقني ايهم ... طلقني..)

كان هذا اخر عهده بها قبل ان يتلاشى كل اثر لها ... وما زال منظر الدم الاحمر القاني يذكره ...

يذكره بثأره الذي لايهدأ ....

ولن .. يهدأ...

عاد تماما لواقعه ليلتفت بهدوء وتماسك ناحية مكتبه يلتقط بضع مناديل ورقية ليوقف الدماء النازفة من يده..

بيده السليمة ضغط على جهاز الحاكي ونادى مديرة مكتبه وسكرتيرته الخاصة طالبا منها ان تحضر احدهم لينظف السجاد من اثر الزجاج المكسور و ..الدماء....

ثم توجه لحمامه الخاص حيث عالج بتان جرحه بعد ان ازال بقايا الزجاج ، فعل كل هذا وعيناه جامدتان تماما بلا اي روح...

عندما خرج من الحمام كان المنظفة تكاد تنهي تنظيف السجاد وسكرتيرته تشرف على عملها بانضباطها المعهود..

غادرت المنظفة بينما سكرتيرته التي تقارب الستين تسأله باهتمام ظاهر

" هل يدك بخير سيدي ؟"

فيرد ايهم وهو يجلس على كرسيه يتحسس الرباط حول يده ويقول

" اجل سيدة وداد انا بخير لاتقلقي.. "

كان قد تعود على مناداتها بـ)سيدة) منذ عهد والده حيث كانت سكرتيرته ومديرة مكتبه ايضا ولسنوات طويلة...

لكنها للاسف تريد التقاعد الآن وقد اتفقا على بقائها لبضعة اشهر فقط وبعدها يجب ان يجد البديل...

اوشكت ان تغادر وهي تبتسم له عندما تذكر شيئا فناداها قائلا " لحظة سيدة وداد ..هناك أمر اود منك الاهتمام به شخصيا "

تنبهت السيدة وداد باسلوبها العملي المتأهب لتبدي استعدادا بالقول " نعم سيدي.. "

رفعت السيدة وداد حاجبيها قليلا بينما ابتسامة جانبية خاصة على فمه ثم لمحت عيناه كيف توهجتا بعبث ليقول بعدها

" اود ان يخصم مبلغ معين بمقدار (...(من راتب احدى الموظفات المتدربات عندنا في الارشيف ... اسمها جدايل توفيق .. "

عبست السيدة وداد لتتسائل " مبلغ ليس بالقليل نسبة للراتب الذي تتقاضاه مثيلاتها ! ماذا فعلت ان سمحت لي بالسؤال سيدي ؟"

أمال رأسه جانبا وقال بسلاسة متراخية وهو يشير بسبابته لصدره...

" لقد وسختْ ... قميصي ! "

من بين كل افعاله المجنونة التي اعتادت عليها فأن هذا الفعل جعلها دون ارادتها ولاول مرة ... تضحك من قلبها !

بينما ايهم يرخي اهدابه والابتسامة ما زالت على فمه ليقول بجدية " احرصي على تنفيذ ما اريده غدا ... وليس اليوم... "

فقالت السيدة وداد ببعض الدهشة وقد تلاشت ضحكاتها " هل انت جدي حقا ؟ هل ستخصم هذا المبلغ من راتبها لاجل .. قميصك ؟ "

رفع نظراته اليها وقال بشعلة غامضة تتوهج في عينيه " اجل ... فأنا لااسامح ابدا... "

تلك النظرة تعرفها منه .. قد يبدو لينا متراخيا لكنه مصمم...

انه رجل ليس بالسهل الوصول لاعماقه .. لما يفكر به حقا ... احيانا هي نفسها يستعصي عليها فهمه وقد عرفته لسنوات طويلة امتدت لما يقارب العشرين عاما عندما كان مجرد فتى مراهق...

لكن ... منذ طلاقه الغامض من عشتار وهو يبدو اكثر غموضا مما عرفته يوما !

ربما لم يكن واضحا لها يوما بشكل كامل لكن هذه المرة الامر كان مختلفا بشكل تعجز عن توصيفه بدقة..

انه متلاعب بطبيعته ويجيد وضع الاقنعة التي يريد في الوقت الذي يشاء ليحجب ما يختار.. !

تمتمت السيدة وداد بنعم وهي تتركه لتغادر وقد علمت عن يقين لافائدة من ترجيه العفو عن تلك المسكينة وقد وقعت ضحية لمزاج أيهم سليماني هذا اليوم....

تقف مستندة للحائط في شبه زاوية منعزلة ، تضع هاتفها النقال على اذنها باحكام وتبتسم بفيض عاطفي بينما تسمع صوت ابنتها ذات الاربعة اعوام وهي تشكو لها من جدتها التي تمنع عنها الشيكولاته...

قالت لها بهمس رقيق " حبيبة ماما يجب ان تكون مطيعة للجدة ولاتتعبها "

فترد الصغيرة شمس بتعثر

" انا لااتعب... جدتي .. انا احب جدتي واحب الشيكو..لاته .."

تضحك هيفاء بخفوت بينما تردف ابنتها وكأنها نسيت امرا مهما " واحب جدي واحب ماما ... احب خالي نمير ... واحب ...احب كلبي فوفو !"

ذبلت الابتسامة وتجمدت عاطفة القلب...

ابنتها لاتعرف معنى ان تحب)بابا) .. وكيف تعرف حبه وهي لاتعرفه شخصيا....

انتهى وقت الاستراحة فأنهت هيفاء المكالمة على عجل وهي توصي ابنتها بطاعة الجدة ثم تحركت من موضعها المتخفي نوعا ما لتعود بخطوات هادئة وملامح جدية ناحية الممر المؤدي لقسم الارشيف دون ان تنتبه لعينين رماديتين تراقبانها بكسل و ...فضول...

اطفأ سيجارته في المكان المخصص من اعلى سلة المهملات الرمادية بجانبه ثم تحرك وهو يتمطى بجذعه عائدا هو الآخر لمكتبه..

لم تره اليوم ايضا وهي تتخفى هناك ! ..

ترا .. ان رأته ... هل ستعرفه ؟

امممممم ... لايظن !

رأسها يعاني من صداع شديد ...

كل ما حصل اليوم كان عبارة عن مجموعة كوارث صغيرة متتابعة بشكل انتقامي !

ابتداء بصراع البقاء سليمة معافاة هي وملابسها في حافلة متهالكة مكتظة بانواع مختلفة من البشر مرورا بكأس العصير الذي اختار قميصها المنحوس لينسكب عليه

ثم موقفها الاسوأ على الاطلاق مع مدير المؤسسة ...غريب الاطوار .. الانيق المتعجرف...أيهم سليماني ..

واخر الكوارث عندما بدت في عينيّ الاستاذ نامق مدير الارشيف نظرة غير راضية وهو يحدق ببقعة قميصها التي لم تنشف بعد !

وكأنها خذلته بينما كان بصحبته احد القيمين على اعمال الارشيف والذي منحها هو الآخر بدوره نظرة دونية سرعان ما تحولت لنظرة اعجاب سمجة عندما تحولت تلك النظرات ناحية ... هيفاء !

حسنا ... هيفاء امرأة جميلة جدا ...تعترف بهذا ، جذابة ذات ملامح بارزة قوية ان صح التعبير ، عينان نرجيستان واسعتان بشكل ملفت بنظرات لامعة دوما فيها خليط مميز بين اغواء وشجن ، شعرها الاسود الذي تعقصه للخلف على الدوام كثيف ناعم ويلمع بالصحة لدرجة تثير الحسد ...

ورغم ان فمها وانفها كبيران نوعا ما لكنهما متوائمان جدا مع هيكل واستدارة وجهها...

هيفاء كلها وبطولها وجسدها الذي يميل للامتلاء تختلف عن جدايل ذات الجسد النحيل وتقاطيع الوجه الرقيقة رغم ان جدايل تتميز بعينيها السوداوين وشعرها الكثيف الطويل ... لكنها تبقى مختلفة بشكل كبير عن زميلتها الغامضة المتحفظة التي تثير اهتمام الرجال على الدوام دون ان تلقَ بالا لهم...

عبست وهي تدلك صدغيها من الجانبين وتفكر بحنق موجه لذاتها

) ماهذه السخافات التي افكر بها ؟! الا أكف لحظة عن التفكير حول اي شيء وكل شيء؟! الا يستحق رأسي المسكين ان امنحه بعض الاستراحة التي يحتاجها بل بأمس الحاجة اليها ؟!(

تأففت وهي تغلق عينيها وتواصل تدليك صدغيها بينما احست بعودة هيفاء للقسم بعد ان أجرت مكالمتها اليومية الغامضة كالمعتاد ...

تأففت مرة اخرى وهي تنهر نفسها بالقول همسا

" كفي جدايل .. كفي يا فتاة !"

لم تبدي هيفاء اي اشارة انها متنبهة لجدايل بينما توجهت بهدوئها المغيظ نحو مكان جلوسها خلف مكتبها الخاص الصغير المماثل لمكتب جدايل...

قسم الارشيف كان عبارة عن غرفة رئيسية للسيد نامق مرتبطة بباب مباشر مع غرفة اكبر تضم ثلاثة مكاتب صغيرة ،

تشغل هيفاء وجدايل اثنين منها ليبقى الثالث خاليا بعد تغيب زميلتهما التي تسبقهما في الاقدمية بسبب ولادتها لطفلها جديد...

التفتت جدايل ناحية هيفاء لتقول لها بملامح متعكرة " اعلم ان وقت الاستراحة انتهى تقريبا لكني لن اغيب اكثر من خمس او عشر دقائق .. ساذهب لمطعم الشركة ، احتاج ان آكل شطيرتي التي اعدتها لي خالتي مع كوب كبير ثقيل من القهوة وبعيدا عن جو المكتب الخانق... "

وقفت جدايل على قدميها وهي تنحني قليلا لتلتقط حقيبتها ذات الالوان الصارخة بينما حدقت فيها هيفاء لبضعة لحظات قبل ان تقول في بادرة جديدة لم تعهدها جدايل فيها

" هل تعانين الصداع ؟ تبدين شاحبة قليلا .. اذا كنت كذلك يمكنك اخذ استراحة لنصف ساعة كاملة وانا سأقوم بأي عمل يوكل اليك حتى عودتك "

حسنا (المتحفظة) طيبة القلب رغم كل شيء ... كانت جدايل حقا ممتنة منها وهي تشكرها لتغادر المكتب وهي تشعر ببعض التحسن فعلا مما جعلها تبتسم رغم الصداع ...

مدير قسم الحسابات ..

قد يبدو عنوانا مرهقا بارقامه !

لكن باسل يحب لعبة الارقام بل يشعر بالاسترخاء الذهني معها ..

تبسم باسل وهو يحرك رأسه يمينا وشمالا فوق عنقه ويفكر ان استرخاء الذهن يدفع ثمنه غاليا من تشنج العضلات في العنق والذي اصبح متكررا لديه في الآونة الاخيرة...

يحتاج لرؤية الطبيب...

تراخى بجسده للخلف مستندا بظهره على كرسيه الجلدي واخذت افكاره تقوده ناحية اخرى ... ناحية اكثر متعة !

ابتسم.....

هيفاء ... انه يذكر اسمها .. ذاكرته قوية دوما خاصة فيما يتعلق بالنساء ....

من يعجبه من النساء.... فقط

نقطة ضعفه الازلية ... الجنس الناعم..

يجيد الحصول عليهن ولكن لايجيد البقاء طويلا معهن !

خشونته احيانا لاتروق لهن وهو يمل سريعا من الرقة المفرطة وكثرة الشكاوي...

ولطباعه هذه اصبح رجلا مزواجا بامتياز .. فثلاث حالات زواج وطلاق خلال خمسة عشرة سنة كثير جدا بصراحة !

عادت تلك العينان الواسعتان تداعبان مخيلته الخصبة وتبهجان رجولته بطريقة خفية..

ما زال يذكرها قبل عشر سنوات ..

فتاة عشرينية في مقتبل العمر بثوب عرسها الابيض .. بدت عروس مبهرة خجولة سعيدة لدرجة تثير الشفقة !

طوال العرس لم يستطع باسل رفع عينيه عنها بينما يقيّم– بأسف -العريس الذي سيحظى بها وقد كان يماثلها عمرا وسذاجة...

العريس قاسم قريبه من جهة الام .. وقد قرر باسل حضور عرسه في اللحظة الاخيرة ذاعنا لاصرار امه التي كانت ما تزال على قيد الحياة في ذلك الوقت وتأخذ على عاتقها مهمة الترفيه عنه وجره جرا للمناسبات الاجتماعية ليجد له عروسا اخرى يعوض بها تجربته الزوجية الفاشلة .. الاولى... !

مسكينة امه .. لم تعرف انه اقدم بعدها على تجربتين اخريتين اكثر فشلا..

وكل تجربة كانت تثبت له ان لايليق بالزواج ابدا و ربما الزواج نفسه باجوائه لايليق به...

وها هو اعزب في الثالثة والاربعين ولا يظن ان هناك عائلة سترضى برفع اللقب عنه ودفع احدى بناتها اليه لتخوض مقامرة خاسرة..

وهل سيكون هو اكثر جنونا ليقدم على تجربة شنيعة رابعة ؟!

تساءل باسل فجأة وبصوت مسموع

" ترا ....لماذا طلقها قاسم فعلا ؟ اذكره جيدا في العرس وقد بدا هائما بها كهيامها هي به..!"

ابتسم بخفة وهو يهمس لنفسه

" حسنا .. هي ما زالت جميلة جدا حتى مع مسحة التحفظ الشديد والشجن الرقيق ، لكن ..من هذا الذي تكلمه على الهاتف في الخفية وتبتسم بعاطفة على الدوام ؟ مؤكد ليس بقاسم ... هل هو حبيبها ام ربما خطيب على الطريق ؟؟ "

عاد له الفضول ...ينخر فيه .... يحرضه....

وهو كان اكثر من مستسلم له بل ومرحب ...

و ...لِمَ لا ؟!

في مقهى الشركة..

تتلذذ جدايل بشرب قهوتها وقد انهت التهام شطيرتها للتو ، اطلقت اصواتا تهمهم باسترخاء وهي تسدل اهدابها تستمتع بعودة رأسها لبعض التوازن...

كأن عاصفة عاتية هبّت داخل جمجمتها ثم استكانت بحذر...

أتاها صوت متهكم اصبح مألوفا لمسامعها بشكل مرعب !

" أنتِ و .. أنتِ .... ألم تنتهي فترة الغداء ؟ الا يفترض ان تكوني على مكتبك الآن حالك كحال باقي الموظفين؟ "

فتحت جدايل عينيها على وسعهما تحدق بالشامخ فوقها بهلع وللمرة الثانية في هذا اليوم العصيب الذي يأبى ان ينتهي على خير !

تمتم وهو يحدق في عينيها بغرابة

" عيناكِ بريئتان جدا لكن .. من هو الغبي الذي يصدق براءة النساء ؟!"

الفصل الثاني

" عيناكِ بريئتان جدا لكن .. من هو الغبي الذي يصدق براءة النساء ؟!"

هل وقفت على قدميها ؟ متى فعلت هذا بالضبط ؟!!

لا تذكر ... !

ربما كانت ردة فعل جسدية عفوية كمحاولة واهية منها لتصل مستوى طول قامته وتواجهه ولو باضعف وسائل الدفاع لديها .. (الكلمات المنتقاة بحذر)

" سيد أيهم .. كنت... "

تلعثمت ... ضاعت كل (الكلمات المنتقاة من عقلها ... عضت طارف شفتها السفلى بينما تشتم في سرها والنظرة القاسية في عينيه تجعلها تتأرجح مرة اخرى بين الخوف والغضب...

تكره ان يرهبها احد وكانت دوما صلبة لترد الصاع صاعين ولو... بعد حين...

لكن أيهم سليماني لاتعرف من اين تحديدا تستطيع مواجهته والصمود امام جبروته ، انه يملك ساحة المعركة التي تهمها وقد خطت فيها للتو بخطوات وئيدة خجول بينما هو سيد الساحة والفائز فيها دون منازع ونفخة هواء من فمه ستطير مع الريييييييييح !

تعقلي جدايل .. والا ستُنفخين...

ابتلعت ريقها .. بللت شفتيها بطارف لسانها
بينما تكمل بثبات جملته المقطوعة
" اعتذر منك سيدي ... سأذهب لعملي حالا..."
تخطته لتوليه ظهرها فجاءها صوته من الخلف
آمرا بصرامة اقشعر لها جلدها " اثبتي في
مكانك ثم استديري نحوي في الحال "
لم تكن تريد لكن قدميها الخائنتين
أطاعتاه فثبتت مكانها بمواجهته بعد ان
استدارت اليه كما أمرها ان تفعل بالضبط ..
تناظره بشجاعة غير محسوسة حتى بالنسبة
لها بينما عقلها يعمل في كل اتجاه...
انها ذكية .. تؤمن بذكائها وستجد طريقة
لتفلت من هذا الموقف ثم عبست ولاشعوريا
تفكيرا طفوليا سيطر عليها..

مستقبلا .. يوم ما ... ستجد طريقة لترد له
صنيعه... !
ضيّق عينيه قليلا وبدت سحنته مرعبة لها...
حسنٌ .. لتُرجئ الانتقام ... انها الان محتارة
حقا .. فما الذي فعلته بالضبط ليعاملها
باستبداد قمعي وقهر ظالم هكذا ؟!!
قاطع صراعات افكارها المزدحمة دوما في
رأسها ليقول بنفس النبرة " من سمح لك
بمغادرة مكتبك لتتسكعي وقت العمل ؟ هل
هو مديرك الذي يتهاون بهذا الشكل مع
موظفيه ؟"
سارعت لتنفي التهمة عن رئيسها المسكين
السيد نامق

" لا ... لا .. انا فقط كنت اعاني صداعا
شديدا وهيفاء قالت لي اذهبي لترتاحي وانا..."
قاطعها بحدة متصاعدة وهو يعقد حاجبيه
بشدة " من هيفاء هذه ؟! "
ردت وهي تشعر بارتعاش الخوف يدب في
اوصالها رغما عنها " انها .. انها زميلتي في نفس
المكتب .. موظفة تحت التجربة مثلي .. "
اطبق شفتيه وزمّهما قبل ان يقول بصوت جاف
جليدي قاس " اذن تستحق انهاء تجربتها
باكرا .. مثلك تماما !"
قدماها ساقتاها نحوه ... تتوسله دون ارادتها
" ارجوك لاتفعل .. لاتفعل .. انا هي المخطئة
فقط .. اطردني انا ان كان يرضيك لكن
هيفاء لاتستحق .. تبدو محتاجة للعمل اكثر
مني.. "
اتسعت عيناه للحظات وهو يتطلع بملامحها ثم
عاد و تراخى جفناه ليسدل اهدابه قليلا
فيرمقها من بين جفنيه هامسا بصوت بارد
" عودي حالا لعملك.. "
لم ترتح له ابدا وشكت بنواياه وانقبض قلبها
توقعا لتلك النوايا فحاولت ان تكلمه لتقعنه
وهي ترفع قبضتها النحيلة بتوتر " فقط اسمح
لي ان اشرح لك ما حصل .. ارجوك ... هذا
اليوم كان عصيبا ومنحوسا من اوله... "
ما زال بنفس النظرة التي تتسرب بغموض من
بين جفنيه شبه المغمضين ،
شفتاه لم تفقدا قساوتهما وملامحه صلبة
بطريقة غير مريحة لجدايل...

من هذا الرجل ؟ حقا من هو ؟؟
بدا مختلفا عمن ارتطمت به صباحا .. الان
يبدو اكثر قسوة .. بل بدا انتقاميا بطريقة
لاتعرف كيف تصفها ..
انه ببساطة ... مخيف !!
مخيف بشكل غامض .. يمنحها شعورا يجعل
ريقها يجف بينما تتوجس وهي تنظر حولها
تستشعر وجود ما هو غير مرئي يتربص بها
ينتظر اللحظة المناسبة لينقض عليها
ويقتنصها لكنها ... لاتستطيع رؤيته
ولاتحديد موقع ضربته القاضية لها !!
عبست وهي تعنف نفسها
" ما هذه الافكار الحمقاء ؟ انه فقط رئيس
المؤسسة .. ليس وحشا في الغاب .. انه فقط ..
رجل قاس... فقط .. كريه ... فكفّي عن
خيالاتك هذه التي ستودي بك يوما الى
التهلكة... "
جاءها امره هذه المرة اكثر تهديدا وخطورة
" بدلا من وقوفك الاحمق هذا عودي لعملك
في التو واللحظة والا ساطلب من الامن
قيادتك انت والمدعوة هيفاء خارج المؤسسة
الى غير رجعة "
كل ما التقطه عقلها انه بطريقة ما لن
يطردهما من العمل ..
لا هي ولا هيفاء ..
لقد نجتا معا من مجهول لايبشر بالخير !
الحمد لله...

اقتنصت الفرصة وامسكت بتلابيبها لتقرر
الهرب من امامه...
اما هذا المتعجرف المرعب فمن الافضل
الاعتراف بعدم قدرتها على مواجهته على
الاقل حاليا ...
بيده ان يصرفها في لحظة وبفرقعة اصبعين
مدللين من يده وسينسى وجودها على الكرة
الارضية في اللحظة التالية..
في المستقبل ستركب قرون استشعار ...
رادارات خاصة به حتى تستكشف وجوده عن
بعد لتبتعد اكثر و.. اكثر .... عن طريقه...
وهكذا .. وبحركة بلهاء استدارات على عجل
تهز رأسها دون معنى ... حسنا..
الاهم هو الوظيفة...

وما دامت لن تطير مع الريح فهي ستكون بخير
..
لانت واجهة الصلابة وتلاشت القساوة من
ملامحه ليحل العبث بينما نظراته تشيع
باستمتاع انسحاب الفتاة المرتعش امامه ...
شقت فمه ابتسامة واسعة لها قساوتها الخاصة
واشتعلت عيناه بمرح ساخر بارد وهو يرفع
حاجبا واحدا ويهمس
" كم هو ممتع التلاعب بالاناث .. الاناث
البريئات!"

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

بعد منتصف الليل....

تحدق في سقف غرفة كان في ايام ماضيات
مرتعا حرا لاحلام صباها الرومانسية الاولى...
عندما كانت مجرد فتاة خالية البال تتورد
لهمسة غزل بريء تداعب اذنيها نهارا وهي في
طريق المدرسة ذهابا وايابا فتجعلها تسهر ليلا
محدقة في نفس هذا السقف .. تبتسم
لخيالات رومانسية بريئة.. صغيرة.. ترسمها
على صفحته البيضاء بخربشات وهمية لاتراها
الا عيناها الحالمتان..
كم يبدو هذا السقف مقفرا الآن !
تسوده العتمة الكئيبة ..والظلال الثقيلة
لذكريات أليمة...
ان تبكي... ان تنهار...
ان تعذبها الوحدة ويمزقها الاشتياق ...
ان يجالسها الخواء ويغادرها الارتواء...
ان تختنق عجزا من ظلم الاختيار الذي وقع
عليها مع غيرها من المظلومات المختارات
لتلوكها ألسنة الناس دون ذنب او جريرة...
كل هذا قد تحتمله...
لكن ما لا تحتمله ... ان تنظر لمن احبتهم
طيلة حياتها وتربطها بهم رابطة الدم وهم
يمسكون تلك الألسن المتطاولة عليها وبدلا
من ان يقطعوها يؤثرون استخدامها كسوط
لايعرف الرحمة .. سوط يجلدون به انسانيتها
وكينونتها بدعوى المصلحة العامة لها و..
للعائلة !
مطلقة .. مطلقة .. مطلقة...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

امسكت هيفاء غطاءها باهتزاز ترفعه لفمها
تكتم به عبرة البكاء حتى لاتوقظ ابنتها
النائمة جوارها .. ترخي جفنيها فترخي معه
القيود التي أحكمت سيطرتها على دمعات
حبيسات طيلة النهار وحتى مغيب الشمس ...
دمعات طال صبرها للحرية ... فها هي ترتخي
الجفون وتتحرر الحبيسات تباعا...
" لماذا فعلت بي هذا يا قاسم ؟ لماذا ؟ كل
يوم اضع قناعا من السيطرة واللامبالاة اعافر
حتى لااظهر حريق روحي لاحد .. حتى
لايستضعفني احد .. فقد اكتفيت استضعافا
لسنوات ! "
التفتت برأسها ناحية صغيرتها تمد يدا
مرتعشة تمسد على شعرها الاجعد البنيّ ..

لقد ورثت عن ابيها شعره...
تمتمت هيفاء بهمس مختنق" سامحيني
صغيرتي... ان اخفي وجودك عن البعض لهو
أمر يقتلني ..لكني احاول جهدي صغيرتي ..
احاول ان اجد لنا منفذا بعد ان يئست من ...
من...."
أجهشت بالبكاء فسارعت لتكتمه ضغطا
بالغطاء على فمها وهي تشعر بابنتها تتململ
في السرير الذي يضمهما معا...
هدأ بكاؤها المكتوم كما هدأت ابنتها
لتغرق في سباتها مرة اخرى مفتوحة الفم
كعادتها..
مسحت هيفاء خديها وهي تتمالك نفسها
وتستعيد رباط جأشها ..

اخذت تحدق في وجه صغيرتها الذي تعشقه ..
انه نسخة مصغرة انثوية من وجه قاسم ، على
الاقل اخذت شيئا منه يعوضها فراقه !
ذكريات مرّة نحت بقسوة افكارها العاطفية
البلهاء لتتمتم بوعد لابنتها

" اعدك ان استعيد قوتي بالكامل ، لن اضيع
المزيد من سنوات عمري بانتظاره .. طال أمد
نزيف ذلك الجرح .. نزيف استنزف روحي
لثلاث سنوات حتى افقت اخيرا من غيبوبتي
الاختيارية .. فقط اصبري علي صغيرتي .. فأنا
لم اتعافَ بعد لارد ألسنة الناس كما
يستحقون .. ان ادافع عنك كما تستحقين ..
ان ادافع عن نفسي كما استحق.."
زحفت هيفاء برأسها على وسادتها لتقترب من
رأس ابنتها تملي عينيها بتقاطيع ذلك الوجه
الحبيب عبر انارة الغرفة الخفيفة هامسة
بشجن " سامحيني صغيرتي .. سامحيني اني لم
اختر ابا جيدا لك .. وربما كان جيدا وانا
التي لم تحسن التصرف لتحافظ عليه .. وربما
.. هو الذي سارع لهجرنا راميا الاحمال كلها
علي وحدي ليعيش هو حياته... "
انسابت شكواها الهامسة

" اواجه امي وهي تمصمص شفتيها حسرة
وتقريعا كلما رأتني ..اواجه ابي العليل الذي
انكسرت شوكته بانكساري ففضل ان
يتجاهل انكساره بتجاهلي انا شخصيا ! ...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

اواجه اخي .. اخي الذي كنت اعلمه كيف
يتهجأ الحروف بات اليوم يعلمني ما يجوز وما
لايجوز ... لذلك الصغير اصبح ينعتني بل
يصمني بتهمة (المطلقة) ويتبع هذه التهمة
بتهم متلاحقة .. تخرجين دون داع سيتكلم
عنك الناس ..تلبسين ملابس تظهر جمالك
سيطمع فيك الرجال ويظنون بك السوء
حالما يعرفون وضعك كمطلقة .. لاتخرجي
..لاتتكلمي كثيرا على الهاتف ..لاتزوري
الجيران ... لا لا لا ... وانا استسلمت ورضيت ان
احبس نفسي بين جدران اربعة تحميني نظرات
العيون ما بين متشفية ومتسائلة ومشفقة
باستصغار ... وانا الغبية .. الغبية تحملت ..
تحملت الحبس خلف جدران بيت عائلتي ..

تحملت الاهانة ما قُصد منها وما لم يُقصد ..
كله لاني كنت .. بانتظاره ..... اتكلت
كثيرا على حنين ظننته يسكنه كما
يسكنني .. تصورت بغباء ان كل المرارة التي
تلبدت بغيومها الكريهة في سمائنا لن تمحو
بشكل كامل حلاوة عاطفة مجنونة جمعتنا
يوما .. خضعت للجميع لاجل ذلك الامل
بالعودة.."
اخذت نفسا عميقا ثم اطلقته ببطئ لتقول
بعينين باردتين عازمتين " حسنا .. انتهى
الخضوع .. وولّى الانتظار الى غير رجعة ووأدت
حنيني السخيف ! .. اقسم باللّه سأبني نفسي
بنفسي "..

ثم ذابت البرودة من عينيها دون ان تتلاشى العزيمة منهما بينما تهمس لوجه ابنتها النائم " وعندما اقف على قدمي يا صغيرتي سأستقل بذاتي واخذك معي .. انت فقط .. يا كل املي ورجائي في هذه الحياة... "

تتقلب جدايل في السرير يجافيها النوم لاول مرة من سنوات !

بل انها لاتتذكر ان النوم قد جافاها يوما..

ما علتها الليلة ؟!

لقد واجهت مواقف اسوأ في حياتها ... وكانت صلبة عنيدة لتواجهها دون وجل او ارتباك..

انقلبت على ظهرها وهي تتنهد ليحاصرها خيال عينيه البندقيتين...

تأففت هذه المرة وهي تعقد حاجبيها لتقول بغيظ وكأنها توبخ نفسها

" حسنا عليك الاعتراف انه ترك انطباعا قويا فيك يا جدايل .. لاتستطيعين تحديد هوية هذا الانطباع او ابعاده لكنه يبقى انطباعا قويا.. "

تعمقت العقدة ما بين حاجبيها بينما تكز على اسنانها وتقول " ولماذا يؤثر بكِ هكذا ؟!! بسبب تقريعه الشديد لمرتين في يوم واحد ؟ ام لانك لم تستطيعي الرد عليه كما تتمنين ؟؟ ام ربما لانه ببساطة رجل ذو تأثير لايصدق ؟!"

زفرت بقوة بينما تسترسل بحواراتها

" حسنا .. هو وسيم .. وماذا بعد ؟! لم تكوني يوما تتأثرين بوسامة الذكور خاصة المغرورين منهم ... اذن .. ماذا بعد ؟ انيق جدا ؟!! بكل تأكيد يجب ان يكون متأنقا ليكمل هالة الغرور المقيتة التي تناسب امثاله ! انيق متعجرف ! اذن... لاشيء حقيقي يميزه كشخص ؟ هل هو مجرد رجل حظي بكل شيء عبر الوراثة ..؟ "

بهت حنقها فجأة لتهمس بفضولها المعتاد

" الكل يقول عنه انه ذكي .. ذكي مجنون ! هذه العبارة سمعتها تتردد همسا اكثر من مرة في اروقة المؤسسة .. جازف بعدة صفقات خسر القليل منها لكن الاغلب حقق نجاحا مذهلا حطم بها كل التوقعات السلبية ... "

عادت لتعبس وهي تعاند تساهلها بالحكم عليه وتقول محدثة نفسها

" كل هذا لايجعل له الحق التعامل معي بترفع واستهانة ! التجبر على الاقل قوة ومقدرة ليس من شيم الرجال .."

اخذت نفسا عميقا وزفرته وهي تدفع كل افكارها المتداخلة في زاوية الانتظار ! ثم اجبرت تلك الافكاران تسلك طريقا حاسما مريحا لتقلقها... لايهم ان كان ايهم سليماني جيدا ام لا .. ستنساه تماما وتنسى كل ما حصل هذا اليوم وتبدأ نشيطة صباح الغد لتركز في عملها ... هو لن يتذكر وجودها على سطح نفس الكوكب ..

انها مجرد موظفة بسيطة تائهة في مؤسسته الضخمة ...

لم يحدث شيء لتقلق بشأنه .. اجل .. الامر بسيط ويتكرر كثيرا في كل الشركات .. الرئيس يكون شديد اللهجة مع موظفيه .. ولكنه ينساهم حالما يدير ظهره لهم ....

همست بابتسامة رضا صغيرة

" نعم .. هذا جيد ... جيد جدا "

ثم بسلاسة عجيبة تحسد عليها ارخت اهدابها لتطبق جفنيها وما زالت نفس الابتسامة على شفتيها لتغط فورا في نوم عميق...

صباح اليوم التالي

" مابك جدايل ؟ انت تحدقين بهذه الورقة منذ اكثر من ربع ساعة .. عيناك ستخرجان من محجريهما !"

نبرة اهتمام واضحة في صوت هيفاء بينما نظرات جدايل لم تفارق جملة محددة من هذه الورقة التي تم تسليمها لها من قسم شؤون الموظفين ....

(تم خصم مبلغ وقدره (...) من راتبك للتسبب بخسائر مادية للادارة)

تمتمت وهي ترفع لهيفاء ملامح مكبوتة برغبة البكاء!

" لقد خصموا ما يعادل تقريبا نصف راتبي ! "

هذا كل ما ساتطاعت جدايل النطق به بينما يهاجمها شعور بالقهر .. بالظلم ...

شهقت هيفاء بالتساؤل المذهول " ماذا ؟! لماذا ؟!!! "

غيظ ... غيظ لايضاهى تسلل بخبث ليؤجج حنقها وغضبها .. قالت جدايل من بين اسنانها " اقسم بالله لن اسكت ..."

قالت جدايل جملتها الاخيرة وقدماها تحرقان الارض وهي في طريقها لتخرج من قسم الارشيف كشعلة نارية بينما تلتف هيفاء خلف مكتبها لتحاول اللحاق بها وهي تقول على عجل " جدايل ... توقفي جدايل ... انتظري ..."

لكن هيفاء كانت قد وصلت منتصف الارشيف عندما اختفت جدايل عن ناظريها تماما ....

كانت انفاسها تحرق صدرها وهي تقف قبالة مكتب السكرتيرة هادرة بصوت مبحوح

" اريد الدخول حالا لمكالمة السيد ايهم .."

رفعت السيدة وداد رأسها تطالع من فوق حافة نظاراتها الطبية تلك الشعلة الغاضبة امامها لتسأل بحزم " من انت يا فتاة ؟"

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

توتر جدايل بلغ اقصاه وهي تحاول كبت انفعالاتها بشق الانفس بينما ترد بتقطع

" انا ... جدايل توفيق .. اعمل في قسم .."

فاجأتها السيدة وداد وهي تقاطعها لتكمل جملتها بهدوء غريب

" الارشيف ..."

ارتبكت جدايل في تحدق في عيني المرأة الغامضتين دون ان تفهم ما يختلج خلف تلك العينين .. فقدت التواصل مع شحنات غضبها التي كانت تتقافز قبل لحظات لتغرق في توجس حذر فتهمس بسؤال عفوي

" كيف .. علمتِ ؟"

هزت المرأة كتفيها بخفة بينما يصل لاذنيّ جدايل صوت باب يفتح ....

" مرحبا بالسمراء ...ذات الجدائل .."

لاشعوريا يدها ارتفعت لجدائل شعرها المحلولة تتلمسها بحركة عفوية بينما تستدير اليه ...

نظراته كصوته ... كهيئته الآنية... كلها تعبر عن التفكه !

مائلا بوقفته قليلا ناحية اطار باب مكتبه الخاص شعره بدا لامعا ونديا وكأنه اخذ حماما للتو ! هل اخذ حماما هنا ؟! في المؤسسة ؟!!

قميصه الازرق ايضا يبدو انه ارتداه للتو .. بل لم ينهِ ارتداءه حتى وقد ترك نهاية كميّه مفتوحين كما انه لم يكمل غلق ازرار قميصه بالكامل لتبرزسلسلة غريبة جلدية سوداء عبر فتحة القميص العليا وقد تدلت ربطة عنقه الكحلية على كتفيه من الجانبين ...

شعرت جدايل بالضياع تماما !

ماذا يجري هنا ؟ هل هذه مؤسسة ام شقة سكنية خاصة ؟!!

كانت كخرساء تائهة وهي تبادله النظرات بعجز عن الاتيان بفعل اخر .. شعرت بخيال السيدة وداد يتجاوزها وهي تهمس بتوبيخ رقيق بينما تتقدم ناحية مرؤوسها " سيد ايهم.... لايفترض ان تخرج امام موظفيك هكذا ! "

ضحك ايهم بخفة وهو يرخي اهدابه بينما لم تستوعب جدايل عفوية السيدة وداد وهي تقطع المسافة لتصل اليه ثم تبدأ باغلاق زر الكم الايسر وتردف قائلة بمشاكسة مبطنة " خاصة اذا كانوا حانقين منك ! "

عينا ايهم ارتطمت بعيني جدايل ليهمس بابتسامة متسلية

" من السهل الحصول على عينة كهذه .."

ثم توهجت عيناه وهو يضيف

" كما من السهل اخضاعهم .."

قالها وهو يسلم الكم الايمن لسكرتيرته ثم اضاف غامزا بمرح

" يكون الامر اشبه بتناول افطار خفيف "

تمتمت السيدة وداد بلطف وهي تنهي غلق زر الكم " سيكون من العدل الاستماع لاسبابها ..فربما ... من يدري.. قد تغير رأيك ..."

أمال رأسه جانبا وهو يمط شفتيه ويتطلع لعيني سكرتيرته فبدا لجدايل -المذهولة بما يحدث- كطفل مشاغب يفكر بعرض مغر من أمه !

رد اخيرا وهو يستدير متجاهلا النظر لجدايل " لدي خمس دقائق لاسمع "

ثم دخل مكتبه تاركا الباب مفتوحا ...

لم تشعر جدايل الا والسيدة وداد تعود اليها لتحثها بالقول

" اذهبي يا فتاة .. لقد قال خمس دقائق لاغير.."

ابتلعت جدايل ريقها وهي تحاول استعادة سيطرتها على ذاتها التي تبعثرت بهذا العرض الصباحي غير العادي ثم حزمت امرها واخذت نفسا عميقا ثم زفرته بقوة بينما تتحرك شامخة وبخطى ثابته ناحية الباب المفتوح ..

تبسمت السيدة وداد وهي تعود خلف مكتبها هامسة لنفسها

" فتاة شجاعة .."

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

دخلت مكتبه تحاول جهدها ان لا تسترق النظر حولها .. وقد كان امرا صعبا حقا والفضول يقتلها لتعاين كل جزء فيه التي تنطق بفخامة غير عادية ...

تماسكت وهي تراه يجلس خلف مكتبه يتأرجح بخفة على كرسيه الجلدي الدوار يمينا وشمالا ، يمسك قلما ما بين اصابع يده اليمنى وطارف اسنانه اللامعة في ابتسامة مغيظة .. يراقب خطواتها باستمتاع هر لئيم يحتجز فأرا مرتعبا ...

بادرت للهجوم باسلوب عملي بارد وهي تقف قريبا من مكتبه فتضع ورقة الخصم على سطح ذلك المكتب قائلة

" سيد ايهم .. هل استحق منك هذا الخصم الكبير فقط لانك رأيتني في مقهى الشركة متأخرة بعض الدقائق عن موعد انتهاء استراحة الموظفين ؟ هل حقا هذه الدقائق تسببت بالخسائر للمؤسسة ؟! "

رد وهو ما زال يتلاعب بكرسيه كما يتلاعب بنظراته وابتسامته لها

" من قال ان هذا السبب ؟!! "

عندها ارتفع صوتها رغما عنها لتهتف بلهجتها المحلية الممطوطة

" اذن .. لماذا ؟ من حقي ان اعرف .."

ابعد القلم عن فمه ليمده ناحية الورقة ينقر عليها بخفة ويقول بتحدٍ واستفزاز " السبب موجود هنا ... ألم تقرأيه ؟ "

رفعت الورقة مرة اخرى وهي تهذر بقول منفعل بينما عيناها تجريان على فحوى الورقة مرة اخرى " مكتوب هنا ... لخسائر مادية للادارة ولم ار خسائر الا بتقصيري في العمـ..."

تجمدت كلماتها ... كما تجمدت نظراتها ...

رفعت اليه وجها مذهولا لتتمتم " لايمكن ! لااصدق .... هل خصمت المال لاجل .. قميصك ؟!!!"

استرخى في مقعده يطالعها بملامح هادئة مبتسمة ببساطة ليقول " تقصدين قميصي الحريري الذي لوثته ببقعة بشعة ؟ اجل .. لأجل ذلك القميص الذي يعادل نصف راتبك ... "

اخذت تهز رأسها وهي تكاد لاتصدق ما يحدث لتهمس دون شعورها

" لايمكنك فعل هذا ...! "

فيرد وعيناه تتصلبان بالقسوة " يمكنني فعل اكثر من هذا .."

ارتفع مستوى الغضب مرة اخرى فتعقد حاجبيها وتميل قليلا نحو مكتبه فتقول بصوت ينضح بمشاعرها المتأججة " انا لااصدق ... تخصم نصف راتبي لاجل بقعة صغيرة على قميصك ؟ "

هز كتفيه .. مط شفتيه .. ثم قال بترفع متعمد

" قميص لم يعد يصلح لارتدائه في الواقع "

ظلت تواجهه .. عيناها في عينيه لاتحيدان بعيدا عنهما .. كانت تزأر في داخلها وهو الوحيد الذي كان يسمع ذلك الزئير ومستمتع به وكأنه كان ينشده ....!

فاجأته وهي تستعدل في وقفتها لتستقيم تماما ثم تمد يدها بهدوء نحوه وتقول

" لو سمحت .. اعطني اياه وانا سأعيده لك كما كان "

ارتعشت ابتسامته وهو يحدق فيها ثم ارخى جفنيه ليهمس بسخرية

" ستجعلين الامر اسوأ "

تكز اسنانها غيظا بينما تقول باصرار " وما همك ان كنت لن ترتديه مرة اخرى ... اعطني اياه لو سمحت وسأنظفه لك وان فشلت اخصم من راتبي كما تشاء .."

رفع عينيه اليها وقال بغموض غريب " لاتعرفين اليأس ..."

فترد بشموخ ويدها ما زالت ممدودة " لم اعرفه يوما ..."

يطالع الان تلك اليد السمراء النحيلة ويتفكه بالقول " فتاة قروية شجاعة "

فترد بنفس الشموخ " رغم انه لايعيبني ان كنت انتمي بجذوري لقرية لكن للتصحيح انا لست من قرية انا من مدينة (...) وهي ليست بقرية ..."

عاد ليواجه نظرات عينيها فيقول اخيرا بصوت مبحوح يبث امواجا غريبة لمشاعرها "امممممم ما زلت اراك قروية ببشرة سمراء لوحتها الشمس وملامح الطيبة التي تخفي .. اللؤم "

ابتلعت ريقها فتهمس بوجه متورد " سيد ايهم انت تهينني دون سبب وتستغل ..."

قاطعها ببرود وهو يستدير بكرسيه جانبا ناحية حاسوبه المحمول " سأبعث لك بالقميص غدا صباحا وبعد غد ... اريده ان يعود كما كان بالضبط .. "

اعادت يدها الممدودة لجانبها تعتصر قبضتها لتقول بعناد راسخ

" سيعود ..."

ثم ارخت قبضتها بتعمد لتقول ببرود " نهارك سعيد سيد ايهم .."

حشرجة صوتها فضحت انفعالاتها الداخلية فالتفت بوجهه اليها قائلا بابتسامة عريضة " نهارك سعيد يا سمراء " ثم غمز بعينه ليرتج قلبها بشعور لاتعرف كنهه ....

سارعت لتغادر مكتبه تفضحها خطواتها بينما العينين البندقيتين تطلقان النظرات الضارية نحوها لو ادركتها لكانت ارتعبت من قساوتهما ...

عادت لقسم الارشيف في حالة يرثى لها .. تخبط غريب يحاوطها من كل جانب وهي عاجزة عن التعامل معه ...

لم تمر يوما بكل هذا التخبط .. دوما كانت تجيد التعامل مع كل ما يواجهها على طريقتها التي ترضيها اولا ...

" هل انت بخير عزيزتي ؟"

تنبهت جدايل لصوت هيفاء القلق بينما تتوجه لمكتبها فترد عليها تخفي تخبطها قدر الامكان " اجل .. شكرا لك ... "

تعبث يدها المرتعشة باوراقها واغراضها على المكتب الصغير فتعاود هيفاء طرح الاسئلة " ماذا حصل ؟ هل استطعت معرفة سبب الخصم الكبير ؟"

فترد جدايل بغموض وهي تعيد خصلات شعرها خلف اذنيها " لقد حللت المسألة .. لاتقلقي ..."

فاكتفت هيفاء بذلك ولم تتدخل اكثر ....

عند الظهيرة

تضحك بجذل وعيناها تلمعان بالحب بينما تتوهج وجنتاها !

قلبه الضعيف يرف لانوثتها المميزة ويستسلم باستمتاع للنظر ناحية تلك الانوثة .. انوثة تتدلل على (محظوظ ما) وبشكل يومي عبر الهاتف ....

اخذ نفسا عميقا من سيجارته دون ان تفارق عيناه تلك المختبئة المغوية مع هاتفها ... ارتفع حاجباه قليلا بينما يراها ترخي اهدابها وابتسامة حلوة .. شديدة الحلاوة تلامس ثغرها .. ثم سرقت انفاسه وهي تميل بذلك الثغر فتطبع قبلة على اسفل هاتفها ....

احترقت يده برماد السجارة فتأوه شاتما وهو ينفض الرماد عن يده ...

اطفأ السجارة وهو يهمس بصوت مبحوح " اذن فهي على علاقة عاطفية بأحدهم .. " رآها تغلق الهاتف وتشرع في الخروج من المخبأ المكشوف فسارع ليتحرك بعزم نحوها وافكاره تأخذ اتجاها واحدا... المطلقات يوهمن انفسهن انهن بحاجة لعاطفة افلاطونية تعوضهن الخسارة لكنهن في الواقع يسعين بضراوة خفية لارضاء رغباتهن الجسدية التي تذوقنها وحرمن منها بالطلاق...

لم تتنبه لاقترابه وقد بدت هائمة بافكارها الخاصة لينهي ختام افكاره هو ... سأكون اكثر من سعيد لارضاء ما خفي من الرغبات فهذا ملعبي...!

فقط بداية منمقة مختصرة قدر الامكان ثم ... نكشف كل الاوراق ...

اعترض طريقها فتوقفت خطواتها لترفع وجهها اليه .. لم تحتج لترفعه كثيرا وهي تتمتع بهذا الطول الفارع ... شعر فجأة بقلة الصبر تتمكن منه وهو يقابل نظراتها المتسائلة ... صوته بدا أبحا حتى لاذنيه وهو يقول

" مرحبا .."

رمشة ارتباك من تلك العينين الواسعتين ثم ردت " مرحبا ..."

ابتسم لها قائلا وهو يركز على كل كلمة " كيف حالك .. سيدة.. هيفاء .."

تفاجأ بردة فعلها ! فقد اتسعت عيناها بنوع من الرعب بينما تتمتم

" هل .. تعرفني ؟"

رد بابتسامة مغوية " لاتذكرينني صحيح ؟ بينما انا اذكرك جيدا .."

ثم طافت عيناه بحرية في ملامح وجهها المرتبك الحائر ليضيف بهمس رجولي " عشر سنوات لم تغيرك الا ...."

تلكأ متعمدا وهو ينزل بنظراته لقامتها متمّما جملته " ناحية الافضل ..."

بدت كأنها لم تتنبه لنظراته ذات المعاني او ربما اختارت ان تدعي البراءة لتسأل بنفس الملامح " ماذا تقصد بالضبط ؟ من تكون ؟"

سايرها وهو يرد بابتسامة واسعة " باسل رشيد .. مدير قسم الحسابات ..و ..قريب زوجك قاسم .."

لم يلتقط اسباب ذعرها او ما تدعيه من ذعر ليضيف " او ربما يفترض ان اقول طليقك .."

عندما شحب وجهها تماما وابيضت شفتاها !

ادرك انها حقا لاتدعي .. بل انها لسبب ما مذعورة من معرفة بزواجها السابق من قاسم ... ولتؤكد تخمينه همست وهي تتلفت يمينا ويسارا

" ارجوك .. اخفض صوتك .."

تساءل ببحة وهو مشغول بالنظر الآن لشعرها الفاحم اللامع " ماذا ؟"

ردت بما يشبه اللهاث " لااحد...هنا .. يعلم اني... مطلقة .."

تمتم وكأنه يحدث نفسه

" امر مثير للاهتمام.."

اخذت تتطلع في عينيه مباشرة تتوسله بالقول

" ارجوك سيد باسل... ممتنة لاهتمامك

بالقدوم والقاء التحية .. لكني "

قاطعها بالقول " انت لاتتذكريني .."

ابتلعت ريقها وهي ما زالت تحدق في عينيه

" لا... اعتذر اني لااذكرك .."

فتنته !

هذه المرأة فتنته حقا ... تمتم والحرارة تشع

من عينيه " لابأس فلم تريني الا يوم عرسك

وقد كنت مشغولة بعريسك عن النظر لغيره"

احمرت وجنتاها وقد التقطت بوضوح ما يرمي

من معان اليها .. ردت بصلابة

" اسلوبك في الكلام لايعجبني واتمنى ان

تلتزم بحدود الادب واللياقة .."

لم يحب ردها لكنه متلذذ بحمرة خديها

فسألها ببساطة " لماذا طلقك ؟ "

عندها اختفى الاحمرار تماما لترد بقسوة

" مضطرة ان انهي الحديث معك .. عن

اذنك.."

ثم تركته لتتجاوزه بينما ينظر باسل

لتقاسيم جسدها يركز على اماكن الاثارة

في ذلك الجسد ويردد بجذل

" مثير .. مثير جدا للاهتمام ..."

اليوم التالي ..مساء ...

تمسك القميص الحريري بيدها بينما تقاوم
احساسها بالهلع !

لقد ارسله لها صباح اليوم في مغلف مغلق
وحالما فتحت المغلف هبط قلبها وهي ترى
القميص الابيض ورائحة صاحبه مازالت عالقة
به ..

لقد كان جادا .. وهي تصورت انه سيتراجع
ويخجل من نفسه عندما عرضت تنظيف
قميصه بنفسها .. لكن اخذ العرض بجدية ..
هذا المجنون جاد ليجعلها تغسل قميصه ....!!

اعادت تركيزها للصفحة التي فتحتها منذ
ساعات على النت حول الطرق الامثل لتنظيف
هذه النوعية من الاقمشة الباهظة ...

اغلقت جدايل الحاسوب واغلقت معه عينيها
تشجع نفسها لتهدأ قليلا بينما نبضات قلبها
المتسارعة تأبى ان تطيع ...

حسنٌ .. لن تتراجع الآن .. ستنظف الخطوات
بحذافيرها كما تم ذكرها بالتفصيل وقد
حفظتها غيبا لكثرة ما اعادت قراءتها ...

لقد تصورت الامر ابسط بكثير وان ايهم
سليماني بالغ متعمدا عندما قال فسد القميص
ولم يعد يصلح .. لكنه فسد فعلا ...

عقدت حاجبيها بعزم وهي تفتح عينيها وتهب
من على سريرها الصغير حاملة القميص معها
فتتقافز خارجة من غرفتها حافية القدمين ..

مرت بجانب الخالة منيرة التي هتفت مجفلة

" ما بك يا فتاة ؟ "

لكن جدايل لم ترد وهي ما زالت تتقافز
كسنجاب حتى وصلت الحمام لتعد العدة
لعملية غاية في الدقة والصعوبة ...

وفي الصباح ....

كانت تقف مسمرة هناك .. قرب حبل
الغسيل تنظر للقميص الحريري المتطاير
وعيناها ...... تدمعان ؟

الفصل الثالث

دموعها تجري كطفلة بينما اناملها المرتعشة
تمر على نعومة القماش الحريري الابيض...
هذا كل ما بقي من رفاهية القميص !
البارحة بدت ان العملية نجحت .... فماذا
حصل ؟!!
اناملها اخذت تمر على تلك العروق البنية
المتعرجة البشعة التي انتشرت على مساحة
واسعة نسبيا من القميص .. همست بشهقات
متقطعة
" لم يعد .. ينفع .. لم يعد على الاطلاق.... "

بعد ساعتين...
من بعيد لمحته .. خطواته رياضية .. نشيطة
حيوية ... قلبها يقرع في صدرها على وقع
تلك الخطوات...
عيناها التقطتا تباطؤ تلك الخطوات لتدرك
باضطراب انه لمح وقفتها المثيرة للشفقة قرب
مكتبه .... انها حتى لم تدخل لمكتب
سكرتيرته فلا تجرؤ على مواجهة تلك المرأة
قبل ان تواجهه هو شخصيا...
ابتسامته المقلقة لاعصابها كانت تتسع
كلما اقترب اكثر وتوضحت ملامحه..
بدا ملفتا بقميص عنابي وبنطال صحراوي ..
انه انيق جدا وملفت باسلوبه في اختياره
للالوان التي تليق به وحده فهل حقا يعتز
بملابسه لهذه الدرجة ؟!!
هل تستحق كل هذه المعاناة ؟!
وقف امامها تماما ترفع وجهها اليه تطالع
ابتسامته الرجولية بينما يقول بصوت مبحوح
" صباح الخير... "

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

لِمَ ينظر هكذا ؟! يجدر به اخفاء عينيه
خلف نظارة شمسية داكنة ....
يا الهي .. هذا الرجل خطر على اي انثى....
ابتلعت ريقها وهي تتطلع للون عينيه بانجذاب
لاتملك ان تمنع نفسها عنه ثم همست
بصعوبة " سيد ايهم... انا.. "
قاطعها بابتسامة غريبة
" الحقي بي يا سمراء "
هل كان الرضا ما يلوح على تلك الملامح ؟
لاتعلم !
ببؤس سارت خلفه لتدخل مكتبه فتمر اولا
بالسكرتيرة او ما تسمى بمديرة مكتبه
فتراها كيف ترد تحية رئيسها بينما يرتفع
حاجباها في عجب لرؤية جدايل في إثره..
تهز جدايل رأسها بتحية صامتة بلهاء فترد لها
السيدة وداد بالمثل...
دخلت مكتبه الخاص بينما تسمعه يقول
للسيدة وداد بصوت رخيم
" خمس دقائق لااكثر... "
تحركت جدايل بخطوات مترددة وهي تراجع
مع نفسها ما ستقوله له ، بينما لم تشعر
بنظرات ايهم الذي تحرك خلف مكتبه
يدندن بلحن ما...
جلس على كرسيه متكتفا باستمتاع واضح
ثم قال بصوت ينضح سخرية رغم رقته
الظاهرة " كلي اذان صاغية... "
تنحنحت وهي تتلفت بنظراتها في كل اتجاه ،
كانت تبحث عن اي شيء ملهم قد يمنحها
بعض الشجاعة التي تفتقدها على نحو غريب
...
عصفور ..عصفور صغير .. انه ابو الحناء
...يقف من الخارج على حافة احد الشبابيك
الواسعة للمكتب .. يهز رأسه بحركات
مضحكة وكأنه حانق منها !..

تلقائيا وجدت نفسها تلتفت ناحية السيد ايهم الذي كان يطالعها بغرابة دون ان يفقد ابتسامته لتقول بشجاعة
" سيدي .. اعتذر منك ... لم استطع حل الموضوع "
أمال رأسه جانبا يحدق فيها بنظرات مباشرة بينما تكمل جدايل ما عزمت عليه قبل ان تفقد شجاعتها
" انا اعتقد من الافضل ان اقدم .. استقالتي .."
ثم شمخت قليلا دون ان تدري كم بدت في عينيه صغيرة ومكشوفة !
طال الصمت فاضافت ببعض الغصة " واضح انك لاتفضل وجودي الضئيل في قسم شبه منسي في مؤسستك "
عيناه تشعان بينما يبتسم ابتسامة جانبية ثم قال ببساطة " انت متلاعبة "..
اتسعت عيناها وابتلعت ريقها بينما الدم يضخ صعودا لخديها فتهمس متسائلة بتحشرج " عفوا " !
رفع حاجبيه قليلا قبل ان يقول بهدوء " لست جدية ابدا بتقديم استقالتك "
كانت تجاهد لتتماسك بينما غضبها منه ومن نفسها اولا يتصاعد لتدعي الصدق وهي تقول " هذا غير صحيح .. في الواقع انا مصرة .."
سخرية نضحت من تعابيره وحملتها احرف كلماته وهو يقول " كان بامكانك تقديمها لرئيسك المباشر دون الرجوع الي .. ام تظنين اني املك الوقت لكل هذه التفاهات "
بدأت تشعر بالاختناق .. حقا الاختناق ..
فقالت تبرر والضيق يجثم على صدرها
" لقد اتيت .. لاعتذر ... ولاوضح ان .."

قاطعها بنبرة غريبة " اتيتِ للتلاعب ..
لاستدرار عطفي عبر هاتين العينين ونبرة
صوتك الشجاعة ... انت ذكية وتعلمين
جيدا ما تملكين وما لاتملكين "..
صدرها يعلو ويهبط باضطراب بينما يكمل
بسلاسة
" تماما كما فعلت قبل يومين وانت تعرضين
بشجاعة تنظيف القميص وكنت في الواقعين
تأملين بل و تتوقعين مني التراجع عن الخصم
الكبير من راتبك .. تصورتِ انك تحرجيني
بعرض التنظيف المضحك ذاك "..
ما زالت على حالها من الاضطراب بينما دموع
الغيظ والقهر تتجمع في عينيها ... فاضاف
اخيرا ببداهة
" كنت اعرف انك ستفشلين في تنظيفه "..
صوتها خرج ينضح بغضب لاتستطيع السيطرة
عليه

" اذن لماذا اعطيته لي ؟! "
فرد بابتسامة ساحرة
" مجرد نزوة ان اراك تتلاعبين مرة اخرى .."
صدمها برده ! ليصدمها وهو يقول المزيد
" كنت اعرف انك ستفشلين كما اعرف عن
يقين انك تتمسكين بفرصة الاستمرار في
العمل هنا باظافرك واسنانك "..
هي ... لم تعد تعرف شيئا على الاطلاق... !
كل ما تعرفه انها تشعر بقدميها تغوران عميقا
في رمال متحركة !
اكمل ايهم وهو يناظرها من فوق لتحت
" مجرد فتاة صغيرة اقرب لمراهقة تتمتع
ببعض الشجاعة تريد ان تثبت نفسها ولديها
طموح عال لتصل "

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

ثم اضاف بقسوة " السؤال هو ... هل لدى تلك الفتاة اسباب خاصة وقوية لتتحمل الكثيرلاجل الحصول على مبتغاها ؟ ام انها فقط طبيعة الاناث اللاهثة خلف الحصول على المزيد والمزيد دون شبع او اكتفاء ... دون حتى ان يكترثن بالثمن ..فالاهم هو تحقيق رغباتهن فقط "

لم تشعر يوما بكل هذه الاهانات تكال لها بهذه الطريقة المنمقة !

كانت تعاني لتجد كلمات ترد بها عليه .. لم تهتم لنوعية الكلمات فلم يعد هناك ما تخسره .. لقد ارادت الانتقام منه .. ان تجد ما يؤلمه...

تسلل صوته لنيرانها هامسا برقة

" لاتغضبي " ..

طالعته تلهث ... كيف يمكنه الانتقال من حال لحال بكل هذه البساطة ؟!!

قالت بتأثر

" لاغضب ؟!! انا حاولت جهدي ان اكون مؤدبة معك .. لانك رئيسي وولي نعمتي .. حاولت ان اتغاضى عن تجاوزاتك الغريبة الاطوار معي ورغبتك المستمرة في السخرية مني الى درجة الاهانة احيانا ... حاولت ان أكون ايجابية بتقبل نوع من القساوة بدرت منك نحوي دون سبب وان اعتبرها بمستو طبيعي في محيط العمل .. كل هذا فعلته ببساطة لاني اردت ان ابني مستقبلا آمنا احتاجه واعتمد فيه على نفسي لاني لااملك غيرها ! اردت ان اتعلم التعامل مع كل الظروف الصعبة التي قد تفرض علي .. ان اكبح جماح تأجج غضبي عند الحاجة لا ان استسلم لذلك الغضب واخسر فرصي بغباء ..

انا يا سيدي فتاة عاملة حالي كحال مئات بل الآف الفتيات في البلد .. مجرد فتاة تحتاج لعملها الذي لاتملك غيره ... فليس الجميع يولدون وفي فمهم ملعقة من ذهب "

خطبة ختامية رائعة ...

عليها ان تصفق لنفسها قبل ان تغادر المؤسسة الى غير رجعة !

ملامحه لاتعبر عن شيء .. لاشيء على الاطلاق ... ثم قال وهو يستدير بكرسيه ناحية حاسوبه

" انتهت الدقائق الخمس .. اذهبي لعملك ... وتمسكي به ..... باظافرك واسنانك "

تدلى فكها الاسفل بانشداه !

تبخر كل شيء من عقلها لتتمتم بغباء

" والقميص ؟"

رد وهو يلوح بيده دون ان ينظر ناحيتها

" ارميه لسلة المهملات "..

رمشت ... ثم تحركت والغباء لفهم ما يحدث ما زال مسيطرا عليها..

عند باب مكتبه جاءها صوته الرخيم

" لقد قررت ان الغي الخصم.."

التفتت اليه ولم يعد احساس الصدمة ليجدي نفعا معها ! قالت وهي تفقد كل قدرة على استيعاب هذا الرجل

" سيد ايهم ...انا لاافهم... "

عندها فقط التفت اليها قائلا بنظرات شقية صبيانية " لست كريما كما قد تصور لك مخيلتك يا صغيرة ..انا فقط افعل ما اشاء وقتما اشاء... "

ثم تغيرت نظراته ليقول بنبرة بدأت تعتاد على غرابتها

" فاحذري مزاجي المتقلب يا سمراء "

غادرت جدايل وهي تكاد لاتفقه شيئا !

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

كانت مشدوهة تماما وعقلها يحاول ببطئ
استعادة كل الاحداث منذ رأته قبل بضعة
ايام وتنسيق تلك الاحداث بتتابع منطقي
ليصل الى اجابة لسؤال غامض غير محدد ...
لكن .. لا شيء !
لم تفهم شيئا ... انه رجل صعب .. صعب
وكثير التعقيد...
طالعت السيدة وداد تلك الفتاة التي غادرت
المكتب بملامح شبه مذهولة ... أخذت
تفكر بعمق فتتمتم بحيرة " ماذا فعلتَ بالفتاة
يا سيد أيهم لتخرج بهذا الحال ؟ ماذا تريد
منها ؟ لماذا هي تحديدا ؟ انها لاتملك الجمال
الباهر لرجل انتقائي مثلك ولا الشخصية
الجامحة التي تشعل حماستك .. اذن ... ماذا
فيها يجعلك تلتفت اليها على وجه خاص بعد
عزوف واضح عن النساء ؟!! "

عند الظهيرة .... يوم اخر هجرت فيه مخبأها
السري !
اشعل باسل سيجارة اخرى ليمج منها بهدوء
بينما يفكر ساخرا .. لماذا لاتلتزم النساء
بقواعد الرياضيات ؟!! انها قواعد منطقية
ومريحة جدا...
اقصر طريق بين نقطتين خط مستقيم ..
قاعدة مشهورة ومعروفة اليس كذلك ؟؟...
ينفض الرماد قليلا بينما يتطلع للجزء المتوهج
من سيجارته ... نقطة ضعف اخرى لايملك ان
يستغني عنها ... التدخين .... يحب النظر لهذا
التوهج الرقيق ... انه اشبه بتوهج انثى تعرف
قيمة الاحتراق ببطئ حيث المتعة تصبح
اكثر قيمة ...
ضحك متفكها ...حسن .. سينتظر بضعة
ايام اخر ..
اطفأ سيجارته وقد شعر بالملل !

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

حياته كلها اصبحت مملة...
تحرك بخطوات متماهلة بينما يفكر بابتسامة جذلى .. لكن المؤكد ان ظهور هيفاء على صفحات نهاراته جعلت الملل زائرا ثقيلا لاخيار له الا الرحيل !

تنهدت الصعداء وقد اكملت على خير مكالمتها مع ابنتها في الحمام...
عبست وهي تضع هاتفها في جيب تنورتها فتفتح صنبور الماء تغسل يديها دون داع !
كانت الافكار تضايقها منذ الامس ، تعرّف ذلك المدعو باسل عليها جعلها تشعر بالخوف ..
لاتريد ان يعرف احدهم انها مطلقة ، لاتريد ان ينظر لها رجل كما نظر اليها ذلك الخليع النظرات باسل .. لاتريد ان تبدأ التساؤلات عن ماضيها .. لاتريد احكام مسبقة مجحفة...

تريد فقط ان تقف على قدميها لتخرج بطفلتها مرفوعة الرأس من سجن عائلتها واقاربها...
فقط بضعة اشهر تتثبت فيها في هذه المؤسسة وبعدها ستؤجر شقة صغيرة تعيش فيها مع ابنتها بعيدا عن كل هذه الضغوط...
ابتسمت عفويا وهي تفكر برياض الاطفال القريبة جدا من مؤسسة سليماني .. سيكون امرا رائعا ان تضع ابنتها فيها لتكون قريبة منها اثناء فترة عملها..
حدقت في صورتها المنعكسة بمرآة الحمام ، غامت عيناها وهي تتذكر فترة حملها بصغيرتها .. كم كانت فترة عصيبة ..
كانت ما تزال على ذمة قاسم رغم انها عمليا في بيت عائلتها بعد ان طردتها امه شر طردة وبملابسها التي عليها..

لاتزال تذكر كلماتها الرهيبة وهي تدفعها
من باب البيت مستغلة غياب قاسم في العمل
(لاتتحججي بحملك لتتصلي بقاسم تتباكي
بخبثك المعهود .. ولدي يعلم عن يقين ان
هذا الجنين سيسقط كباقي اخوته قبل ان
يرى النور .. انت امرأة حقيرة ولن يمتعك اللّه
برؤية ذرية لا من ولدي ولا من غيره)
لكن الجنين لم يسقط بل تشبث برحم أمه
وكأنه اصبح يعلم انه داعمها الوحيد ...
لتخرج للدنيا شمس .. شمس شموس حياة امها
...
ولم يمر اسبوع على ولادتها لشمس حتى
وصلتها ورقة الطلاق...
صدمت صدمة عمرها ... تصورت ان ولادة
شمس ستحنن قلب قاسم الذي تجاهلها تماما
خلال اشهر الحمل ولم يحاول الاتصال بها ..
حاول والدها الاتصال به لتخبره الام بفظاظة
ان قاسم سافر لدولة عربية مجاورة بعد
حصوله على عقد عمل ورفضت اعطاء عنوانه
...
وعندما بلغت شمس الشهرين ارسل لها رسالة
يخبرها فيها انه يعلم بولادتها لشمس ويطلب
ارسال صورة ابنته لكنه لن يستطيع مسامحتها
ابدا على مافعلته مع امه ...
كالعادة ... لم تستغرب هيفاء الاتهام المكرر
...
امه حطمت حبهما لبعض وحطمت ثقتهما بهذا
الحب .. لتحطم في النهاية حياتهما معا وامتد
الامر لحفيدتها التي لاذنب لها في شيء ..
تمتمت هيفاء بتشنج وألم الماضي يعتصرها "
لا واللّه .. لن يمس ابنتي اي أثر من حطام "...

وبشحنة تصميم غادرت هيفاء الحمام عائدة لقسم الارشيف وفي بالها ان تحاول مرة اخرى مع جدايل لتعرف منها ماذا اصابها هذا اليوم لتحمل هذه التعابير الاقرب للذهول... !

في بقعة بعيدة في عمق اسبانيا....
نظرت لوجهها عبر المرآة وقد حاوطت خديها خصل شعرها الكستنائي الكثيف فتلقي على طلتها ألقا ساحرا مع لون عينيها الازرق الفاتن الذي يبرز اكثر بانعكاس لون جلبابها الرقيق الازرق .. ثم تتماوج الالوان مع بضع خصل شقراء طبيعية بارزة اكتسبتها كهبة الهية منذ ولادتها....
تنهدت عشتار فتسمع صديقتها سابرينا تقول بقلق " ألم تعجبك القصّة الجديدة ؟ مزينة الشعر ماهرة حقا وقد اختارت لك الافضل لتبرز جمالك "

ردت عشتار وهي تهز كتفيها بحركة انثوية متدللة " بل اعجبتني .. لكن.."
تصمت فتقترب منها صديقتها السمراء قائلة " لكن ماذا عزيزتي ؟ "
التفتت عشتار ناحية سابرينا قائلة ببعض الجمود
" لا اشعر بالحماسة لأي شيء... "
ابتسمت سابرينا بخفة وهي تقترب من صديقتها قائلة بلطف
" لقد قلنا مرارا الامر يحتاج للصبر .. ستتجاوزينه يوما ما ... انا واثقة.."
زفرت عشتار ولم تعقب بشيء بينما تبتعد عن المرآة الضخمة التي تزين احد الجدران في هذه الغرفة الفخمة ثم اخذت تقترب من الشباك تتطلع للطبيعة الرائعة عبره بوجوم!

قالت اخيرا بصوت هادئ " اشتقت .. اليه.."
ارتفع حاجبا سابرينا قليلا وكست حيرة ملامحها الجميلة المحببة بينما تلتزم الصمت وهي تستمع لصديقتها الجديدة والتي لم يمر الا شهران على تعارفهما في حفل لمعرض فني للخزف...

لكن صداقتهما تعمقت سريعا ليجدا في بعض رابطا يؤنس وحدة كل منهما .. فتتسرب عبر هذا الرابط اسرارهما لبعض...

وكما فقدت سابرينا زوجها في حادثة طائرة مروحية فأن عشتار فقدت زوجها ايضا .. لكن بشكل تراه سابرينا اكثر بشاعة وايلاما لهما معا ... الخيانة !

اضافة ان وفاة طونيو مر عليها عامان بينما عشتار فقدت زوجها قبل بضعة اشهر لاغير...

ما زالت سابرينا لاتفهم اسباب عشتار تماما .. فطبيعة عشتار كما عرفتها بالعشرة متقلبة المزاج نارية الطباع .. نزقة ... لاتحب الاسترسال في الكلام ..ربما هي متدللة ولاتحب الشرح والتوضيح والتبرير .. لكنها في عمقها طيبة القلب .. لاتقصد اذية احد .. خاصة زوجها ايهم الذي ما زالت تعشقه رغم كل شيء...

ارتعش صوت عشتار وهي تهمس
" اشعر اني كطفل فطم عن امه رغما عنه ! ثم ترك مرميا على قارعة الطريق يعاني الجوع والبرد.. "

كان تشبيها غريبا على اذني سابرينا ولولا انها تجيد الانكليزية بطلاقة كلغتها الاسبانية الام لشكت في فهمها للتشبيه...

آثرت سابرينا ان تكون عملية اكثر فاقتربت
من صديقتها لتضع يدها على كتفها ثم قالت
وهي تربت هناك " اسمعيني عشتار ... انت
تعلمين انك مرحب بك تماما هنا ولأي وقت
تشائين .. لكنك بحاجة للانطلاق خارج
حدود مشاعرك التي تتآكلك من الداخل ...
يجب ان تجدي الطريق لتصالحي نفسك اولا
عشتار حتى تكوني قوية لتقرري ماذا
ستفعلين حقا ... صالحي نفسك وسامحيها
على زلتها وربما "...
اشتعلت العينان الزرقاوان كالجواهر النفيسة
وهي تهمس " ربما ماذا ؟"
ردت سابرينا ببعض التردد " ربما تسعين بعدها
للحصول ... على مسامحته هو ايضا "...
ابتسامة تحمل شجنا ويأسا بينما تعود للنظر
عبر الشباك قائلة
" انت لاتعرفين ايهم ... لاتعرفين كيف تجري
هكذا امور في الوطن "...
ضغطت سابرينا باناملها على كتف عشتار
فجذبت نظرها اليها مرة اخرى فقالت وهي
تحثها بطريقة غير مباشرة
" لقد كنتِ في حالة كآبة حادة عشتار
وكنت تأخذين دواء مضادا لفترة طويلة ...
وذلك الحقير الايطالي استغل الامر واغواك
بل حتى جعلك تشربين خمر معه وانت لم
تتذوقيه يوما لتفقدي تركيزك تماما "..
تصلبت ملامح عشتار وموجة قرف وكراهية
جعلتها تبدو اقل جمالا بينما تهمس من بين
شفتين شاحبتين
" هو حقير كان يلاحقني باسلوبه المبطن ...
نعم ... كنت كئيبة ابكي ليل نهار وبحاجة
للعاطفة بيأس ايضا... نعم ... لكني ...
بارادتي قبلت دعوته في شقته و كما بارادتي
تماما شربت الخمر ... غبية ... مجرد غبية ...

ثقتي العالية بنفسي كانت منتهى السخف ...!
لكنني في الواقع كنت في اضعف حالاتي ...
احتاج لمن اكلمه ... لم أكن اعرف غيره ..
جاري في الشقة المقابلة.."
ارتعشت عشتار اشمئزازا بينما ترخي اهدابها
وتقول باسترسال صريح مفجع بتفاصيل لم
تذكرها لسابرينا سابقا
" انا حتى لااذكر ما حصل وكيف حصل ..
كل ما اذكره خيالات وهو يزيح عني ملابسي
ويقبلني بشراهة .. كنت اقاومه بوهن مخز..
كنت اريد ... كنت ...للحظات ... لحظات"...

اغمضت عينيها تماما بينما ترتعش شفتاها
لتهمس بوجع
" تصورته ايهم .. بل اردته ان يكون ايهم ثم
فقدت احساسي بأي شيء اخر لاستيقظ مع
خيوط الفجر عارية بين ذراعي ذلك البائس

.... يا الهي .. ماذا فعلت .. كيف فعلت ؟!! "
هزتها سابرينا لتقول لها بحزم
" لم تكوني بوعيك ... كل هذا مهم
لتقوليه يا عشتار ...اخبري ايهم بكل هذا
كما اخبرتني الآن بالضبط .. ارسلي له رسالة
ليفهم ويستوعب على مهل "
فتحت عينيها الزرقاوين تسكنهما نظرة بليدة
ثم بحركة فظة ابعدت يد صديقتها عن
كتفها لتقول بجمود " لن يفهم .."
لم تيأس سابرينا فقالت باصرار " لماذا
تستعجلين التكهن بالنتائج وبكل هذه
السلبية ؟!! ربما سيفاجئؤك ايهم بمقدار
حبه لك واستعداده للتفهم والمسامحة .."
استدارت عشتار بجسدها يهف حولها جلبابها
الرقيق تواجه الشباك الكبير محدقة في
السماء ثم قالت " سأعمل بنصيحتك.. "

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

لم تصدق سابرينا سرعة استجابتها فقالت
بفرح غامر " هل سترسلين الرسالة ؟ "
فردت عشتار وهي تمد كلتيّ يديها لشعرها
تنفضه بقوة بين اناملها
" بل سأجوب اوربا كلها ... من اقصاها لاقصاها
... "

في ظلام الليل وقد اكتفيا بنور القمر
المتسرب عبر الشرفة المشرعة الابواب يقف
هناك يضم جسدها الدافئ المغري الذي
لايغطيه الا جلباب رقيق .. تحب ارتداء هذه
النوعية من الملابس التي تجعلها تشعر
بالحرية...
يقبل جانب عنقها بهيام وهي تتمسك
بكتفيه بتملك يسعده كرجل عاشق...
صوتها بدا ينضح اغواء " ايهم ..." فيرفع
شفتيه من عنقها لخديها في قبلات حارة دون
ان يهتم بالرد فتضحك عشتار قائلة " احبك
حليق الذقن " ..
رفع رأسه ليحدق في وجهها بابتسامة تشع رضا
عاطفي ليقول بصوت مبحوح " عليكِ اعتياد
خشونته .. لان ذقني ينمو سريعا وخلال
ساعات فحسب " ..
ترد بشقاوة غامزة " اعلم هذا.. "
يشدد من ضمها لصدره وهو يقول
" ما دمت تعلمين فلماذا تطلبين ؟ "
فترفع يدها تلامس لحيته الخفيفة قائلة
بعينين تتوهجان بالجموح والتطلب

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

" لاني اعرف اذا طلبت اي شيء ستحققه لي حتى وان استدعى الامر منك الحلاقة لثلاث مرات خلال اليوم الواحد "...

عندها قهقه عاليا ليضحك من اعماق قلبه الهائم بها ثم فاجأها ليرفعها بحركة واحدة بين ذراعيه وهو يقول بصوت أجش

" نعم ... سأحققه .."

كانت هذه ليلة من ليالي شهر العسل ...

وها هو يقف عند شرفة مختلفة وفي ليلة اخرى مختلفة ... تختلف جملة وتفصيلا عن لياليه مع عروسه ... رغم انه عاشر امرأة قبل بضع ساعات .. امرأة قد تفوق عشتار جمالا .. لكنه لم يشعر بشيء !

التفت ايهم ناحية الشقراء التي تنام في سريره .. فشل ... كانت ليلة فاشلة .. وقراره الذي اتخذه بلحظة جنون كان خطأ فادحا ...ولايعلم ما الذي خطر في باله او ما دفعه لفعل هذا .. انه حتى لم يفعلها بعد ... الخيانة ...الخيانة التي ضربته بمقتل..

اذن لماذا شعر بحاجة ماسة لمعاشرة اي انثى ؟ لماذا الليلة تحديدا ؟ لم يكن يشعر حتى برغبة جسدية لفعل هذا.. !

عليه ان يواجه نفسه .. ان يعترف انه كان بحاجة ماسة الليلة لارضاء جانب اخر منه .. جانب يصرخ بجنون منذ اشهر وهو يكتم صراخه عن الجميع وبشق الانفس...

كله بسبب تلك السمراء !

تجعل الصراخ في داخله اعلى واقوى من ان يستطيع لجمه....

تحرك ايهم ناحية الحمام حافي القدمين لايرتدي الا بنطال حريري اسود .. كمزاجه تماما..

شيطانه يوسوس له بفعل المزيد كأن يوقظ هذه المرأة الحسناء ويطردها خارج شقته في الحال .. في هذا الوقت من الليل وقد قارب الفجر...

لكنه لم يفعل ... كان في مزاج عجيب هو نفسه عاجز عن تحديده

دخل الحمام وبعد بضع دقائق كان يقف تحت رشاش الماء يغسل عنه فشل الليلة..

خفف من ضخ الماء قليلا ليسقط بسلاسة فوق رأسه بينما عيناه مفتوحتان ... تحدقان شذرا وبقسوة في ... اللا شيء...

بعد اسبوعين...

في مقهى الشركة

قالت الاولى بعينين حالمتين وهي تتطلع نحو زاوية محددة من المقهى

" اي امرأة غبية تفلت من يدها رجلا مثله.. "

فترد الثانية وهي ترفع حاجبا واحدا " حقا هو رجل فريد لكنكِ لم تريها .. انها آية في الحسن والدلال.. "

تشهق الثالثة بخفوت وهي تهمس بالقول المتسائل

" حقا ؟!! اذن لماذا انفصلا ؟ "

لترد الثانية بتعابير التفوق بالمعرفة عن
زميلاتها وهي تلامس خصل شعرها القصير جدا
عند رقبتها من الخلف " يقال انها من أصرت
على الطلاق بعد اجهاض طفلها واصابتها
بالاكتئاب الذي جعلها تصبح هستيرية
التصرفات.. "
جعلت رفيقتيها تحدقان فيها بانشداه وفضول
جائع لتتابع ذات الشعر القصير " اجل انها
الحقيقة .. ويقال ايضا انها اتهمته مباشرة انه
السبب فيما حصل وهجرته لتعيش في بلد
اوربي وهو ملّ من محاولة استرضائها فطلقها
لينفصلا بهدوء "
فتسأل الاولى بعجب

" كيف علمت كل هذا ؟"
ردت غامزة " من مصادر موثوقة .."

ثم اردفت لتضفي مزيدا من الاثارة على قصتها
"هو نفسه مصاب باكتئاب ! انظرن اليه
كيف يبدو ؟! رجل فريد المواصفات مثله
كيف يعيش دون امرأة ..؟ "
ضحكت رفيقتيها لتعلق احداهما بهمس

" من قال انه بلا امرأة ؟! هل يجب ان يحضر
صديقاته امامنا مثلا لنعرف "
فترد صاحبة المعلومات الجهنمية وبكل ثقة
" لا ... ليس له اي علاقات .. انا اعرف يقينا
هذا .. انه يعيش مأساته بصمت لانه ببساطة
يفتقد زوجته.. "

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

احنت رأسها اكثر وهي تهمس بالمزيد " انه
يحبها منذ صغرها وقد كانت مدللة جدها
بعد وفاة ابويها بحادث ثم تزوجها السيد ايهم
ليعيشا سعادة لاتوصف قبل ان تتحطم تلك
السعادة بخسارة الجنين "
اخذت رفيقتاها تهزان رأسيهما باقتناع كامل
بينما يسألنها المزيد والمزيد...

حوار كريه بين ثلاث موظفات تافهات
يتجمعن حول احدى موائد المقهى المستديرة
ويبدون وكأنهن يتناقشن بقضية العصر !
هل انتهت مآسي البشرية لينهمكن في الحياة
الشخصية لايهم سليماني ؟!
حوارهن كان مسموعا بالنسبة لها وهن يجلسن
على مائدة قريبة ويدرن ظهورهن اليها...

شعرت هيفاء بالتفاهة لمجرد اضطرارها لسماع
هذا الحوار .. كانت تتجاهل بنفس الوقت
شعور بالمرارة لدى ذكرهن موضوع اجهاض
الطفل..
وكيف لهن ان يعلمن ما تشعر به المرأة لدى
فقدان طفل تنتظره بفارغ الصبر وبقمة
الاشتياق ؟!!
كيف يعلمن شعور المرأة عندما تتعاقب
الخسارات لما تحمله في احشائها ثم يتعاقب
الشعور بالخواء ... بل يصبح الشعور بالخواء
تراكميا ومع كل فقدان جديد فإن الخواء
يتعمق اكثر واكثر...

تطلعت هيفاء بفتور لذلك الذي لايظهر بين موظفيه الا منعزلا عنهم ! يجلس في اقصى زاوية من زوايا المقهى ، يرتشف قهوته بملامح لاتعبر عن شيء بينما عيناه تقرآن باحدى الصحف...

احساس غريب تملك هيفاء وهي تتطلع اليه ..

انها تشعر انه خاوٍ !

تماما كما هي خاوية... !

على الاقل هي حظيت بشمس فبماذا حظي هو ؟!

تعاطف حقيقي ملأها ... ولاشعوريا همست

" لا احد يستحق شعور الخواء هذا "

جاءها صوت جدايل مبحوحا بتساؤل مرتبك " عفوا .. من تقصدين ؟ "

التفتت هيفاء ناحية جدايل الجالسة قربها ...

لكن هيفاء لم ترد بشيء الا باشارة من رأسها ناحية السيد أيهم وقد اكتفت بأن تضع سبابتها امام شفتيها علامة طلب الصمت ثم اشارت باصابعها بما بمعناه (فيما بعد)

لتعود جدايل لصمتها الغريب الذي اصبحت هيفاء تلتقطه بشكل متكرر خلال هذه الفترة وبما يعاكس طباع جدايل المحبة للكلام...

لكن هيفاء تفضل عدم الالحاح والتدخل ، لقد عانت بما فيه الكفاية من الحاح الاخرين وتدخلهم السافر في حياتها لذلك لن تفعل المثل مع احد...

ورغم ان جدايل اصبحت مقربة منها بشكل ما لتتشاركا شرب الشاي يوميا في المقهى وتبادل الحوارات المرحة الا ان الحدود ما زالت موجودة بينهما .. تلك الحدود هيفاء من اصرت على بقائها...

هل تحولت لامرأة معقدة مصابة بوسواس القهر ؟! لاتعلم ... ربما...

فكلنا ضحايا عقدنا....

وقفت هيفاء على قدميها وهي تقول بابتسامة لجدايل " سأذهب للحمام اولا ثم سأذهب للقسم وانت الحقيني هناك حالما تنهين شايك الذي برد في الواقع ! "

هزّت جدايل رأسها بشرود بينما تستدير هيفاء بجسدها لتبتعد عن جدايل مغادرة المقهى...

مطأطأة الرأس عن عمد كما فعلتها في مرتين سابقتين خلال تواجده في المقهى...

منذ اخر مرة كانت في مكتبه وهي لم تواجهه .. لم تواجه نظراته...

(زوجته آية في الحسن والدلال .. احبها منذ صغرها ... فقدت جنينها .. اتهمته انه السبب .. مصاب بالاكتئاب .. عازف عن النساء ..انه يعيش مأساته بصمت لانه ببساطة يفتقد زوجته)

تمتمت جدايل وهي تستعيد ما التقطته اذناها من تلك الحوارات التي اثارت حفيظة صديقتها منهية تمتمتها بآخر جملة قالتها هيفاء (لااحد يستحق الشعور بالخواء)

ارتشفت من شايها والتوتر يخنقها .. انها
لاتكف عن التفكير فيه وتحليل كل جملة
قالها وحركة فعلها ... كل ايماءة ونظرة ...
هل يشعر حقا بالخواء كما عبرت هيفاء ؟
انه رجل ملهم وقوي التأثير وسيكون غبيا ان
يحمل نفسه مأساة فقدان زوجته للطفل..
احمرت جدايل رغما عنها ومشاعر غريبة
تحرقها..
هناك ما بات يسكنها دون دعوة منها .. ما
وطأ ارضها في غفلة منها...
لم تعد تعرف كيف تتعامل مع الساكن
الجديد .... تود طرده ولاتجرؤ..
وكم تخشى - ولسبب غامض- انها لا تريد !
رفعت رأسها دون ارادتها وكأنه كان بانتظارها

.. بل كأنه ناداها وهي استجابت ببساطة...
من بعيد ناظرها .. ثم اشرقت عيناه بشيء ما
ليغمز لها وكأنه يلقي التحية بحميمية سريّة
خاصة بينهما...
احمرت بشدة فعادت وانزلت رأسها بحركة
حادة حتى غرق وجهها بخصلات شعرها فلم
تعرف ان ارخى اهدابه واطرق برأسه قليلا
مبتسما بخفة ..

ابتسامة لاتخلو من رضا غريب....

خطواتها تقودها عفويا عبر ممرات الشركة
ناحية جهة الحمام بينما تخرج هاتفها من
حقيبتها تتلهف لمكالمة صغيرتها...
" مرحبا " ..

رفعت هيفاء وجهها اليه بينما يردف بهمس مبحوح

" انت مغرمة بـ... هاتفك.. "

تطلعت هيفاء بثقة ظاهرية نحو رمادية عينيه الساخرة فترد بلطف زائف

" مرحبا سيد باسل .. "

حاولت تجاوزه ليمنعها بحركة من جسده مضيفا " ادفع نصف عمري لاعرف سبب اخفائك لحقيقة ... وضعك "

كان قد اخفض صوته جدا عند الكلمة الاخيرة فطالعته هيفاء بنظرة باردة بينما يبتسم بجذل...

فيضيف بهمس مبحوح وهو يمرر نظراته على وجهها " وادفع النصف الآخر لمعرفة مع من تتكلمين يوميا وبكل هذه اللهفة ؟"

اشرست نظراتها فتضاعفت دقات قلبه وارتعش جسده استجابة عفوية لتأثيرها عليه...

انه اكثر من منجذب لها ... الاسبوعان مرّا طويلين عليه لم يلمحها خلالهما الا كظل هارب منه في ممرات الشركة او خارجة على عجل من المقهى ... خطواتها سريعة .. !

محظوظة هي بساقين طويلتين فتؤرقانه بتلك الخطوات وترسمان في خياله صورا مشتعلة !

الامر اصبح خارج نطاق سيطرته .. لايعرف لِمَ بالضبط !

لكنه اصبح مهووسا برغبة الوصول اليها...

قال اخيرا بصوت أجش محملا بتلك الانفعالات " الا يفترض ان نتكلم قليلا ؟ قد نتفاهم ونجد امرا مشتركا بيننا "
حدجته بقوة رغم انها ما تزال لاتصدق جرأته ثم قالت بصوت ثابت النبرات " سيد باسل ..ما توحي به كلماتك يوضح بدقة اننا لانملك اي شيء مشترك بيننا ! "
حاولت تجاوزه مرة اخرى فوقف بحزم امامها قائلا بصوت جعلها تشعر بالهلع " التسرع في الرفض ليس من مصلحتك .. نحتاج للتكلم اليوم تحديدا ... سانتظرك بعد انتهاء وقت العمل في المطعم على ناصية الشارع "
ترمش وهي تحدق في عينيه بينما هو بدا مبهورا بأمر ما لاتفهمه على وجه التحديد..

ابتلع ريقه بوضوح لم يستحق اخفاءه ليهمس " فقط تعالي ... انا لا اعض .. على الاقل ليس امام الاخرين ؟"
ثم تركها وكان هو من يتجاوزها.....

ممتع ان ترى البراءة تتشدق بحمرتها !
ضحك ايهم في سره بينما يقف على قدميه ليغادر المقهى...
تحرك بسلاسة يمر قرب طاولتها الفارغة !
لقد رحلت سريعا تجرجر خطواتها بعيدا عن مرماه لاحقة بزميلتها التي غادرت قبلها لسبب ما..
يعترف انه كان يراقب الوضع ... كيف تتجنب النظر نحوه رغم ان جسدها يخدعها ويخبره برغبتها الدفينة للتطلع اليه...

الايام الماضية مرت عليه بتراخ .. لقد عاشر
امرأة اخرى عدا الشقراء ولم يحصل على شيء
ايضا ... كانت مجرد تجربة فاشلة ثانية ..
وكم يكره الفشل ؟!
وهذه المرة هو بشخصه على المحك....
يكاد لايلمس روحا في داخله .. كأنه مبتور!
فقط تلك السمراء تمنحه بعض المذاق
المختلف للحياة ..
امرأتان مذهلتان عاشرهما خلال هذين
الاسبوعين لم تمنحانه ما منحته السمراء له
خلال بضعة مواقف فكاهية...
دخل مكتبه شاردا دون ان يكون شاردا حقا
...
فكره صاف نحو تلك الفتاة .. صاف جدا
وبشكل عجيب !

سيجارة بعد سيجارة .. احتراق يتلوه احتراق...
شتم باسل بصوت مسموع وهو يسحق سيجارته
بعنف في المطفئة الدائرية امامه..
ما الذي يفعله ؟!
هل جن حقا ليهدد امرأة حتى يحاول فقط
التواصل معها ؟
يبتزها لترضى لقاءه ؟!
حتى لو لم يكن جادا فيما قاله لكن
الفكرة بحد ذاتها بشعة...
انه رجل يحب النساء لكنه لم يكن يوما
بشعا...
نظر لساعة يده ... لقد مرت اكثر من نصف
ساعة على موعد رحيل الموظفين ..
هل تجاهلته ببساطة ورحلت لبيتها ؟ ام ربما..

" انا هنا .. ماذا تريد ان تقول .."

رفع باسل وجهه يتطلع لشحوب وجهها...

صوتها رغم برودته وثباته لكنه يكشف عن قلقها...

عبس بشدة !

لماذا يهمها الى هذا الحد ان تخفي امر طلاقها !!؟

وجد نفسه يقول بضيق " اجلسي لو سمحت.. "

هزت رأسها نفيا بينما تلمع عيناها الواسعتان بما يشبه الدموع لتقول بصوت متحشرج

" لااستطيع .. انا امرأة مطلقة "!..

ثم بحركة من تلك العينين شرحت مقصدها من رؤية الناس لها وهي تجالسه..

تقبضت يده بحنق موجه لها كما هو موجه لنفسه !

تماسك قليلا وسيطر على انفعالاته ليسألها " هل هناك شرط في عقد عملك ان لاتكوني متزوجة ؟ ام انك اصلا قلتِ لهم انك ما زلت متزوجة واخفيت الانفصال ؟"

اطبقت شفتيها قليلا وبدت كأنها تخنق رغبة بالبكاء...

ضيق عينيه وما زالت تشرف عليه بوقفتها المضطربة...

قالت بهمس ينضح ألما " انا اخفي طلاقي لاغير .. الامر غير رسمي ..فأنا لم أقل اني متزوجة ولم يسألني احد.. "

سأل بالحاح " لماذا !؟ "

ابتلعت ريقها وسألته بتعب " ما الذي تريده مني سيد باسل ؟ اتركني في حالي ارجوك ..انا احاول ان اجد عملا ثابتا لاعيل نفسي مع ابنتي.. "

تمتم وهو يرفع حاجباه بتعجب

" لديك ابنة ؟! لم أكن اعرف .."

ردت وهي تلامس قلادتها بارتباك " انها صغيرتي شمس .. فقط اعيش لاجلها.. "

ثم نظرت في عينيه تتوسله بالقول " ارجوك ... انا اخفيت امر طلاقي حتى لايتعرض لي احد .. لا بالقول ولا بالفعل... "

هدأت ملامحه وفقدت اي تعبير ... بينما تضيف اخيرا " انا مضطرة للمغادرة الآن واتمنى ان تقدر ظروفي وتتناسى معرفتك بي وعلاقة القربى التي تربطك بقاسـ ..اقصد ... زوجي السابق... "

ثم تركته واستدارت لتغادر .... بينما باسل يخرج سيجارة جديدة ويشعلها...

صباح اليوم التالي...

يحدق في المرآة ... يمشط شعره ببطئ ... يستعيد ببطئ ايضا كل لمحة من تلك السمراء ومع كل لمحة ينتشي داخله برضا غير مألوف حتى بالنسبة له..

رضا خبيث يجعله يشعر بالحاجة للمزيد ..

يجعله يشعر وكأنه يشرب من ماء البحر الذي
لن يرويه وهو يعلم عن يقين انه لن يرويه
لكنه يظل عطشانا ويظل لايمانع الشرب منه
مرارا وتكرارا....
واجه عينيه المتألقتين بذلك الرضا الخبيث
...
انه متعطش لذلك البحر .. بكل ملوحته
ومجاجته ...
تلك السمراء ...
لايعلم لماذا يجد في تجسيد البراءة فيها هدفا
حيّا ليمزقها بتعقيدات مشاعره ... وكم
تتلهف روحه لتمزيق شيء ما ...
شيء خاص وفريد .. شيء قد يحرره...
جف ريقه تلهفا ضاريا !
لماذا تستفزُ مخالبه لافتراسها هكذا ؟!

انها تبدو احيانا اضعف من فريسة !
مجرد لقمة سائغة قرب فمه يستمتع بالنظر
لها دون التهامها...
اليس من العدل تحذيرها قبل ان يقرر اخيرا
هل سيلتهمها ام لا ؟
حسنا .. سيفكر ... فربما سيحذرها اليوم
ويترك لها الخيار...
تبسم أيهم بشقاوة باردة ... ثم اخذ يمرر
فرشاة شعره على لحيته الكثيفة يمشطها
بنفس البطئ والتراخي...

كأسد شامخ يقرأ تفاصيل فريسته باستمتاع
كان يراقب اقترابها ... مفاجأتها .. صدمتها
لوجوده الحي النابض في قسم الارشيف...

تلك العينان السوداوان الناضحتان ببراءة

لاتطاق حسمت الامر...

تمتم في داخله وهو يتأهب بكل حواسه و....

مخالبه...

لا ... لن احذرها ..

ليس اليوم ..

ربما ... سأحذرها غدا ..

او بعد غد ....

او .. بعد بعد غد ؟

الفصل الرابع

السيد نامق يعدل نظارته الطبية لا لحاجة فعلية لذلك الا تعبيرا واضحا عن شدة ارتباكه !

عقله لايسعفه ليستوعب بشكل صحيح ومنطقي و يكاد لايدري ايهما يصعب استيعابه اكثر ..وجود ايهم سليماني بشحمه ولحمه في الارشيف لأول مرة ام طلبه المباشر الغريب لاحدى موظفات الارشيف كي تساعده في أرشفة بعض العمليات الخاصة التابعة للمؤسسة خلال العام الماضي ؟!

عاد الاستاذ نامق ليسأل مستوضحا متأتئا بالكلمات " هل تقصد... سيدي... انك ..ستنقلها لتعمل... في مكتبك الخاص ؟! "

تطلع ايهم بنظرات مائلة ناحية الوجه الاسمر الرقيق المصدوم ثم نقل نظراته لوجه الرجل المرتبك ليقول له بجذل وتراخ

" لن يكون نقلا يا استاذ نامق فقط سـ.... أستعيرها ... اممممممم ... هذا هو اللفظ المناسب .... سأستعير احدى موظفاتك لشهرين او ربما ثلاث .. لاادري ...الامر .. يعتمد .. "

كانت نظرات أيهم قد عادت واستقرت على جدايل التي ابتلعت لسانها الطويل وكليا على ما يبدو ليضيف بغموض ساحر " ولن تكون (الاستعارة) يومية .. يكفي يومين بالاسبوع "

عيناه برقتا بالتحدي وهما تلمسان نوعا من الرفض والمقاومة في نظراتها فيضيف بهمس قاطع " الاثنين والاربعاء سيكونان مناسبين لي تماما "

نظراته حادت نحو شفتيها المزمومتين فتلاعبت ابتسامة على شفتيه فيحيد بنظراته هذه المرة ناحية الاستاذ نامق الذي اخذ يتحرك في مكانه على نحو مضحك شبه متراقص بينما يتمتم بغير فهم " حسن.. سيدي ... كما تشاء ...مؤكد .."

نظرات ايهم الباردة اليه جعلت الرجل الاكبر سنا يستعيد بعض توازنه ليتنحنح وهو يقول بلمحة ثبات " أمرك سينفذ ابتداء من الاربعاء القادم ان شاء الله " ..

قست نظرات أيهم فقال من بين شفتيه " الاربعاء ؟! لا .. لااظن .. بل اليوم ... الآن تحديدا .. اليوم هو الاثنين "

شهقة ناعمة شبه هامسة جعلت قساوته تستفحل في عروقه فينظر نحوها نظرة تعالٍ متعمد يراها تكاد تتراقص ارتباكا كما فعل الاستاذ نامق قبلها ، لكنه لم ينطق بكلمة تاركا هذين المتراقصين يفهمان كل على طريقته...

قال الاستاذ نامق وهو يحاول الابتسام " جدايل فتاة مجتهدة وستكون .. مناسبة جدا "...

عندها ابتسم أيهم ابتسامة جذلى وهو يتطلع لخديّ جدايل المتوهجين ثم قال برقة جذابة ونبرة تسلية تعزف على اوتار صوته " هناك فتاة اخرى .. هيفاء ... كما اظن "...

عقد حاجبيه قليلا مدعيا التفكير وبطريقة مسرحية لم تفهمها الا جدايل التي عبست وهي تحيد بوجهها جانبا في حركة عنيفة متوترة...

تمتم الاستاذ نامق " نعم نعم .. انها جيدة ايضا .. هي على وشك المجيء .. حالا.. لقد تأخرت قليلا هذا الصباح لكنها ... "

قاطعها أيهم وهو يتحرك فعليا " لاوقت لدي للانتظار ... سآخذ جدايل.... "

ثم تجاوز الاستاذ نامق ليمر بجدايل التي تخفي خليط مشاعرها من غضب وحنق وقهر بينما رعشة قلب خائنة تحطمها من الداخل

همس قربها بصوت مبحوح متسلٍ " هيا بنا "...

تجاوزها بتجاهل بينما تستدير هي بشكل آلي لتلحق به وهي تهز رأسها ناحية الاستاذ نامق الذي رد لها بهزة رأس مماثلة وعيناه ترجوانها ان لاتخذله !

توترها بلغ اشده بينما تلاحق خطواته المتهادية باستفزاز امامها .. اليوم اختار الالوان الغامقة والتي كما يبدو تعكس غموض افكاره وسوداوية مزاجه..

قميص أسود وبنطال يماثله سوادا .. كان اسودا بالفعل .. كسواد الايام التي تنتظرها معه..

قبضتها تشددت على حقيبتها الملونة
الطفولية التي ما زالت معلقة بكتفها .. انها
لاتعرف كيف تواجه هذا الامر .. يا الهي
كيف تواجهه ؟!!! انها لاتهابه حقا .. كمدير
طبعا .. لكنها تهابه ..كرجل .. انه يؤثر فيها
بطريقة فجّة تعجز عن التعامل معها بحكمة
.. هناك ما يجذبها اليه بعنف ورغم ارادتها ..
رغم قوتها التي تفخر بها .. هناك ما يعاند
عنادها الشامخ ويفرض سلطانه على كيانها..
ايهم سليماني يجعلها تشعر انها تتأرجح بخفة
وسعادة لم تذقها سابقا فتحلي ثغرها الباسم ..
لكن عقلها على الدوام يخبرها ان خيوط
الارجوحة في قبضته هو وحده ..و تلك
القبضة تقلقها ..

كما تقلقها رعشات قلبها كلما لمحته ..
سمعت صوته .. كلما غمزها بعينيه نحوها
وتشدقت شفتاه بابتسامة محيرة خاصة بها
وحدها ...
الرعشات تتوالى وتكاد تختنق بفوران
مشاعرها الخام البريئة وهي تهمس لنفسها
بجزع " ماذا ستفعلين الآن يا جدايل ؟
ستكونين معه .. يومان في الاسبوع ستقضيهما
معه وحده ... يا الهي!"
اخذت نظراتها ترتبك فتبتعد عن ظهره
العريض وبينما هي تسيطر على خوالجها لمحت
قامة هيفاء من بعيد ..

بدت هيفاء على غير طبيعتها وشعرها الاسود محلولا لاول مرة يتراقص حول وجهها الشاحب الملهوف !

لاشعوريا تركت جدايل ملاحقة خطوات أيهم لتتجه يمينا ناحية هيفاء تحييها سريعا بينما هيفاء ترد التحية شبه لاهثة...

كانت شديدة الاضطراب فسارعت جدايل لسؤالها بقلق

" ما بك ؟؟ "

يد هيفاء المرتعشة تعيد بضع خصل من شعرها خلف اذنها بينما تهمس بصوت مبحوح " سآخذ اجازة لبضعة ايام "..

عندها ارتفع صوت رجولي خشن لايعبر عن عمر صاحبه الذي لم يتجاوز السادسة والعشرين " مرحبا جدايل "

تنبهت جدايل لوجود اخ هيفاء يقف في ظهرها وقامته الطويلة تفوق قامة اخته فتتمتم بابتسامة معتذرة " اهلا نمير ... سامحني لم اتنبه لوجودك "

عادت باهتمامها لهيفاء فلم تتنبه ايضا لعبوس نمير !

سألت على عجل بينما عيناها تحيدان قليلا ناحية ايهم فتراه ما زال يسير في طريقه غير متنبه لوقوفها " ماذا حصل ...؟"

ردت هيفاء باختناق " شمس "...

ثم التفتت هيفاء لاخيها فتقول له بارهاق

" ارجوك نمير اذهب وانتظرني بسيارتك ..

قلة صبرك توترني اكثر ... سالتحق بك

حالما اكلم السيد نامق "

رد نمير وعيناه على جدايل " حسن ... الى

اللقاء جدايل "

لترد جدايل دون اهتمام " الى اللقاء " ثم تعود

سريعا لهيفاء تسألها باهتمام " ماذا هناك ؟

ماذا بها شمس .. اقلقتني "..

كان نمير قد تركهما وهو يفكر في

انجذابه لهذه السمراء التي لم يرها الا بضع

مرات وفي كل مرة تُشعره انها لاتراه !

ردت هيفاء على جدايل وهي تبتلع ريقها "

شمس .. بخير .. فقط .. ظروف عائلية خاصة

ستضطرني للبقاء يومين او ثلاثة في البيت "..

تنهدت جدايل جزعا واشفاقا !

فما دامت قالت هيفاء (ظروف عائلية) فهذا

يعني انها تعود للاحتماء بقشرتها المحافظة ..

تعود لاخفاء ما تخاف عليه و... منه !

لاتعلم لماذا ما زالت تتمسك بهذه القشرة

امامها وقد اصبحتا صديقتين..

اصبحت تعرف اخاها نمير الذي يوصلها احيانا

للشركة كما تعرفت عبر الصور على ابنتها

شمس .. وتعرف انها للاسف ... امرأة مطلقة ..

صحيح لم تخبرها باسباب الطلاق لكنها

اكتفت بأنها حصلت على ثقتها لتأمنها على

أمر تريده سريا امام الاخرين...

البشر يجيدون اخفاء مآسيهم فيظهروا احيانا شديدي البرود بينما في الداخل مفعمين بالحرارة والعاطفة ..

عندها فقط التفتت جدايل لاشعوريا ناحية أيهم ليرتعش قلبها وهو تراه ملتفتا للخلف برأسه فقط ينظر ناحيتها من فوق كتفه الايمن .. لايظهر من وجهه الا تلك العينان البندقيتان...

كانت نظراته .. تقول شيئا ما ..

شيئا بدا قاسيا بدائيا وربما حتى وحشيا !

ضاق نفسها بينما قلبها يقرع طبوله كالمجنون...

لم تشعر جدايل الا وهي تهمس باختناق " حسنٌ هيفاء .. كلميني فيما بعد لتخبريني.... بالتفاصيل .. الى اللقاء "

فتتركها وصوت هيفاء يأتيها تائها " الى اللقاء .."

ما ان تحركت خطوتين مرتجفتين ناحيته حتى اعاد رأسه للامام كما كان وواصل خطواته موليا جدايل ظهره...

رافقته الى حيث مكتبه .. والتقت مرة اخرى بالسيدة وداد التي ناظرتها هذه المرة ببعض المفاجأة التي لاتخلو من الغموض المفكر...

القى ببعض التعليمات لمديرة مكتبه بينما جدايل لاتلتقط معاني الكلمات وسط فوضى المشاعر التي فيها...

تمتمت بتحية للسيدة وداد التي ردت لها التحية بثبات ثم ارخت اهدابها خلف نظارتها الطبية لتبدو محجوبة تماما عن الاثنين الواقفين امامها...

قال أيهم بنبرة جليدية دون ان يلتفت لجدايل

" هيا... لاتؤخريني اكثر.. "

ما هذا الذي تعيشه بالضبط ؟! كيف تورطت بكل هذا ؟

الامر اصبح لايطاق .. لاقدرة لديها على....

قاطع افكارها المتلاحقة بجنون سائلا بصوت ناعم لكنه حاد كنصل سكين شحذ للتو "

من .... هذه ؟ "

تفاجأت جدايل بوجودها في مكتب ايهم وهو جالس على كرسيه بينما الباب مغلق خلفها.. !

متى حصل هذا ؟ متى دخلت خلفه ليجلس هناك يواجهها بـ... بـ.... بكل هذا الذي لاتعرف له أسما...

ابتلعت ريقها وهزت رأسها قبل ان تهمس بتشتت

" من .. تقصد ؟ "

ناظرته .. ويا ليتها لم تفعل ... قلبها انخلع من مكانه تحدق فيه ببلاهة .. لتهمس شفتاها " انها ...هيـ..فاء "...

أمال رأسه والنظرة في عينيه تعري واجهتها المتماسكة الواهنة

تمتم بابتسامة غريبة بينما يحدق في عينيها

" آآآآآ .. هيفاء ... تلك التي تجالسك دوما.."

ثم فجأة اشتعلت نار في تلك العينين .. نار ارعبتها وقد بدت موجهة لها وليست لها في نفس الوقت !

سألها بقساوة بدائية " ومن الذي كان معها ؟"

تمتمت جاحظة العينين من فرط الضغط العصبي

" انه .. نمير .. اخاها نمير... "

احتجبت كل تلك النيران خلف اهدابه التي ارتخت ليقول بهدوء قاتل

" جدي لك مكانا تستقرين فيه في احدى زوايا مكتبي لاسلمك عملك .. لن احب ان اتعثر بك في ذهابي وايابي.."

ثم فجأة رفع نظراته اليها وقد اختفت النيران منهما تماما ليقول لها برقة تذيب الحجر " من يدري قد اعتاد على وجودك واخصص لك مكانا ثابتا عندي .."

تلكأ قليلا قبل ان يصحح بصوت مبحوح

" اقصد في مكتبي... "

عندها فقط .. وهي تقف هناك مسمرة في مكانها كالجدار الكونكريتي .. تحدق فيه بنفس البلاهة ويحدق فيها بطريقته الغريبة ... ادركت ان ورطتها كبيرة ..

واكبر مما كانت تتخيل ..

كل هذا الارتعاش والضعف الذي لم تألفه في شخصها بدأ يشكل لها معنى واحد لايقبل الجدال ولايرضى بالتراجع!

كانت غاضبة .. متفجرة .. ضعيفة .. في قمة الضعف ... منهارة .. قلقة .. قلقة بشكل مدمر .. تكاد تريد الانهيار على ارضية الممر لتجهش بالبكاء علّها تسيطر على هلعها لاجل صغيرتها...

كم كانت حرارتها عندما تركتها مع والدتها ؟ 40 ؟؟!!

تعثرت .. وقعت حقيبتها وتساقطت الاغراض منها لتتساقط من يدها بضع اوراق وعندها تساقطت حصونها لتنثني ساقاها فتنهار كلها على الارض..

اخذت تبكي وتبكي وتبكي .. لم تعرف هل قلقها على ابنتها هو السبب ؟ ام ان مواجهتها المرهقة لضعف حالها ؟ ام ربما اشتياقها الخائن لزوج كان الرجل الاول في حياتها ولم تستطع ان تنساه رغم كل ما حصل.....

حذاء جلدي اسود .. ضخم نوعا ما حط رحاله قرب ركبتيها المستندتين للارض .. كانت تعلم نوعا ما انها في ممر خال من الشركة فمن هذا الذي دفعه سوء طالعها الى طريقها..

اخذت تمسح وجهها بهستيرية وهي تلملم اغراضها بينما في الواقع كانت تبعثرها اكثر دون ان تشعر !

" اهدأي .. سأساعدك .."

صوت تعرفه .. لكنها ابت مواجهة صاحبه .. ليس وهي بهذه الحال..

لكنها لسبب ما شعرت بالراحة انه هو دون غيره .. ف..هو .. يعرف وكم تشعرها فكرة انها ليست مقيدة بالكتمان امامه... بالاخفاء .. بالادعاء ...

لقد تعبت .. تعبت من كل هذا...
كان يقاوم جنونا اهوجا اعمى بداخله ...
وكيف لايشعر بهذا الجنون وكل ما يريده الآن الشعور بجسدها ملتصقا بجسده ... !
يريد لاصابعه ان تغرق بوحشية في ظلام شعرها الاسود فيختبر شغف الضياع فيها....
مجنون ! .. مجنون انت يا باسل اوقف نفسه بعنف...
تمتم بصوت متحشرج من العواصف التي هاجت في داخله

" ماذا هناك ؟ "
اطالت الصمت بينما يلتقط لها اغراضها ببطئ متعمد ليطيل بقاءهما المغري سوية على الارض ، عيناه تلمحان ركبتيها البيضاوين التي برزت من تحت تنورتها فتتصلب اصابعه كردة فعل وهو يمنعها التجرؤ على اللمس ...
تمتمت اخيرا وقد فقدت كل رغبة لمساعدته في التقاط اغراضها المبعثرة
" لاشيء "..
احمر شفاه فضي لامسه بابهامه بشغف عفوي وهو يتخيل ملامسة القلم لشفتيها ، همس بصوت رجولي خشن
" كيف لاشيء ؟! انت منهارة تماما " !

يا الهي انه يشتهيها كما لم يشتهي امرأة من
قبل...
يشتهيها وقد فشل تماما في كبح جماح رغبته
المستعرة فيها منذ زمن ... منذ رآها تكلم
احدهم على الهاتف في زاوية مخفية من
ممرات المؤسسة .. بل ربما سكنته هذه
الرغبة منذ سنوات ... منذ عشر سنوات عندما
رآها لاول مرة في عرسها....
قالت باختناق " ارجوك .. انا ... انا في
..عجلة "
رفع وجهه اليها ويا ليته ادرك خطورة الامر
عليه قبل ان يفعل
هدر خافقه وجف فمه....
انها مذهلة ... تشع حرارة حسية ...
تماما كما كانت ليلة عرسها ..
انه يراها هكذا رغم اختلاف الصورتين...
رغم هذا الانف المحمر والعينين اللامعتين
باثر الدموع كبحيرتين صافيتين في ظلام
ليل بهيم...
وتلك الشفاه التي تورمت لسبب ما لايريد ان
يعرفه الان والا ...
ابتلع ريقه هامسا باصرار " فقط اخبريني
السبب وسأدعك لشأنك "
ذبلت ملامحها ببكاء صامت وبدت في قمة
الضعف وهي تهمس
بشهقات متلاحقة قصيرة " ش..مس .. حرارتها
..عالية جدا لم ..يسبق لها ان عانت ..هكذا
من ..قبل "..

عيناه لاتفارقان تلك الشفتين بينما يردد بلا تركيز

" شمس... ابنتك ؟"

عندها مدت يدها لتنتزع حقيبتها في غفلة منه وهي تهمس بارهاق " نعم .."

وقفت على قدميها وعيناه تتراكضان على طول قامتها التي ترتفع امامه.. وبتلك العينين الخبيرتين كان ببساطة يعريها دون رادع !

اوشك ان يفقد نفسه وهو يهّم ليقف على قدميه عندما فاجأته

بالقول وهي تمسح وجهها ببعض الحرج (المتأخر)

" عفوا لكل هذه الهستيرية ! اعذرني ..يجب ان .. اذهب الان فنمير ينتظرني في سيارته من مدة وهو ليس صبورا بطبيعته "...

دلو ماء مثلج جمده ...

تلاه ضخ هائل لشعور غيرة غير مألوفة بالنسبة له فبدت كنيران جائعة اشتعلت بحقل يابس...

سأل والرؤيا تضببت امامه

" من نمير هذا ؟"

ردت بهمس ضعيف لاهية عما يعتريه

" انه أخي الصغير "...

ثم تحركت لتتجاوزه ببساطة تاركة اياه بشعور الاحمق !

بعد اسبوع..

ينظر لانغماسها المبالغ فيه مع الحاسوب
المحمول الذي اعطاه لها لتنجز العمل فيه....
انها تندمج في عملها بشكل يثير الاعجاب !
مقاتلة عنيدة هذه الصغيرة..
تبسم أيهم في سره وهو ما زال يراقبها مرخيا
رأسه للخلف على كرسيه وجفناه نصف
مغلقين...
انها تقاومه .. تقاومه بشراسة ايضا .. لديها
مخالبها الصغيرة وتجيد الملاعبة والتملص من
تأثيره عليها..
يعترف انه مستمتع بلعبة القط والفأر معها ،
مستمتع بتلاعبها وفخرها الصغير بنجاحها
الوهمي ، يحب ان يمنحها شعور الخلاص دون ان
تملكه حقا..
لا يهم متى يقرر الانقضاض فهي حتما
كفراشة تحط على راحة يده لاتغادره .. انها
في قبضته ووجودها هناك يمنحه شعور
القدرة بـ.. سحقها !
ومتى ما اراد ....
لماذا يطيل الامر حقا ؟ لماذا يؤجل المحتوم ؟
هل هو فعلا مكتفٍ حاليا بقدرته عليها ؟ ام
انه ببساطة يخشى ان حتى تحطيمها لن
يمنحه الراحة التي ينشدها....
سواد .. سواد حالك يستعمر روحه .. يقتلع
جذور انسانيته .. ثم يتركه كأرض بور
شيطانية يغزوها فيها زرع الحنظل...

برودة كريهة سرت في اوصاله ، احتقار تفجر فيه ولايعرف هدفا ليصبه عليه صبّا...

تذكر قبل اسبوع عندما اخذها من الارشيف .. عندما رآها تقف مع زميلتها هيفاء .. عندما رآى نظرة الاعجاب في عيني ذلك الشاب...

لايعرف اي توحش فاض في نفسه بينما شعور بالقذارة يحاوطه !

لم يهدأ الا عندما لاحظ بوضوح انها ليست متنبهة للشاب وربما .. هي متنبهة وتدعي البلاهة !

عاد ليتطلع اليه فيسألها فجأة " اخبريني عن نفسك "

رفعت رأسها الصغير الذي يشبه العصفور المغرد وكما يعرفها ستنتظر بضع ثوان ويكاد يقسم انها تعد حتى الخامسة لتتمالك نفسها قبل ان تواجهه...

نظرت اليه لتقول بسخرية طفولية " انا فتاة القرية "..

استعدل في جلسته ليحني جذعه الى الامام ويستند بمرفقيه على سطح مكتبه ثم يقول بابتسامة خاصة يعرف تأثيرها عليها " حقا اخبريني .. لدي فضول .. نحوك "..

يربكها .. يحطم كل حواجزها بمجرد ابتسامة !

كما توقع حصل وكم يحب التوقع معها الذي لايخيب ابدا..

انها ككتاب مفتوح .. سهل القراءة ويسير الفهم وممتع الى حد الادمان ...

اجل.... انها مخدره الخاص .. خاصته وحده ....
ولذلك هو يتأنى في تعاطيه...
رآى رأسها العصفوري يرتفع بشموخ لايليق به
ثم قالت بارتباك لايخفى عليه " ماذا تريد ان
تعرف .. سيدي ؟"
سألها بسلاسة " هل عائلتك كلها أتت لتعيش
في العاصمة ؟"
ردت وهي تحمر لسبب ما " انا وحدي من أتيت "
سألها دون ان يخفي استغرابه " تعيشين
بمفردك في العاصمة ؟! "
ردت ببعض الحنق " بالطبع لا ! " للحظة
اتسعت عيناه بنظرة اجفلتها لتقول وهي تتهرب
من عينيه " أ..اعيش... مع خالتي منيرة "..
فهمس بصوت غريب " و بعد ؟ "

ردت بتشتت وهي ما زالت تبحث عن شيء ما
يلهي عينيها في هذا المكتب الفخم " أأ ..أبي
.. ما زال في البلدة "..
فيسخر منه بصوت رقيق قائلا " لايحتاج
لذكاء لاعرف هذا "..
تنهدت رغما عنها وهي تثبت نظراتها على
صورة معلقة على الحائط لمجموعة رجال
يقفون على ظهر قارب صيد ابيض وهو من
ضمنهم ثم قالت ببطء " لدي... اختان .. عبير
ونجوان "...
سأل بمشاكسة " تشبهانك ؟"
احنت رأسها قليلا وقالت بتحشرج " بل تشبهان
امهما .. انا ايضا اشبه امي "...

عندها علّق باستغراب " اخشى اني لم افهمكِ جيدا "..

رفعت وجهها اليه عيناها السوداوان تلمعان وهي تقول بصوت أجش

" امي توفيت منذ سنوات... وابي.... "

تركت جملتها معلقة في الهواء...

انها المرة الاولى التي تشعر بالحزن عند ذكر زواج ابيها بعد امها .. دوما تقبلت امر زواجه وراعت مشاعر زوجته ..

دوما كانت سعيدة باختيها وفخورة بهما..

ماذا يحصل لها ؟!!! هل اشتاقت لعائلتها ؟ هل هذا هو السبب لكل هذا الشجن والاحتياج لضمة صدر امها الدافئ ؟

تمتم أيهم " فهمت... "

ثم اردف سائلا " منذ متى تعيشين مع خالتك ؟"

التفتت اليه فترد باسهاب تحاول عبثا اخفاء ارتعاشها " قبل دخولي الجامعة بسنة ، انتقلت لاكمل سنتي الدراسية الاخيرة في الثانوية العامة ثم التحقت بالجامعة ، كنت سعيدة جدا مع خالتي "..

سألها وقد اندمج بعالمها الصغير " هل تعيش خالتك بمفردها ؟"

ردت بعفوية " انها ارملة وليس لديها الا ولدها سعد "..

وكأنها صفعته !

لم تفهم ما حصل لتلك الملامح التي كانت مسترخية جدا لتنقلب لوجوم غريب بينما يردد اسم ابن خالتها بنبرة اشد غرابة " سعد ...."

تمتمت جدايل لاشعوريا وكأنها تبرر له " انه ... يعيش في بلد اخر .. يعمل هناك منذ سنوات .. قبل مجيئي للعاصمة "

تلاشى كل تعبير من وجهه ثم قال بابتسامة خفيفة " اذن فخالتك تبنتك فعليا لتعوض عن ابنها .."

ردت ببعض التمرد " انا لااحتاج لان يتبناني احد .. انا راشدة منذ صغري.."

بنبرة شبه ساخرة علق

" فتاة شجاعة .."

انهى الحوار وهو يقف على قدميه متجاهلا النظر لها ليقول باسلوب عملي

" سأسافر الليلة لبضعة ايام.."

ثم حول نظرته لها مستمتعا برؤية احباطها الانثوي الذي لاتفقهه حتى فيضيف بحلاوة

" عندما اعود اريد رؤية عملك منجزا بشكل كامل والا ..."

اخذ يلوح بسبابته متوعدا بمزاح فيغمز بعينه مكملا بشقاوة

" سأستبدلك بالحسناء هيفاء .."

زهرة صغيرة ببتلات حمراء اهدتها له طفلة صغيرة لاتتجاوز الرابعة في قاعة الانتظار في المطار...

لم يعرف لم اختارته هو تحديدا لتهديه زهرتها... !

كل ما يعرفه انها ذكرته بالسمراء..

ارخى أيهم حزام الطائرة وما زالت الزهرة في يده ، عيناه تحدقان بالبتلات بشرود بينما ابتسامة صغيرة تعلو شفتيه..

ثم .. وباصابع يده الاخرى قطع بتلة ...

وبهمس قال بصيغة شبه حائرة

" ستفتقدني ..؟ "

ثم قطع بتلة ثانية لتقسو عيناه وهو يهمس بخشونة غريبة " لن تفتقدني.."

لتزداد تلك القساوة وهو يقطع الثالثة ويقول بحزم

" ستفتقدني.."

ثم بتتابع أسرع اخذ يقطع باقي البتلات الواحدة تلو الاخرى ويردد بتعطش وحشي

" ستفتقدني .. ستفتقدني .. ستفتقدني..!"

بعد عشرة ايام

قبيل المغرب...

تستلقي على بطنها فوق اريكة طويلة تدّعي مشاهدة التلفاز بينما عيناها تحيدان جانبا ناحية خالتها الساهمة فترمقها بنظرات مشفقة...

ترى خالتها كيف تجلس على اريكة رمادية
صغيرة في زاوية غرفة المعيشة وقد تناثرت
على حجرها باهمال ادوات التطريز التي
تعشقها بينما القهوة في فنجانها لم تمس حتى
الآن وتكاد تبرد...
يدها متراخية في حجرها وكل بضعة
لحظات تمسد باصابعها شاردة فوق قماش
التطريز الابيض...
خالتها تمر باحدى حالاتها النادرة من الكآبة
والتي تنتابها كلما مرت اشهر طويلة دون ان
يتصل ابنها سعد....
تنهدت جدايل بعجز وهي تفكر..
خالتها منيرة ببساطة تشعر بالافتقاد...
ارتعش قلبها عند كلمة الافتقاد...

هي الاخرى تشعر ذات الشعور .. والمغيظ انها
لاتشعره ناحية والدها الذي لم تزره منذ
شهرين ولا نحو اختيها المشاغبتين...
انما تشعره ناحية رجل غريب عنه تماما..
بارتباك واضح دارت بعينيها عن خالتها وكأن
خالتها بحالتها المكتئبة هذه ستسبر اغوارها
وتكتشف تلك المشاعر التي تضطرم في
اعماق ابنة اختها..
تنهدت جدايل وهي تحدق في التلفاز دون ان
ترى صوره المتحركة ثم تمتمت في نفسها
" آه يا خالتي .. ابنة اختك نفسها لاتستوعب
معنى هذه المشاعر واسبابها ؟"

عقدت حاجبيها بعناد تقاوم احساسها بالتمتمة الحانقة

" وماذا ان غاب عشرة ايام ؟! أ لأنه قال لن يغيب الا بضعة ايام ؟ "

زفرت بقوة لتهب من اريكتها وتقف على قدميها الحافيتين بحركة واحدة...

اجفلت الخالة منيرة لتعبس وهي تقول لجدايل بتقريع

" افزعتني يا فتاة ؟! الن تكبري ابدا وتتصرفي كشابة رزينة لا مراهقة متقافزة؟!"

ابتسامة عريضة ملأت وجه جدايل بينما تخرج لسانها جانبا وتعضه باسنانها الصغيرة بحركة شقاوة...

ابتسمت الخالة منيرة وهي تهز رأسها بينما تندفع نحوها جدايل كطفلة وتطبع بخشونة متعمدة قبلة على خدها غير مبالية باعتراضات الخالة....

قالت جدايل وهي ترفع فنجان القهوة

" قهوتك بردت يا حلوى التفاح سأعد لك واحدة اخرى افضل منها.. "

تحركت جدايل ناحية المطبخ بينما لم تسمع تمتمات خالتها المتحسرة

" اين انت يا سعد .. جدايل تكبر سريعا وسيختطفها غيرك وعندها سأخسرها هي الاخرى "

بملابس رياضية انيقة تغطيها سترة خفيفة واقية للمطر عدلت عشتار من وضعية الحقيبة الرمادية التي تحملها على كتفيها ثم رفعت وجهها للاعلى تبتسم للشمس المشرقة بينما الغيمات تناكفها على الدوام لتقترب منها وتدثرها فتخفي اشعتها لبعض الوقت...

حسن .. في انكلترا يعتبر هذا جو مشمس...

هذا ما حدثت به عشتار نفسها وهي تخرج هاتفها من جيب سترتها...

هاتف كانت تغلقه منذ اسابيع ولم تفتحه الا الان ودون تردد اتصلت بصديقتها الوحيدة .. سابرينا...

جاءها صوت سابرينا الدافئ وهي تعاتبها بالاسبانية السريعة بينما عشتار تضحك وهي ترخي رباط شعرها لتحله تماما وتتركه طليقا..

اخيرا زفرت صديقتها قبل ان تقول بالانكليزية " بغض النظر عن عتبي الكبير لعدم مكالمتك لي لاسابيع لكن لا املك الا ان اقلق عليك واسأل كيف انت عشتار ؟ "

فترد عشتار وهي تتنشق الهواء الطلق العذب ببرودته " بخير سابرينا.. "

سألتها سابرينا بغيظ " اين انت الآن يافتاة ؟! ولماذا كنت تغلقين هاتفك ؟ "

ردت عشتار على الشطر الاول من السؤال وهي تتطلع حولها بعفوية

" انا في شمال انكلترا.. "

تنهدت سابرينا ولم تلح عليها لتسألها بمودة

" كيف هي انكلترا عندك ؟"

ردت عشتار بشرود وهي تتطلع للشمس التي

غابت هذه المرة خلف غيمة سوداء مفاجئة

" تمطر كثيرا "

ثم اضافت بابتهاج وهي تستند بظهرها على

حائط رمادي لاحدى المحلات الصغيرة

المنتشرة على طول شوارع هذه البلدة

" انا اطوف الآن في عدة بلدات صغيرة متجاورة

لكنها تعج بالسياح .. الجبال تحيطها من كل

جانب والبحيرات تشقها فتعطي تفردا ساحرا

للمكان "

ردت سابرينا ضاحكة

" تبدين رائقة المزاج... "

ابتسامة عشتار ذبلت والتزمت الصمت...

سألتها سابرينا باهتمام وجدية " هل تتدبرين

امرك ام تحتاجين لمساعدة ؟ اطلبي ما شئت

.. مال او غيره... "

ردت عشتار بسخرية " بالنسبة للمال لاتقلقي

بشأنه ابدا فأنا املك الكثير بعيدا عن

سلطة أيهم.. "

عقدت سابرينا حاجبيها وهي تسمع عشتار

تردد اسم زوجها ايهم .. لم تتوقعها ستذكره

الآن ... بينما تصلها ضحكة خافتة من عشتار

وهي تضيف بشقاوة ساخرة " جدي كان

محتالا ماكرا وقد علمني كيف احتفظ

ببعض الاسرار لنفسي "

ثم قالت بنفس السخرية وهي تلوح بذراعها

" لي اموال ورثتها عنه موزعة في انحاء اوربا

ولايعرف لها أيهم طريقا.. "

عندها قالت سابرينا بهدوء " لقد ذكرت أيهم

مرتين خلال اقل من دقيقة ! يبدو ان رحلة

النسيان والتعافي ما زالت تتعثر في خطواتها

الاولى ... "

عندها انهار حاجز السيطرة والسخرية الذي

تحتمي خلفه عشتار وهاجمتها مشاعر الاشتياق

الرهيب فهمست لاهثة " سمعت ان .. حتى

الطفل الصغير يصرخ باكيا لايام رافضا

فطامه .. فلا تلوميني !.. "

ردت سابرينا بعجب لم تخفيه " تثيرين دهشتي

عشتار ! هذه ثاني مرة تصفين علاقتك بأيهم

كعلاقة طفل بأمه ! "

تحركت عشتار لتولي ظهرها للمارة تخفي

تلك الدموع الخائنة التي تحاربها باستمرار ..

تلامس اسفل بطنها وكأنها فقدت طفلها للتو

همست وألم نفسي يقطع احشاءها " ربما لاني

لاانسى ابدا طفلي الذي خسرته "

تنهدت سابرينا لتقول لها بلهجة ثابتة

" عشتار ... انت لست اول امرأة تفقد طفلها.. "

ضربت عشتار بقبضتها على الحائط فما زالت

ترفض قدرها ولاتتقبله....

هدرت ببعض العنف " لكنها الخسارة الاولى

لي .. الخسارة الاولى في حياتي ... خسارة

حطمتني وجرّت خلفها خسائر اكثر فداحة "

تراخت سابرينا لتلاطفها بالقول " اهدأي عزيزتي .. اعلم ان الماضي كان شديد الوطأة عليك .. "

ففاجأتها عشتار بالقول المختنق " هل تعلمين ... ابن عمتي هيثم سيرزق بطفل قريبا... "

ارتبكت سابرينا قليلا ولم تفهم ماذا تقصد عشتار حقا باخبارها عن ابن عمتها الذي لم يسبق ان حدثتها عشتار عنه !

لكن هذه عشتار .. تنطق بكل ما يجول في خاطرها غير عابئة بتفكير من حولها...

ردت سابرينا بلطف " حقا ؟ مبارك له.... "

صوت عشتار ما زال مختنقا ليغرق بحزن رهيب وهي تهمس " يحظى هو بهذا بعد سنوات من الامتناع الاختياري عن الانجاب ثم خيانته لزوجته مع قريبة لها .. لكنها .. سامحته وعادت اليه وحملت سريعا بطفله.. "

عندها بدأ عقل سابرينا يربط ... عشتار ليست منفعلة بسبب خبر الحمل فقط وانما لان ابن عمتها خان زوجته كما فعلت هي مع زوجها...

شعرت سابرينا ببعض التشوش فسألتها بأول ما خطر ببالها " كيف علمت كل هذا ؟ هل اتصلت باقاربك واخبرتهم بمكانك ؟ الا تخشين ان يعرف ايهم اين انت ..؟ "

ردت عشتار وصوتها غارق بالاحباط

" لن يعرف ... انا اتصلت مرة واحدة بعمتي ومن هاتف عمومي ، وهي من اخبرتني عن ابنها .. "

صمتت قليلا قبل ان تضيف " توسلت لي ان ..
آتي اليها .. لكني رفضت .. واقنعتها اني
سأزورها قريبا حالما اتعافى واشعر بالتحسن
واخذت عهدا منها انها لن تخبر احدا
بمكالمتي "
كانت سابرينا ما زالت تفكر بقصة ابن عمة
عشتار ثم وصلت لنتيجة ان الامر يبشر بالخير
.. بل انه يفترض ان يكون مفرحا ويعطي
الامل لعشتار بدلا من ان يؤثر بها سلبا هكذا.
قالت سابرينا باندفاع
" اذن فقط سامحته ... اقصد ابن عمتك ...
هذا يعني ان ايهم ايضا يمكنه ان يسامح "

عندها قالت عشتار بيأس لايخلو من التهكم
" لاوجه للمقارنة بين ايهم وشهرزاد يا
سابرينا! تظلمين أيهم كثيرا بهذه المقارنة
المجحفة .. فشهرزاد ناعمة رقيقة متسامحة
لدرجة تثير الغيظ ! كما انها شديدة السلبية
والانصياع لشخصية ابن عمتي الطاغية .. "
صمتت عشتار قليلا قبل ان تردف بقساوة
" وهناك الاهم ...خيانة الرجل ليست
كخيانة المرأة.."
تأففت سابرينا وقد اصابها الاحباط واليأس
هي الاخرى بينما تقول بحنق وغيظ

" ها قد عدنا لحديث لااستوعبه ... كيف تختلف ؟! ما الفرق ؟ الخيانة واحدة لكن الاسباب هي التي تختلف ، كل انسان يجب ان يعرف الاسباب ليقرر ان يسامح ام لا .. "

مررت عشتار اصابع يدها الانيقة البيضاء على الحائط الرمادي تلامس مواضع تلك الخضرة المتفرقة لطحالب تنمو طبيعيا بفعل الجو السائد ثم قالت وقساوتها تشتد

" لاتهم الاسباب سابرينا .. انها عاداتنا وتقاليدنا الموروثة .. الرجل يخطأ فينتظر الغفران تلقائيا والمرأة تخطأ فتنتظر ... القتل تلقائيا ايضا ! "

شهقت سابرينا برعب وهي تقول بجزع ذاهل

" يا اله السموات ... ما هذا ؟! القتل ؟!! في اي عصر نعيش ؟ لا .. لااتصور انسانا متفتحا ومن طبقة راقية كزوجك قد يفكر بهذه الوحشية ، ربما هذا يحدث عند طبقات اجتماعية ادنى مستوى عندكم "

همست عشتار والقسوة تختلط بالألم المبرح فيطغى عليها

" عند الخيانة حتى ارقى الرجال واكثرهم تفتحا يتوحشون ببدائية في بلادي"

صمتت المرأتان لتبادر سابرينا للسؤال

" احكي لي عنه .... لم تخبريني يوما عن شخصه بوضوح... "

الألم .. الألم يتفاقم ويغطي كل شيء حولها .. انها تتمزق من شدة الألم والفراق يحطمها تحطميا كما حطمتها خيانتها له..

يا الهي كيف فعلت هذا معه ؟ كيف ضعفت لهذه الدرجة واستسلمت لرجل اخر غير أيهم يلامس جسدها ويمتلكه !

كيف .. كيف ستعيش باقي حياته بدونه ؟

همست عشتار ووجعها يشتد ويعتصر روحها

" انه يختلف عن اي رجل قد تكونين التقيت به او ستلتقين به مستقبلا... "

لم تعلق سابرينا بشيء وتركت عشتار تتحدث كما تشاء لتضيف عشتار بصوت ينضح حنينا لذلك الرجل المميز

" غامض حتى وهو بأشد انفتاحه .. عاطفته قوية في الحب والكره ... مجنون متهور .. متقلب مزاجي ... لكن ذكاؤه يحميه دوما ... لايكف عن مفاجأة من حوله .. اقرب المقربين له لايستطيعون التكهن بما يفكر به وما سيقدم عليه ..."

صمتت مرة اخرى لتردف بارتعاش هذه المرة

" كما انه مخيف عندما يريد الانتقام.. "

ادركت عشتار انها تضغط اصابعها بقوة على الحائط حتى بدأت تشعر بالوجع !

خففت ضغطها وهي تضيق عينيها الزرقاوين تتذكر ماضيا بعيدا عايشته....

قالت بشرود وابتسامة عفوية تغزو شفتيها المغريتين

" كان في العشرين عندما صدم والده بتحويل
احد اهم متاجرهم الخاصة ببيع التحف
القديمة لمعرض لوحات فنية لفنانين
مغمورين فاشلين !"
سايرتها سابرينا لتعبر عن دهشتها
" يا الهي وماذا فعل والده ؟ "
ضحكت عشتار بخفة وكأنها تعيش نفس
الاحساس السابق عندما كانت في السادسة
عشرة " اوشك ان يصاب بنوبة قلبية.. "
ثم همست بعشق تولد بينهما باكرا " حبيبي
المجنون .. دوما كان مختلفا عن اي توقع.. "
ثم اضافت وهي ما زالت سارحة في ذلك
الماضي " كان والداه يقسوان عليه خاصة
والده .. لانه كان وريثه الوحيد واراده ان ينشأ
صلبا غليظ العود لكنه بالغ بقسوته فجابه
ايهم تلك القساوة بموجات من جنون لذيذ
انتقامي "
علقت سابرينا وهي تخفي اشفاقها لما فقدته
عشتار " كنت تؤازرينه دوما كما يبدو "
فردت عشتار بتلكؤ " نعم .. كنت احب
جنونه و.. اخافه احيانا "
فعبست سابرينا تتساءل " لكنك قلت سابقا..
انه دللك كثيرا .. "
شردت عشتار قليلا قبل ان ترد ببطئ " دلّلني
بكل طريقة ... حقق لي كل امنياتي
الخارجة عن المألوف .. جعلني اشعر دوما
بالكمال ... مع ذلك ... و عند الغضب يصبح
مختلفا.. "

سألتها سابرينا بحذر " هل كان .. يؤذيك ؟"

استعادت عشتار شخصيتها الجبارة في لحظة

لتقول بتعال

" انه لم يكن يلمسني الا ليعشقني .. كنت اغضبه لكني كنت اجيد كبح غضبه عند الضرورة .. انا الوحيدة التي نجحت في هذا ...

انا الوحيدة التي تملك كل مفاتيحه ...

اعرف مخبأ ضحكته واعرف الباب الذي يغلق جحيم غضبه... لكنت اعلم عن يقين انه يعشقني بجنون ومهما حدث لايستطيع العيش بدوني.. "

كانت سابرينا تشعر بالذهول لتلك العلاقة التي تجمع عشتار بأيهم !

ما معنى كل هذا ؟

انها لاتفهم حقا.... !

فجأة قالت عشتار

" علي .. ان اذهب الان سابرينا فقد بدأت تمطر بغزارة ... الى اللقاء "

فتحت سابرينا فمها لترد لكن الخط انقطع..

صباح اليوم التالي

في مقهى الشركة...

تشعر بالوحدة...

نعم .. الوحدة ... وان هناك ما ينقصها....

ربما لغياب هيفاء تأثير اسوأ مما ظنت...

عبست جدايل وهي تقاوم صوتا ساخرا من اعماقها يضحك منها ويواجهها

(بل انت تفتقدينه .. تشتاقين وجوده المرهق لاعصابك وقلبك .. تتجنبين النظر لمكان جلوسه في مكتبه حتى لاتشعري بذلك الوجيب الموجع..)

اجفلت قليلا وصوت رجولي يقول لها

" مرحبا.. "

رفعت رأسها للخيال الجاثم فوقها وهي ترد بعفوية " مرحبا.. "

انها تعرفه .. هو من موظفي الشركة .. موظفيها الكبار كما تظن...

قال الرجل وعيناه الرماديتان تظهران قلة الصبر " انا ... باسل رشيد .. مدير قسم الحسابات "

ارتبكت جدايل وعفويا وقفت على قدميها وكأنها في حضرة استاذها !

اخذت تردد " اهلا بك .. هل من خدمة استاذ باسل ؟"

بدى غريب الاطوار وهو يقول ببعض النزق

" ارجوك اجلسي لاجلس واكلمك براحة.."

هزت رأسها وهي تعاود الجلوس ليجلس هو قبالتها...

مرت لحظات من الصمت وهو يسبل اهدابه وجسده يظهر توترا واضحا....

قال اخيرا وهو يرفع عينيه اليها بثبات

" انا .. كنت اريد الاستفسار عن ..هيـ.... زميلتك هيفاء .. هل اتصلت بك ؟ "

حدقت فيه جدايل بدهشة لتتساءل بعفوية

" هل تعرف هيفاء ؟"

كان باسل قد وصل اقصاه ولم يعد يتحمل..

يكفي الليالي التي مرت عليه والسجائر

المضاعفة التي احرقها...

يريد ان يراها .. يريدها ان تعود للشركة ..

يريدها هي ! ويجب ان يكلمها ... ما الذي

يمنع ان تكون له ؟!

سأل باندفاع

" متى تعود للشركة ؟ هل تعافت ابنتها ؟"

ما ان نطق جملته الاخيرة حتى شتم في سره !

تذكر ان لااحد يعلم بزواجها وطلاقها...

لكن هذه الصغيرة السمراء فاجأته بذهولها

وهي تهمس " انت تعرف شمس ؟!! "

هدأ باسل قليلا .. اذن فزميلتها تعرف ببعض

اسرارها ... فواضح ان هيفاء اخبرتها عن

الطفلة لكنها .. لم تخبرها عنه هو...

وهذا اغاظه جدا..... !

حسن ...

قال باسل بثقة

" انا من اقاربها .. اقصد اقارب زوجها.. السابق "

كم هي شفافة ملامح هذه الفتاة...

لها جمالها الخاص بتلك السمرة الدافئة

والعينين المعبرتين .. فيها رقة مستفزة

للرجولة لكن نظراتها تشي بشقاوة محببة...

شعر باسل ببعض الاسترخاء ..

عليه ان يتقرب من هذه الفتاة فربما ..ستكون نصيرته يوما..

من يدري .. فقط يحتاجها لممارسة بعض الضغوط على هيفاء...

قال وهو يبتسم بجاذبية

" اعلم انها لم تخبر احدا في الشركة عن وضعها .. لكنني مهتم .. بمصلحتها .. احببت فقط الاطمئنان عليها .. فقد مر اكثر من عشرة ايام ولايصح ان اتصل بها في بيتها .. انت تعلمين هذه الامور... "

استرخت السمراء قليلا فتبسم اكثر وهو يسألها " ما اسمك .. لم تخبريني.. "

ردت بابتسامة مريحة

" اسمي جدايل توفيق.. "

فقال بممازحة

" تشرفنا انسة جدايل توفيق "

ثم سألها بلطف

" اذن .. كيف هي هيفاء ؟ "

ردت جدايل

" هيفاء بخير وشمس تبين انها مصابة بالجدري المائي لكنها اصبحت افضل بكثير الان "

سأل باسل وهي يخفي غيظه بشق الانفس

" ما دامت ابنتها بخير فلِمَ لم تعد للشركة "

قالت جدايل وهي ترتشف من فنجانها " تريد الاطمئنان اكثر على ابنتها لذلك طلبت اجازة دون راتب من السيد نامق وهو وافق "

تمتم باسل من بين اسنانه

" وكله جاء فوق رأسي انا.. "

لم تسمع جدايل تمتمه بوضوح فقالت

" عفوا ...؟ "

شوح باسل بيده وهو يبتسم ويقول

" لاعليك .. انا اهذي فقط "

ثم اضاف متسائلا " اذن متى ستعود ؟"

ردت جدايل وقد بدأت تستغرب اسئلته التي

ترتكز على عودة هيفاء فقط

" ستعود نهار الاحد القادم.. "

توهجت عيناه ليقول بصوت مبحوح

" بعد ثلاثة ايام ..؟ "

لتزداد دهشة وفضولا وهي تردد بتأكيد

" بعد ثلاثة ايام.. "

حدق باسل في عينيها ثم قال بصوت أجش

" هل تسمحين لي بمشاركتك مائدتك

وتناول فنجان من القهوة ؟ ام انني سأثقل

عليك ؟"

ردت جدايل بتورد " لا ابدا .. اهلا بك ..

تفضل وشاركني.. "

فوقف على قدميه وقال غامزا

" اذن ساحضر قهوة لي وقطعة حلوى لك.. "

وقبل ان تعترض كان قد التفت متوجها

ناحية مقصف المقهى...

انحنت هيفاء لتطبع قبل متفرقة على وجه
ابنتها الذي ملأته اثار الدملات من الجدري
المائي الذي اصابها ... لابأس .. لقد بدأت
تتيبس الآن وستكون بخير ....
همست بحشرجة قرب اذن طفلتها الغارقة
بالنوم " حبيبتي ... انت مصدر قوتي ...
مصدرها الوحيد .. لاجلك افعل اي شيء
لتكوني سعيدة .. سعيدة جدا... "
جاءها صوت امها من عند باب الغرفة المفتوح
" انها اصبحت بخير الان فلا داعي لاستمرار
قلقك عليها.. "
تمتمت هيفاء وهي تغادر السرير " نعم... "
ثم دثرت ابنتها جيدا بالغطاء وتحركت
ناحية الباب فتتجاوز امها التي سألتها بنبرة
نزقة غير راضية كالعادة..
" متى ستعودين لعملك ؟"
واصلت هيفاء حركتها ناحية الدرج وامها
تلاحق خطواتها فترد هيفاء بهدوء ظاهري
" الاحد القادم ان شاء الله "
صوت امها يفوح برائحة الحنق وهي تنزل على
الدرجات خلفها وتسأل
" سيخصمون منك ايام اجازتك اليس
كذلك ؟"
وصلت هيفاء نهاية الدرج فالتفتت لامها وردت
" نعم امي .. ولابأس في هذا فشمس عندي
اهم"
اصبحت امها بمواجهتها الان لتسأل بعبوس
ونبرة حازمة " هل لديك زملاء هناك ؟ "

بدأ الاختناق يعود اليها وتكاد تجزم بهدف امها من هذه الاسئلة لكنها تحاملت على نفسها لترد بهدوء ومراوغة

" نعم امي .. انت تعرفين صديقتي جدايل .. اتصلت اكثر من مرة تسأل عني وعن شمس.. "

ارادت هيفاء الالتفات لكن امها امسكتها من ساعدها تمنعها الهروب من المحتوم لتسألها وعينيها في عيني ابنتها وبلهجة تحمل معاني مفهعومة " اقصد زملاء رجال.. "

زمّت هيفاء شفتيها بينما الام تصر لتسأل بصراحة اوجعتها

" الم تحصلي لحد الان على اعجاب احدهم؟"

كانت امها تذبحها بسكين ثلم .. تذبحها ببطئ ولاتسمع صرخات ألمها..

همست هيفاء بتحشرج " امي ارجوك.. "

ففعلت الام نفس الحركة التي تحطم هيفاء تماما .. مصمصة الشفاه !

ثم قالت " وحتى لو اعجب كيف سيتقبلك وانت مطلقة مع طفلة... "

عندها هدرت هيفاء وجسدها ينتفض بالألم والقهر " امي توقفي عن هذا ... فقط توقفي.. "

لكن امها لم تشعر بها فقد كان لديها هي الاخرى وجعها الخاص .. وجعها برؤية ابنتها تذوي امامها دون سند رجل...

هتفت الام بحرقة " لم يتقدم اليك اي رجل منذ طلاقك ولذلك يجب عليك ان تجدي زوجا بأي طريقة .. لاتبقي هكذا .. تحركي .. اعملي شيئا .. اكذبي ....احتالي... كما تفعل باقي النساء...

فقط افعلي شيئا لتحصلي عن زوج جديد قبل ان تخسري ما تبقى من شبابك وربما حتى جمالك.. "

السكين الثلمة اصبحت تطعنها بتلاحق حتى تخدر جسدها ولم تعد تبالي !

صمت طويل والجراح تنزف....

قالت هيفاء اخيرا والدموع تتحجر في عينيها

" انا لااريد الزواج مرة اخرى.. "

عندها جاء صوت والدها باردا من عند باب البيت حيث عاد للتو

" وماذا تفضلين اذن ؟! ان تبقي بهذا الوضع النشاز للابد ؟! "

اخذت هيفاء تحول نظراتها المذبوحة بين والديها ودوامات الألم تعصف بها بينما ينضم اخاها نمير اليهم وهو يلتزم الصمت...

تقدم الاب نحوها وملامحه جامدة تعبر عن شدة خيبة امله بينما يقول بنفس الجمود

" انا وامك لن ندوم لك " ثم اشار بيده لاخيها واضاف

" واخوك نمير سيتزوج يوما وتكون له حياته الخاصة "

رفعت هيفاء قبضة مرتعشة تدق على صدرها وتقول بشبه هياج

" وانا لدي حياتي ايضا ابي ... انا ايضا لدي حياتي ... ويكفيني ان شمس تتشاركها معي ..لااريد منكم شيئا ولن اكلفكم شيئا .. "

تحجرت ملامح الاب وقال بلهجة قاسية

" ايتها الغبية ... هل هذا ما تظنين اني اقصده ؟ وحتى لو كان صحيحا ... هل تضحكين على نفسك ؟ هل تتصورين انك ستقدرين على اعالة نفسك وطفلتك ؟ هل ستقدرين على مواجهة عالم شرس قاس سيفترسك مع طفلتك لانكما بلا رجل يحميكما "

شعرت بيد امها على ظهرها فلسعتها وكأنها نار كاوية لتلسعها كلماتها اكثر وهي تقول لها

" الى متى تنتظرينه .. لافائدة من هذا الانتظار الاحمق .. اذا كان قد نسي وجود طفلته فكيف تريدينه ان يتذكرك انت "

شهقت بصرخة متوجعة بينما تنفي الامر

" انا لاانتظر قاسم اماه.. "

حولت نظراتها لوالدها لتؤكد له الامر لكنها وجدت في عينيه ذلها .. وذله هو ايضا ... انه لايصدقها....

همست ودموعها سالت " لاتنظر الي هكذا ابي .. اتوسل اليك انك تقتلني كلما نظرت الي وكأني أخزيك بوضع فرض علي.. "

زجرتها امها بعنف " تأدبي هيفاء وانت تكلمين والدك "

فالتفتت لامها لتهدر بهستيرية باكية " وانت امي .. توقفي عن اشعاري دوما اني المسكينة المرفوضة الاقل قيمة ! تقتلينني انت الاخرى... تقتلينني.... "
حاول نمير التدخل وقد اشفق على اخته ليقول " اهدأي هيفاء .. كلنا نحبك ونريد مصلحتك "
لكنها تراجعت نحو الدرج مرة اخرى ترفضهم وتشتكي اليهم.. منهم..... مع كل نظرة توجهها اليهم.....
عادت لتردد بألم " كلكم تقتلونني .. كلكم تستكثرون علي منحي اسنادكم ودعمكم .. ماذا فعلت لاستحق كل هذا ... "
همس الاب بتحشرج وانكسار " الحياة قاسية .. ونصيبك هكذا .. ونصيبنا نحن ايضا معك "
لم تصدق كيف استطاع والدها قول هذا لها ! والدها الذي كان يدللها ليصبح اليوم جلادها!
ركضت هيفاء على درجات السلم بينما تقف عائلتها .. سندها الوحيد في هذه الدنيا .. تقف هذه العائلة عاجزة عن اسنادها !

ومر اسبوع.....

" صباح الخير يا سمراء.. "
اوشك الحاسوب ان يقع من حجرها وجسدها يخذلها ليهب استجابة لصوته...

تمتمت وهي تضع الحاسوب المحمول جانبا
وتقف على قدميها ببطئ
" مر.. مرحبا ... اقصد .. صباح .. الخير "
كانت تعلم ان صدرها يعلو ويهبط بانفاسها
المتسارعة وضخات قلبها المجنونة...
وهو ... هو يقف هناك عند باب مكتبه
يتطلع اليها بنظراته من اخمص قدميها حتى
قمة رأسها ... لتتوقف تلك النظرات على
ضفيرتيها من الجانبين فتبسم .. بل شعت
ابتسامته شقاوة...
ايتها الغبية يا جدايل ! ما معنى ان ضفرتِ
شعرك بهذه الطريقة الطفولية المضحكة !
تقدمت خطوة ثم توقفت بحياء لتثرثر وجنون
قلبها لايتوقف " لم اعلم .. انك .. ستصل
اليوم .. اقصد ستحضر للشركة اليوم لاني
لااعرف .. متى وصلت .. الوطن ..اقصد لم
يخبرني احد ...حمـ...دا... للّه على السلامة.. "
اقترب منها وعطره ينتشر في روحها قبل ان
ينتشر في اجواء المكتب...
تمتم وهو يقف قبالتها تماما يعاود نقل نظراته
بين ضفيرتيها هامسا بصوت أجش دغدغها
" سلمك اللّه من كل شر... "
ابتلعت ريقها وعيناها تتطلعان بوجهه دون ان
تملك القدرة على اخفاضهما .. لقد افتقدته
.. افتقدت وجوده الى درجة لاتوصف..
حتى عودة هيفاء منذ ايام قليلة لم تجعل
افتقادها اليه يقل...

تمتم برقة وابتسامته لاتفارق ثغره
" منذ متى افتتحت مدرسة في مكتبي ؟ "
احمرت بشدة وهي تلامس ضفيرتيها .. تعلم
انه يقصد تسريحة شعرها الطفولية...
قال بنبرة غريبة " اذن ... من الجميل العودة
لاجد من يفتقدني لهذه الدرجة... "
هل كشفها بهذه البساطة ؟ اخذت ترتعش
ولم تعد تعرف كيف تتصرف...
اخفضت عينيها لتداعب اذنيها صوت
ضحكاته الرجولية الخافتة فتخطف باقة
من خفقات قلبها المجنونة...
همس اخيرا بصوت رجولي " جميل ايضا ان
اعود لمكتبي فاجدك فيه كما تركتك
بالضبط.. "

اخذت تلامس ضفيرتها بارتباك مشتعل ثم
قالت محاولة التهرب من كلماته
" العمل .. الذي طلبته مني انهيته "
رد يناغشها " مؤكد انهيته لانه مر اكثر من
اسبوعين... "
ثم اضاف بنفس النبرة الغريبة التي لاتفهمها "
ام لم تشعري بمرور الايام في غيابي ؟"
اربكها هذه المرة بطريقة مختلفة ... ما زالت
تعجز عن فهم هذا الجانب منه .. تشعر انه
يقول اشياء لها عبر هذه النبرة الغريبة
المخيفة احيانا .. اشياء كثيرة نابضة
بالكثير من المشاعر... انها لاتكف عن
التفكير فيه .. لاتكف ابدا...

انحنت ناحية الحاسوب لتلقطه وتقول دون ان تنظر اليه " حسن سيد أيهم .. انا انهيت بضعة اعمال اخرى.. "

كانت تحاول فتح بعض الملفات على شاشة الحاسوب لكن اصابعها ترتعش رغما عنها فتخذلها وتخطئ ... زفرت بحرارة وهي تفشل بفتح الملف مرة اخرى ليمد سبابته الطويلة وينقر على بضع ايعازات فيظهر الملف واضحا جليا وبدلا من ان يبعد سبابته اخذ يمررها ببطئ على جانب لوحة المفاتيح الاملس..

عينا جدايل تتبعان تلك الملامسة بينما تشعر بانفاسه الدافئة فوق رأسها ثم همسه الناعم " ألم اقل لك سابقا انك فتاة...."

صمت قليلا قبل ان يكمل " طموحة "

ثم ابعد سبابته ببطئ عن الحاسوب اما جدايل فقد انعقد لسانها ولم تعد ترى شيئا من الملف المفتوح امامها وهي تحدق فيه ببلاهة...

جسدها كله منفعل .. من رأسها حتى اخمص قدميها ... والاكثر احراجا لها انها عاجزة عن اخفاء ردة فعلها الغبية هذه...

شعرت به يتلكأ قليلا قربها قبل تحرك اخيرا ليبتعد وهو يقول بصوت أجش

" احضري حاسوبك عند مكتبي واريني بالتفصيل ماذا انهيتِ في غيابي يا سمراء.."

فعلت ما طلب فلحقت به بخطوات متعثر لتضع الحاسوب على سطح مكتبه بينما هو جالس على كرسيه...

اخذت تقرأ سورة الفاتحة على عجل لتهدأ

قليلا وحالما بدأت بالشرح له قاطعها قائلا

بصوته الاجش

" تليق بك الضفيرتين "

عند الظهيرة

في مقهى الشركة

كانت هيفاء تتميز غيظا لكنها اجادت

استخدام واجهة البرود بل الجمود...

ارتشفت من قهوتها وهي تسبل اهدابها تتجاهل

ضحكات جدايل لكل طرفة يقولها .. باسل !

ماذا جرى للفتاة اليوم ؟!!

الا يكفي انها تتحمل وجود باسل معهما على

نفس الطاولة ؟!

منذ عودتها للعمل واكتشفاها ان باسل اصبح

بطريقة ما صديقا لجدايل وهي تعيش حالة

ذهول داخلي...

رفضت توضيح اي شيء لجدايل كما رفضت

الاندماج في هذه الجلسة المفروضة عليها...

لكنها لم ترضخ وتنسحب ... لقد تعبت من

الانسحاب .. ستفرض وجودها على الجميع

وليرحلوا هم ان لم تعجبهم تصرفاتها....

لذلك هي تمارس سياسة التجاهل والصمت..

ارتفعت ضحكة جدايل مرة اخرى واخذت

دموعها تسيل بينما تهز رأسها الصغير

وضفيرتاها تتلاعبان على كتفيها...

همست هيفاء في داخلها " مؤكد جدايل غير طبيعية اليوم ! ماذا حصل لها ؟ منذ عودتي للعمل بعد الاجازة وهي تبدو بحال مختلف متقلب !

في عينيها نظرة دافئة لاتخلو من الشجن ... لكن اليوم نظرتها متوهجة كأشعة من ضوء القمر ... انها نظرة خاصة تميزها ... تذكرها ... يا الهي ... انها تذكرها بحالتها عندما وقعت في حب قاسم "

قالت جدايل من بين ضحكاتها

" حبا بالله سيد باسل توقف عن اضحاكي هكذا .. قلبي سيتوقف.. "

نظرة حارة رماها باسل لهيفاء التي اشاحت بوجهها جانبا كما دأبت تفعل معه فابتسم باسل مخفيا انفعالاته المتأججة ثم عاد ووجه اهتمامه للصغيرة السمراء فيغمزها قائلا

" نادني باسل ارجوك.. انت تجرحين مشاعري فتشعرينني اني مجرد رجل عجوز... "

طفح الكيل ولم تعد هيفاء تتحمل سماجته!

وقفت على قدميها وهي تقول من بين اسنانها

" لدي ما افعله قبل ان اعود لقسم الارشيف.. عن اذنكما "

ما زال وجه جدايل متوردا من اثر الضحك بينما تحدق في هيفاء وهي تنسحب بتوتر ملحوظ..

باسل هو الآخر بدا متوترا على حين غرة !

ليقف هو الآخر ويقول " عن اذنك جدايل ..

لدي امر هام اناقشه مع احدهم.. "

اوشكت جدايل ان تفتح فمها عندما لمحت

خيالا من بعيد يراقبها...

خيالا بدا لها شديد السواد هادرا بشحنات

سلبية تصلها فمزقت ارتخاءها وانتعاشها

لاشلاء...

همست دون شعورها بأسم ذلك الخيال وهو

يغادر المقهى كما أتى ... من باب خاص

بالادارة فقط...

" أيهم ! "

كانت تسير في الممر المؤدي للحمام ، تحتاج

لتنعش نفسها بماء بارد...

شهقت واحدهم يسحب ذراعها بقسوة للخلف

وفي لحظة كان جسد رجولي يحتجزها في

زاوية مظلمة .. زاوية كانت يوما تختبأ فيها

وتكلم صغيرتها...

قلبها خفق ارتعابا وهي تحدق بوجه باسل الذي

غرق بانفعالات شتى...

كان غاضبا جدا وبدا فاقدا للسيطرة على

نحو عاطفي غريب...

همست وانفاسها المتسارعة تختلط بانفاسه

الهادرة " ماذا تفعل ؟!! هل جننت ؟"

رد بحشرجة " مؤكد جننت .. لقد صبرت عليك كثيرا وقلت راعها يا باسل لقد عادت للتو من محنة مرض ابنتها ، لكن ... ان تتعاملي معي وكأنك تشمئزين مني ولاتطيقين جلوسي معك ومع جدايل فهذا كثير جدا هيفاء .. كثير جدا.. "

هزت رأسها وهي تقول بقسوة ونبرة مكتومة " كثير جدا ؟!! لقد جننت فعلا ! من أنت لتتكلم معي هكذا ؟ من تظن نفسك لتفرض وجودك علي ؟! ان كنت تظن لتلوي ذراعي بمعرفتك لحقيقة وضعي فانت مخطئ ..انا... "

قاطعها بحرارة افلتت عقالها منه " انا اريدك هيفاء .. اريدك لي ..وانت لن تخسري شيئا .. على العكس سأسعدك... "

جحظت عينا هيفاء بصدمة بينما تشعر بكفيه الكبيرين يعتصران ساعديها عصرا ليقول ووجه ينضح برغبته الحارقة فيها " لم استطع محوك من رأسي .. اصبحتِ هوسا .. حمى تسري في عروقي .. قاومت .. صدقيني قاومت منذ لقائنا في ذلك المقهى خارج المؤسسة .. قلت اتركها يا باسل لحالها .. لكن .. لااستطيع ... انا اريدك وسأجن ان لم احصل عليك.. "

كانت تحاول مقاومته بجنون وهي تكتم صوتها قدر الامكان .. الرعب احتل كل مشاعرها ... يا الهي ماذا سيحصل لو رآهما احد الان ؟!! ستضيع !

استجمعت كل قوتها وثباتها لتقول متوسلة
بصوت منخفض " باسل ارجوك... "
عيناه المشتعلتان برغبته المجنونة حطت
على شفتيها اللتين نطقتا اسمه..
زفر الهواء من اعماقه وكأنه يوشك على....
في لحظة كانت شفتاه تهاجمان شفتيها
فيتأوه بالنشوى دون ان يدرك فقدان صوابها
لما يفعله بها ... وان هي فقدت صوابها غضبا
ورعبا فهو فقد صوابه رغبة لاتهدأ بها...
لم يشعر الا بصفعة اقرب للكمة أتته على
خده الايسر...
تواجهت عيناهما...
هي تقدح غضبا وحقدا بينما تمسح شفتيها
بعنف وهو ... هو لم يفعل شيئا الا ان قال
باصرار لايتراجع " تزوجيني هيفاء... "

رفع أيهم اصابعه المتشنجة امام عينيه
المتحجرتين ... يشعر بالخدر في كل جسده
من شدة احساسه بالغضب..
انه يجيد كبت غضبه الجامح..
يجيده تماما...
لا .. ليس الغضب..
انه شعور اعظم من الغضب .. اكثر جنونا ..
اعلى صخبا .. اقدم .. بدائية... !
تلك الصغيرة بضفيرتيها السخيفتين ...
مدعية البراءة ... تجيد المغازلة .. !

لقد غازلته هو شخصيا عزفا بأوتار براءتها..
تذكر وجهها وهي تضاحك مدير الحسابات
.... فضم اصابعه المتشنجة في قبضة...
تلك الضحكات الرنانة والوجه العصفوري
المتورد المبتهج...
" مر..حبا ... سيد أيهم ... هل .. اريك باقي ..
العمل ... "
رفع عينيه يحدق في دخولها المتعثر...
اشتعلت عيناه وهو يرى بضع خصل رقيقة
افلتت من عقال ضفيرتيها ... وكيف لاتفلت
وقد كانت تضحك من قلبها وتهز رأسها
باستمتاع مغرٍ حتى .... للحجر !
سأل بصوت جليدي مرعب
" منذ متى تعرفين مدير الحسابات ؟"

ارتجف جسدها كارتجاف نظراتها وتحركت
شفتاها دون ان تنطق شيء !
بدت في حالة فوضى كشعرها تماما...
جاء صوته حادا كنصل سكين وهو يسأل
" ماذا كنت تفعلين مع باسل في غيابي ؟"
اتسعت عيناها وللحظة اشتعلت باحساس رفض
اهانة واضحة ثم همست بتحشرج
" لاشيء سيدي... انه زميل عمل فقط وقريب
لهيفاء ... "
تمتم وشفتاه تظهر استهانة جارحة " اخو
هيفاء .. قريب هيفاء ... هيفاء هذه كنز ! "
هذه المرة كانت الاهانة واضحة واقوى
وانغرزت في عمق قلبها..
لسبب ما كان قلبها هو الضحية...

احنى رأسه وتلاعب بقلم على سطح مكتبه

ثم قال بنفس النبرة

" لاتأتي لمكتبي ابتداء من اليوم حتى اقرر عكس هذا.. "

ارتجافها تضاعف بينما تسأل بشجاعة

" والعمل ؟ انا لم... "

قاطعها وهو ما يزال يتلاعب بالقلم

" اخبري السيد نامق .. ابتداء من الاربعاء القادم فليبعث لي الكنز ... هيفاء... "

الفصل الخامس

رفع عينيه اليها يرآها عبر عينيها ...

يرى داخلها الثائر بالكرامة ..

الثائر بمشاعر متألمة .....

انها لم تعد تستطيع اخفاء نفسها عنه ..

لانها ببساطة غدت كتاب مفتوح .....

تلك العينان مشتعلتان بالتمرد...

لامعتان بدموع لم تهطل ...

شفتاها شاحبتان تماما بينما اخذتا تتحركان ببطئ قائلة بنبرة هادئة

" كما تشاء سيدي .. سأبلغ الاستاذ نامق .."

ثم شمخت بعنفوان هامسة

" بعد اذنك انا قررت ان أقدم ...."

قاطعها وهو يقرأ تتمة ما ارادت قوله في عينيها ليقول بصوت مخيف " تجرأي واتركي المؤسسة وسيكون اخر عمل تحصلين عليه في هذا البلد .."

ما زالت تواجهه بتلك العينين .. بنفس الثورة بينما الشفتان الشاحبتان مطبقتان الآن كليا...

ودون ان تنطق بكلمة اخرى هزّت بجسدها النحيل لتستدير وتغادر دون ان تطلب الاذن حتى ...

حالما اختفت ظلالها شتم أيهم وهو يعتصر القلم في قبضته المهتزة من شدة انفعاله ...

ثم تمتم بنبرة مظلمة ومن بين شفتين مشدودتين..

" أقسم لاجعلنّك تقصين ضفيرتيك هاتين وتقدمينها قربانا لي ..."

وبحركة عنيفة رمى قلم بعيد حتى ارتطم بالحائط ثم زمجر وهو يزيح بعنف الاغراض من على مكتبه حتى سقط بعضها ارضا في فوضى صاخبة عارمة ...

دخلت السيدة وداد ما ان سمعت الاصوات وقد كانت عادت للتو من استراحة الموظفين ....

حدقت فيه وهو يجلس على كرسيه متوتر الجسد هادر الانفاس يحني رأسه قليلا مخفيا ملامح وجهه وهو يرتكز بكفيّه على حافة مكتبه ....

تمتمت بحذر وعيناها تحيدان نحو الاغراض التي تناثرت على الارض

" ماذا يحصل سيد ايهم؟"

بصوت جليدي يعبر عن كثير يكتمه و دون ان يرفع وجهه اليها قال

" ليس الان سيدة وداد... اتركيني بمفردي لو سمحت .."

تراجعت وداد لتغادر مكتبه ثم اغلقت الباب
وعقلها ما زال يحاول التفسير علّها تسبر
اغواره...

هناك ما يجعله مجنونا ... مجنونا بشكل
غريب مخيف .. لم تره هكذا ابدا ...

تمتمت هيفاء جاحظة العينين " اتزوجك ؟! "

رد باسل وانفاسه ترتعش من اثر الانفجار
العاطفي الذي انتهى بخشونتها اللاطمة على
وجهه " نعم ..."

ارتفع حاجباها عاليا وعيناها تتسعان بشكل
لايوصف وكأنه لطمها كما لطمته قبل
ثوان....

شيئا فشيئا تراخت ملامحها المصدومة لتغيم
عيناها الجميلتان ثم سألت ببرود

" لماذا ؟ لماذا تريد الزواج مني ؟"

ابتسم بحرارة وعيناه تأكلانها أكلا

ثم قال " ولماذا يريد اي رجل الزواج بامرأة ؟! "

حاجباها انعقدا قليلا بينما ضيّقت عيناها
وهي تستفهم بتفكه ساخر بارد " هناك
عشرات الاسباب .. فاخبرني بواحد او اثنين "

كان غير متنبه على الاطلاق لحالتها
الداخلية ، رغبته فيها اصابته بغباء مطبق
جعلته لايقرأها بشكل كامل ...

كانت هيفاء تود الصراخ بأعلى صوتها ..
فتأتيها صورة ابنتها تهدهدها لتصمت وتكتم
هل عليها ان تتجرع المزيد والمزيد ؟

قال باسل بصوت متحشرج وعيناه على شفتيها "
الم استطع ايصال ما اشعر به اليك .. مؤكد
ماحصل للتو كان واضحا كمفرقعات العيد ؟"

عندها ردت هيفاء بحقد " حقا ... كم انا
محظوظة بمفرقعاتك ... انت تثير غروري...؟"

دفعته في كتفه لتبعده عن طريقها لكنه
لم يسمح لها وهو يتحرك بجرأة ليسد الطريق
عليها بكل جسده هامسا قرب اذنها

" اصبحتِ جسورة على حين غرة ..."

هتفت بصوت مخنوق وهي تحدجه بغضب
يقتات عليها من الداخل .. غضب ليس موجها
له وحده .. بل لكل شيء ..

" لقد مللت ... مللت منكم جميعا ... "

كان مبهورا بشعلتها .. انها تشده اليها اكثر
واكثر ... هذه المرأة لاتصدق بتأثيرها عليه..

همس بظلال ابتسامة شقيّة " لماذا اذن
لاتوجهين مللك نحو شخص واحد وتفرغين
فيه كل احباطاتك ؟ سأكون مبتهجا
بتلقيها .. "

اسبلت اهدابها قليلا ولاحظ تنشجها وارتعاشها
وهي تحاول السيطرة على شعلتها ...

فتحت عينها ببطئ وحولت نظراتها في عدة زوايا من السقف فادرك انها تطمئن لعدم وجود كاميرات في هذا الجزء المخفي من ممرات المؤسسة ...

ما زال هاجس كلام الناس يسطر عليها..

عادت اليه بنظرات ما زالت شعلتها متوقدة

فقالت بجدية " اسمع سيد باسل ... عرضك الارعن لست مهتمة به ولا باسبابه .."

احساس رهيب بالرفض لما تقوله .. لايستطيع التنازل بسهولة ... قال بحشرجة ولهجة جادة كلهجتها

" انا جاد فيما قلته سابقا ... انا اريدك .. "

فردت بعنف مكبوت وصراحة فجّة

" وانا لااريدك .."

حرارة جسدها تصعقه ! الا تشعر بنفسها ؟!!

همس بوضوح سافر " لايمكن ان تتجاهلي عاطفتك كانثى لوقت طويل .. انت تحاجينها .. كوني صريحة تجاه نفسك مثلي واعترفي بهذا "

للحظة ارتبكت نظرتها .. لحظة واحدة فقط ... احساس الانثى المجروحة قرأته عيناه فسكن احشاءه ...

لكن اللحظة ولّت سريعا ولم يبق في تلك العنين الا الفراغ .. الفراغ والبرود ...

ولم تكن تدّعي لتداري .. بل انها فعلا تعيش احساسا بالبرود رغم كل انوثتها ....

قالت اخيرا " حسنا سأنهي جدلك العقيم ... باختصار انا لااريد خوض تجربة الزواج مرة اخرى .. لقد اكتفيت بجربة فاشلة واحدة وهمي الوحيد الآن هو ابنتي "

البرود الذي يسكنها استفزه .. لايعلم كيف .. لو كان بيده لحملها في التو واللحظة وادفأها بطريقته ... الاناث خلقن للدفء وعندما يحصلن عليه يعطين بدون حساب .. على الاقل في الناحية الحسية يتصرفن على طبيعتهن .....!

لايعلم كيف خرجت الكلمات من فمه وربما كان يقصدها وربما لم يكن .. كان يريد ان يصل اليها فانطلقت الكلمات برعونة

" اذا كنت ترفضين الزواج بالعلن لاجل ابنتك يمكننا ان نتزوج سرا ..."

لم يصحُ الا على صفعة مدوية ألهبت خده بينما نفثت السم من لسانها وهي تشتمه وتهينه

" ايها القذر النذل القميء .... الـ.. الـ.. الخسيس... عديم الكرامة ... عديم الرجولة... لو كنت اخر رجل على وجه الارض فلن اتزوجك .. "

لايعلم لم شعر بالاهانة البالغة !

لم تضربه امرأة يوما .. ولم تهنه يوما ...

حتى طليقاته لم يصلن لتلك المرحلة ...

شعر بفوران وهو يستعيد ببطء كلماتها ...

قال اخيرا وبنبرة منخفضة حادة " لطمتك على وجهي سابقا تقبلتها برحابة صدر لاني تجاوزت حدودي معك عندما قبلتك .. لكن صفعتك هذه تعني الكثير ... الكثير هيفاء .. ويجب ان اردها لك ... "

انفاسهما معا كانت تتسارع بتحدٍ ليضيف باسل " انا لم أكن خسيسا كما نعتتني ولم اعرض عليك علاقة غير مشروعة ... لقد عرضت زواجا ... وعندما قلت ابنتي .. عرضته بالسر لاجلك .. لكن الان ..."

اخفض رأسه قليلا قبل ان يتمتم بصوت حمل نبرة التهديد والوعيد " تقبلي الامر .. ستكونين لي .. سأتزوجك بشكل تقليدي بحت .. وسنرى كيف سترفضين امام عائلتك عريس مناسب جدا لوضعك الخاص ! "

ثم رفع راسه ليبتسم ابتسامة عريضة مقيتة مضيفا " وهل هناك افضل من عم البنت ليكون أبا لها ؟!! سيكون من دواعي سروري وبهجتي ان العب دور قريبي العزيز قاسم واحمي عائلته الصغيرة من غدر الزمن ! "

كان عقلها يعمل في كل اتجاه ..

يحاول استيعاب جديته ..

يا الهي رغم سخريته كان جادا ... جادا جدا !

ليستدير وهو يقول ببساطة " سأجعل اختي تكلم والدتك اليوم لنحدد موعد .. الزيارة "

ثم تركها ومضى لتستند بظهرها الى الحائط

وهي شبه منهارة ..

تتخيل فرحة امها ..

راحة والدها ..

هزة رأس اخوها نمير التي تعبر عن جملة

واحدة (هذا انسب حل)

يهرب من انعكاس صورته على زجاج النافذة

التي يقف مسمرا قبالتها ...

لايريد ان يرى الآن ... يشعر انه سيرى وحشا !

وحش شقيّ منبوذ يصرخ دون ان يسمع صراخه

احد ..

همس في داخله ....

ما الذي يوجعك هكذا يا أيهم ؟

لقد كانت مجرد لعبتك .. الهاء لآلامك ..

مخدر لروحك ...

ألأنها فقدت مصداقية صفة الينبوع النقي

الذي اسبغته عليها وجعلته خاصتك ...

وكنت تتبجح بقدرتك على تلويثه بمجرد ان

تمد اصبعك الصغير فيه ..

اجل .. ما ان تمد طارف ذلك الاصبع حتى

يتسرب لذلك النقاء البعض اليسير من السواد

الذي ضاق ذرعا بسجنه بين جدران روحك

المقاومة العنيدة ... وهذا (البعض اليسير)

كافيا لتلويثها بالكامل ...

عادت صورتها وهي تضحك وتهز ضفيرتيها فتؤرقه على نحو غريب ....

لتتسرب اليه افكار اشد غرابة وضراوة ...

ام ان الامر اصبح ابسط من ذلك بكثير يا ايهم ..؟!

اصبحت تلك السمراء بالنسبة لك ملاذا لرجولتك التي اهدر دمها في سوق الرجال على يد خائنة مزقت باظافر الخيانة قلبك قبل رجولتك ...

ضرب بقبضته على الزجاج السميك هادرا باللعنات

" اللعنة اللعنة اللعنة .... "

الامر اصبح لايحتمل ... يجب ان يجد الخائنة .. ان يراها .. ويقتل فيها خيانتها .. يقتل فيها ولعه بها .. هذا الولع الذي يدمره ...

ليته يقتلها .. ليته يجدها فقط وينظر في عينيها الزرقاوين الفاسقتين ويقتلعهما من مكانهما ....

ليته يحصي بتمهل كل نقاط ضعفها ثم يجد الف طريقة وطريقة ليعذبها بها ...

خرج اسمها من بين شفتيه كالنار " عشتاااار .. متى اجدك .. ثم اقتل روحك كما قتلت روحي .. احرق انوثتك كما هدرتِ رجولتي "

التمعت عيناه فجأة !

كل شيء سكن حوله ..

عقله يعمل بتسارع جنوني ويرتب قطع احجية كانت موجودة امامه طوال الوقت لكنه كان يعبث ولم يرتبها بشكل صحيح ...

كم هو غبي ....

حسنٌ ... يجب ان يجدها اولا ...

التفت للخلف ثم تحرك لسطح مكتبه يلتقط هاتفه ...

اتصل برقم محدد وانتظر الرد ..

قال اخيرا وبصوت عملي بارد " اين وصلت ؟ لم تجدها في المانيا ؟ امممممممم ... لا .. هي ليست في امريكا ولا كندا .. ثق بكلمتي .. انها ما زالت تجوب اوربا .... حسن .. لايهمني كم يطول الامر .. شهران ثلاثة اربع .. سنة ! المهم ان اجدها ...حسن .. انتظر اخبارا منك..."

اغلق الخط وداخله يتجدد بفورة رضا لامثيل لها ...

انقلب من حال الى حال ....

عيناه اشتعل فيهما وهج انتقام مجنون وجد طريقه الصحيح اخيرا ...

تمتم بابتسامة وحشية

" حسنا ... ستكون جاهزة حتى اللحظة التي اريدها .."

يحول الاستاذ نامق نظراته بين الفتاتين

ويكاد لايفقه شيئا !

لقد دخلت جدايل تتبعها هيفاء بفارق زمني

بسيط ، والمدهش ان كل واحدة منهما تعاني

من حالة تشتت واضحة وغريبة !

جدايل اكتفت بتبليغه وباسلوب مقتضب

رسالة مدير المؤسسة حول ارسال هيفاء اليه

بدلا عنها ابتداء من الاربعاء القادم ..

في البداية اشفق عليها وظن انها لم تبلي

بشكل جيد .. لكنه قلق فجأة على نفسه

فربما سيوبخه السيد أيهم ويلومه انه لم يُعد

الفتاة بشكل جيد لتؤدي عملها ...

وما ان فتح فمه حتى يسال جدايل ويستفهم

منها الموقف حتى دخلت هيفاء وقد بدت

بحال اسوأ من جدايل !!

ليس التشتت وحده ما جمعهما بل بدتا

غاضبتين للغاية مقهورتين لابعد حد

ومشغولتي البال بنفس الوقت ...

تمتم الاستاذ نامق لنفسه وهو يقلب كفيه

" ماذا يحصل لقسم الارشيف ؟! "

ثم دخل مكتبه الخاص وهو يفكر ان ربما

تشاجرت الفتاتان على العمل مع رئيس

المؤسسة !

جلس على كرسيه ..

يخلع نظارته ويفكر ...

" سأنتظر قليلا واستدعي هيفاء لابلغها ..
لامزاج عندها الان لفض نزاعات الفتيات !
اتمنى فقط ان تصمد الصغيرة ولاتسارع لاخبار الكبيرة ...! "

جسدها ما زال يرتعش وهي تحاول تجرع احساسيها المتخبطة ..

لم تعد تعرف هل يجدر بها ان تكون غاضبة لكلماتها المهينة او ربما تترك لقلبها العنان فيتقافز فرحا فيفسرها غيرة !

هل يجب ان تصرخ قهرا لانها ارادت الثأر لكرامتها بأن تترك العمل ام تختزي من سرعة رضوخها وكأنها لم تصدق انه هددها لتتمسك بتهديده وتغادر مسرعة قبل ان يغير رأيه ويصرفها من العمل بنفسه !

" ماذا يحصل لك يا جدايل ؟ ماذا يحصل ؟ انه رجل صعب تتورطين معه .. صعب جدا ..
قلبك لن يحتمل التعامل معه .. لن يحتمل حمل عاطفة تكنينها له ..."

التفتت قليلا لتنظر بطارف عينها لهيفاء ، ملأتها الغيرة وهي تحدق بقوامها الفاتن وجاذبيتها الخاصة ..

ستأخذ مكانها .. هناك .. معه ..

وهي ستموت غيرة ..

ترى ... هل سيتاثر بها ؟ ربما سيعجب بها وقد يقع في هواها وربما .. قد .. قد ...

" باسل طلبني للزواج .."

همسة هيفاء المفاجئة صعقتها بفحواها ..!

تمتمت جدايل بغباء " من باسل ؟!"

ردت هيفاء وهي تكز على اسنانها

" ومن غيره .. باسل ... "

وكأنها اضافت معلومة قيمة لتجعل جدايل تستوعب هذه المرة وتسأل بدهشة " حقا ؟! لم اتصوره سيقدم على الخطوة سريعا هكذا "

صدمت هيفاء وانعكست صدمتها في عينيها لتقول " هل اخبرك انه يريد الزواج مني ؟"

قالت جدايل وهي تمسد رأسها بارهاق " لا .. لم يخبرني بشيء لكنني شعرت باهتمامه بك .."

ردت هيفاء وقدرتها على التحمل تفلت من زمامها " لااريد هذا الكريه .. لااريد الزواج منه على الاطلاق .. فليضرب رأسه باقرب جدار .. لن ارضى به مهما فعل وضغط علي .."

تعجبت جدايل من انفعال هيفاء لكنها كانت تعاني هي الاخرى ولم تستطع مواكبة كل هذا الانفعال واسبابه ...

مالت جدايل برأسها حتى مكتبها الصغير لتضع خدها على سطحه تتلمس برودة تطفئ حرارة بشرتها ...

قالت اخيرا وهي تحدق في جسد هيفاء المرتعش " لماذا تكرهينه ؟ انه رجل خفيف الظل ووسيم للغاية .. مركزه محترم

وشخصيته محببة والاهم من كل هذا انه يحبك ..."

هدرت هيفاء بصوت مكتوم حتى لايصل مسامع الاستاذ نامق في الغرفة المجاورة

" لاتبدأي الكلام مثل امي اتوسل اليك .. انت لاتعرفين شيئا .. لاتعرفين اسبابه الحقيقية القذرة لرغبته في الزواج مني "

تنهدت جدايل من اعماقها ثم ارخت جفنيها تحبس دموعا لاتعرف سببا واضحا لها ثم همست بحشرجة " لدي خبر لكِ ... أ..السيد أيهم غضب .. مني "

شددت من ضغط جفنيها لتمنع الدموع المتربصة بها بينما تسمع تمتمة هيفاء المتفاجئة

" ماذا !؟ لماذا ؟ "

ردت بحرقة وعفوية " لااعلم بالضبط .. لم يعجبه جلوسي .. مع باسل .... قال .. قال .."

فتحت عينيها اخيرا لتشهق شهقة بكاء صغيرة ناعمة امام عيني هيفاء المصدومتين ثم سالت على خديها الاسمرين المتوهجين دمعتان او ثلاث لتهمس بألم وغيرة طفولية ساذجة " ابتداء من الاربعاء القادم.. ستحلين..انت .. مكاني في العمل عنده ..."

بعد شهر ....

عصرا

ترخي من الوشاح الذي تضعه على راسها باهمال بينما تجلس على دكّة صغيرة وتتابع مزاح اختيها نجوان وعبير وهما تقرآن الروايات لبعضهما البعض وبصوت مسموع وتضحكان على بعض العبارات وتعيدان تمثيلها وكأنهما على خشبة مسرح ....

تبسمت جدايل وهي تبعد الوشاح تماما عن شعرها ...

الجو ما زال حارا رغم ان بلدتها تتميز بجو لطيف جدا نسبة للعاصمة الا ان الحر اشد من ان تحتمل حشمة وشاح ...

اغلب فتيات البلدة يضعن الوشاح ، ليس حجابا بمعناه الحقيقي وانما مجرد حشمة احتراما للمجتمع المحافظ هنا ....

تطلعت حولها ... لتلك البلدة الصغيرة حيث تترامى البيوت ما بين صغير وكبير لتفصلها احيانا بعض المزارع ..بين صغيرة وكبيرة ايضا ...

وها هي تجلس في مزرعة صغيرة تعود لاناس يعرفونهم منذ سنوات طويلة ويساعدونهم احيانا في الحصاد عند نقص اليد العاملة ودون اخذ أجر بالطبع ...

الحياة ابسط هنا واكثر تآلفا ، وربما قلة المتطلبات وندرة المغريات فيها لاتجعل الناس يلهثون كما يفعلون في العاصمة ...

فكرت بغيظ ... بلدتها قد توصف بالريفية لكنها تبقى بلدة .. معترف بها بلدة على خارطة الوطن ...

بلدة وليس قرية ... بلدة وليس قرية ...

اخذت نفسا مرتعشا وهي تهدأ نفسها بالقول

" لاتزعجي نفسك بالامر .. لايهم ان اعتبرك انك مجرد قروية سخيفة .. لايهم ان يتجاهل النظر اليك كلما مرّ بقربك في اروقة المؤسسة او في مقهاها .. لايهم انه انه......"

خنقتها العبرة وهي تتذكر ذلك اليوم قبل ثلاثة ايام تحديدا عندما مرّ بها وهي تجالس هيفاء في المقهى فالقى السلام لهيفاء فقط متجاهلا جدايل تماما !

انه يعاقبها ... يعاقبها بقسوة ...

قد يفرحها بفكرة الغيرة عليها من باسل ...

لكنها تتعذب ...

لم تحتمل ذلك اليوم لتقدم اجازة عاجلة للاستاذ نامق بينما هيفاء ترمقها بغرابة وبعض الاشفاق ...

هيفاء لم تسألها ابدا عن سر تغيرها هذه الفترة وسرعة جريان الدموع على خديها عند اقل مشكلة في العمل ...

هيفاء لم تسألها أيضا عن سبب تضايق أيهم من الجلوس مع باسل ...

هيفاء .... كانت صامتة .. !

وكأنها تقلب الامر في رأسها .. وهذا احرج جدايل واقلقها وبنفس الوقت كانت سعيدة ان هيفاء لم تسأل ...

ابتسمت جدايل على حين غرة وهي تتذكر هيفاء وباسل ...

بدوا كناقر ونقير ...

لايتكلمان مع بعض ولكنهما مشحونان من بعض على الدوام !

هي تتجاهله وهو يتجاهلها ..

لقد علمت انه تقدم رسميا لخطبتها ووالدها طلب منه الصبر لبضعة اسابيع حتى تعتاد هيفاء على الفكرة لتقرر ..

لكن من الواضح ان هيفاء رافضة تماما ولاتطيقه بينما هو يغيظها بطريقته فيسلم عليها بابتسامة عريضة ثم يعود ليتجاهلها ..

لكن جدايل تعترف ان هيفاء تبدو كمن يمر بوقت عصيب بينما باسل يبدو انه مرتاح للنتائج القادمة ...

رن هاتفها في جيب جلبابها الفضفاض فاخرجته جدايل ليطالعها اسم هيفاء ..

فتحت الخط فأتاها صوت هيفاء الانثوي

" مرحبا جدايل .."

ردت جدايل بفكاهة " مرحبا بالعروس .."

تأففت هيفاء بحنق بالغ ثم قالت ببرود

" لاتناديني بهذا اللقب .."

ابتسمت جدايل لتشاكسها اكثر قائلة

" لماذا ؟ ألست عروسا حقا والبطل الهمام باسل متيم بك ..."

قالت هيفاء بكآبة " انت ساذجة للغاية ..."

عبست جدايل لتواجهها بالقول " حسن يا كبيرة العقل هل قررت بشأنه .. انه ينتظر منذ اسابيع ولا اعتقد ان من النضج تركه معلقا هكذا ! "

ردت هيفاء بنبرة غامضة " انه ينتظر بناء على رغبة والدي .. لا رغبتي .. لو عاد لي الامر وحدي لانتهى منذ شهر ... منذ ان جنّ وتقدم لخطبتي "

ردت جدايل تغبطها بغيظ

" الا تعلمين انك محظوظة .."

فقالت هيفاء باستهانة

" ألم اقل انك ساذجة ! "

عادت جدايل للعبوس .. انها حقا لاتفهم !!

لماذا كل هذا التعقيد ؟

هل هي ساذجة حقا ولاتفهم المشاعر بين امرأة ورجل ؟ هل عاشت حياتها بعيدا عن العاطفة بشكل مبالغ فيه فأضحت لاتفقه شيئا ؟!!

عاندت جدايل افكارها لتقول " انه يحبك ويريد الزواج بك فما المشكلة معك حقا لاادري !!.."

تمتمت هيفاء باحساس ساخر مريع

" اجل... يحبني ! "

لم تمنحها فرصة لترد فقالت هيفاء بنبرة حازمة " اتركينا من باسل الان ... هناك امر مهم اود ابلاغك به نيابة عن الاستاذ نامق "

ارتعش قلب جدايل فسألت بحشرجة " ماذا هناك ؟ اجازتي لم تنته بعد ليطلب عملا مني .. لم يمض الا ثلاثة ايام من اسبوع الاجازة .."

ردت هيفاء بغموض غريب " يبدو ان ما فعلته أتى بثماره كما خططتِ له "

ابتلعت جدايل ريقها واحمر خداها بينما طنّت اذناها لتهمس بخجل شديد " ماذا تقصدين ؟"

تنهدت هيفاء قبل ان تقول ببساطة " جاء امر اداري .. من رأس المؤسسة ... ان تعودي للعمل خلال اربع وعشرين ساعة "

لهثت جدايل لتهمس " ماذا ؟!!"

لتضيف هيفاء بنفس النبرة الغامضة السابقة
" والا... فسوف تصرفين من المؤسسة مع شهادة
خدمة سيئة .."

خداها يشتعلان ... انه .. انه يريد عودتها ..

جاءها صوت هيفاء بلمحة اشفاق وتعاطف

" تشعرين بالاثارة اليس كذلك ؟ يفرحك
الأمر ؟ "

تمتمت جدايل وشعور الخجل يتفاقم

" ماذا .. ماذا تعنين .. انا لا افهم ..."

ردت هيفاء بهدوء " هل تظنين اني غبية ؟
استطيع ان اتخيل وجهك الآن بل استطيع ان
اتخيل كيف سيهدر قلبك عندما اخبرك
انه فعل هذا حالما تأكد مني حول صحة
اشاعة خطبة باسل لي ثم سأل عنك
فأخبرته انك في اجازة ولم تمض ساعات
النهار الا وصدر القرار الاداري ..."

كان قلبها يهدر فعلا ... هل سامحها .. يا الهي
.. هل حقا يشعر نحوها بشيء ؟

جاء صوت هيفاء هذه المرة حازما وهي تقول

" اسمعيني جدايل .. انا اعلم انك منجذبة
اليه بل انك تكنين له مشاعر اكبر من
مجرد اعجاب وانجذاب وهذا يقلقني جدا
عليك .. "

كانت تهز رأسها وقد بدأت تشعر كمن يريد
ان تنشق الارض وتبتلعه لتهمس ناكرة بخفر

" لا هيفاء ... انت مخطئة..."

قالت هيفاء برقة هذه المرة وكأنها تتفهمها

" لاتنكري .. ارجوك ... استطيع ان اشعر بك ببساطة ... اشعر بغيرتك كلما رأيتني اذهب لمكتبه بدلا منك .. بنظراتك التي رغما عنك تبحث عن التفاتة واحدة منه في مقهى الشركة ... "

عضت جدايل شفتها السفلى بقوة حتى شعرت بطعم الدم ، كانت شديدة الاحراج بل تشعر بالخزي .. لم تتعود على فكرة الحب .. انها تهابها .. يا الهي كم تهابها ...

بشجن اضافت هيفاء " انا كنت مثلك جدايل .. فتاة بسيطة تعشق بكل ذرة من كيانها وتظن الامر سيكون رائعا .. خاصة عندما شعرت انه يبادلني الحب .."

رفرف قلب جدايل لتهمس باعتراف عفوي

" اعترف اني اشعر ان الامر رائع .."

ثم تبخر كل شيء لتسكن صوت هيفاء نبرة غير مريحة " حذاري جدايل ... حذاري مما تسقطين فيه .. انه ليس كما تظنين ..."

كانت جدايل في داخلها تسمع صوتا واهنا لشعور يخبرها بما تقوله هيفاء الان ... لكنها لم تستطع الا ان تقمعه وتقول لهيفاء بلهجة متعثرة متلهفة " لماذا تقولين هذا ؟ انه .. يهتم بي .. والا .."

ردت هيفاء بوضوح " حتى لو كان يفعل .. انه غير مناسب لك .."

لتضيف ببعض اللطف " انت اكثر بساطة بكثير ودون اي تجربة .. انت نقية تماما ومشاعرك ما زالت طاهرة خام تماما لم تمس من قبل ..."

صمتت جدايل وفرحتها البريئة وئدت في مهدها بينما تسمع هيفاء تقول المزيد مما تعرفه ويؤرقها " لو صح ما سمعناه عنه يا جدايل فهو رجل مر بتجربة سيئة للغاية وربما رغم كل شيء ما زال يعشق زوجته .."

فقال جدايل وهي تتعلق بالامل " كونه مر بتجربة سيئة فهو يحتاج للتعويض .. ابي ايضا مر بتجربة سيئة جدا بفقدان امي فجاءت زوجته الثانية وعوضته خيرا .."

بدت هيفاء غاضبة الآن وهي تواجهها بالقول

" ايتها الساذجة والدك غير أيهم سليماني ! كيف تقارنين رجل بسيط برجل محنك شديد التعقيد ؟!! أيهم سليماني رجل خطير ... لقد اقتربت منه وعرفته .. وصدق حدسي السابق عنه بأنه رجل يعيش في حالة رهيبة من الخواء .. انت لست مؤهلة لتواجهيه .. انت قوية نعم .. لكن قوتك لاتعادل قوة بعوضة امام جبروته .. "

لاشعوريا اخذت جدايل تعيد وضع الوشاح فوق رأسها بينما عيناها تناظران اختيها اللتين ما زالتا تتضاحكان بخلو بال ثم قالت ببعض التشتت

" ما زلت غير مقتنعة .. انا فكرت مليا .. صدقيني الامر ليس ان مشاعري التي تسيطر علي لكن ..."

قاطعتها هيفاء وهي تقول ببعض الاحباط

" لاتحاولي التبرير لي ... لاتحتاجين لفعل هذا امامي .. تصرفي كما تشائين جدايل... اعرف تماما عندما يبدأ القلب بتلاعبه بالعقل واغراقه في خيالات وردية ..."

نادته جدايل باحباط مماثل

" لاهيفاء .. لاتتخلي عني الآن .."

فردت هيفاء بلطف " لاتقلقي عزيزتي .. انت كأخت صغيرة لي وسأكون بجانبك دوما .."

تمتمت جدايل بقلق داخلي

" حسن .. شكرا لك .."

فترد هيفاء محاولة تلطيف الاجواء " هيا اسرعي بالمجيء .. لقد اشتقت لك .. ولااطيق سماجة وجود باسل بمفردي ! "

ضحكت جدايل فخرجت ضحكتها مرتعشة رغما انها لكنها قالت بحبور ومشاغبة " لقد بدأت تعتادين على .. سماجته .."

لم ترد هيفاء على مشاغبتها واكتفت بأن ألقت السلام وأنهت المكالمة ...

تمددت على سريرها بينما تراقب صغيرتها

تلعب على الارض بدميتها الجديدة التي

احضرها لها نمير بالامس ...

ارخت جفنيها على صورة وجه شمس ...

كانت توشك على اخذ اغفاءة عندما شعرت

بدخول والدتها ...

تنهدت في سرها وهي تتطلع لتلك النظرات

في عيني امها ... فتجاهلتها وهي ترخي جفنيها

بينما الام تتوجه لحفيدتها تجلس على الارض

معها وتلاعبها بدميتها ...

امها ... آآآآه ... كانت تلاعبها هي ايضا عندما

كانت طفلة صغيرة ... تجيد اللعب مع الصغار

لكن للاسف مع الكبار لاتجيد الا ممارسة

الضغوط !

لقد كانت تمارس عليها الضغوط طوال شهر

كامل لترضى بالزواج من باسل ...

اما والدها فقد بدأ يشعر بالقلق لانها اطالت

موقف الرفض هذا ..

يتصورنها تهاب الزواج ! او ربما يتخيلون اسبابها

تتعلق بقاسم واحيانا يظنون انها تخشى على

شمس من زوج ام ..

يحاولون طمأنتها بشتى الوسائل لكنهم غفلوا

تماما ان السبب ببساطة انها رافضة لباسل !

لم يكلف احد نفسه التفكير في هذا ...

انها لاتريد باسل زوجا لها .. انها لاتطيقه ...

وهي لم تخبرهم برايها الصريح لانها ستعاني من ردود افعال قوية وشنيعة ...

اكتفت ان تقول انها لاتفكر بالزواج الآن وتريد ان تربي ابنتها ...

لكنهم على ما يبدوا قد اتفقوا على التعامل معها باللين حتى يدفعوها للموافقة ..

لقد انشرحت صدورهم بطلب باسل ليفاجئها نمير بابداء رأي مغاير عن والديهما وهو يقول انه متحفظ قليلا على باسل لانه رجل مزواج ..

لكن الام سارعت لاسكاته لتقول له بحنق

" انت ما زلت صغيرا .. الرجل لم يجد راحته مع زوجاته السابقات فهل هذا يعني ان لايتزوج ابدا؟!!"

كان منطقا غريبا تتحدث به امها بكل ثقة ويؤيده والدها بصمته !

خرجت من افكارها وهي تشعر بحركة امها ثم جلوسها بجانبها على حافة السرير ...

فتحت هيفاء عينيها لتواجه يوم جديد من الضغوط ... حياتها كلها اصبحت ضغوط ..

متى سترتاح ؟ متى ؟؟

واجهت نظرات امها وتلك الابتسامة التمهيدية ... استعدلت في جلستها على السرير بينما يخنقها التفكير بالحوار القادم .

انقبض قلبها لتشعر بمزيد من الكره والحقد على باسل .. هو السبب لتضخم الضغوط عليها خلال هذا الشهر الكئيب ...

ها هي تتعلم المناورة والمراوغة مع اقرب
الناس اليها .. انها تتبع سياسة النفس الطويل
عسى ان ييأسوا منها ويتركوها تنفذ ما
خططت له لمستقبلها مع ابنتها ...

بدأت الام كلامها وهي تمسد على شعر ابنتها
الكثيف وتقول بابتسامة

" كيف كان العمل اليوم ؟ "

ردت هيفاء وعيناها على ابنتها تبتسم لها

" جيد .. الحمد للّه .."

لتسالها امها بقلة صبر " وهل رأيت باسل ؟ "

ردت بفتور وهي تحول عينيها لوجه امها
المنتظر " نعم .. ككل يوم .."

سألت الام وكلها ترقب وأمل

" هل تجالسينه وتتحدثين اليه ؟ "

فردت هيفاء بلا مبالاة

" لا امي .. لاافعل وهو لايحاول .."

ارتبكت الام ورمشت للحظتين او ثلاث ثم
قالت وكأنها تعطي التبرير لاجلها هي وليس
لاجل ابنتها " حسنٌ .. ربما هو يحترم ان يضع
مسافة بينكما حتى يصبح الامر رسميا "

بابتسامة ساخرة لم تستطع هيفاء منعها قالت

" اجل هو محترم جدا ! "

عبست الام وهي تتساءل " ماذا تقصدين ؟"

فاضت نفس هيفاء رفضا لكل هذا الحوار الثقيل فقالت بنزق " لاشيء .. امي .. انا لن اتزوجه .. ولن اتزوج غيره .. لن اتزوج طيلة حياتي القادمة "

شهقت الام ارتعابا وكأن ابنتها القت لعنة ما ! ثم قالت برجاء صادق حار " باللّه عليك لاتقوليها فتصبح نذير شؤم عليك وعلينا .."

اشفقت هيفاء على امها بينما تفسر لها بهدوء

" باسل لايناسبني امي .. انه رجل مزواج .."

فقدح الغضب في عيني امها لتقول بانفعال شديد " قطع اللّه لسانك يا نمير قبل ان تقولها ! "

زفرت هيفاء ... لقد اعتادت طباع امها عندما تغضب فانها تجرح دون ان تشعر ... وها هي تقسو بكلامها على نمير لمجرد انه قال كلمة حق ..

قالت هيفاء اخيرا وبعقلانية شديدة " نمير محق امي ... باسل هذا ليس رجل مؤتمن الجانب .. ولايأخذ الزواج على محمل الجد .."

عادت الام لنبرة الترجي " فقط لاتتسرعي بالحكم عليه وتكوني مجحفة بحقه وظالمة لظروفه ..."

اخذت هيفاء تهز رأسها بدهشة وتردد

" مجحفة؟! ظالمة ؟!! امي انا اقول لك انه رجل يحب النساء .. "

عاندتها الام وهي تبرر " لاتبدأي بتهويل الامور يا هيفاء .. كل الرجال يحبون النساء هذا يسمى الفطرة السليمة بين الرجال والنساء.."

عقدت هيفاء حاجبيها وزمّت شفتيها بغضب مكتوم قبل ان تقول وهي تكاد تنفجر

" لكن هل تعتبرين الانجذاب الجسدي كافٍ ليكون سببا للزواج ؟"

نهرتها امها بعنف وقد تورد خداها " تأدبي هيفاء .. لايصح ان تتكلمي هكذا امامي "

تقبضت يد هيفاء وهي تقول باختناق " انا لم اعد مراهقة لتمنعيني الكلام في هذه المواضيع .. انا امرأة مطلقة في الثالثة والثلاثين ولدي طفلة .."

احتارت الام .. بل تلبدت ملامحها بالقلق لتتساءل بوجوم وحرج " انا لم اعد افهمك ! هل تقصدين ان سببه الوحيد للزواج منك انه ..انه ...انت تعرفين .."

ردت هيفاء وهي تكز على اسنانها

" اجل امي .. هذا هو السبب الوحيد .."

بدت الام اكثر حيرة وارتباكا لتسألها

" كيف تعلمين بالله عليك ؟"

فردت هيفاء بصوت منخفض " لانه عرض ان نتزوج بالسر اذا لم يلائمني زواج العلن ! "

كانت صدمة الام اكبر من ان تداريها او حتى تتجاهلها بينها وبين نفسها ...

سألت هيفاء بملامح كئيبة

" صدمتك صحيح ؟!"

تلعثمت الام ولم تعد ملامحها تعطي انطباعا محددا ... كانت تصارع هي الاخرى عدة انفعالات بين صدمة وغضب وتهدئة ومحاولة فهم و و و ...

كان الامر كمن وضع داخل دوامة يريد الوقوف فيها ثابتا دون ان يغادرها!

اخيرا هدأت الام وامسكت زمام نفسها لتقول وهي تتباعد بنظراتها " لااعتقد انه كان جادا .. مؤكد كان يختبرك .. انت تعرفين المطلقات يكن .. يكن اكثر استسلاما لمطامع الرجال .. وهو رجل فشل لثلاث مرات ومؤكد اراد التأكد من .. اخلاقك .."

اوشكت هيفاء ان تشد شعرها !

الغضب تفاقم ووصل الى قمته ..

هدرت دون شعورها " سأصاب بانهيار عصبي من طريقتك في تفسير الامور على هواك ... لا اصدق كيف استطعت قول كل هذا ! كيف امي .. كيف ؟!! "

لم تشعر هيفاء ان ابنتها قد تنبهت لما يدور بين امها وجدتها .. لم ترها كيف تركت دميتها ووقفت على قدميها تحدق في المشهد المتوتر الغاضب امامها ...

برطمت شفتا شمس وهي تحدق بوجه امها المنهار بينما تنقل نظرات عينيها الصغيرتين لوجه جدتها الغاضب ..

الام اخذت تعنف هيفاء قائلة

" ايتها الغبية .. متى ستنضجين وتتعقلين ؟!! متى ؟ متى ؟؟ لقد صبرنا عليك لشهر وانت تتدللين .. سيطير من يدك زوج رائع مثله لاجل تفاهاتك السخيفة ... "

هتفت هيفاء بانفعال " امي لاتحمليني اكثر مما اطيق .."

اشارت الام ناحية شمس وقالت من بين اسنانها " اصمتي انت ... ولاتدفعيني لرفع صوتي اكثر وابدأ بالصراخ لاثير فزع شمس ..."

عينا هيفاء بلمح البرق كانت تحطان على صغيرتها التي تقف مكانها تحدق فيهما بقلق واضح وامارات بكاء وشيك واضحة على وجهها الصغير ...

شعور هيفاء بالقهر تضاعف ... الا شمس ...

ابتسمت لصغيرتها وعيناها دامعتان فابتهج وجه الصغيرة الحبيبة لتمنحها هي الاخرى ابتسامة كشعاع الشمس.. ابتسامة تمنحها قوة لاتضاهى ...

ووسط القوة يبرز الضعف يقاتلها باسلحته الخبيثة !

اجل حتى الضعف له اسلحته .. ومعها .. كان سلاح ضعفها ... عائلتها ....

اخذت الام تقول وقد فقدت سيطرتها على لسانها " انت فاشلة هيفاء ... فشلتِ مرة وتخافين الفشل مرة اخرى .. الحقيقة انك ترين باسل اكبر مما تستحقين وتفكرين انه سيتركك حتما .. لو كنت امرأة واثقة من نفسها لكنت اثبتِ للجميع انك قادرة على جعله خاتما في خنصرك .. لكنك ضعيفة وفاشلة .. خيبتِ ظني وظن ابيك .. وستحطمين طفلتك عندما تكبر لترى كم انت ام فاشلة لم تستطع منحها أبا كباقي الفتيات اللواتي سيعيّرنها بشكل مؤكد ..."

حدقت هيفاء في امها بصمت ...

كانت امها ما تزال تصب جام غضبها على رأسها وهي تردد " لافائدة منك .. لافائدة ... "

وبينما تستمع لتلك الكلمات القاتلة شعرت انها تثور ... تثور كما لم تفعل من قبل ..

ما الذي سيتغير ؟

ان تخلصت من باسل سيأتي اسوأ منه ليضغطوا به عليها ..

وان استقلت بنفسها مع ابنتها ستجد اسوأ من اهلها يعيرونها بفشلها ...

الثورة تحتدم وعيناها في عيني ابنتها الصغيرة التي ما زالت تطبع ابتسامة عريضة على وجهها بينما عيناها تدمعان ..

تلك الصغيرة تقاسي هي الاخرى .. تساندها بابتسامتها الواسعة بشكل مبالغ لكنها .. في قلبها الصغير تتألم ...

عندها .. قررت ...

ستثبت للجميع .. من هي هيفاء حقا ...

انها ليست فاشلة .. وليست غبية ..

ستأخذ حقها وحق ابنتها من الدنيا ...

في صباح اليوم التالي ...

" صباح الخير ..."

باقصى قدرتها لضبط النفس حيّت جدايل السيدة وداد ..

لتنظر اليها السيدة وداد نظرة طويلة قد تصفها بالعابسة او غير الراضية ايضا !

شعور جدايل ازداد سوءا بينما تنتظر بجزع ان ترد السيدة تحيتها ...

قالت وداد اخيرا بصوت عملي

" صباح الخير جدايل .. "

تلعثمت جدايل قليلا وهي تفسر لعيني السيدة المتسائلتين " الاستاذ .. نامق .. قال انه .. اقصد السيد أيهم طلب ان .. اكمل العمل بدلا من هيفاء ... "

ارتفع حاجبا وداد قليلا ثم اخذت تحدق في الفتاة امامها بإشفاق !

كانت جدايل تستقبل هذه الاشارات لتشتتها اكثر ... ماذا يعني ان تنظر اليها السيدة وداد بتلك الطريقة ...

اخيرا قالت وداد وهي تقف على قدميها تحمل بعض الاوراق " حسن يا ابنتي .. امنحيني بعض الوقت لاتم اعمالي الصباحية مع السيد أيهم وبعدها سأخبره بمقدمك ..."

ثم تطلعت فيها بعمق واضافت بلهجة غامضة

" لااعرف ان كان اصدر السيد أيهم امرا باستخدامك بدلا من هيفاء .."

شعرت جدايل بالجرح في كرامتها وكأنها تكذب ! فتسارع للقول ببعض الانفعال

" الاستاذ نامق هو من اخبرني ... "

تمتمت السيدة ببضع كلمات غير مفهومة لاذنيّ جدايل ثم تركتها وتحركت نحو باب رئيسها لتطرقه قبل ان تفتحه وتدخل لتعود وتغلقه خلفها ...

مرت عشر دفقائق لاغير لتخرج السيدة وداد وهي تسبل اهدابها وتشير بيدها للباب الذي خرجت منه في دعوة صامتة منها للدخول ...

تحركت جدايل وقد جفّ ريقها وتخدر جسدها حتى لم تعد تشعر به ...

قلبها .. قلبها .. اه يا قلب .. توقف عن دويك الفاضح هذا ...

دخلت دون ان تنتظر امامها ثم اغلقت الباب خلفها بهدوء شديد ..

اخذت نفسا قبل ان ترفع رأسها لتواجهه ...

كان واقفا امام مكتبه الضخم يتكئ بجسده على حافته ...

مستعدا تماما لدخولها بتلك الابتسامة الواسعة .. الواسعة اكثر مما تحتمل ..

عيناه البندقيتان شديدتي الالتماع وقد توهج لونهما بوضوح من اثر انعكاس لون القميص الكاكي عليهما ...

صوته شع في قلبها بنبرته المبحوحة المداعبة " صباح الخير يا سمراء .."

بللت شفتيها بطارف لسانها دون ان تشعر فلاحق هو تلك الحركة مبديا استمتاعا رقيقا ..

قالت اخيرا بصوت خرج ضعيفا مبحوحا بشكل مخز " صباح الخير سيد ايهم ..

الاستاذ نامق ابلغني ... اني سأعود .. للعمل معك .."

ما زالا على نفس الوقفة المتواجهة وما زال هو يبدي ذلك الاستمتاع الرقيق الذي يحطم رباطة جأشها ...

شعرت بالغيظ ! لماذا يجب ان تكون بهذا الضعف امامه ؟!

ألم يكن هو من اهانها باتهامها انها على علاقة ما بباسل لمجرد انه رآهما معا يضحكان ؟ ألم يطردها من مكتبه ليستبدلها بهيفاء ؟

ثم عبست بشدة وهي تضيف للائحة .. ألم يقطع اجازتها ويهدد بصرفها من عملها ؟

كانت تناقض نفسها .. تناقض انها لم تستطع النوم ليلة الامس انفعالا من مجرد التفكير انه افتقدها ولم يطق ان تغيب اكثر ...

تمتمت من بين اسنانها وقد تفاقم الغيظ منه ومن نفسها " اريد ايضا ان اكلمك عن .. اجازتي .. سيدي ..."

شفتاه ارتعشتا قليلاقبل ان يقول بصوت أجش

" افتقدت وجودك في مكتبي .. ثم افتقدت وجودك في مؤسستي ... "

كان يحدق فيها كما لم يفعل من قبل ..

نظراته اليها كانت اكثر مما تحتمل بعد كل الجفاء الذي نالته منه في الشهر الكريه الذي مضى ...

صوتها خرج همسا وهي تراه يقترب منها كالفهد المتأني " سيد ايهم .. انا ..."

لم تستطع اتمام جملتها وهو يقف على بعد سنتيمترات منها ليقول برقة وعيناه تمشطان ملامح وجهها " نعطي بعض الراحة لل(كنز) فهي مقبلة على زواج وشيك كما يبدو ... لذلك انا احتاجك ... انتِ "

كان النبض جنونيا وليس بمقدروها فعل شيء للسيطرة عليه .. تمتمت ببلاهة " نـ...نعم .."

فسألها بعتب رقيق " اين كنتِ .. ؟! "

ردت باستسلام وصوتها يخذلها " في بلدتي .. اشتقت لابي .. لاختيّ ... "

ضحك بخفة وهو يقول " وزوجة ابيك لا ؟!"

أحنت رأسها بخجل ولم ترد بينما اضاف هو بنبرة مميزة مؤثرة " ثلاثة ايام تغيبين ألم تشتاقي .. للعاصمة ؟"

طال الصمت فبدا انه سينتظر الرد منها مهما تأخر ... تشابكت يداها وهي ما زالت محنية الرأس لترد بتحشرج " اشتقت .. لخالتي .."

همس برقة " محظوظة خالتك ..."

ثم فجأة ابتعد عنها وكم كانت ممتنة !

لقد اوشكت ان تنهار ...

سمعته يقول وهو يبتعد " سنبدأ من جديد ..."

رفعت رأسها اخيرا لتجده يجلس على كرسيه بينما هي تتمتم بغباء " ماذا ؟ ..."

غمزها وهو يمد سبابته بتحذير مداعب " كوني مطيعة والا غضبت مرة اخرى واستبدلتك بالحسناء هيفاء .."

كلمة الـ(حسناء) استفزتها واشعلت غيرتها بشكل رهيب لتقول بحنق واندفاع " لايصح ان تلقبها بالحسناء .. لااعتقد خطيبها سيسعده الامر .."

حالما خرجت الكلمات من فمها حل الندم ضيفا خانقا على صدرها ...

عضّت شفتها السفلى بينما تراه يشابك اصابعه كفيه امام وجهه بينما يضع كوعيه على مسندي كرسيه ...

بدا كمن يدرس ما تقول دون ان تفارقه ابتسامته ... ثم انهى الامر وهو يقول ببساطة

" انه بيني وبينك فقط .. الا اناديك دوما بالسمراء ذات الجدائل ؟"

كانت تشعر بالخطأ .. هناك امور كثيرة خطأ تحصل وهي اضعف من ان....

ترفضها بحزم ...

تقاومها بجدية ...

تمتمت وهي تحاول جهدها " حتى انا .. لايصح هذا سيد ايهم ... نحن .. موظفات عندك .. "

سألها بنبرة ثابتة وهو يحدق فيها

" هل ستمنعيني ؟ "

عادت لتعض شفتها السفلى وتقول بارتعاش " انا لااملك ان امنعك .. انا فقط اوضح لك .."

للحظات كان على نفس الوضعية يراقبها بتمعن وهي تقف امامه وكأنها تقف امام امواج بحر عالية .. قادمة اليها .. و ... ستبتلعها ...

قال اخيرا وبصوت منخفض " اتنازل عن مناداة هيفاء بالحسناء لكن انت ..."

تلكأ قليلا قبل ان يضيف برقة " احب ان اناديك بالسمراء ذات الجدائل ... تليق بك .. وتشعرني اني .."

قاطعته وقد شعرت ان الامر فوق احتمالها

" ارجوك سيد أيهم .."

فسألها بنفس النبرة " كم عمرك جدايل ؟ "

ردت وهي تحني رأسها " اثنان وعشرون .."

فقال بفكاهة ناعمة " اذن فانا عجوز بالنسبة لك ... اكبرك بأحد عشر عاما .. وعلى هذا اعتبريني كالاستاذ نامق .. الا يدللكن قليلا في قسم الارشيف ؟ "

رفعت رأسها لتقول بارتباك " الاستاذ نامق لايفعل .. كما انك .. اقصد لست عجوزا لهذه الدرجة ..."

ما ان قالت جملتها الاخيرة حتى انفجرت امواج من الضحك الرجولي الجذاب ...

كانت مذهولة وهي تفتح عينيها على وسعهما لتراه لاول مرة يضحك بهذه الطريقة .. لاول مرة تراه وتشعر به يضحك من قلبه ...

بدا مفعما بالحياة و بطريقة مميزة لايمكن ان توصف ...

وكأنه يحاكي افكارها فقال بغموض ساحر وضحكاته تهدأ قليلا

" مضى زمن لم اضحك من قلبي هكذا ..."

ثم همس " حقا افتقدت وجودك يا سمراء .."

علمت هيفاء انها ستجده هنا ..

يدخن سجائره ..

لم يعد يأتي لمقهى الشركة الا نادرا ..

اخذت نفسا عميقا وحركت شعرها المحلول قليلا لتنفض عنها بعض التوتر ثم ... وبثبات خارجي يعاكس الرعب الذي تعيشه في داخلها .. تقدمت نحوه تطرق بكعب حذائها العالي ...

تتمتم في سرها ....

لم يعد هناك مجال للتراجع يا هيفاء ..

صوت كعب امرأة مؤكد يجذبه ..

انه موسيقى فنية بالنسبة لأذنيه ...

رفع رأسه قليلا فرآها ....

زفرة حارة انطلقت من صدره وهو يتمتم

" واي امرأة ؟! ..."

احساس ببعض الضيق راوده ...

تذكر ترحيب والدها المبالغ فيه ... ثم ترفع اخته وهي تخبره كيف ان ام هيفاء تتصل بها يوميا وكأنهما اصبحا عائلة واحدة !

كلها اشارات لاتعجبه ...

يشعرها اشارات مهينة لهيفاء بطريقة ما ...

وهو لايريد اهانتها .. هو يريدها فقط ان تكون له ...

يعلم انه يضغط عليها .. وقد اختار اهلها ادوات له ... لكنها هي ايضا تضغط عليه ...

يكاد لايقترب منها لانه ليس واثقا بقدرته على ضبط نفسه ...

يكفي ما حصل في المرة السابقة ...

كما انها تتجاهله فيثأر لنفسه ويرد لها التجاهل ...

يدّعي اللامبالاة والثقة لكن اعصابه تتحطم بانتظار ردها ...

كم يخشى ان تجد قوة لتقول ... لا ..

تكاد تصل اليه وصوت الكعب يشوش تفكيره ... اقسم سيشتري لها اثني عشر زوجا ويجعلها تتجول في انحاء بيته مرتدية اياها تباعا ...

وقفت امامه.... شامخة ..

متباعدة .. لكن عازمة ..

لم يفلت السيجارة من يده فسحب منها نفسا وهو يرخي اهدابه ويتلبس ملامح اللامبالاة ...

لكن القلق استبد به .. ملامحها لاتنبا عن خير ابدا ...

سمعها تقول بصوتها الانثوي الذي يرجف قلبه لنبراته ...

" مرحبا باسل .."

فيرد وهو يسحب نفسا آخر يتلاهى به عنها

" مرحبا .."

القت كلماتها بثقة ودون اي تلكؤ

" انا موافقة على الزواج منك .. "



ارتعشت يده فسقط رماد السيجارة يحرق ظاهر

كفه دون ان يشعر !

الحريق الحقيقي ..

اندلع ...

اندلع من الداخل ...!

الفصل السادس

كان ما يزال يحترق بينما هي تسترسل غير
شاعرة بما اشعلته فيه لتقول بنبرة ثابتة
وعينين صافيتين تماما يملؤهما العزم

" لدي عدة شروط عليك ان تستوعبها بشكل
جيد ..... اولاً... "

توقفت عند (اولاً) بينما عيناها حادتا عفويا
نحو يده المسندة الثابتة على مطفئة السجائر
الاسطوانية الضخمة فتلكأت قليلا وهي ترى
الرماد على ظاهر كفه وهو لايزيحه عنها !

الا يشعر بالاحتراق ؟!!

تغاضت عن تنبيهه للرماد لتعود وتقول " اولاً ..
اكره رائحة السجائر وهي مضرة للصحة
خاصة الاطفال لذلك ارجو عدم تدخينها
في البيت .. ثانياً ..."

تلكأت مرة اخرى لكن هذه المرة ارتباكا من
نظرته المستقرة على شفتيها بينما بدت شفتاه
متفارقتان قليلا وانفاسه تمر سريعا عبرهما ...

حسن .. عليها ان تكون اكثر حزما معه ...
عليها ان تجيد التصرف لتحقق ما تصبو اليه ..
لن تتراجع .. ابدا ..

تماسكت وهي تتجاهل تلك النظرات لتكمل
تعداد شروطها :

" ثانيا .. ان كنت أكره السجائر فأني امقت الخمر وأمقت شاربيه ... لذلك ان كنت تحتسي ذلك السم الزعاف وتنوي الاستمرار بعد زواجنا فساعتها لا تقترب مني وجد لك مكانا تبيت فيه .."

حدقت في عينيه الرماديتين ترى فيهما انعكاس صورة وجهها فتخرج الكلمات من فمها بدقة شديدة وتأكيد جليدي ووضوح ناصع " ثالثاً .. الخيانة .. وهذا .... فراق نهائي بيني وبينك ... فراق لارجعة فيه ..."

لم تتغير تعابيره !

فكرت بغيظ .. ما به لايبدِ اي اعتراض او ينطق بكلمة ؟!!

يدها تحركت لشعرها عفويا فكانت اول ما جعله يبدي ردة فعل لتتحرك عيناه مع يدها وتنساب على طول شعرها ثم تمادى وهو يلامس بتلك النظرات الوقحة عنقها ... جيدها .. ونزولا لـ.....

اخذت تغلي حنقا فهتفت من بين اسنانها وهي تشد شفتيها

" رابعاً .."

فعادت عيناه لترتفعان نحو شفتيها بينما تتابع بتهديد حقيقي " ركز مع رابعا هذه يا باسل .. لان كل الذي قلته لك سابقا قد تنسفه (رابعاً) نسفا ان لم تحققه لي ..."

ما زال يستفزها بصمته.... بينما عيناه ولغة جسده تتكلمان بصخب حول موضوع واحد لا غير ... موضوع لايحتاج لكلمات تفسره !

فهو موضوع بدائي .. منذ بدأ الخليقة ..

قوّت نفسها بهمس داخلي " اصمدي هيفاء .. انت تعرفين انه يشتهيك .. عليك التغاضي عن احساسك بالرخص ! عن احساسك بالقهر .. لقد كنت شجاعة وانت تواجهين .. وانت تخططين ... سوف تنجحين .. ان شاء اللّه ستنجحين .. ربك لن يخذلك .. لاجل طفلتك ..."

قالت اخيرا بثبات " رابعاً يا باسل ... صغيرتي .. قرة عيني .. جنتي على الارض .. دنياي وكل مهجتي ... انها شمس ... اياك باسل .. شمس هي كل شيء بالنسبة لي .. فايّاك ان تفعل اي شيء يمسها ولو بخدش صغير .. بل افضل ان لاتتدخل في اي تفصيلة تخصها ... فشمس .. لي وحدي .. "

ظلت تحدق في عينيه باصرار ..

مشاعر امومتها تتفجر في داخلها ...

يبادلها النظر .. اخيرا نظر لعينيها ..

قطع الصمت الذي طال ليسأل بصوت مبحوح

" هل انتهت الشروط ؟"

عقدت حاجبيها قليلا قبل ترد بتوجس

" نعم .."

عندها احنى راسه وبشكل جانبي يحيد
بكل وجهه ناحية المنفضة الاسطوانية
الرمادية ثم أخذ ينفض يده من الرماد الذي
برد وبتأنٍ دعس سيجارته يسحقها بتمهل قبل
ان يقول بنفس النبرة

" انا ايضا لي شروط ... في الواقع .. هما شرطان
فقط .."

سألته بريبة هذه المرة " ما هما ؟ "

عاد ورفع وجهه اليها محدقا فيها ملأ عينيه
وهو يقول " اولا ... قاسم لايذكر بيننا ابدا
كزوج سابق لك ... انه والد شمس لاغير .."

اتسعت عيناها بصدمة بينما يكمل بنبرة
جادة لكنها تفيض عاطفة حسية

" ثانيا .. ان تكوني لي .. كل ليلة هيفاء ..
دون ان اطلب .. اعلمي .. اني اريد هذا ..
وستفعلين كل شيء لاجل... هذا ..."

انه مجنون !

احمرت بشدة ورغما عنها بينما المزيد من
الافكار المقلقة تسيطر عليها ...

انه مهووس بالعلاقات الحسية .. يا الهي كيف
ستسيطر عليه ؟ كيف سترضيه ؟

كيف ستتمكن من موازنته ليفهم انها انسانة
قبل ان تكون امرأة !

فجأة اقترب جدا منها .. يكاد يلمسها بجسده
يهمس بصوت مبحوح " تعالي نخرج قليلا ..
الآن ... انا وانت فقط .."

ابتعدت خطوة للخلف وهي تحدق فيه وتقول ببرود ظاهري " انت تعرف اني لن افعل .."

تمتم وهو يقترب مرة اخرى " ولم لا ؟ انت خطيبتي الان .. حتى اني ..."

عاد ليحدق في شفتيها ويقول ببحة شديدة

" حتى اني لم ابارك لك .. لم اباك لنفسي .. وانا عادة احتاج لخلوة ... حتى ابارك كما يجب .. "

اجبرت نفسها على الثبات مكانها وهي تواجه نظراته المشتعلة بينما داخلها كان يرتعش .... قلقا ....!

ردت بعبوس متعمد " لاتتلاعب معي يا باسل .. انت تعرف اني لن اسمح لك بالتجاوز بيننا .. انا حتى لست خطيبتك بشكل رسمي "

اصابعه التفت في لحظة حول ساعدها ليسحبها اليه في اللحظة التالية بينما يهمس بلهجة متوعدة ولهاث حار " الآن.. كلانا سيلتزم الصمت حول ما ترفضينه مني .. لامزيد من الكلام بيننا حتى يتم الزواج ... لكن بعدها .. عندما تصبحين ملكي سنتكلم ... سنتكلم كثيرا يا هيفاء وسترين .. سترين ما آخر هذا الذي تفعلينه بي.. "

وقبل ان تقاومه كان قد اخلى سبيل ذراعها ثم تركها ومضى بخطوات نارية ....

اخيرا اطلقت العنان لارتعاشها ... لم تعد تنظر ناحية الدرب الذي سلكه فقد انشغلت بالقلق بل الرعب من الدرب الذي اختارت ان تسلكه معه في المستقبل .. السمتقبل القريب جدا ...

اخذت هيفاء نفسا عميقا تحاول جاهدة السيطرة على ارتعاشها الذي لايهدأ ...

للحظة مجنونة فكرت ان تتراجع وتنهي وكل شيء ..

للحظة... تفيض ضعفا وخوفا من المستقبل ارادت ان تتقوقع على نفسها وتترك الدنيا وما فيها لاهلها ...

للحظة.... ارادت الهروب والعودة لبيت عائلتها والاختباء خلف جدرانه ...

لكنها كانت مجرد .... لحظة ....

مجرد لحظة دحضتها سريعا ذكرى لحظة اخرى ...

لحظة في ليلة الامس بينما امها تقرّعها بقسوة لترى هيفاء ابنتها شمس تنظر اليها بعينين دامعتين ارتباكا وقلقا بينما ابتسامة عريضة مرتعشة تشق فمها..

ابنتها الصغيرة كان لديها القوة لتسندها بابتسامة ...

تصلبت عزيمة هيفاء وتقهقرت مخاوفها من مستقبلها مع باسل ثم بهدوء ملّست على شعرها لتتحرك بخطوات ثابتة ...

بعد يومين ...

" كل هذه السعادة لمجرد ان اعلنت هيفاء موافقتها على باسل ؟!!"

لم تستطع جدايل تمالك نفسها واخفاء فرحتها .. حتى مع هذه السخرية التي تبدر منه كنوع من المشاكسة يحب ان يمارسها عليها كما يبدو ...

تطلعت اليه بصمت وتلك الابتسامة الواسعة جدا تغمر وجهها بشعاع دفء خاص ...

ضيق أيهم عينيه مفكرا بسخرية " انها تحب الرومانسية ! حالها كحال اي فتاة بسيطة... لاتقاوم شعورا بالاثارة لمجرد سماعها لقصة ارتباط بين اثنين .. "

قست نظراته دون اي يشعر ليقول بنبرة حادة بعض الشيء " انت تنسجين خيالات رومانسية تافهة حول قصة هيفاء وباسل .. تتجاهلين ان هيفاء قد تكون سعت بحسنها لاصطياد باسل متغاضية عن حقيقة كونه رجل مزواج ..."

لو كان طعن احدهم بخنجر لما حصل على تعابير وجه كتعابير وجهها الآن !

تمتمت بتلك التعابير المتألمة " هيفاء امرأة محترمة جدا وفي حالها لاتهوى اصطياد الرجال بل حاول الكثيرون اصطيادها امام عيني وهي لم تلقَ لهم بالاً ..."

تلاشت قسوته ليميل رأسه قليلا يبتسم ابتسامة صغيرة ويمهس برقة

" لاتنزعجي من صراحتي يا صغيرة ..."

لكنها ما زالت تتألم ..

تتألم لسبب تعرفه وتتجاهل معرفته !

لتضيف بصوت متحشرج " اما باسل فقد يكون مزواجا .. انا لااعرف .. تاريخه ... لكنه معجب حقا بها .. استطيع ان ارى كيف ينظر اليها كأمرأة مميزة ... "

لقد قتل فرحتها .. شوه احساسها البريء .. ولسبب ما يعاني أيهم الآن من احساسين متناقضين ...

رضا شيطاني وانزعاج مقلق ...

مقلق له !

تحرك من خلف مكتبه بهدوء بينما تحني هي رأسها تغمره في شاشة الحاسوب المحمول على حجرها ، تحاول اخفاء دمعتين سخيفتين تتسرب من بين رمشيها ...

قامته اشرفت عليها وصوته جاءها شديد الرقة عظيم التأثير وهو يقول

" يا سمرائي الرومانسية .. ربما لاني عجوز جدا فلا ارى الامور بنظرتك الفتية هذه .. ربما أكون مخطئا وانت ترينها بطريقة اصفى واحلى .. "

رفعت عينيها اليه تخفي شهقة بكاء مخنوق لامبرر له ...

بدا وسيما بشكل عجيب ... عيناه تلمعان باحساس ما وهما تحدقان فيها .. شفتاه ترسلان ابتسامة خاصة لقلبها ...

كم تليق به لحيته الكثيفة هذه ؟!

تجعله رجوليا بل وكأنه الرجل الاوحد ...

وهو اضحى بالنسبة لها .. الرجل الاوحد ..

لم تستطع الا ان تهمس لقلبها وهي تحدق في عينيه

" آآآآآآآآه يا قلبي كم انت مغرم به .."

اشرقت ابتسامته لسبب غامض لم تتداركه ليقول بجدية مصطنعة وهو يعاود الابتعاد

" انهي عملك يا سمراء .. لاتنشغلي كثيرا بقصص الحب من حولك .. "

ثم التفت اليها غامزا وهو يقول بتملك

" لااحب لصغيرتي ان تتلوث براءتها ..باكرا"

احمرت بشدة لتحني رأسها وكلها ينبض ..

لاتملك الا ان تردد في سرها وبتحرر كامل

" احبك احبك احبك ..."

كان يعلم تماما ما يحصل لها ..

سيأتي يوم قريب تقولها بلسانها .. لكن ما زال مبكرا .. ليس الآن ...

يحتاج مزيدا من الوقت ..

هذه المرة غمره احساس كامل بالرضا طغى على اي احاسيس اخرى قد تقلقه ...

وبذهن متوقد انصرف لعمله بنشاط لم يشعره في حياته من قبل ....

يوم الخميس ..

تفاجأت هيفاء بحضور باسل عند المساء ..

لقد مرت ثلاثة ايام منذ ان اعلنت له انها موافقة على الزواج منه ...

ثلاثة ايام لم يكن يكلمها في الشركة الا قليلا وباسلوب رقيق مصطنع يخص وجود جدايل الحالمة فيه!

وان لم تكن جدايل معها يكتفي بالقاء تحية باردة ...

تكتم هيفاء تنهيدتها وهي تحدق بجلسته الهادئة قرب كرسي والدها بينما امها اختارت ان تجلس بجواره على نفس الاريكة ..

هذه المرة لم يحضر اخته الكريهة معه ...

وكم كانت هيفاء ممتنة لغياب تلك المرأة..

لكن ما ازعجها وجعل صدرها يضيق هو استقبال والديها لباسل بترحاب مبالغ فيه اكثر من المرات السابقات ...

يبدو انهما خشيا بأن باسل شعر بالملل من طول الانتظار ...وكم شعرت هيفاء بالخزي بينما امها تطلق الزغاريد ....

فقط نمير كان هادئا شبه متحفظ ...

لم يحاول ان يكلمها سابقا عن موضوع زواجها من باسل وهي شبه متأكدة بان والديها منعاه التدخل بشكل قطعي ...

جلس الجميع بينما اختارت شمس ان تجلس في حجر خالها وهي تتطلع بفضول في وجه باسل

الذي اكتفي بتوجيه ابتسامة صغيرة لها لاغير ...

اغتاظت هيفاء واوشكت ان تقفز اليه وتمزق وجهه ..

الا يفترض ان يبذل ولو جهدا بسيطا ليهتم بطفلتها ؟!

ما اثار غيظ هيفاء اكثر انه لم يكن ينظر اليها هي ... هي عروسه !

هل ينتقم منها لانها رفضت الخروج معه ذلك النهار ؟!

تطلعت اليه بينما امها تأخذ كل انتباهه وهي تدللّه وكأنه ولدها الوحيد العائد توا من سفر طويل !

ضحكات والدها تتعالى مع كل طرفة يلقيها باسل بينما امها يكاد يغمى عليها من الضحك !

نمير يضحك بخفة ايضا .. فقط شمس ما زالت تبدي اهتماما وفضولا حول هذا الزائر العجيب ....

اخيرا وجه باسل نظرات هادئة ناحية هيفاء ثم ابتسم بلطف وهو يخرج من الكيس الذي احضره معه علبة مجوهرات صغيرة ...

ليقول وقد لمع تحد في عينيه ناحية هيفاء

" احببت ان اقدم هدية لعروسي بما انها وافقت اخيرا على طلبي ..."

التمعت عينا الأم ابتهاجا وفخرا و.. ارتياحا ...

بينما هيفاء يزداد احساسها بالغيظ لتكبته

بينما تسمع والدها يقول " بارك اللّه فيه يا ولدي .. انت ابن اصول ... وجعل اللّه حياتكما بداية جديدة لكليكما كلها خير وبركة"

تمتم باسل وهو يحدق في هيفاء بغرابة

" اشكرك عماه .. انتم اهل خير وكنت محظوظا بموافقتكم "

هل كانت لمحة سخرية خفيفة في جملته الاخيرة ؟ هل كانت موجهة نحوها بشكل خاص كما شعرتها ؟!!

شمخت هيفاء بذقنها دون ان تنطق بكلمة .. ليعلو صوت لم تكن تظن ستسمعه ابدا يبدي رأيا ... وايّ رأي ؟!!

كان صوت اخيها نمير وهو يقول بهدوء وبعض الرسمية " اعتقد سيد باسل يجب ان نتكلم بشكل واضح في حقوق اخرى لاختي ... حقوق هي ضمانة حقيقية لها"

عبس الاب بشدة بينما اشتعلت عينا الام بالغضب قبل ان تقول من بين اسنانها تكتم غضبها " لاداعي لهذا الكلام يا نمير ، والدك وباسل اتفقا على كل شيء فيه الصالح لهما معا .."

تجاهل نمير تحذير والدته الصريح ونهيها اياه عن التدخل كما تجاهل نظرة التحذير في عيني والده ليبتسم قليلا قبل ان يقول باصرار خفي " بعد اذن والدي احب ان اقول شيئا صغيرا لمصلحة اختي .. "

عندها كان صوت الاب قاطعا منزعجا للغاية وهو يقول " لقد تكلمنا في كل شيء يا نمير كما قالت والدتك .. المقدم والمؤخر وحسن المعاملة لهيفاء وابنتها .. ماذا هناك اكثر من هذا اغفلناه "

كان باسل يلتزم الصمت التام وبدا لعيني هيفاء المراقبتين انه قلق ..

لكنه ذكي وسيجد منفذا لأي شيء ..

انه مصمم على نيلها ولن يتنازل ...

لاشعوريا احاطت هيفاء جذعها بذراعيها وكأنها تطمئن نفسها بنفسها ..

بينما قال نمير وهو يتطلع لباسل مباشرة

" سيد باسل .. علمت انك تسكن في شقة اشتريتها مؤخرا في منطقة سكنية راقية .. ولحسن الحظ لم يسبق لك الزواج فيه .."

جملته الاخيرة لم تخلُ من السخرية فنهرته امه بقوة " نمير ! لايصح هذا ..."

لكن باسل تدخل لاول مرة ليقول بهدوء

" لا خالتي .. دعي نمير يعبر عن كل ما يختلج في نفسه من مخاوف وانا كفيل بطمأنته على مستقبل هيفاء معي .."

عندها قال نمير بصراحة شديدة وبشكل مباشر " اذا كنت تهتم حقا لأختي فاعتقد من حقها ان تسجل الشقة باسمها ..."

شهقت الام جزعا وهي تتطلع لباسل الصامت بينما تجمدت عينا الاب وقد عجز عن تلافي انفلات الامور من يده ...

كانت هيفاء هذه المرة من تدخلت لتقول بصوت متأثر

" لاداعي لهذا يا اخي .. "

ابتسمت بامتنان لبادرة اخيها التي مست عمقها وابهجت قلبها .. على الاقل اخاها الصغير يرفع من قيمتها ولو ببادرة كهذه ...

ثم التفتت ناحية باسل لتقول تطمئنه

" لااريد شيئا من هذا يا باسل .. انا وافقت على الزواج بناء على اتفاقك مع ابي .."

تنفست الام الصعداء واسترخت ملامح الاب

بينما صمت نمير يطرق براسه قليلا وهو

يلاعب يد شمس باصابعه ...

حتى جاء رد باسل ليفاجئ الجميع دون استثناء

قائلا

" الشقة سأكتبها باسم هيفاء منذ الغد .."

ارتفع حاجبا هيفاء وهي تواجه نظراته الثابتة

المتحدية اليها لتتمتم بتأكيد لرأيها السابق

" قلت لك لاداعي لهذا ..."

لكنه أصر قائلا " بل سأفعل .. هذا حقك "

ثم التفت ناحية الاب لينهي اي مجال

للاعتراض من قبل هيفاء ثم قال

" عماه ما رأيك ان نقيم الزواج خلال اسبوع ..

او اسبوعين ... اعتقد سيكون الوقت كافيا

لنا .."

نبض قلب هيفاء ارتياعا من قرب الموعد

لتسارع في القول " لا .. ارجوك .. احتاج ..

لشهر .. فقط شهر واحد ..."

امتازت الام غيظا وهي تقول من بين اسنانها

" وماذا لديك لتستعدي ؟!! استطيع ان

اجهزك خلال اسبوع واحد .."

فيضيف الاب ممتعضا ايضا " اجل هيفاء ..

خير البر عاجله .. لا داعي للاطالة نظرا ..

للظروف.."

لكن هيفاء اصرت قائلة " احتاج لهذا الشهر .. ليس لاجلي فقط بل لاجل شمس ايضا .. تحتاج ان تستوعب ما سيحصل من تغيير "

عندها قال باسل وهو يكتم انفعالاته التي تتفجر بداخله " حسن هيفاء .. بداية الشهر المقبل سيكون زواجنا ان شاء الله ، حفلة صغيرة هنا وننطلق ... لبيتنا .. او اذا احببت ان نذهب لشهر عسل ايضا في اي مكان انا مستعد.."

عيناه فاضتا بما في نفسه نحوها بمجرد ان ذكر شهر العسل ، توردت رغما عنها ثم فجأة شحبت وهي تتخيل نفسها بين ذراعي رجل غريب ... رجل اخر يلمسها غير قاسم !

محت الصورة من ذهنها سريعا لتركز مع باسل وتهمس " لاداعي لشهر العسل ..."

عندها ارخي باسل اهدابه ليفتح العلبة التي طال مكوثها مغلقة في كفه ثم قال بصوت أجش " الآن هديتك .. "

عادت الام لتزغرد بينما يخرج باسل حلقة زواج مرصعة بفصوص صغيرة لامعة بيضاء ومعها سلسال رقيق وطويل بنفس الفصوص ..

وقف على قدميه فوقف الجميع معه بينما عجزت هيفاء عن مجاراتهم لتحدق فيه وهو يتقدم نحوها بثقة فوقفت اخيرا وبشكل آلي مرتبك وهي تتورد مرة اخرى ..

يدها كانت ترتعش في يده بينما يلبسها
الحلقة في بنصرها الايمن وزغاريد امها تتعالى
وكأنها اجراس خطر تزعق من حولها ...

اخرج السلسال وعندما حاولت اخذه منه
لتلبسه بنفسها رفض بحزم ليرفعه فوق راسها
ويلبسه اياها حتى استقر على صدرها ...

يداه تلكأتا كثيرا على شعرها وكتفيها ،
الوغد كان يلامسها بتعمد ..

نظرت اليه نظرة نارية فابتسم لها بشقاوة
متحدية ثم اخرج من جيبه حلقة من البلاتين
ليضعها في يدها المرتعشة ويهمس لها بخبث

" هنا فقط يحين دورك ..."

ببرود ظاهري شديد البسته حلقته وهي تحني
رأسها تستغل كثافة شعرها ليخفي تعابير
وجهها المضطربة ..

اصابعه كان مستعرضة نوعا ما .. ربما قد
تصفها بالغليظة ايضا ...

ارتبكت اكثر وهي تفكر كيف ستواجه
ملامسته لها ؟! كيف ستتعامل مع هذه
الملامسة الغريبة لجسدها ...

عندما انتهت امسك يدها قبل ان تتمكن من
سحبها ليقول بصوت أجش

" مبروك يا عروسي"

رفعت وجهها لتبتسم له على مضض بينما
شعرت بأن هناك من يسحب ثوبها الازرق
فالتفتت لصغيرتها لتبتسم لها ملأ وجهها
وتأخذها من خالها وهي تقول لها برقة

" ماما تحبك وستأخذك لمكان جديد
سيكون بيتك وحدك يا قرة عيني "

عبست شمس قليلا وهي تحدق في باسل
بفضول ثم سألت بعفوية طفولية

" سنذهب مع السيد باسل .."

ضحك الجميع وقد بدا واضحا انها تناديه
كما ناداه خالها قبل قليل ليداعب باسل انفها
بطارف سبابتها ويقول " بل مع العم باسل .. "

ثم فجأة اضاف باسل وهو ينظر في عيني
هيفاء بتحد خفي " اعتقد لااعتراض لك
لنعقد قراننا الاسبوع المقبل ، هذا افضل لنا
جميعا حتى ... نتواجد سوية اكثر و...
نتأقلم... مع بعض ... "

فتحت هيفاء فمها لتعترض عندما سارعت الام
لتقول " خير ما قلت بني .. على بركة الله "

ودون ان تعطي مجالا لاحد حتى يعترض
اخذت تطلق الزغاريد مرة اخرى وهي تكاد
تنهت ارهاقا !

الام لاتفكر الا في انه يجب ان يتم عقد
القران بأقرب وقت لترتاح وتضمن ان العريس
لن يفر هاربا .....!

الاربعاء .....

ايطاليا...

كان الوقت قرابة الفجر تركت قطعة
الصلصال التي كانت تعمل عليها لتقف على
قدميها وهي تلتقط قطعة قماش قذرة
تستخدمها لمسح يديها من اثر الصلصال ..

ترتدي ملابس مريحة لجسدها ..

بنطال قطني رمادي وبلوزة بيضاء شبه شفافة
فضفاضة للغاية وتتدلى دوما من الاعلى
لتكشف عن كتفها الناصع البياض ...

دوما تحب الشعور بالتدلل والارتياح ..

انه يمنح لذة الاسترخاء ...

تجولت نظراتها سريعا في هذا الاستديو
البوهيمي الذي استأجرته لتستقر بضعة
اسابيع فيه تلتقط انفاسها قبل ان تنطلق في
رحلة جديدة ...

تحركت بخطوات متكاسلة نحو مشغل
الاقراص فضغطت الزر وصدحت الموسيقى ..

ارخت اهدابها لتطبق جفنيها بينما الموسيقى
تبدأ هديرها ببطئ ثم تتعالى وتيرتها شيئا
فشيئا ...

ما زال جفناها مغلقين لتتحرك يدها نحو اعلى رأسها فتحل شعرها الكستنائي من عقدة متراخية لايمسكها الا فرشاة رسم قديمة وجدتها مرمية على ارضية الاستديو ...

يبدو ان رساما كان يستأجر الاستديو قبلها ..

تكوم شعرها حول وجهها وانتشر على كتفيها ... لقد استطال مرة اخرى وهذه المرة لن تقصه ....

فتحت عشتار عينيها لتلتمع زرقتهما المميزة بينما صخب الموسيقى يعلو ويعلو ....

استدارت لتتحرك بخفة نحو وسط الصالة الدائرية ثم بحركات متباطئة اخذ جسدها يتمايل ...

رفعت ذراعيها للاعلى واخذت تهز رأسها ببطئ اولا ثم تسارعت حركات رأسها وذراعيها تتنشجان للاعلى وكأنهما تستغيثان !

عيناها ما زالتا تلتمعان بل تشتد لمعتهما وحركات جسدها تنتفض برعونة ورأسها جن جنونه وهو يهتز في كل اتجاه ليتناثر شعرها في جنون ووحشية ..

بدت وكأنها تؤدي رقصة افريقية من نوع ما .. رقصة بدائية تعبر عن هذا الجحيم الذي ما زال يسكنها ...

تظن ثورتها هدأت ثم ... خبر صغير .. مجرد خبر تقرؤه في الصحف عن حضوره لمؤتمر ما في المانيا جعلها تتمزق حنينا وشوقا اليه...

اصبحت حركاتها اكثر عنفا فتلهث لكنها لاتتوقف بينما عيناها تعبران عما يختلج اعماقها من رغبة ذاتية لتمزيق هذا الجسد ... جسدها هي ...

جسدها الذي خانها قبل ان يخون أيهم ! ...

جسدها الذي حرمها من رجل حياتها لانه وقع في شرك السقوط في رغبات حيوانية قهرته تعززها احتياجات عاطفية حارقة وتمرد بغيض على كل شيء ..

فاحترق كل شيء في بضع ساعات !

شهقت اخيرا وهي تسقط على ركبتيها انهاكا..

شعرت بالعرق ينضح من كل جسدها فزاد احساسها بقذارته !

وقفت على قدميها بحركات عنيفة قاسية لتتحرك نحو الحمام .....

وهناك ... وتحت رشاش الماء اخذت تبكي ..

لاتبكي نفسها .. لاتبكي احتياجها ...

كانت تبكيه هو .. تبكي ليال طوال قضاها يبثها العشق وهي بادلته العشق دون ان تستطيع مجاراته ... دوما كان يتفوق عليها بتلك القدرة المجنونة على العطاء ...

كيف فعلت به هذا ؟!

صرخت من اعماق روحها " أيـــــــــــــــهم "

في مؤسسة سليماني...

نظر اليها لفترة طويلة بينما هي منغمسة جدا في العمل ...

اصبح يعرفها كخطوط كف يده ...

يعرف متى تدّعي الانهماك في العمل لتهرب من خجلها منه عندما يتعمد مداعبتها باسلوبه غير المباشر ...

ويعرف متى تكون منهكمة فعلا ..

كما الآن ...

حاجباها يتوتران ..

واناملها تتلكأ ذهابا وايابا على صفحة لوحة المفاتيح .. فتبدو تلك الانامل وكأنها تؤدي رقصة باليه ....

ترى .. كيف ستبدو لو أدت رقصة باليه لبحيرة البجع مثلا ؟!

هذا الجسد الرقيق الذي لايفتقر لانوثة من نوع ما كيف سيبدو لو أدت رقصة ناعمة حزينة كهذه ؟

عيناه لاول مرة تستكشفان جسدها بنظرة رجولية بحته ..

ترتدي المحتشم دوما .. تنورة طويلة نسبيا غامقة اللون وقميص طويل الاكمام بلون كريمي ...

ترفع شعرها كذيل الحصان في اغلب الاحيان

وبضع مرات فقط تتركه منسدلا دون ان تنسى

رفع بعض الخصل من الامام وكبسها للخلف....

لاتضع على وجهها اي زينة وتكتفي بملمع

شفاه يحاكي رقتهما ..

اخذ يفكر بطرافة ماذا لو اختار لها فستانا

على مزاجه ... ترتديه له وحده ...

عادت عيناه لتمران على جسدها ....

فيفكر .... اممممممم فستان مكشوف !؟

اجل ... قصير ومكشوف من الاعلى ...

يتعلق بحمالات رفيعة جدا على كتفيها

الاسمرين ، ويكشف عن ساقين نحيلتين

جذابتين ....

سيختار لونا محيرا له ... ما بين وردي وبرتقالي

... شيء يليق ببشرة سمراء دافئة ..

شديدة الدفء !

عبس ليسأل فجأة وبنبرة اجفلتها

" هل يجب ان تحضري في الغد ؟"

اهتز رأسها العصفوري وهي تستجمع افكارها

التي كانت تحصرها في العمل فتشتت على

صوته وسؤاله ...

همست بعفوية " اين ؟!"

ضيق عينيه قبل ان يقول ببعض الحدة

" قران هيفاء وباسل ... الم تخبريني انه

سيكون غدا الخميس ؟ "

رمشت للحظة قبل ان ترد بحيرة " مؤكد .. سيد ايهم ساذهب ... هيفاء لم تدعُ صديقة غيري "

توترت وهي ترى تعابيره الواجمة !

لم تفهم ما الذي ضايقه ؟!!

اسبل اهدابه ليقول بنبرة غامضة

" هل تعلمين ... مع بداية الشهر الجديد سترحل السيدة وداد وستأتي سكرتيرة جديدة تحل محلها ..."

شتت افكارها اكثر وهو ينتقل لموضوع آخر تماما ...

تمتمت " نعم ... اعلم .. اخبرتني هي .."

لم يرفع نظراته اليها بينما مد يده ليلاعب قلمه كما يحلو له ان يفعل احيانا ثم قال بنبرة مست قلبها واوجعته

" سأفتقدها ..."

همست بحشرجة متأثرة " مؤكد ستزورك باستمرار وتطمئن عليك "

عندها فقط رفع عينيه اليها يتطلع في وجهها بتعابير مبهمة ... بدا متأثرا وبنفس الوقت متفكرا !

لكن جدايل لم تستطع الا ان تشعر بالألم لاجله ... وكم تتمنى لو تعوضه بكل روحها..

انها تنتظر ..

فقط تنتظر ان يعبر عن حاجته اليها ..

تشعره يتردد نحوها .. واحيانا لاتفهم ما يصبو اليه او ما يريده حقا منها ...

تدرك عن يقين ان يبقيها قريبا منه وهي لاتحتمل فكرة ان يبعدها عنه ..

ان لا تحظى باهتمام خاص منه ....

لكنه بنفس الوقت يضع حاجزا من نوع ما ..

احيانا يعاملها برقة متناهية تذيب الصخر لكن دون ان يتجاوز حدود صداقة مزعومة غير معلنة بينهما ...

احيانا يؤكد لها انه يراها صغيرة ويحب تدليلها بل حتى ربما حمايتها ...

واحيانا مرعبة ينظر اليها بقسوة ويكلمها بحدة !

انه يعاني .. يعاني من شيء ما وقد اختارها لسبب ما ان تكون رفيقته في هذه المعاناة ..

في اليوم التالي ... الخميس ...

تنهدت جدايل جزعا وهي تنظر لمحاولات السيد مهيب الفاشلة لتشغيل سيارته !

شعرت بالرثاء لنفسها وهي تفكر انه مضطرة لتمشي حتى اول الشارع لتأخذ سيارة اجرة ...

كان السيد مهيب قد وعدها ان يوصلها لبيت هيفاء لكن ما باليد حيلة ..

تمنت ان لاتفسد زينة وجهها وقد وضعت القليل منها ...

احمر شفاه لامع لكنه جريء يليق بقميصها الحريري الاحمر ... وخط كحل اسود فوق الجفن العلوي جعل عينيها تبدوان اوسع واكثر سحرا ...

خالتها لم تكن راضية تماما لكنها تجيد محايلتها ...

جدايل تعلم ان سبب عدم رضا خالتها لانها تخشى من ان تثير اعجاب نمير ...

منذ ان علمت الخالة منيرة بوجود هذا الاخ لهيفاء وقد كرهته دون سبب !

ضحكت جدايل في سرها وهي تخطو اولى خطواتها على الرصيف لتبحث عن سيارة اجرة..

تنورتها الطويلة المستعرضة بقماشها الرقيق والوانها الجميلة البراقة تتطاير حولها فتثير في نفس جدايل الفرح وتتخيل للحظات انها تركض بهذه الملابس بين المزارع في بلدتها..

حتى شعرها سرحته وتركته حرا طليقا منحها شعورا رائعا بالانوثة ...

عادت للتفكير بخالتها وشعور بالذنب يكتنفها ...

كم تود مصارحتها بمشاعرها ناحية أيهم ، على الاقل حتى تدرك ان قلبها لن يكون مع سعد حتى لو عاد وحقق حلم امه وطلب ابن خالته للزواج ...

لكنها لاتجرؤ .. ليس فقط لانها لاتجرؤ على تخييب ظن خالتها ولكنها لاتجرؤ لانها لاتعرف ما مصير هذه المشاعر التي تتمكن منها يوما بعد يوم .. بل ساعة بعد ساعة ..

تنبهت جدايل لسيارة فضية تخفف من سرعتها وتجاري خطواتها الواسعة ..

التفتت للسيارة فوجدته شابا باسما يلقي عليها نظرات سمجة بينما يقول

" مرحبا ... هل تحتاجين لمن يوصلك ؟"

تأففت جدايل وهي تعيد نظراتها للامام تحدق بتجهم في نهاية الطريق وتدعو الله بأن تجد سيارة اجرة سريعا ولاتضطر لتحمل حرارة الجو ولا سماجة امثال هذا الشاب ..

عاد ليلح عليها

" هيا .. الجو حار وستفسدين هيئتك "

استشاطت جدايل غيظا فالتفتت اليه وقالت وهي تتخصر " اذهب لأمك يا فتى قبل ان افسد هيئتك بنفسي "

ضحك الشاب عاليا بينما جدايل تزفر بقوة كثور هائج ...

سيارة حمراء مميزة خطفت بهما .. اشبه لسيارات السباق التي تراها في التلفاز ...

استغلت جدايل بحلقة الشاب اعجابا بتلك السيارة لتتحرك بخطوات اسرع حتى وصلت ناصية الشارع العام ...

وهناك اخذت تنتظر بفارغ الصبر سيارات الاجرة دون ان ترى واحدة ..

اخذت تتطلع لساعة يدها التي تشير لقرابة السابعة فكلمت نفسها بضيق

" ساتأخر كثيرا ان لم اجد سيارة الآن ! "

رأت سيارة اجرة فاشارت لها بلهفة ليؤشر لها السائق ان تتحرك للامام قليلا بينما سبقها هو ببضعة امتار ...

ادركت ان معه حق فالمكان الذي تقف فيه غير مناسب لوقوف سيارة لانه سيتسبب بعرقلة شديدة لتدفق السيارات الاخرى ..

كانت قد خطت خطوة او اثنتين عندما شحطت اطارات سيارة حمراء لتقف بجانبها بتهور ورعونة ..

عبست جدايل وهي تتطلع لهذه السيارة العجيبة بنوافذها المعتمة التي تخفي راكبيها بينما وقوفها المفاجئ هذا وفي هذا المكان تسبب بعلو ضجيج ابواق السيارات المعترضة ...

تجاهلت فضولها على مضض لتتحرك ناحية سيارة الاجرة التي تنتظرها ...

اوشكت ان تتجاوز بابها الاحمر الناصع عندما فتح ذلك الباب على حين غرة ليمنع خطواتها من تجاوزه بينما علا صوت تعرفه بل تحفظ كل نبراته وتعشقها نبرة نبرة .. ليقول لها بنبرة آمرة هذه المرة " اصعدي جدايل ..."

صدمت بوجوده لتتحني بغباء حتى تواجهه وتهمس بغباء " سيد أيهم ؟!! ماذا تفعل هنا ؟"

اشتعلت نظراته وهي تحوم عليها ..

وجهها .... شعرها ... ملابسها ...

ليهدر بقسوة " اصعدي ... حالا ..."

اضطربت جدايل اشد الاضطراب وعلت الابواق بل بدأ البعض بالصراخ وحتى الشتيمة ..

عيناها لمحتا سائق الاجرة وهو يلوح بذراعه دون معنى قبل ان يتحرك ويتركها !

زمجر أيهم " اصعدي ..سآخذك لبيت هيفاء بنفسي ..."

دون تفكير وجدت نفسها تجلس بجانبه
وتلك السيارة المنخفضة الغريبة تنطلق
بجنون كجنون صاحبها ...

لم تعرف كم مر على هذا الجنون وهو يقود
سيارته بهذه السرعة المنفلته في شوارع
المدينة ..

يتمايل يمينا ويسارا باستهتار وكأنه يستفز
الجميع ويتحداهم !

جدايل تجلس مكانها مسمّرة مصعوقة يد على
حافة الباب بجانبها ويد اخرى تتمسك بحافة
مقعدها الجلدي الاسود ..

عيناها لاترفّان وتكاد تحبس انفاسها تماما

جاءها أمر اخر منه وهو ينحرف بقوة يمينا
ليتجاوز بضعة سيارات " استرخي .."

ارتشعت يداها وهي تتشبث من الجانبين ارتعابا
لتتمتم بتوسل " ارجوك .. خفف سرعتك ..
سأصاب بنوبة قلبية .."

نظرة جانبية منه فأدرك شدة شحوبها لتهدأ
ثورته المجنونة ويخفف سرعته ...

ابتسم ابتسامة جانبية قاسية وهو يقول
ساخرا " هل هكذا افضل ؟!"

لم تنظر اليه .. لم تجرؤ ان تواجه جبروته
الآن .. الآن وهي تحت رحمته .. بمفردهما
تماما .. في سيارة اشبه .. اشبه بعلبة كبريت
منبعجة من الاعلى ....

اخذت عدة انفاس وهي تتجلد لتواجه هذا الموقف الذي لم يخطر لها على بال ..

يا الهي .. ماذا حصل ؟ كانت تمشي في الشارع سعيدة بهيئتها ثم ... تحرش بها احدهم .. فخطفت سيارة حمراء من جانبهما .. ثم وصلت لنهاية الطريق واوقفت سيارة اجرة .. و ... و ...

تمتمت بنبرة مذهولة وهي تتطلع حولها خارج السيارة

" ارجوك .. فقط انزلي على ناصية الشارع وسآخذ سيارة اجرة بنفسي "

رد ببساطة وثقة " لن افعل ..."

ابتلعت ريقها لتتشجع وتستدير بجسدها ناحيتها ..

كان قريبا جدا .. قريبا تستنشق رائحته مباشرة من فوق جلده .. تستشعر حرارة جسده لاول مرة وبطريقة لم تحصل لها من قبل مع اي انسان ..

ملابسه السوداء اتخذت هيئة بوهيمية وقد ترك بضعة ازرار مفتوحة اعلى قميصه لتنكشف من بين حافتي القميص قلادة جلدية سوداء تنتهي بقطعة معدنية فضية متدلية منها وبدت .. بدت على هيئة وجه مخيف اشبه باقنعة قبائل الادغال الافريقية...

لاتعرف لم ارعبتها تلك القلادة ..

لاتعرف لم ارعبها هو شخصيا ...

كان مرعبا ... مرعبا بشكل لايصدق ..

همست بلهاث

" اوقف السيارة لو... سمحت... سيد أيهم .."

التفت اليها وعيناه تتحركان صعودا ونزولا عليها قبل ان يهمس بعناد رقيق

" لن افعل ... "

احمرت بينما رعبها منه يسلك طرقا وعرة واشد خطورة ...

تمتمت باختناق " أ..أرجوك .. "

ابتسم لها ابتسامة حطمتها بينما يتدلل كصبي مشاكس

" تعالي معي وشاركيني العشاء .."

ابتلعت ريقها باعجوبة واجلت حنجرتها وهي تقاوم ذوبانها امامه لتردد بتلعثم

" مـ..مـ..ماذا؟!؟"

مازال ينظر اليها ليسحرها بنبرة صوته وهو يبتسم لها ويقول " هيفاء سيكون الجميع معها الليلة ومؤكد ان باسل لايريد صحبة اكثر ..بينما انا ... وحيد .."

قلبها سيتوقف حالا ان لم يرحمها من هذه الابتسامات والنظرات و ..و .. يا الهي ....

تمتمت وهي تعاني الصمود امامه " تعرف لااستطيع .. حتى لو لم يكن حفل هيفاء.. لايجوز ان اخرج برفقتك .. وجودي هنا معك ايضا لايجوز... انه .. خطأ... "

هزّ كتفيه وقال بخفة " لماذا ..؟؟ نحن صديقان ... هل نسيتِ ؟ انا صديقك العجوز الذي يدللك دوما بالسمراء ذات الجدائل واليوم هذا العجوز يشعر بالوحدة ويحتاج ...."

توقف قليلا لينظر اليها ويهمس بصوت مبحوح " اليكِ ..."

دمعت عيناها دون ان تعرف السبب!

تحشرج صوتها وقد بدت وكأنها ستبكي حقا

" سيد أيهم .. ارجوك كفى .. انزلني هنا .."

حدق فيها بغرابة ولوقت طويل قبل ان يقول بنبرة باردة

" تبدين متشوقة للذهاب للحفل بهذه الهيئة والزينة .."

فتحت فمها لترد عندما اضاف بنفس النبرة

" سأوصلك لبيت هيفاء ..."

لم تستطع مجادلته اكثر ودعت اللّه ان يعينها فقط لتصمد باقي الطريق فهمست

" العنوان هو ..."

قاطعها بصلابة باردة " أعرفه ..."

تمتمة دهشة خرجت من بين شفتيها المرتعشتين " كيف ؟!!"

فرمقها بنظرة غريبة ليرد " بنفس الطريقة التي عرفت بها عنوانك "

انفاسها تتسارع لتجد شجاعتها في مكان ما من روحها المنهارة امامه لتسأله دون مواربة

" هل حضرت خصيصا لمنطقة سكناي ؟"

كان يتطلع امامه بينما يرد ببساطة اذهلتها

" نعم ... مجرد فضول وربما جنون لأراك كيف ستبدين الليلة ... "

ثم عاد والتفت اليها ليضيف وهو يرفع حاجبا واحدا " كنت محظوظا لان اجدك بسهولة في متناول يدي ... لكني اعترف اني مررت بك ولم اعرفك في البداية .. اقصد عندما كان احدهم يكلمك وبدوت ... غاضبة ! حقا لم اعرفك فاستدرت مرة اخرى حول الشارع لأعود واتأكد فوجدتك انت فعلا .... لماذا كنت غاضبة ؟ "

ردت باحراج شديد " كان يتحرش بي .."

قست نظراته وقد بدت هيئته كما كانت عندما صعدت السيارة معه فتمتم بتلك النبرة التي تخيفها

" ولماذا تبالغين بملابسك وزينتك ما دمت ستخرجين للشارع توقفين سيارة اجرة ، اذا كنت حقا لاتريدين التعرض للتحرش فلا تعطي غيرك الاسباب ليفعل ..."

ردت بحنق " كان السيد مهيب سيوصلني بسيارته لكنها تعطلت !"

شهقت والسيارة تميل بقوة ناحية اليمين ليوقفها برعونة على جانب الطريق فاهتز جسد جدايل واوشك راسها ان يرتطم بالزجاج الامامي لسيارته ...

كانت تتنفس بصعوبة بينما يسألها بصوت مكتوم " من مهيب هذه المرة ؟"

انتهت طاقتها .. انتهت تماما ... افلتت دمعاتها تباعا على خديها بينما تنظر اليه بعجز ...

لم تستطع فتح فمها بينما هو يرمي اللعنات ويضرب مقود سيارته شاتما بعنف وهي تبكي بصمت لاتعرف بم يفترض ان تجيب لتهدأ ثورة غضبه ...

لماذا هو غاضب هكذا ؟!

هل حقا يغار عليها ؟!

لماذا اذن لايسعدها الامر ؟

لماذا تشعر انها ليست غيرة حقا ..

انه شعور اكثر ظلاما من الغيرة ...

ثم .. بأي حق يحاسبها ؟!!

من هي بالنسبة له ؟!! لماذا لايصارحها بما يريد منها .. كيف يشعر حقا نحوها ...

انه يتملكها بطريقة همجية لاتعرف كيف تتعامل معها ...

تملك مخيف وحبها له يقيدها لتقاوم هذا التملك المبهم ...

فجأة شغل سيارته مرة اخرى وانطلق بها وهذه المرة كان صامتا .. صامتا تماما ...

وعلى بعد شارعين من بيت هيفاء اوقف السيارة فظنت انه سينزلها هنا فتحركت لتفتح الباب وهي تشكره بصوت متحشرج مخنوق

" شكرا .. سيد ايهم .."

اوقف تحركها باعتراضه البارد قائلا

" ساوصلك لباب البيت .. لكن اولا .. اعيدي امسحي وجهك .."

مد يده لينزل لها مرآة امامية صغيرة من سقف السيارة امام وجهها الملطخ باثار الكحل ثم عاد بجسده ليسترخي على كرسيه ويراقبها دون رحمة وهي تفتح حقيبتها بارتعاش لتخرج علبة مناديل صغيرة .. وببؤس ما بعده بؤس كانت تمسح الاثار واصلاح ما تم تخريبه ...

عندما انزلها في المرة التالية كان يقف على بعد بضعة امتار من بيت هيفاء ..

تمتمت هي بشكر أجوف لكنه اكتفي بالسؤال " كيف ستعودين البيت ؟ لاتقولي نمير ذاك سيوصلك ..."

اتسعت عيناها وهي تسمع اسم نمير يذكره أيهم بهذه الطريقة .. اختارت ان تتجاهل الامر فأطرقت وهي ترد بتعب

" بل السيد مهيب وعدني ان يعود لاخذي بسيارته بعد ان يصلحها ..هو يعرف العنوان .."

وقبل ان تأتيه نوبة غضب جديدة رفعت وجهها اليه وقالت بحقد طفولي " السيد مهيب هو جارنا الخمسيني وبناته المراهقات لايصغرنني بالكثير ..."

ثم فتحت الباب دون اضافة المزيد وغادرت سيارته لتصفع الباب بقوة دون اعتبار له تاركة اياه في ظلمته يحدق فيها وهي تبتعد رغما عن ارادته ...

ارتشفت هيفاء من كأس العصير في يدها بينما يدها الاخرى اسيرة يد ذلك الغليظ الاحساس الذي اصبح شرعا وقانونا زوجها ...

لم يخجل ان يقبلها على خدها بطريقة حسية حتى انها شعرت بارتعاشة جسده لملامستها هكذا ...

اما هي .. فقد سيطر عليها .. الخوف ...

كان عقد القران مربكا لهيفاء لكنها اجادت اخفاء ارتباكها ...

ارتشفت مرة اخرى من عصيرها وهي تنظر لامها التي اخذت تزغرد دون حساب وكأن ابنتها تتزوج للمرة الاولى ...

لم تترك احدا من الجيران او الاقارب لم تدعوه حتى ضج البيت بالمدعوين ....

انها تخطط لحفل زفاف ايضا والذي يفترض انه سيكون عرسا من نوع ما ...

اشفقت عليها هيفاء رغم كل شيء ..

لقد عاملتها خلال هذا الاسبوع بدلال مفرط ..
معاملة اميرات ... رقة ما بعدها رقة .. !

لقد اصرت عليها ان تأخذ اجازة لبضعة ايام
قبل موعد القران ... كما دللتها بالشراء ايضا
فاشترت لها الكثير من ملابس سهرة
واخرى بيتية ومنها منامات نسائية جذابة عدا
جهاز عروس من النوع الخاص جدا .. المغري
جدا وربما سيطيح بما تبقى من عقل باسل ....

التفتت لتنظر لعريسها فوجدته لايحيد
بعينيه الرماديتين بعيدا عنها ..

شفتاه متراخيتان بابتسامة حارة ..

مال ناحيتها بجرأة فادارت وجهها تحسبا
لحركة طيش منه لكنه همس " غدا سآتي
لاخذك حتى تري شقتنا "

ردت وهي تحدق بفستانها الكريمي

" سننتظرك "

سألها عابسا " سننتظرك ؟!!! هل ستأتي
والدتك ايضا ؟ "

وضعت كأسها امامها على المنضدة البيضاوية
الصغيرة وحاولت ان تحرر يدها الاخرى منه
فلم يسمح لها فرفعت ذقنها بشموخ وهي تواجه
نظرات النساء حولها ومن ضمنهن اخت باسل ...
نظراتهن جميعا تراوحت بين الغيظ والحقد
والتحسر !

انه صراع.......

صراع النسوة الدائم لاثبات الجدارة والقيمة
في مجتمع لايمنح قيمة الا بمسميات تافهة
لاجوهر حقيقي فيها ..

فمن مسمى (مطلقة) الى مسمى (زوجة) ...

تنتقل المرأة من اخر الصف لأوله ....

ووسط المسميات التافهة والانتقالات المستمرة
يضيع الانسان فيشعر بوطأة وحدة هي الأشد
وقعا في نفسه ..

وحدته وسط اقرب المقربين اليه ليدعي
ويمثل ادوارا اخرى لاتناسبه ولاتعكس
روحه...

التفتت هيفاء لـ(زوجها الوسيم) تبتسم له
فتشعر بهسيس انفاسه المتسارعة تأثرا بها
لترد على سؤاله الحانق بانوثة واثقة

" ليست أمي بل ستأتي معي صغيرتي شمس ..
انا وهي فقط معنيتان بالبيت الجديد الذي
سنسكنه ... معك ..."

تمتم شاتما بهمس فيضيف بقهر " لماذا يجب
ان ننتظر ثلاثة اسابيع اخر ؟! هذا الحفل
يكفي فتعالي غدا معي مع ابنتك لنعيش
سوية .. واي نقص ترينه في البيت انا كفيل
باتمامه .. "

ظلت على ابتسامتها بينما تراه يتحرق لهفة لامتلاكها فيعود ليهمس بصوت رجولي أجش وكأنه ادرك ما يجول في خاطرها " قد تجدينني غريبا بصراحتي معك وربما تفكرين اني صعب الارضاء لكني في الواقع سهل .. سهل جدا ... وربما ستكونين المرأة الاولى التي تكتشف طريقة ناجحة للتعامل معي "

رفعت حاجبيها قليلا واتسعت عيناها الجميلتان لتقول " هل حقا تريد -الآن تحديدا- الكلام عن زيجاتك السابقة يا باسل ونناقش اسباب فشلها ؟"

رد بابتسامة وعيناه على شفتيها اللامعتين باحمر شفاه ذهبي " ما زال اوان الكلام الذي اريده بيننا يبدو بعيدا .. بعيدا جدا .. "

ثم انحدرت نظراته لساقيها حتى وصل لحذائها الكريمي ذو الكعب العالي ليقول بحرارة " الكعب العالي خلق لاجل ان تعلوها هاتين الساقين فتعزف نغمة بخطواتها غير عن عزف كل النساء .."

احمرت هيفاء ولاشعوريا اخذت تعدل بيدها الحرة من فستانها وتجرجر به فوق ركبتيها بينما باسل يعتصر يدها الاخرى التي ما زال مأسورة في يده ..

اقترب نمير منها يبتسم بلطف بينما يمد لها العصير قائلا " تفضلي جدايل .."

نظرت اليه جدايل تبتسم بامتنان فشعت ابتسامته وبدت نظراته ترسل لها اشارات من نوع خاص ...

ارتبكت وهي تحني رأسها تشرب من عصيرها وتستمتع لهذره عن عمله بينما عقلها يردد صدى جملة واحدة (" كيف ستعودين البيت ؟ لاتقولي نمير ذاك سيوصلك ...")

لتفاجئ بالجملة تقال هذه المرة وبصوت نمير

" كيف ستعودين للبيت ؟ "

فسارعت لتقول بلهاث " جارنا السيد مهيب سياتي ليقلني ..."

عبس نمير قليلا ثم عاد وابتسم في وجهها ..

فارتبكت جدايل وهي لاتطيق صبرا لانتهاء هذه السهرة فتعود لبيتها تستعيد بعضا من توازنها الذي اختل ....

بعد ساعات ...

تنفست جدايل الصعداء وهي تغادر بيت هيفاء اخيرا الى الشارع شبه المظلم ، عيناها تبحثان بين السيارات المتوقفة هنا وهناك علها تلمح سيارة زرقاء قديمة الطراز لتجدها بعد دقيقتين على بعد اربع سيارات والسيد مهيب يلوح لها بذراعه عبر شباك سيارته ...

ابتسمت بارتياح شديد وهي تتوجه نحوه وتبتسم لابنتيه اللتين جاءتا معه ..

صعدت للسيارة وهي تحييهم جميعا ليتحرك السيد مهيب بسيارته بينما الفتاتان تسألانها عن العروس والحفل ..

كانت ترد ببشاشة

" لم يكن حفلا حقا .. كان مجرد ..."

تلاشت كلماتها كما تلاشى كل شيء حولها ما ان لمحت تلك السيارة الحمراء المميزة تقف نهاية الطريق... منعزلة عن باقي السيارات المتوقفة لتستقر في ظلمة داكنة !

رفّت عيناه ارتياحا حالما رآها تركب تلك السيارة القديمة مع الرجل الاشيب والفتاتين ..

اذن كانت صادقة ...

حسن ... هذا لاينفي انها قضت ليلة بصحبة المدعو نمير ...

شغل ايهم السيارة وانطلق بها ...

عقله صاخب كصخب هذه السيارة ...

يحتاج لمزيد من السيطرة على انفعالاته والا سيخيفها ..

يحتاج ان يتباعد قليلا... لقد اصبحت جدايل تؤثر عليه اكثر مما يريد ...

اصبح تملكها هوسا اكثر منه هدفا ...

قست نظراته بينما يضغط دواسة السرعة اكثر فانطلقت سيارته كوحش بري يفترس الشوارع افتراسا ....

اليوم التالي ... الجمعة ..

تتجاهل هيفاء نظراته منذ دخلوا جميعا لشقته الانيقة .. هي تمسك بكف ابنتها الصغير بينما باسل يقودهما بقلة صبر في انحاء الشقة ..

بدا مشتتا بشكل واضح وعيناه تتمهلان على جسدها الذي احتواه طقم انيق من سترة وردية فاتحة جدا مع تنورة ضيقة من نفس اللون ..

تنحنح وهو يريها غرفة المعيشة وغرفة جلوس صغيرة اضافية ، مطبخ بحجم مناسب ... حمام كبير اخر صغير ...

شقته انيقة جدا ومن طراز عصري حديث ، احبت غرفة الجلوس الصغيرة حيث الارائك اكثر راحة بقماشها المورد المبهج ...

بينما غرفة المعيشة الكبرى ارائكها جلدية بلون بني غامق .. رسمية وانيقة اكثر مما تلائم حياة اسرية ...

يبدو مسرفا ... يشتري ما يعجبه دون تردد ....

صحيح انه يقتني ما له قيمة حقيقية لكنه لايفكر في المستقبل ....

تفاجأت ايضا من شدة نظافة شقته الا انه وضح لها ان هناك منظفة تأتي كل يومين او ثلاث لتنظف الشقة ...

واخيرا صوته بدأ يفقد استقراره وهو يشير لاحدى الغرف ويقول " هذه .. غرفة الضيوف .. الشقة فيها اربع غرف كما اخبرتك ، تعالي لاريك .. اولا ... غرفتنا .."

الكلمة الاخيرة خرجت من فم باسل بطريقة حسية واضحة وقد كانت هيفاء محظوظة ان شمس اصغر من تدرك رغبات متأججة لرجل ناحية امرأة هي امها في الواقع ...

الوشاح الشفاف الذي ربط شعرها للخلف كان يتطاير بخفة مع كل حركة من رأسها بينما تبتسم لابنتها التي اتسعت عيناها الصغيرتان بفضول وترقب مع ارتباك من نوع ما ...

فتح باسل بابا الى اليمين وهو يقول بصوت مبحوح قرب اذنها " هذه غرفة نومنا ..."

توردت هيفاء قليلا بينما تتمتم بأدب

" جميلة .."

كانت جميلة حقا بلونها البني لكن السرير المزدوج اقلقها .. هل يحضر نساء هنا ؟

وكأنه قرأ افكارها ليقول بتسلية " احب ان اخذ راحتي بالنوم .. لااحب السرير الضيق لذلك اخترت سريرا مزدوجا ... "

هتفت شمس فجأة وهي تعقد حاجبيها بعبوس

" اين غرفتي ؟"

غمز لها باسل وهو يشير لها للخارج " انها في اخر الممر على الشمال يا صغيرة "

قفزت شمس لتترك يد امها وتهرول خارج الغرفة بينما نادتها هيفاء وهي تتحرك تتجاوز باسل نحو الباب لتلحق بابنتها

" شمس انتظريني ... "

شهقت بنعومة وذراعه عازمة تلتف حول خصرها تمنعها الفرار بينما ذراعه الاخرى امتدت من فوق كتفها لتغلق الباب ...

الصق ظهرها بصدره لتشعر برعدة تمر بجسده..

ابتلعت ريقها وعيناها على الباب الذي لم يغلق تماما... باب يجمعها به ويفرقها عن صغيرتها التي خرجت للتو تبحث عن غرفتها الجديدة ..

همست بصوت منخفض بينما تشعر بوشاح شعرها يُحل

" باسل .. توقف ..شمس ستعود و..."

كانت الرعدات تتوالى على جسده وهو يلامسها بكفه الجريء ويغمر وجهه بين طيات شعرها الكثيف الذي افترشه على كتفيها ليهمس بصوت مبحوح وشفتاه تصل بشرة رقبتها :

" آآآآه .... عندما رأيتك لاول مرة قبل عشر سنوات فكرت بفكاهة ان اختطفك من عريسك! الآن افكر كم كنت غبيا اني لم افعل ! "

هي الاخرى اصابتها رعدة ...

رعدة من نوع مختلف ..

اغمضت عينيها تحاول التماسك حتى لاتصرخ ذعرا!

لم تكن مستعدة لملامسة كهذه ..

ليست مستعدة لتنساق لتوابعها لا الآن ولا حتى بعد ثلاثة اسابيع ..

ربما هي مجرد انثى في نظر الجميع .. انثى لديها احتياجات قد جربت طعمها سابقا وربما تفتقدها ...

الكل يفكر بهذه الطريقة ويتناسون الاهم من الاحتياجات ...

يتناسون انها انثى جرحت في صميم انوثتها ولفظت بقسوة خارج محيط الاهتمام بشخصها وضعف كينونتها ...

تشبثت بزلة لسانه وهو يذكر ليلة عرسها فهمست وهي تحاول فك أسر ذراعه العنيد

" اتفقنا ان لانذكر قاسم كزوج سابق لي ..."

هذه المرة شهقتها اقوى بكثير وهو يدير جسدها بحركة سريعة لتواجهه ...

وجهه بتعابيره المتولعة امام وجهها بتعابيره المضطربة ... فزمجر وهو يحتضنها بقوة

" اجل .. لاذكر له بيننا .."

سيحقق اخيرا ما حلم به ... ان يعتصر جسدها المغري الذي يتلوى بين ذراعيه الآن .. لتجد اصابعه طرقا بين خصلات شعرها الذي يتناثر بعشوائية من حركة رأسها يمينا ويسارا لتبتعد بشفتيها عن مرمى شفتيه ..

كفّاها تحاولان ابعاد كتفيه لكنها اضعف من ان تفعل وهو اضعف من ان يحقق لها مطلبها بالابتعاد ...

لم يثُق في حياته لشيء قدر توقه الى ان يقبل تلك الشفتين... يقبلهما حتى يفقد القدرة على التنفس...

لكن الحلم لم يكتمل بل لم يتحقق بينما صوت الصغيرة يعلو ليسبق دخولها الصاخب

" ماما ... اريد دمياتي الحقيقيات لينمن بجانبي .. اريدهن كلهن ... ارجوك ... السرير كبير ماما ... كبير جدا... "

زفر باسل باحباط رهيب لهذه المقاطعة التي حطمته بينما يبتعد بانفاس لاهثة ليرى كيف ابتعدت هيفاء عنه ،

تخفي ارتباكها وتسيطر على انفعالها وهي تعيد ترتيب شعرها وتبتسم لصغيرتها وتعدها بشيء ما لم يصل لادراك عقله !

كان عقله يعاني من تحليل اسباب كل هذه الرغبة الجنونية التي يكنها لهذه المرأة ..

امرأة اصبحت زوجته .. وعليه ان يصبر ثلاثة اسابيع حتى .. يمتلكها ...

اما هيفاء فكانت تعيش دوامة اخرى ..

انها زوجته الآن ...

من حقه ان يمتلكها سواء الآن او بعد اسابيع ... لكنها ترتعش رفضا لتلك الفكرة..

لاتعلم لماذا ترفضها لهذه الدرجة..؟ لماذا ؟!!

عليها ان تجد حلا لهذا ... لقد وعدته .. كما وعدت نفسها وابنتها قبلا انها لن تفشل ...

انحنت هيفاء لتحمل طفلتها بينما توجه كلامها لباسل وبلهجة متماسكة قالت

" الشقة ممتازة ولاتحتاج لأي شيء "

التفت اليها باسل يحدجها بنظراته الحانقة بينما تكمل هيفاء وهي تبتلع مخاوفها ابتلاعا

" لا ارى داعيا ان نحضر هنا مرة اخرى .. اقصد حتى يوم الزفاف .."

ثم استدارت مباشرة تكلم صغيرتها وتضاحكها وكأن شيئا لم يكن !

" تعالي وساعديني في التنظيف يا فتاة لماذا تظلين قابعة في غرفتك هكذا ؟!! "

كان صوت خالتها منيرة يصلها عبر باب غرفتها الموارب مع ذبذبات التوبيخ الاومي المعتاد منها لكن جدايل لم تجد في نفسها قوة او رغبة لتستجيب وتنهض من سريرها ...

لم تنم ليلة الامس ولم تكف عن التفكير والتحليل لايجاد مخرج لها مما هي فيه ...

حتى اللحظة لم تستطع الوصول لنتيجة !

وهي لاتريد البقاء بهذه الحالة اكثر من هذا

ما معنى تصرفاته الغامضة المحيرة معها ؟

ما معنى تصرفاته الغريبة بالامس والتي تحمل الف معنى ومعنى خلف مسمى الغيرة ؟!

ماذا يريد منها ؟ ماذا ينتظر منها ؟

احيانا تشعره يشك فيها بطريقة مريعة ..

احيانا تشعره يريدها شديدة البراءة ... يعجبه الامر ويروق له الى ابعد حد ....

واحيانا ينظر اليها بقساوة وكأنها مصدرا لكل خسة وقذراة متوقعة بشكل حتمي !

داهمها صداع فوضعت ذراعها فوق عينيها تحجب نور الشمس المتسلل من الستائر لتغرق في الظلام ...

" جدايل ! ما هذا الكسل ؟!"

كانت خالتها الآن في وسط غرفتها تتخصر امام سريرها وتوبخها بحدة ...

تفاقم الصداع وتفاقم احساسها بالضياع وقلة الحيلة لدرء الالم عن قلبها ...

انسكبت دموعها ثم خانتها شهقات البكاء لتصل مسامع خالتها التي ضربت على صدرها شاهقة وهي تجلس بجانبها على السرير وتأخذها باحضانها تراضيها

" يا حبيبة قلب خالتك لاتبكي .. لم اقصد ازعاجك .. انا غبية احيانا ولااقدر تعبك طوال الاسبوع وان الجمعة هو يوم راحتك "

في احضان تلك الخالة الحنون انسكبت المزيد من دموع العجز وألم عشق لاتعرف نهاية له ....

لاتريد ان تعاني هكذا .. لاتريد ...

همست في سرها وهي تشهق بالبكاء في حضن خالتها " اخلع حبه من قلبي يا رب .. ان كنت سأتعذب هكذا لااريده ... اخلعه يا رب .. خلصني من عشقه ... "

يوم الاثنين...

رد تحية الصباح لها وهو يرمقها بنظرة هادئة غامضة كالعادة ..

هي ايضا القت التحية بهدوء ظاهري لتتحرك الآن نحو مكانها في زاوية مكتبه ...

لقد رأته بالامس في مقهى الشركة وتوقعت انه سيتجاهلها تماما الا انه لم يفعل ....!

بل ظل يطيل النظر اليها بشكل ملفت ...
حتى ان هيفاء ابدت امتعاضها صراحة لتسأل بغيظ

" لاافهم ما يريده منك ! لاافهمه حقا ..
لايبدو انه من نوع الرجال الذي يغوون الفتيات لينالوهن ثم يرموهن ! لكن بنفس الوقت هو .. هو .. غامض بشكل مغيظ .. ولايفصح عما يريده "

جدايل اكتفت بالصمت .. لم تعد تجد نفعا بكل هذه الحوارات العبثية ...

ما حصل يوم الخميس كان رهيبا بالنسبة لها ومشوشا لعقلها وقلبها على حد سواء ...

" جدايل ..."

اجفلت جدايل قليلا لتخرج من افكارها حوله......... اليه ...!

انها تدور في حلقة مفرغة..

اولها هو.... واخرها هو...

تمتمت بأدب " نعم سيد أيهم ..."

الفصل السابع

"جدايل .."

اجفلت جدايل قليلا لتخرج من افكارها حوله.......... اليه ....!

انها تدور في حلقة مفرغة ..

اولها هو.... واخرها هو ...

تمتمت بأدب " نعم سيد أيهم ..."

صمت للحظة قبل ان يقول بنفس الهدوء

" يوم الخميس كنتُ.... بحالة خاصة .."

احمرت رغما عنها لتتمتم بلا معنى " نعم .."

فاضاف وعيناه تبرقان " كنت بحاجة لجنون من نوع ما ليخرجني من جنون اخر ومن النوع .... المدمر!"

ابتلعت ريقها تهمس " انا... لاافهم ..."

اسبل اهدابه ليقول بصوت مبحوح وهو يبتسم

" لقد اخفتك اليس كذلك ؟"

لم ترد ....

وكيف ترد وهي تكافح لتتنفس ؟!

ما زال لايواجهها بنظراته بينما يضيف

" اعتذر على اخافتك .. لكنك اصبحت جزء من عالمي .. ويوم الخميس احتجت لهذا الجزء لافرغ انفجاراتي ..."

اخيرا رفع عينيه المؤثرتين لها يبتسم

ابتسامة دافئة ذائبة سكنت قلبها وتربعت

فيه ليهمس بصوته الرجولي " لم يكن يحق

لي فعل هذا معك .. انا اعتذر يا صغيرة ..."

رمشت جدايل ثم اخذت تحرك راسها وتتمتم

" لابأس ..."

فألحّ كطفل مشاغب

" اذن ما زلنا اصدقاء ؟ "

ردت بابتسامة مرتعشة

" لااجرؤ ان اقول لا لرئيسي والا سينفخني

خارج مؤسسته ... "

للحظة ارتفع حاجباه بدهشة محببة وهو يردد

" انفخك ؟!"

لتشق ابتسامة بطيئة شفتيه فتتسع تلك

الابتسامة لتصل عينيه وتشع منهما اشعاعا

وخلال لحظات كان يضحك من قلبه ..

مرة اخرى تراه يضحك هكذا...

يضحك ... ويضحك ....حتى دمعت عيناه..

انهار من الفرح سالت في اوديتها ...

فلا يملك قلبها المتيم الا ان يختض كزلال

بين اضلعها ....

بعد اسابيع ...

اسبانيا..

فتحت سابرينا ذراعيها لصديقتها فتستقبلها بالاحضان وتهتف بترحاب

" عشتار .... عشتار .. صديقتي الغائبة منذ اشهر ... لااصدق انك هنا مرة اخرى .."

احتضنتها سابرينا بدفء خاص بينما تتنهد عشتار ببعض الراحة وهي تقول بصدق

" انا ايضا اشتقت لك سابرينا .."

ابتعدت سابرينا قليلا وهي تبتسم وتحدق في صديقتها لتقول لها غامزة " لقد اصبحت انحف قليلا لكنه يليق بك جدا يا ساحرة .."

ضحكت عشتار وهي تتمتم " شكرا ..."

سحبتها سابرينا من يدها لتجرها وتجلسها على اريكة مريحة وتجلس بجانبها وابتسامتها البشوشة الدافئة تملأ وجهها الاسمر ...

بعد فترة قالت سابرينا بينما تقدم لها الشاي

" تبدين افضل حقا .."

ردت عشتار وهي ترتشف من كوبها

" انا اشعر اني افضل .."

سألتها سابرينا بشكل مباشر

" اذن ... هل نسيته ؟"

ارتعش الكوب في يد عشتار مما فاجأ سابرينا!

لاتعلم لم شعرت سابرينا ان عشتار اصبحت اكثر ضعفا نحو زوجها وانها ليست افضل حقا..

لترد عشتار بصراحتها المعهودة " أيهم لايُنتسى سابرينا .. لكني احاول اعتياد فكرة نسيانه .."

تنهدت سابرينا لتقول بجدية " عشتار .. راودتني فكرة بعد ان تكلمنا هاتفيا عندما كنت في شمال انكلترا ...هل تذكرين ؟ "

ردت عشتار بنزق " لماذا اشعر انك ستعودين لنفس الموضوع حول طلب المسامحة ؟!"

لكن سابرينا قالت " لماذا لاتحدثين ابن عمتك ذاك الذي قلت انه خان زوجته .. هو سيتفهم اسبابك ربما .. وقد مر بتجربة مماثلة .. كما انه من بيئتكم وهو رجل وسيفهم نفسية ايهم اكثر منك لذلك دعي ابن عمتك هو من يتكلم معه لا أنتِ .. "

ضحكت عشتار ضحكة جوفاء قبل ان تقول بسخرية " هذه اسوأ فكرة على الاطلاق ..."

عبست سابرينا وهي تتساءل " لماذا ؟!!"

ردت عشتار وهي تضع كوبها جانبا " أيهم يكره هيثم .. وابن عمتي يبادله الكره .."

ارتفع حاجبي سابرينا وهي تسأل بفضول

" لكن لماذا ؟! هل كان هيثم يرغب الزواج منك ؟"

ضحكت عشتار مرة اخرى قبل ان تقول

" لا على الاطلاق .. انا وهيثم لانتلائم نهائيا

... كما ان ابن عمتي كان من النوع الذي

يدلل نفسه بصحبة الفتيات اللواتي يمجدّنه

ويرضين غروره ...حتى زواجه بشهرزاد كان

نوعا من التدليل لذاته لانها كانت مدلهة

بحبه منذ صغرها .."

وضعت عشتار ساقا فوق ساق بينما تفتح رباط

شعرها وتسترسل بالقول " أيهم كان يكرهه

ويصفه بالبرود والغرور الأجوف وكان يراه

لايستحق امرأة رائعة كشهرزاد .."

سألت سابرينا وفضولها يتزايد

" تبدو شهرزاد هذه انثوية بشكل مميز

ليصفها زوجك هكذا "

هزّت عشتار كتفيها بلا مبالاة وهي تقول " انها

ناعمة جدا وتثير حمية الرجال من حولها

على الدوام بهالة الهشاشة الخاصة بها ، فوق

هذا جمالها الخمري مميز كلوحة فنية "

تعجبت سابرينا لتعبر عن عجبها بالقول " ألم

تشعري بالغيرة لان أيهم يدافع عنها ؟"

غامت عينا عشتار الزرقاوين لتهمس وهي

تتلاعب بخصلات شعرها

" ولماذا اشعر ؟! لقد كان مدلها بحبي انا.."

لم تستطع سابرينا منع السؤال المرتبك " ماذا لو ... اقصد .. لو .. عرف أيهم غيرك .. يا عشتار ؟ انتما منفصلان منذ أشهر طويلة فماذا لو أحب امرأة اخرى في هذه الفترة ...؟ هل فكرت في احتمال كهذا ؟ "

عينا عشتار تجمدتا تماما فبدتا رهيبتين بما تحملهما من معان مدمرة لتقول باختناق ونبرة ميتة لم تسمعها سابرينا في صوتها من قبل

" عندها يكون قد اخذ ثأره مني ...! "

كست الجدية ملامح سابرينا لتغرق بالتفكير وقد بدأ عقلها يذهب لنواح اخرى..

قالت سابرينا اخيرا وبنبرة ثابتة " اذن اذهبي اليه .. تواجها ... انت فشلتِ بتخطي الماضي بمفردك حان الوقت عشتار لتريني الفتاة القوية الشجاعة التي اتوسمها فيك .. واجهي الامر عشتار ... "

رددت عشتار وهي ترخي اهدابها " لن يسامح .."

هزّت سابرينا راسها سلبا بينما بدأت تحرك يديها تعبيرا عن انفعالها بالموضوع وهي تقول " لم اعد اهتم بالمسامحة عشتار .. الآن وانا اراك هكذا لااهتم الا بك انت كانسانة.. يجب ان تنهي الامر مهما كان صعبا او حتى مستحيلا ... لقد مضى عام كامل وانت لم تستطيعي حتى الغفران لنفسك ..."

بدت عشتار كمن يقاوم موجة ألم حادة بشجاعة لتهمس بحشرجة

" بل عشرة اشهر .. عشرة اشهر منذ.... خنته..."

لم تفقد سابرينا تركيزها لتصر على القول مفسرة كلامها اكثر " اذهبي اليه عشتار ... اعترفي بذنبك واطلبي غفرانه لا لتعودا معا بل لترتاحي انت.. بأنك تفعلين الصواب .. وربما تبدئين صفحة جديدة مع رجل آخر.."

ابتلعت عشتار ريقها فبدت ضعيفة بشكل لم تصدقه سابرينا ! هي ليست بهذا الضعف ... لتقول عشتار بصوت أجش " لن يكون في حياتي رجل آخر بعد أيهم .."

عقدت سابرينا حاجبيها وهي تقول " ليس مهما الآن موضوع رجل في حياتك ... انسي ذلك ... المهم الآن ان تهدأ النيران التي تحرقك من الداخل ... انت تتألمين عشتار وتكابرين على شعور الألم .. هل تعلمين ... لقد جعلتني ابحث عن النساء اللواتي ارتكبن خطأك واسألهن عن مشاعرهن .. فأجمعن ان طلب الغفران ينفع بتخفيف العبأ .. يجب ان تواجهيه عشتار بنفسك وتطلبي غفرانه .. لايهم ان عاد لك ام لا ... لا يهم ..

لا يهم سواء غفر ام لم يغفر .. المهم ان تقدمي على هذه الخطوة لتشعري انك فعلت الشيء الصواب ..."

شردت عشتار قليلا قبل ان تقول بهدوء " هل تعلمين .. في ليلة اشتد عذابها عليّ فلجأت لاول مرة للسماء ... احدق في وسعها البهيّ الذي يحتضن العالم اجمع دون ان يضيق به ...

عندها تجرأت وطلبت الغفران من اللّه على خطيئتي .. ربما اكون لست متدينة .. ربما اكون انسانة انانية بشعة من الداخل لكني اظل انسانة وهو من خلقني ويفهم عيوبي ويقدر زلاتي .. وكم اتمنى لو يملك أيهم قليلا من هذه الرحمة ليغفر لي "

كانت مفاجأة اخرى لسابرينا ان تسمع عشتار تتكلم عن اللّه بهذه الطريقة ...

امسكت يدها وقالت " الرب قوي عشتار .. انه ليس كالبشر عزيزتي ... نحن نخطئ ونطلب المغفرة على الدوام وهو يبقي ابوابه مفتوحة دائما في وجوهنا لذلك نحن لانجزع من رحمته لانه قوي وقادر على الغفران دوما ...

لكن البشر هم الضعفاء ولايجدون القوة الكافية ليسامحوا "

التزمت عشتار الصمت تفكر فيما قالته سابرينا والتي اضافت

" ما عليك الا ان تفعلي الخطوة الصحيحة التالية عشتار وهي ان تطلبي الغفران من أيهم هذه المرة ... وبعدها ... يجب ان تفكري جديا ببدأ صفحة جديدة في حياتك ..."

طال الصمت لتقطعه سابرينا بالسؤال

" ماذا قلتِ عشتار ؟ هل اقنعك كلامي ؟ "

هزّت عشتار رأسها بعشوائية لتقول بهدوء

" لدي رحلة طويلة حول فرنسا ... انها رحلتي الاخيرة ... ربما ...لاستعد خلالها ... واعدك بعدها سأحزم أمري لفعل ما تريدينه مني .. "

سألت سابرينا باهتمام

" كم ستطول هذه الرحلة ؟ "

فردت عشتار

" ربما شهرين او اكثر بقليل "

لتربّت سابرينا على كف عشتار وتقول بابتسامة مشجعة

" اتمنى لك كل الحظ صديقتي ..."

في ممر جانبي للشركة ارتفع صوت باسل وهو يمسك بساعدها

" قلت لك توقفي ! "

تأففت هيفاء بينما تلجم احساسها بالوجع في موضع ذراعها الايمن حيث يغرز هذا المعتوه اصابعه الغليظة عميقا في لحمها حتى وصل عظامها ...

حدقت فيه ببرود تراقب انفعالات وجهه واحتراق نظراته الهادرة بالغضب من اثر الكبت والحرمان ...

اخفت ابتسامة شريرة اوشكت ان تفلت منها ..

تعترف انها تشعر بالقوة وهي معه ، قوة عوضتها كثيرا جدا عن احساسها المقيت بالضعف طوال السنوات الماضية ..

ربما لانها تشعر بالسيطرة ووضوح الافكار وتحديد الاهداف ....

وربما لانها اصبحت مدللة عائلتها مرة اخرى وهم يعدون العدة للزواج المرتقب يوم الخميس القادم ...

حتى ابنتها شمس سعيدة وقد اعطت باسل في زيارته الاخيرة لبيت عائلتها كيسا كبيرا ممتلئا بدمياتها الحقيقيات كما تحب ان تدعوهن في اشارة الى انها تعتبرُهن صديقاتها من لحم ودم ....

هتف بها من بين اسنانه ليخرجها من افكارها (الشريرة) " لماذا ترفضين الخروج معي ؟! لقد فعلت كل شيء لارضائك .. حتى اني لم اضغط عليك اكثر بزيارة شقتنا لتجهيز بعض الامور ، كما لم اعبر عن سخطي وانت تجبرينني على مجالستك في بيت عائلتك فقط وبصحبة ابنتك او اخيك ... انت تتعمدين عدم الاختلاء بي رغم اني وعدتك اني لن اتمادى معك "

ضعف صوته مع اخر كلمات لتتسارع انفاسه ويرتخي جفناه وهي يحدق في شفتيها وضغطه يتضاعف على ذراعها مضيفا بصوت اشتدت بحته " وانت تعلمين جيدا حبيبتي كم يكلفني هذا من ضغط يودي للانفجار ! "

انها تعلم .. ؟ اجل تعلم ...

هي تسيطر عليه بتلك الحاجة المجنونة

لينالها .. وحتى هذه اللحظة لم تجعله ينل

حتى شفتيها ...

احبت لعبته وبنفس الوقت وجدت فيها ملاذا

لمشاعرها المرتبكة ..

لاتستطيع ان تشرح له انها ليست مستعدة

لعلاقة جسدية مع رجل غريب عنها ..

هو زوجها شرعا الآن .. هذا صحيح ...

لكنها ما زالت تشعر انها تخص رجلا آخر ..

لاتعلم كيف تفسر الأمر ..

هي فقط تشعر بالقذارة من فكرة ان تسلم

جسدها لرجل غير قاسم ...

ربما هذا بسبب باسل نفسه !

لانه لايشعرها انه يفكر فيها كزوجة حقا ..

بل يراها امرأة فقط ... امرأة اخذ موافقة

رسمية من ذويها والمجتمع بأكمله ليعيث في

جسدها فسادا !

لاشعوريا اخذت تهز راسها نفيا او ربما رفضا

فظن باسل انها تفعل هذا ردا على كلامه

الاخير ليقول من بين اسنانه " بل تعلمين ..

وتجيدين اللعبة ايتها المغرية الشقية ! كنت

اظنك جدية اكثر مما يجب لتفعلي هذا

لكنك تتلاعبين معي باحتراف ..

حسن هيفاء .. ملتقانا يوم الخميس القادم

وأريني كل العابك وسأريك العابي ! "

نفض ذراعها بقسوة ليلتفت وهو يقول ببرود

موجها لها بشكل شخصي

" قولي لشمس اني اشتريت لها دمية حقيقية

جديدة سمراء ووضعتها مع باقي اخواتها ..."

ثم اضاف بمكر غامض

" وقولي لـ(أم شمس) اني اشتريت لها اثني عشر

زوجا من الاحذية ! لاترتديهما الا في بيتي

واما ناظري انا وحدي...."

لسبب ما لم تثر غضبا وامتعاضا من جملته

الاخيرة حول الاحذية ذوات الكعوب

المرتفعة والتي تغريه كما تبدو..

وبدلا من ذلك اخذ عقلها يبعث بضعة اشارات

ضعفية لقلبها تأثرا بحقيقة شرائه دمية

لصغيرتها ...

لا ... ليس الدمية ..

انما اشارته لتلك الدمية بكلمة (حقيقية)!

انه ببساطة ادرك اهمية الكلمة عند شمس

وهذا فاجأها وربما .... صدمها ....

الاربعاء ...

تنظر اليه .. ثم تعود وتحدق في شاشة

الحاسوب وتكاد لاترى شيئا منها ...

تفتح فمها في كل مرة لتحاول ان تجد
شجاعتها وتتكلم لكنها تغلق فمها ولا تجد
الشجاعة ابدا ....

هو السبب ...

تعامله النائي عنها هو السبب ...

بعصاه السحرية اوجد الف حاجز وحاجز...
حواجز كلها ضبابية تتوه فيها ولاتجد طريقا
لتراه ....

لكنها تشعره قريب وسط هذا الضباب .. اقرب
مما تتصور .. تكاد تشعر بانفاسه على بشرتها!

تكاد تشعر بلهاثه الخفي وكأنه يخشى ان
تبتعد ... ان تفلت منه ....

فكرت وفكرت ...

عادت تنظر اليه تفتح فمها بغباء دون ان
تنطق....

عنّفت نفسها بغيظ " ما بك جدايل ؟ اين
لسانك الطويل ؟ "

عبست وهي تكز على اسنانه بينما تراه
منشغلا تماما بعمله ...

مرة على حاسوبه ومرة بين اوراقه واحيانا
يتركها ويذهب لقاعة الاجتماعات المجاورة
لمكتبه ...

يهملها كليا ... لكن بطريقة تثير الشجن ..

شجنها هي وحدها ..

ليس لاجلها بل لاجله هو ..

فيبدو لها وحيدا منعزلا عن العالم أجمع
ولايملك الا هي ليتشبث بها ...

ترى هل تخدع نفسها بالاوهام ام ان هذه هي
الحقيقة التي يخبرها بها حدسها ؟!

لم تصدق ان شفتاها نطقتا اخيرا وهي تقول
باندفاع محموم " عرس هيفاء وباسل غدا ..."

لم يبعد ناظريه عن شاشة حاسوبه وهو يقول

بلا اهتمام " نعم اعرف .. مبارك لهما ..."

عضت شفتها السفلى لتقول

" سيكون ..مجرد زفاف بسيط .."

لم يبدِ اي ردة فعل وكأنه لم يسمعها اصلا
فاضافت بتهور أحمق " افكر ان لااذهب ..
اعتقد وجودي لن يكون مهما "

ايضا لم يبدِ اي تغيير بتعابيره بل اغاظها
باصدار صوت مؤيد دون انتباه" اممممممم ..."

ثم مال فجأة بجذعه للخلف وبطريقة جذابة
سرقت انفاسها فيضغط على زر الحاكي ليقول
لمديرة مكتبه بصوته الرجولي الدافئ

" سيدة وداد يجب ان اخرج حالا لاجتماع
شخصي مهم في البلدية .. ارجو منك تأجيل
اجتماع مدراء الفروع حتى الغد ..."

جاء صوت السيدة وداد هادئا

" حاضر سيد ايهم .. "

ثم ببساطة وقف على قدميه متناولا مفاتيحه وبعض الاوراق ليتحرك بعدها مغادرا دون ان يلقي نحوها لا كلمة ولا حتى نظرة ..

تحشرجت انفاسها وشعور غريب برغبة في البكاء سيطر عليها !

لماذا يتجاهلها هكذا ؟!

هل ما زال يشعر بالذنب لما فعله قبل اسابيع ؟

ألهذا يضع الحواجز ويتباعد ؟

لكنه .. اعتذر .... وانتهى الامر ...

حدقت بظهره قبل ان يغيب تماما لكنها لم تر وجهه ..لم تر تلك الابتسامة المتلاهية على شفتيه..!

الخميس ... يوم العرس ...

اخيرا اغلق الباب ....

لقد كاد يصرخ حنقا بينما اخته رائدة تريد الدخول للشقة معه ومع عروسه !

لقد كان يدفعها دفعا لتنزل لزوجها الذي ينتظرها في سيارته ...

تنهد منزعجا متبرما وهو يستدير بجسده هامسا بتأفف " أف من النساء !"

عيناه سقطتا مباشرة على عروسه ...

وقفتها الملوكية امام احدى الجدران تمعن النظر في لوحة ضخمة معلقة هناك ...

همس الآن وهو يبتلع ريقه بصعوبة

" بل آآآآآآآآآآآه من بعض النساء .. "

ارتعدت اوصاله وهو يلمس عروسه بعينيه في كل جزء منها .. يلمسها بنظرات مستعرة ومشاعر متفجرة رغبة وتملكا ...

التف جسدها بفستان بلون حبات الرمان الناضجة الشهية ، قماشه اللامع يصدر هسهسة مع كل حركة منها له كمان طويلان من قماش مخرم يحتضن ذراعيها الطويلين فيظهر اغراءهما اكثر من ان يخفيه...

وكأنه يحتاج لكل هذا الاغراء ؟!!

لاشعوريا اخذ يحل ربطة عنقه بينما يفكر باسرع طريقة لحملها لذلك السرير الذي يخصهما معا ... هو وهي فقط ... وسيغلّق كل الابواب يمنعها الفرار منه كما دأبت ان تفعل..

يد تسحب ربطة العنق ببطء ويده الاخرى تغلق باب الشقة بالمفتاح ثم المزلاج ...

الصوت جذبها لتلفت اليه فتوجع قلبه من شدة التوق ...

تتراقص خصل شعرها المتلوية والتي رفعت بعضا منها اعلى رأسها في تسريحة خلقت لاجل ان تظهر حُسن وجهها البهي ..

الليلة هيفاء جمالها صاعق ...

وهو مصعوق منذ زمن طويل بهذه المرأة ....

خطواته تلهث كلهاث انفاسه وهو يقترب منها

بينما يخلع سترته ويرميها ارضا مع ربطة

عنقه...

ما زالت تهتز من الداخل ....

لاتظهر الامر لهذا الذي يشتهيها ومقبل ليرتوي

منها .. بل يرتويها .....!

واجهته بثقة زائفة ....

انها الليلة جميلة جدا .. هي تعرف هذا ..

ومزينة الشعر تأكدت من انها تبدو في افضل

حالاتها ...

عيناها الواسعتان اللتان ظلل جفناهما كحل

اسود ولمسات فرشاة من لون ذهبي باهت واخر

محمر بينما الرموش الكثيفة المقوسة لم

تحتج للمزيد...

احمر للخدود لم تضعه منذ سنوات واحمر

شفاه بلون الفستان ....

كانت تعرف انه سيجن بهيئتها فقد اصبحت

تعرف ذوقه وهو يغرقها بالهدايا ...

هدايا كانت كاستعطاف منه لترضى عنه

وتمنحه بعض الراحة لكنها أبت الاستسلام ..

كانت ما تزال تلعب لعبته ...

وقف امامها كفاه الغليظان يرتشعان كارتعاش

جسده وهما ترتفعان لساعديها ....

ارادت الاختفاء او ادعاء الاختفاء فأغمضت عينيها في صمت لايقطعه الا لهاثه الحار الذي يلفح وجهها ...

اللعبة الآن لم تعد مسلية لها ولا تستجلب ابتساماتها الخفية الشريرة ...

ربما لأن اللعبة اخذت بعدها الجديد الذي وجدت من اجله ... لعبة باسل معها التي لن تكون لها الكلمة الاخيرة فيها ...

تذكرت وسط لهاث باسل المحموم صغيرتها شمس ، لقد تركتها في عهدة نمير نائمة غافلة عن رحيل امها ...

نمير وعدها انه سينام قربها ولن يتركها ابدا....

وها هي تواجه انفرادا مع (زوجها) لتواجه امرا محتما حضّرت نفسها له لاسابيع خلت ....

" آآآآه يا هيفاء .. لقد خلبت لبّي مُذ وقعت عيناي عليكِ .."

صوته يحمل في طياته حرقة ولهفة ربما كانت ستسعدها في وقت ما ... في عمر ابكر من عمرها الحالي حيث البراءة تصور لنا المشاعر بشكل افلاطوني مختلف ...

يداه تسبران جسدها ببطئ وكأنه يطفئ نيران عذابه بهذا البطئ ويشعل في نفس الوقت نيرانا من نوع آخر ...

انه يومه ... ليلته ... ليحصل على ما اراد ...

تركت له كل شيء فالليلة هي له ...!

اهتز جسدها بقوة رغما عنها بينما باسل يتمتم قرب خدها " ليس هنا ..."

كان فقد سيطرته بينما يحملها بين ذراعيه ويسير بها بخطوات متعجلة نحو غرفتهما ...

فكرة واحدة تمزق سيطرته على نفسه ... سيلامسها كما يشاء الآن .. ابتداء من الآن...

بل سيفعل اكثر من مجرد اللمس ....

همست هيفاء باعتراض مرتجف

" لاداعي لحملي ! "

انفاسه ضاقت بصدره وهو يحدق في جيدها المكشوف اعلى الفستان وقد زاده بهاء وضياء لون حب الرمان ...

ومع دخولهما للغرفة انزلها ارضا ليستدير نحو نحو الباب بينما هيفاء تفلت منه ..

حدقت بدهشة وهو يغلق باب الغرفة بالمفتاح فكانت تختض وهي تتراجع للخلف تنظر اليه وتهمس بتلعثم

" لماذا اغلقت الباب بالمفتاح ؟!! "

اخذ يفتح ازرار قميصه وعيناه الرماديتان تحملان نظرات ارعبتها .....

ليتقدم منها بقميص مفتوح بالكامل فادارت وجهها جانبا ترفض النظر لصدره المكشوف ..

تسمع صوته ببحة شديدة " انا لا أضمن هروبك مني في اخر لحظة ..."

شهقت وذراعاه تلفانها وتعتصرانها بوله ...

شفتاه المتعطشتان تجدان طريقهما اخيرا لشفتيها فانفتحت ابواب لم تظن انها ستفتحها مرة اخرى لتستسلم لقدرها بينما تشعر بثوبها يسقط عنها لتسقط معه حصونها واحدا تلو الآخر ...

لا ... الا حصن واحد ... الا حصن واحد ...

كانت هذه اخر فكرة تشبثت بها وسط هجوم باسل الحار .. شديد الحرارة .. وهمهماته المشتعلة بكلمات متفردة موجهة لها وحدها..

مجرد كلمات كان لها اثر اقوى من اي شيء اخر فعله ...

كلمات رفعت احساسها بانوثتها الى القمة ...

لكن ... فقط انوثتها ...

فقط انوثتها الجريحة التي ظلت لثلاث سنوات تتألم الحرمان والهجر من الحبيب في صمت...

ومع اقتراب الفجر كان باسل يغط في نوم عميق وهو يلف جسدها بذراعه لايفلته بينما هي توليه ظهرها يدها على فمها تكتم بكاءها الحار بينما اسنانها تعض بارتعاش باطن كفها !

في وقت متأخر من صباح اليوم التالي ...

لايرتدي الا بنطال بيتي بينما غادر الغرفة
حافيا على عجل يبحث عنها ..

تنفس الصعداء وهو يشم رائحة القهوة قادمة
من المطبخ ...

تباطئ متعمدا في خطواته رغم رغبته
الحارقة لأن يذهب اليها مهرولا ...

وجدها تصب القهوة لنفسها من جهاز الاعداد ..

شعرها عاد لطبيعته الناعمة المرسلة فيغطي
بكثافة وجهها ، عيناه تشتهي النظر اليها
كما يشتهي جسده جسدها ...

ظل واقفا عند باب المطبخ يتطلع لقميص
نومها الكريمي ...

لم يكن شفافا ولا حتى مكشوفا الا بشق
طويل يظهر اغلب ساقها الايمن ...

لكنه يراها منتهى الاغراء ويكاد لايشبع ..

يا الهي ... لقد ايقظها مرتين !

الامر خارج نطاق سيطرته ...

كانت ليلة طويلة .... ينام على الشعور بها
ملكه ويستيقظ على حاجته لتصبح ملكه
من جديد ....

ولا واحدة من نسائه السابقات اثرت به هكذا!

ربما لان ولا واحدة استعصت وتدللت وعذبت فيه كما فعلت هيفاء ...

وربما هو أمر يخص هيفاء وحدها يجعلها مميزة بين النساء ...

عبس متضايقا وهو يتذكر .. يتذكر المرة الثانية التي ايقظها فيها ....

تقدم منها بينما تخرج هي كوبا اخر وتقول

" هل تريد القهوة ؟"

لم تلتفت اليه ليقف خلفها ثم يلف ذراعيه حولها يحتضن جسدها بتملك صرف ، لايبالي بارتعاشة هذا الجسد التي يفسرها بوضوح كردة فعل غير متقبلة لملامسته ...

امال رأسه ليقبل عنقها بينما يده اليمنى تترك جسدها لتمر على طول ذراعها حتى وصل لكفها الممسك بالكوب بعجز ...

همس قرب اذنها " انا اريدك انت .."

ارتعشت مرة اخرى فترد له بصوت أجش " ألم تشبع ؟! "

ففاجأها بالسؤال " لماذا كنت تبكين .. بعد المرة الاولى ؟! "

احمرت بشدة فرطبت شفتيها بطارف لسانها قبل ان تقول بتوجس " فقط ... اشتقت لشمس"

حسن .. هي كانت تكذب ولا تكذب ...

اشتاقت لشمس لكنه لم يكن سببها الوحيد للبكاء ...

رفع كفها الابيض ليقبل باطنه بحرارة دغدغتها ثم قال " سنذهب حالا لاحضارها"

التفت اليه بكل جسدها شبه شاهقة بذهول لتحدق في عينيه بينما ذراعيه حول خصرها

سألت برجاء اومي " حقا باسل ؟ سنذهب لاحضار شمس اليوم وليس غدا كما اتفقنا ؟"

هز رأسه وهو يحدق في وجهها ويقول " نعم .."

انفرجت اساريرها بينما هو ما زال يحدق فيها وكأنه ينتظر منها أمر ما ...

ارتبكت ابتسامتها ثم التقطت اشارات باسل وبشجاعة اقدمت على أمالة وجهها اليه فتقبل شفتيه فيستجيب لها بحرارة متصاعدة لتشعر بالراحة وهي تبتعد اخيرا تبتسم له باغراء

يرضيه وتقول " انتظرني خمس دقائق فقط اغير ملابسي وأكون جاهزة للخروج .."

كانت تريد الافلات من ذراعيه عندما شدد احتضانها ليقول بصوت مبحوح " لا .. ساساعدك بنفسي لـ.. تبديل ملابسك "

بصمت حملها بين ذراعيه كما فعل ليلة الامس ... وللمرة العاشرة ربما ... لم تعد تحسب المرات ..فقط تردد هيفاء في سرها تكلم نفسها " انه زوجك .. هو زوجك الآن .. ليس قاسم بل ... باسل ...."

وبهذه التأكيدات تجد القوة لتستسلم له !

تجد القوة لتقبل واقعا جديدا يثير في نفسها الاضطراب والقلق في آن واحد ...

بعد بضعة ايام ...

يحدق في السيدة وداد ويكاد لايصدق ان لحظة وداع قريب .. قريب جدا تقطعه بآخر خيط من خيوط ماضيه كصبي ....

ابتسمت المرأة التي قاربت الستين وقد فقدت ملامحها تعابير الحزم والاحترافية بالعمل لتتلبسها طيف حنان حقيقي كان يستشعره دوما منها ..

امرأة طيبة ومخلصة عاشرته طويلا .. لامسته بطريقة غير محسوسة... لكنها لامسته ...

ابتسم لها أيهم ليمد يدا مصافحا يدها فتتمسك هي بيده لاتفلتها بل تضع يدها الاخرى فوقهما وتقول بلغة أم

" بنيّ .. كنت محظوظة ان عملت معك بعد ابيك رحمه اللّه "

حشرجة خفيفة اكتنفت صوته وهو يقول

" وانا غير محظوظ لان سيدة طيبة مثلك قررت ان تتركني .."

ثم اضاف بغرابة " خاصة الآن ...."

غامت عيناها باحساس رقيق فتقول له

" انت انسان رائع بنيّ .. صنعت حظك بنفسك .. انك قوي وجلْد .. لم تكن حياتك سهلة كما يتصورها البعض لكنك اجدت التعامل معها بطريقتك .."

سحب أيهم يده من بين يديها ليضع تلك اليد في جيبه فيتمتم بغرابة أشد وهو يسبل اهدابه

" يبدو ان طريقتي هذه تجعلني افقد المزيد من انسانيتي... فتنتهي بابتعاد الاخرين من حولي عني .."

عقدت السيدة وداد حاجبيها قليلا ..

تتفكر في معضلته ...

اجل انه معضلة بحد ذاتها ...

اعتمدت على ما التقطه عقلها خلال الاشهر الماضية واستنبطت الكلام من حدسها لتقول

" سيد أيهم انت رجل جيد ... انا اعرف معدنك .. انت تمر فقط ... بمرحلة صعبة رغم اني لااعرف كنهها لكني اثق بك واثق انك ستتخطاها .."

كان متوترا ... !

تشعره توتر اكثر بعد ما قالت ...

لكن لم تجد بُدّا من الاستمرار في الكلام ..

فهي تشعر بحاجتها لفعل شيء .. اي شيء لتتدارك امرا ما يحدث او سيحدث ...

قالت ببعض الحذر " الفتاة جدايل ..."

ارتفع رأسه بحدة لم تفتها بينما تبرق عيناه وهو يقول " ما بها ؟ "

رددت بحذر اشد " انها فتاة جيدة .."

ابتسامة ساخرة جانبية بينما يقول بتفكه

" انا جيد وهي جيدة ... أ تخططين لشيء ما سيدة وداد .. ؟ "

ففاجأته بالقول

" لاعرف ما حصل حقا بينك وبين عشتار .."

تلاشى كل تعبير من وجهه لدرجة انه اخافها بشحوبه وجموده !

تمتمت ببعض الندم " اعتذر عن التطفل ..."

لكنه لم يتأثر باعتذارها بل وكأنه لم يسمعه بينما يسألها بقسوة

" وماذا يهم ان تعرفي سيدة وداد .. "

تلطفت ملامحها الرقيقة لتقول له بصراحة شجاعة

" لاتستسلم سيد أيهم .. قد تجيد الاخفاء وقد اجدته فعلا لكن .. في بعض الاحيان يفلت منك خاصة لمن يعرفك من صغرك مثلي .. اكاد اشعر بتلك الذبذبات التي تنتابك ... أنت تتألم لسبب ما .. لكن لاتجعله يبتلعك .. بل اخدعه بطريقتك لتبتلعه انت ..."

تصلب اكثر وتشنج كل شيء فيه ..

حتى نظرات .. حتى انفاسه ...

كان يقاوم شيئا ما ..

شيء مظلم مجهول بالنسبة لها ...

لكنه اخافها ..

اخافها منه وعليه ....

اخيرا قالت تودعه

" سيد أيهم ...اسفة ان ضايقتك بما قلت ..
لكني تجرأت بحكم العشرة الطويلة بيننا
ومن منطلق هذه العشرة الطيبة اخبرك بقلب
أم ان تتذكر اني اثق بك دوما ومهما حصل
واتوقع الافضل منك ..." ثم صمتت لحظة

وترددت وكأنها ارادت قول المزيد لتتنهد
وتختم وداعها بالقول " استودعك اللّه .. "

تركته ومضت ... هي تتأسف لاجله ...

وهو يحترق في ظلامة جحيمه ...

ما زالت جدايل تشعر بالحيرة والارتباك منذ
ان دعتها السيدة وداد لتجلسا معا واصرت ان
تكون الجلسة في مقهى خارج الشركة

وقد ادعت السيدة الطيبة انها تريد وداعها
بشكل خاص بعيدا عن اجواء الشركة ...

اخذت جدايل تراقب السيدة وداد كيف
ترتشف بتأنٍ من فنجانها وهي تجلس قبالتها..

لتفعل جدايل المثل و ترتشف من عصيرها

تحاول تجاهل القلق الذي يتملكها من هذه الجلسة الغامضة ...

سخرت جدايل من نفسها وهي تفكر

" وكأنك لاتنامين وتصحين بهذا القلق !

وكأن حياتك لم تنقلب لرحلة يومية من قلق مستمر مرعب مجهول .. "

مضت اسابيع وهي تعيش هذا القلق المضني ..

أيهم ابتعد عنها اكثر .. وبعده اضناها ...

كم تتمنى لو تملك القدرة لتغادر ...

بطريقة ما هو يجعلها تشعر انه لن يحتمل مغادرتها !

ربما هي مجنونة .. لكن هذا ما تشعره ..

منذ ذلك اليوم الذي اعتذر فيه وهو تغير بشكل مربك ومحير ...

لم يعد يغيظها .. لم يعد يتدخل في شؤونها ..

لم يعد يوجه لها اي كلام شخصي ..

لم يعد يمنحها نظراته ... لقد اشتاقت لعينيه .. اشتاقت لتلك الضحكة من القلب ...

ورغم كل التباعد هو يبقيها قريبة منه ..

لايتركها تبتعد عن مرمى بصره ...

اجفلت قليلا والسيدة وداد تقول على حين غرة

" اريد مكالمتك بموضوع شخصي واتمنى ان لاتنزعجي من تطفلي .."

ابتلعت جدايل ريقها بصعوبة شديدة بينما ترد بلطف ظاهري يخفي ارتباكها

" ابدا لن انزعج سيدة وداد .. انت امرأة طيبة وسافتقدك جدا ..."

لم تضف جدايل انها كرهت السكرتيرة الجديدة المتملقة التي ستأخذ مكان السيدة وداد ...

فتاة كريهة ... رأتها مرة واحدة وكرهتها ... انها حتى لم تتطلع ناحية جدايل عندما كانت السيدة وداد تعرفهما ببعض ..

وتكاد جدايل تقسم ان تلك المتعجرفة لو رأتها مرة اخرى فلن تعرفها ...

ضحكت السيدة وداد بخفة قبل ان تقول

" هذه المرة الثانية التي اوصف بالطيبة ! اشعر وكأني العجوز جدتي ! "

توردت جدايل وهي تقول بابتسامة معتذرة

" عفوا سيدتي .. مؤكد لست بعجوز .."

شوحت السيدة وداد بيدها مبتسمة لتقول

" لاعليك صغيرتي انا امزح معك .. وانا جدة فعلا ..."

فأصرت جدايل على القول

" ولكنك لست عجوزا ابدا .. حتى السيد أيهم يتمنى ان تبقي معنا اكثر .."

عندها حدقت السيدة وداد في عيني جدايل بتمعن لتسأل بنبرة خاصة

" السيد أيهم يؤثر بك اكثر مما يجب "

اتسعت عينا جدايل بصدمة .. تحركت شفتاها الرقيقتان دون ان تنطقا بشيء...

وجهها تخضب بحمرة قانية وشعرت ان امواج حر تحيطها من كل جانب ...

تمتمت جدايل اخيرا

" انا .. انا احترم السيد ايهم و ...."

قاطعتها السيدة وداد بالقول المباشر لتختصر الكلام " انت تحبينه بنيتي ..."

شهقت جدايل بينما تضع يدها على فمها وشعور بخزي رهيب يكتسحها ويحطم قدرتها على التماسك ....

اشفقت عليها السيدة وداد وشعرت ان الفتاة كانت بحاجة للتمهيد بعض الشيء...

تنهدت اخيرا فلا فائدة من الحزن على الحليب المسكوب كما يقال في الامثال ...

قالت بلطف شديد بينما جدايل تتلفت برأسها هنا وهناك تهربا من مواجهتها

"ايتها الصغيرة لاداعي لكل هذا الشعور بالخزي.. انظري الي لو سمحت "

بعد عدة محاولات فاشلة نجحت جدايل

بلملمة اشلاء ثقتها لتواجه السيدة بينما تقول

وداد بحنان بالغ

" انت طاقة عذبة وربما نادرة في زمننا هذا يا

جدايل "

تراخت جدايل قليلا وهي تبتسم بارتعاش

بينما تضيف وداد ببعض الجدية

" هذا ما يجذبه اليك .. وبنفس الوقت يرفضه

بطريقة ما ؟"

وكأن السيدة وداد وضعت الخلاصة في جملتها

هذه ؟

احنت جدايل رأسها لكنها لم تتخل عن فرصة

الكلام مع احد حول ما يقض مضجعها

احد ما تثق به .. احد ما لايتحامل على أيهم

كما تفعل هيفاء ....

تمتمت جدايل " انا لاافهم .."

ردت السيدة وداد بصدق

" وانا حقا لاافهم للاسف ؟"

رفعت جدايل عينيها للسيدة تنظر اليها

بدهشة بينما وداد تتابع

" كل ما اعرفه ان السيد ايهم رجل يمر

بمرحلة اشبه بمصيرية من حياته ... انه

يتأرجح بعنف بين الخير والشر ... أرى هذا في

عينيه ... "

انقبض قلب جدايل بينما تسرح وداد بنظراتها لتعود لزمن مضى فتقول " عرفته منذ مراهقته ... دوما كان مميزا ومختلفا .. جنونيا مرحا لايهاب شيئا ويواجه كل شيء بشجاعة نادرة وجرأة مرعبة ... لكن .. "

صمتت قليلا قبل ان تردف وهي تحدق في عيني الفتاة السمراء " هناك ما حصل ودحره! اجزم انه أمر جلل ضربه بمقتل ... "

سألت جدايل لاهثة وقلبها يخفق بجنون

" ماذا حصل له ؟"

ردت وداد بأسف حقيقي

" لااعلم ... ليتني كنت اعلم ... لكنت حاولت المساعدة .. انه رجل صعب الوصول لكنهه "

ثم اضافت بعد لحظة تردد " ربما هناك ما يخص .... طلاقه من عشتار ..."

اسم واحد ... تعرفه جدايل .. وبنفس الوقت تحاول جاهدة نكران احساسها بوجود اي علاقة بينه وبين ما يحصل بينها وبين أيهم ...

اسم علق على طارف لسان جدايل فنطقته وكأنها تجرب مذاقه " عشتار ..."

فلم تشعر الا بمذاق الغيرة المحرقة ...

ردت وداد بصراحة شديدة " عشتار عشقه الاول .... امرأة من نوع .. خاص.. غير مألوف .."

رغم صراحتها كان هناك غموض من نوع ما وهي تعبر عن عشتار ....

اردفت السيدة وداد وبدت كمن تضع النقاط على الحروف

" اسمعيني يا جدايل .... اريدك ان تكوني قوية .. لن اقول لك لا تتخلي عنه لاني أرى في عينيك انك لن تفعلي وهذا ما يؤرقني ... لكني سأقول .. احذريه .... انه ليس على طبيعته .. ما ترينه منه الآن هو جانبه المظلم .. الاكثر ظلاما ..."

صمتت للحظة تدرس ملامح جدايل قبل ان تقول بتأن

" انه يحتاج للعون .. هذا صحيح لكن لاتحلمي انك قوية بما يكفي لتعينيه .. اخشى انك لست اهلا لذلك على الاطلاق ... انه اقوى منك بكثير ... "

لكن جدايل كانت تتنفس سريعا لتقول باندفاع عاطفي " انا .. انا استطيع .."

غامت عينا السيدة وداد بحزن داخلي وشعرت فجأة بالضيق لاجل هذه البريئة السمراء التي شاء حظها ان تكون في طريق رجل ساحر كأيهم سليماني فلا تستطيع الا الوقوع في حبه .. وهل بمقدور اي فتاة ان لا تفعل ؟!

وضيق آخر لأجل رجل رائع عرفته منذ ريعان شبابه وكانت تتمنى له امرأة تعرف قدره وتسعده ...

تمتمت السيدة وداد اخيرا وبكآبة واضحة

" احذري يا صغيرة .. انا كنت عادلة معكما انتما الاثنان .. اخبرتك عن حقيقته وحذرتك منه ..."

لكن تلك النظرة في عيني الفتاة لم تجعلها تشعر بالتحسن !

انها فتاة اقل قوة بكثير مما يواجهها ...

انها كمن يواجه هجوم التتار بغصن الزيتون !

عادت جدايل للشركة تجرجر خطواتها ...

كانت مترددة .. تشعر بحاجة لرؤيته .. الاطمئنان عليه ..

قد ينكر الامر لكنه متعلق حقا بالسيدة وداد ... ورحيل تلك السيدة يؤثر به ...

وبينما تتحرك بتلك الخطوات الحائرة ناداها صوت رجولي " جدايل .."

التفتت لترى نمير يقف على بعد خطوات منها يبتسم ابتسامة جميلة وفي عينيه نظرات عزم ...

يا الهي .. ليس هذا وقته .. كانت تعلم ...

منذ حفل عقد قران هيفاء وهي تعلم ...

كان صوته مترددا على استحياء وهو يقول

" احتاج ان اكلمك جدايل .. لن اؤخرك عن عملك لكني لااستطيع الانتظار اكثر .. انه امر يخصنا نحن الاثنان .. "

بهلع وقلب خافق همست جدايل في سرها

"رباه ..سيتقدم لخطبتي دون ادنى شك ..."

دخلت مكتب السيدة وداد لتجده خال ... اوجعها الامر ...

ثم توجعت اكثر وهي تفكر بشعور أيهم لغياب تلك السيدة ....

تنهدت بعمق وهي تتقدم نحو الباب الداخلي حيث مكتبه هو ...

طرقت الباب فسمعت صوته يسمح بالدخول فدخلت بقلب واجف ..

لازالت لاتعلم كيف ستحل مشكلة نمير ..

لكن امامها مشكلة اكبر .. اكبر بكثير ..

رأته كيف يقف مواجها للشباك موليا اياها ظهره ، يرفع رأسه بشموخ بينما يضع يديه في جيبيه في وقفة تثير الحزن والاعجاب !

أسد .. كانت وقفة أسد شامخ رغم جراحه ..

دون ان يلتفت سأل بصوت غريب

" أين كنتِ ؟"

ردت بوجل " كنتُ خارج .. الشركة مع.."

قاطعها بصوت حاد وما زال يأبى النظر نحوها

" مع نمير اليس كذلك ؟ "

ذعرت جدايل فأخذت تتلعثم بالرد

" لا اقسم لك .. كنت مع السيدة وداد ..

ارادت ان نشرب فنجان قهوة سويا لنودع بعض

بعيدا عن اجواء الشركة ... و.. وعندما ..

عدت وجدت ... نمير بانتظار...ي"

عندها فقط استدار نحوها بعنف شديد يسألها

" ماذا كان يريد منك ؟"

اتسعت عيناها من شدة ذعرها امام جبروت

عينيه هامسة باعتراف مرتعش متلعثم

" ط...لبني للزو...اج ..."

اقترب منها وعيناه غدتا كبركتي جحيم

ليهمس بصوت قاس " هل وافقتِ ؟"

ردت وهي تهز رأسها سلبا " لا ..."

هدأت بعض الحمم ليسألها باصرار

" اذن رفضته ؟.."

لترد باختناق " لا ... ليس ..بعد ..."

عندها صدمها بضحكات مرتفعة اهتزت لها

الجدران ... ضحكات فظيعة اشبه بزئير أسد

غاضب اصابته هستيرية ألم وحشي ...

هدر وسط جحيم ضحكاته

" سلوك مثالي لحواء متلاعبة ..."

سالت دمعة من عينها اليسرى وهي تهمس بجزع

" الامر ليس هكذا ... انه ... ارجوك .. اسمح لي ان اشرح لك ..."

تقدم منها كوحش هائج مجنون فتتراجع هي للخلف حتى ارتطم جسدها بالجدار خلفها ..

وقف على بعد بضعة سنتيمرات فقط يلهث بجنونه بينما عيناه تنضحان بالكثير لتستوعبه جدايل...

وضع كفه على الجدار خلفها .. اسبل اهدابه وهمس من بين اسنانه بعنف مكتوم

" متى ستقولين له لا ؟"

كانت ترتعش من قربه كما ترتعش من جنونه لتهمس بارتجاف

" لااعلم .. الامر معقد ... وهيفاء ...."

ضرب بكفه على الجدار بعنف وعيناه عادتا لتسكبان الجحيم بينما صوته يزأر

" ليس معقدا ابدا بل مثاليا لاجلك .. تجمعين العصافير في يدك فهي ليست مضمونة ببقائها على الشجر حتى لو كانت باقية هناك بانتظارك "

تشهق باكية وهي تقول

"انا لست هكذا .. لست هكذا ... هذا غير صحيح ... اريد فقط ..."

همس مقاطعا اياها بنبرة تقطر سماً .. سماً من اعماقه

" حواء دائما تريد ... دائما تأخذ .. ودائما لن تكتفي ... تخون تطعن تقتل .. لايهم .. المهم ان تحصل على ما تريد ..."

همست بتشتت وعيناها تتعلقان بلحيته

" انت تتألم ... "

فتح عينيه على وسعهما تحدقان مباشرة في عينيها .. مسحت دمعتها التي علقت على خدها بينما قلبها يذوب لاجل مساعدته .. انه يتألم .. لايمكنه السيطرة على ألمه ... ماذا فعلت به تلك المرأة ؟!

همست بعاطفة متفانية " انا لست مهتمة بنمير او غيره ... فقط اسمح لي ان اشرح لك لتعرف .."

غامت عيناه فبدا كئيبا بشكل مزق قلبها اكثر بينما يهمس بصوت مبحوح يحمل كآبته " ليس من حقي ان اعرف وليس من حقي ان اسأل من الاساس ..."

ثم ابتعد عنها وهو يتمتم" انا فقط استسلم لجنوني البائس اكثر واكثر ..."

فيضيف وهو ما زال يوليها ظهره

" ربما هي الوحدة او الشعور بالخواء ..."

استدار بابتسامة قاتلة ببؤسها بينما يسأل بسخرية " ما رأيك ؟ هل لديك ما يواسيني ويملأ هذا الخواء القاتل بداخلي ..."

تذكرت جدايل كلماتها للسيدة وداد قبل اقل من ساعة ... تذكرت كيف قالت لها بثقة (انا استطيع)

لم تلجم لسانها بينما تواجهه بشجاعة

" لماذا طلقت زوجتك ؟ "

لقد جازفت ... وكانت نتيجة تلك المجازفة نظرات حقد اسود وارتعاش اشمئزاز من شفتيه قبل ان يقول بتهديد يغلفه التهكم " حذاري يا طفلة من الولوج لمناطق خطرة .. اخطر بكثير مما يمكن لعقلك الصغير تخيله او التعامل معه ..."

ردت وهي ما زالت تواجه بشجاعة

" انا اسفة ... لكن انت من ادخلني عنوة لتلك المناطق .. احاول جاهدة فهم ما يحدث .. ربما انا اصغر واقل خبرة بكثير مما يعينني لافهم ما يحدث لكني املك عقلا صافيا واحساسا لايخطأ .. كما املك شجاعة لاسألك بشكل مباشر ... ماذا تريد مني ؟ فانا لااعرف حقا ما تريد ... انا لاافهمك .."

سكن كل شيء حولهما .. تحاول هي تحليل تلك النظرات التي تلبست بها عيناه ..

نظرات مطلسمة تماما ....

قال اخيرا بهدوء ساخر " ارحلي جدايل .... دعيني بمفردي ... لا تملكين الجرأة ولا الشجاعة التي تدعين لمنحي ما احتاج ... "

ضيقت عينيها قائلة بنبرة اعتراض " لكن .."

عندها تأجج تحدي في عينيه وهو يقاطعها

بصوت عنيف " ارحلي ..حالا جدايل ...

ولاتعودي ابدا لمكتبي ... لاتعودي الا عندما

تفهمين ما اريد وتفهمين حقا ما تريدينه انت..

و يكون لديك شجاعة حقيقية لمنحي كل

ما اريد .... "

بعد اسابيع ....

ثلاثة اسابيع مضت ... ماذا بعد ...

لايكف عن رمي نظرات التحدي اليها ...

انه غاضب .. غاضب بشكل مستمر منها ..

لقد رفضت نمير لاجله ... لاجل ان ترضيه ..

حمدت الله ان هيفاء لم تتضايق لرفضها اخاها

بهذه السرعة وبهذا العزم ...

بل بالعكس هيفاء بدت مرتاحة لرفض

جدايل فادركت ان هيفاء لاتستطيع تجاوز

معرفتها بمشاعر جدايل ناحية أيهم ..

حتى لو لم يحصل شيء حقيقي بينها وبينه ..

عادت لتنظر اليه ... تأوهت بلوعة مع تلك

النظرة المتحدية من عينيه البندقيتين ...

ليس تحديا فقط وانما يبثها خيبة أمله ..

حاجته ... والاسوأ انتظاره ....

همست جدايل في سرها " اشعره يناديني ..

بذلك التحدي الذي يخفي مرارة كالعلقم ..

بخيبة الامل التي تنتظر من يدحضها ..

بالانتظار الذي لاطيقه اقل منه "

كم تتمنى ان تتحجج لتكلمه فقط ...

تخبره عن نمير مثلا وكيف رفضته بحزم...

هل سيهتم حقا ؟ ام ان ما يهمه امر اخر تماما

يمحو اي شيء في طريق تحقيقه ....

(ماذا يريد مني ؟)

سؤال لم تكف عن ترديده كل صباح ومساء

طوال الاسابيع الماضية ..

منذ ذلك اليوم المشهود بمكتبه ..

لم تعد لذلك المكتب وهو بلغ رسميا

الاستاذ نامق انه لم يعد بحاجة لقسم

الارشيف في شيء !

وها هي تدور وتدور ..

السؤال يدور ويدور معها وحولها وداخلها ...

(ماذا يريد مني ؟)

تذكرت كيف اتهمها بالجبن .. اتهمها انها

لاتملك الجرأة ايضا لتمنحه ما يحتاج ..

بدا جائعا بشكل مخيف وزاده معها هي ...

يريد ان يطلبه ولايفعل ....

انه .. يخشى الرفض !

لا ... انه يخشى امرا اكثر من الرفض ...

انه يخشى الألم ...

يا الهي ماذا فعلت به زوجته ...؟

انه ليس رجلا عاديا ليتألم هكذا من مجرد فقدان طفل وطلاق ...

حتى السيدة وداد تشعر ان هناك امر ما ...

هل تجرؤين جدايل ...

هل تجرؤين على تلبية ندائه ...

انه ينتظرك ...

حسن ... يجب ان تذهب اليه .. يجب ان تكلمه مرة اخرى ... هذه المرة ستتكلم بعقل .. لن تبكي ... لن تنهار ...

انها دوما شجاعة وتسعى بقوة لما تريد ..

وقفت على قدميها بينما هيفاء الشاردة تجفل قليلا وهي تسألها " الى اين ؟"

ردت جدايل بعزم " احتاج سؤال السيد أيهم عن امر مهم .."

نادتها هيفاء " جدايل انتظري "

لكن جدايل تحركت صوب مدير مؤسسة سليماني بينما هيفاء تحدق مشدوهة ليأتيها صوت زوجها من الخلف وهو يقول همسا وبغيظ مكتوم " نحتاج ان نتكلم نحن ايضا .."

ببرود شديد يتطلع اليها بينما تقف قبالته
تسأله باسلوب رسمي مقابلة في مكتبه ...

وبعد لحظات طويلة اطالها هو متعمدا قال

" تعالي بعد السادسة مساء أكون انهيت معظم
عملي ..."

رغم بروده معها الا ان الامل انتعش في عمق
قلبها ....

شكرته بهدوء تخفي ألمها لبروده المتعمد
العقابي لها كانت ستستدير عندما همس
باسمها " جدايل .."

فرفعت عينيها اليه ليسأل بصوت غريب " انت
تعرفين شروط مقابلتك هذه اليس كذلك؟"

هزّت رأسها بنعم رغم احساسها انها مقدمة على
الوقوع بفخ .. فخ كبير ....

كانت انفاسه تتسارع كانفاسها ...

عيناه تتوهجان بغرابة بينما يهمس اخيرا

" سأكون بانتظارك ..."

ثم اطرق برأسه ليخفي نفسه عنها بينما
استدارت جدايل بتعثر لتعود الى حيث هيفاء
وباسل اللذين يبدوان على وشك المشاجرة
لأمر ما ...!

كانت تشعر بالفوضى ... فوضى مشاعر ..
فوضى افكار .. فوضى والريح العاتية قادمة
لتبعثر هذه الفوضى فتنهيها او تزيدها هياجا !

لم تتوقف لتجالس هيفاء وباسل .. بل تركتهما لفوضاهما الخاصة وغادرت مقهى الشركة وما فيه عسى ان تختلي بنفسها لترتب ما يمكن ترتيبه من افكارها وهي تدعو الله ان لاتكون سكرتيرته موجودة عند ذهابها اليه ...

يمسك مقود السيارة بتشنج بينما يكاد يخرج عن طوره بسببها ...

لايطيق ان تخاصمه ...

عندما تفعل هذا تحتجب عنه كليا حتى عندما يكونان معا في السرير تجعله يشعر كـ...حيوان !

لديها اسلوبها في جعله يشعر هكذا ... لايعلم كيف .. لم تقل ابدا لا للمعاشرة .. لكنها تعطي نفسها ببرود او ربما لانها لاتنتظر اليه وهي يفقد نفسه معها بتولع غير عادي ثم تسارع لسحب نفسها والابتعاد عنه مولية اياه ظهرها ...

ما زال يشعرها تبكي احيانا .. وحالما يقترب ليسألها عمّا تعاني منه حتى تدّعي النوم ...

وفي الصباح تعامله بغباء مطبق رافضة الاعتراف انها كانت تبكي في الليلة السابقة ....

هل قصر معها في شيء؟ لا لم يفعل ...

كأمراة يرضيها تماما ولايعتقد ان امرأة لاتشعر بالرضا لتولع زوجها بها كما انه يعاملها بلطف واهتمام دون ان يثقل عليها بأي طلبات او تدخلات غير مرغوبة في تربية شمس ...

انه يحب شمس .. يحب ان يتحدث معها وهي تنطلق ببراءة في الكلام وعيناها الصغيرتان تلمعان ....

ماذا تريد بعد ؟ ماذا؟ ما الذي يجعلها بهذه الحالة التي لايفهمها !

انها احيانا تبدو ... عاطفية .. عاطفية جدا ومستجيبة للغاية فتكون كشعلة بين ذراعيه تزيده رغبة فيها وطمعا للمزيد منها...

تثير جنونه بل واضطرابه ورغبة مجنونة تسيطر عليه لاسترضائها ...

لم يحدث له هذا مع أي من زوجاته ...

على حين غرة هتف باسل " كل هذا الجفاء منك لأني رفضت مبيتك في بيت عائلتك؟"

لم ترد هيفا بينما عيناها تتطلعان للامام في تجاهل كامل له ...

شتم باسل بينما يقول من بين اسنانه " لن اوافق ابدا هيفاء .. عليك ان تعتادي الامر .. زوجتي مكانها في بيتي انا .. لاتبيت في سرير غير سريري ... ليس لديك اي عذر لتطلبي مبيت ليلة خارجه .."

عندما قالت هيفاء ببرود " انت لاتنظر للامور الا من جهة واحدة وقد اخبرتك سابقا السبب الذي تتجاهل اهميته ..."

التفتت اليه اخيرا لتقول بتركيز على كل كلمة " شمس تشتاق لعائلتي والتغيير كان كبيرا عليها ، انها لم تعرف غيرهم منذ ولادتها لذلك لااريدها ان تشعر بالارتباك والانفصال عما اعتادت عليه كجزء مهم من حياتها .."

اوقف باسل سيارته على جانب الطريق ثم التفت لزوجته العنيدة يقول بما استطاع من هدوء

" شمس تتأقلم بشكل ممتاز مع حياتها الجديدة .. المشكلة ليست في شمس وانما في (أم شمس) التي تدعي التأقلم لكنها ترفضه في داخلها ..."

كان سعيدا ومحبطا في نفس الوقت وهو يرى امارات الارتباك على وجهها ... ادرك انه اصاب الهدف .. ويا ليته لم يفعل !

كان ردها الاول يعكس ارتباكها " هذا غير صحيح .. انا .. اعتدت على بيتك .. اعتدت عليك .. اقصد ...."

توقفت قليلا لتزفر نفسا عميقا ثم تطلعت لعينيه تغويه بعينيها دون مجهود منها ...

لاتحتاج الا ان تنظر اليه هكذا فيشعر برغبة حارقة لحملها لاقرب سرير !

جف ريقه وهو يشتم في سره بينما يسمع صوتها الانثوي يأتيه مستفزا منتقما

" ثم لاتحاول اقناعي او اقناع نفسك انك استطعت الوصول لقلب ابنتي لمجرد انكما تشاهدان افلام الرسوم المتحركة معا او لانك .. مساء الامس نمت في حجرها على الاريكة وهي تدلك لك رأسك بعد ان ادّعيت الصداع كذبا وبهتانا ..."

رد وهو يستفزها بالمقابل " ان الجأ لحنان واهتمام من شمس افضل من ان ابحث عنه مع امرأة غيرك "

شهقت هيفاء استهجانا بينما عربدت شياطين الغضب في رأسها لتصرخ به

" انت تعرف شرطي الثالث يا باسل ووافقت عليه فإياك ان تنساه .. الخيانة فراق نهائي بيننا "

ليرد ببرود وهو يحرك سيارته " وانت تعرفين شرطي الاول ووافقتِ عليه ايضا ولذلك لامبيت لكِ في مكان بعيد عني ..."

تأففت بقوة بينما تقول باستسلام " دعنا فقط نذهب لاحضار شمس من بيت عائلتي .."

لم يرد ليستمر الصمت بينهما طويلا بينما السيارة تنساب بهما في عدة طرق ...

كانا على وشك الوصول لبيت عائلة هيفاء عندما سأل باسل فجأة " ما حكاية جدايل ؟ لاتبدو على طبيعتها ابدا ..."

ردت هيفاء بجفاء وهي تكذب " لاادري ..."

بينما في داخلها القلق يتآكلها على تلك الفتاة التي اصبحت شديدة التكتم...

عند السادسة مساء ...

تجر شجاعتها جرا معها وهي تدخل اليه ...
كانت شجاعتها تخونها وتشعر ان عينيها تفصحان باكثر مما تود قوله ....

تطلعت اليه اخيرا وهو يستند بجسده على حافة مكتبه .. متكتفا ..

بانتظارها ...

شعرت لوهلة بالخوف الرهيب وتمنت لو ان سكرتيرته الكريهة موجودة ولم تغادر ...
عيناه بدتا باردتين لكنهما تنتظران منها الكثير ....

قال بصوت مبحوح " اشتقت لوجودك قربي يا سمراء ذات الجدائل .. حتى جدران مكتبي اشتاقت اليك ... "

احمرت بشدة وهي تطرق براسها ...

لم تخطط ليبدأ الحديث بينهما هكذا ...

فيأتي همسه الرجولي الخشن متلاعبا باوتار قلبها " فقط اخبريني جدايل .. لم تأتي لتصمتي الآن .. ألم تشتاقي كما اشتقت انا ؟ احتاج ان اسمعها منك يا سمراء .. اتعطش لها"

صوته كان كمنوم مغناطيسي لها ..

كلماته كانت كمخدر فعال لعقلها ...

نظرت لوهج عينيه البندقيتين فشعرت بحرارة تلسع خديها بينما تناشده بصمت ان يفصح هو اولا عما يحصل بينهما ..

لسانها يفلت منها وهي تغرق في بحر عاطفة ملكت روحها " أيْهَم .. انا .. انا.. "

تبتلع الكلمات وعواصفها العاطفية تهب بتحرر فتتوهج عيناه تأثرا رجوليا صريحا بها...

يقترب منها في وقفتها المرتعشة امامه ... بدا غريبا رغم تأثره ... ثم صدمها عندما وقف امامها تماما ليميل برأسه قليلا وهي متسمرة امامه ليصدمها اكثر وهو يأخذ نفسا عميقا قرب شعرها يتشممها بحميمية اذابتها ...

لم يلمسها قط ... لكن تلك الحركة منه جعلتها تشعر بالدوار والترنح بينما يسألها بصوت مبحوح

" انت ماذا يا سمراء ذات الجدائل ؟ "

اهتز داخلها كما اهتز بعنف خارجها ... شعرت انه الفخ قد اطبق عليها تماما وهي راضية مستسلمة والاسوأ سعيدة الى درجة الاحساس بالتحليق في يوم ربيعي مشمس ....

لم تشعر الا بشفتيه وهما تهمسان قرب اذنها بنبرة متهملة " تحبينني ؟!"

ما زالت تحلق ... والعشق جناحاها فيعجز اللسان عن الرد ليبدي رأسها هزة خفيفة لاتعرف كيف بدرت منها ....

عندها ... عندها فقط غربت شمس الربيع وتضاءل الجناحان حتى غدوا كجناحي صوص مبلول ...!

اختنقت تماما من تعابير القسوة المفرطة والظلام الذي كسا وجهه وشع من عينيه ....

بدا وكأن الشيطان تلبسه بينما يقول بصوت ينضح بمعان قذرة " حسن .. ما دمتِ تحبينني فلا مانع لدي لاعلمك الحب على طريقتي ... الحب مع الكبار ... يا صغيرة .. "

شفتاه اقتربت من شفتيها فشهقت بعنف وهي تتراجع للخلف بشكل غريزي ....

هناك امر خاطئ .. هناك امر جلل خاطئ ..

انه ينظر اليها بطريقة رهيبة ...

لا .. انه لايحبها .. انه حتى لايغويها ...

انه..... يلوثها ....!

قال بسواد امتلأت بها جنبات روحه

" الا تشعرين ببعض الاثارة يا صغيرة ؟

بالفضول لتعرفي كيف يمتلك رجلا امرأة

ويجعلها تشعر بالشبع الجسدي ؟"

همست والألم يمزق ويمزق بسيفه البتار بينما

احساسها الداخلي يتفاعل بقوة

" لماذا تفعل هذا ؟ انت تعرف .. انا لست

هكذا .. ولم آتي .. لاجل .."

تقطعت الكلمات ودموعها الجارية هذه المرة

كانت مختلفة ... مختلفة جدا ...

ما زال على سواده وهو يتطلع اليها بتشف

غريب.. بدا وكأنه لايراها ...

يا الهي ... انه لايراها ..

همس بنبرة قاتلة " كلكن سواء .. أنتن

مجرد حثالة .... عابدات للشهوات ... "

لم تشعر الا بساقيها تأخذانها بعيدا عنه ...

عقلها استجاب لفطرتها في طلب النجاة ...

عقلها تكفّل بمهمة الهرب بجسدها لكن

ليته يهرب بروحها ايضا ...

روحها التي ما زالت عالقة في ذلك

الفخ..............!

الفصل الثامن

بعد شهر ....

وعدنا لمنتصف الحكاية.....

رنين هاتفه النقال اوقف سيل الذكريات...

التقطه من على مكتبه وحالما رأى الاسم

شعّت عيناه بشراسة مفترسة ...

انه لم ييأس ولن ييأس...

فتح الخط ليقول بنبرة لاحياة فيها

" هل وجدتها ..؟ "

فيأتيه صوت الرجل مترددا بعض الشيء

" ليس تماما سيد أيهم .. لكنها شوهدت بشكل مؤكد في ريف فرنسا... "

تصلبت ملامحه بشكل كامل فبدا وجهه كتمثال من الرخام ! لايمنحه الحياة الا شعاع الغضب المجنون من عينيه .....

وفي داخله .. في اعماقه التي هي سر علته فأن قلبه يفلت من زمامه ليرتج بين ضلوعه..لوعة!

لقد مر عام ... اكثر من عام ولم يرها ....

لم يبحر في زرقة عينيها ...

تلك .... الخائنة !

همس بصوت قاتل " اريد موضع وقوف قدميها الآن ... جنب اي كرمة عنب قد تقف قربها وتختار ان تأكل منها حبة !"

اغلق الهاتف وبرود جليدي يزحف ببطء بين جنبات روحه حاملا معه رائحة دم الانتقام !

اجل ... ان الرائحة تزكم أنفه بقوتها ويجدها برائحة الدم ...

الدم الذي يتعطش لإراقته ...

تلك الرغبة التي اصبحت هاجسه الاول ...

هاجسا يلغي اي هاجس آخر مهما بلغت قوته وشدة تأثيره عليه ..

تأوه رغما عنه وهو يتذكر السمراء ....

ثم بهت كل شيء حوله ليغمره احساس الخواء هذه المرة ....

فيتساءل ساخرا بسوداوية من كل ما يحدث...

وماذا ان كانت تعشقه الصغيرة التي تدعي الصدمة ؟!

وماذا ان كان لايستطيع افلاتها من قبضته رغم كل شيء ... رغم كل مافعله معها ؟!!

وماذا ان عاقب نفسه ببعد لشهر كامل ...؟!

عقاب كان جزاء له لوحشيته التي افلتت منه في توقيت خاطئ ...

عقاب ايضا للمحة ضعف تملكته نحو السمراء فأوشك ان يلحق بها تلك ليلة عندما اعترفت بحبه ويطالبها الغفران لكل ما أوجعها فيه !

أطبق فكيه بتصلب وهو يستغرق بسوداويته .. وكأن هناك امرأة في هذا الكون تستحق ان يذل الرجل نفسه بمعاملتها كبشر !

لذلك كان العقاب طويلا ... شهر كامل

ابتعد ... شهر كامل ألهى عقله بعشتار ...

حتى عادت تتأجج الخائنة بداخله من

جديد...بعينيها الزرقاوين ...

بعيدا عن عيني السمراء الناعمتين ..

ثم عاد اخيرا ... عاد وهو يلّوع نفسه طواعية

وعن ادراك كامل بذكرى الخائنة .. !

وكلما تلوع كلما انتعشت رغبته بالانتقام ...

كلما شعر ان الثأر يرضي رغبة وحشية فيه ..

وان مجرد السعي لنيل ذلك الثأر يرضي

كينونته ووجوده ..

لا السمراء ولا غيرها ...

لا احد على الاطلاق يستطيع اقتلاع الألم ولا

حتى تخديره ....

تحرك أيهم قليلا ليسمع صوتا خافتا يصدر

من تحت قدمه ..

احنى رأسه للاسفل فرآى الاوراق التي تناثرت

من يد السمراء عندما كان يلاعبها ...

ابتسم ...

حسن .... ان الاعتراف بتأثير الصغيرة عليه

ممتع احيانا .... بل ... في اغلب الاحيان ...

انه يتمادى معها ... بل يترك لنفسه حرية

التمادي والتواصل متى ما شعر بحاجته لذلك

وبالكيفية التي تريدها نفسه الثائرة ....

كما فعل اليوم وهو يتعمد ملامسة يدها

بتلك الطريقة فينتشي داخله بردة فعلها

العفوية....

جزء منه اشتاق ليعرف كيف يكون ملمس

تلك البشرة ...

وكيف لايشتاق ان يفعل ؟!

انها ملكيته ... خاصته ...

يغير عليها لانها له ...

هي كلها بروحها وشخصها الصغير العصفوري..

يلاعبها .. يقسو كالجحيم عليها... يهاجمها ..

يفترسها ... يمتص اعترافات العشق منها ...

يصب جام غضبه عليها ... يهجرها لاسابيع ....

كل هذا يفعله لانها ببساطة... له ...

وهي.... رغم كل ما تعانيه معه راضية لاتقوى

على تركه كما لايقوى هو على افلاتها ...

لقد تشنجت كل خلية من جسده حالما سمع

صوتها وهي تهمس بـ(صباح الخير)....

لايستطيع ان يفلتها وهي تمنحه هذا الي

لايعرف ان يصفه ....

لايستطيع ....

مهما حصل بينهما سيظل دوما يحرص على

ابقائها في محيطه ... مهما كلفه الامر ...

مهما تخطى حدود العقل والمنطق ...

جدايل ستبقى ... ولايجد ذرة عقل في رأسه تفسر له لماذا حقا يجب ان تبقى !

خلال هذا الشهر كان يتأكد بنفسه انها باقية بمؤسسته لم تغادرها ..

لم يحتج الا لطلب تحديث مستمر من شؤون الموظفين لكل موظف يطلب اجازة او استقالة ...

هي ايضا تأبى المغادرة ..

بل يرعبها الرحيل بعيدا عنه ...

انها تريده ... مقيدة به...

ويقسم بالله سيلف المزيد من القيود حولها ...

كل ما يلزم ومهما كان الثمن ....

ربما هو جن فعلا ...

لكن من يقول ان العالم من حولنا لايتبع بهوس نظام الجنون ؟!

سقطت عيناه على الاوراق المتناثرة على الارض فانحنى ليلملمها ثم جمعها معا ليرفعها امام عينيه ...

عبوس طفيف وعيناه تجريان على الورقة الاولى .. ثم الثانية ... ثم ....

اشتد عبوسه بينما اطبق فكيه قبل ان يستدير بغضب بارد ليضغط على زر الحاكي ويقول لسكرتيرته

" هنادي ... حالا اريد مدير التحقيق والمساءلات القانونية في مكتبي .."

تمتمت سكرتيرته بارتباك انثوي متعمد

" نعم سيدي.. حالا .. لكن هل هناك ما

ازعجك ؟ لقد وصلت صباح اليوم فقط ... "

تجاهلها أيهم وهو يعبس بنفور ليبتعد وهو

يتنهد بضجر ...

لم يكن حتى بمزاج ليحجمّها كما تستحق ..

هذه السكرتيرة اصبحت عبئا عليه ...

لايعرف ايهما اسوأ ....

غباؤها ام اللهفة المصطنعة التي تبديها

نحوه!

نضبت الدموع واختنقت انفاسها من كثرة

حبسها للشهقات وهي في الحمام خوفا من

دخول احدى الموظفات فتسمع نحيبها

المخزي..

غادرت الحمام اخيرا بعد ان غسلت وجهها

بالماء البارد واطمأنت انه لايظهر آثارا لحقيقة

انهيارها في البكاء قبل ربع ساعة او ربما

أكثر ..

توجهت بخطوات بليدة نحو قسم الموارد ..

الافكار تحطمها والمشاعر المستنزفة

تجلدها...

هل هذه هي النهاية ؟!

اجل ... ببساطة هكذا يجب ان تضع النهاية بيدها هي لا بيده هو ...

لم يعد هناك ما يمكنها ان تفعله او تقدمه..

شهر كامل عاشته وكأنه دهر ..

منذ ان صدمت تلك الليلة وعادت مخدرة لبيت خالتها ...

ويالا العجب غرقت في نوم عميق وكأنها وجدت مهربا لعقلها من حجيم افكاره...

صباح اليوم التالي كانت تعزم على تقديم استقالتها عندما انهارت بمعرفة خبر سفره الطويل ....

لم تعرف ما جرى لها وهي تحدق في وجه باسل ببلاهة بينما يخبرها بنبرة عادية ان السيد أيهم أبلغ مدراء الاقسام بأن سفره سيمتد لشهر وهو سيتواصل معهم خلاله ...

كان باسل يتكلم بعفوية عندما رآها ذلك الصباح صدفة وهي تدخل المؤسسة ليخبرها ببساطة عن الخبر ثم شعر بغرابة ردة فعلها المتجمدة فيسألها بعبوس ان كانت بخير ...

عندها فقط جاءت هيفاء لتنقذها ...

ولم تعد تسمع اي شيء مما تقوله هيفاء لزوجها ولا ما يرد به باسل عليها ...

كل ما تعرفه ان قرار الاستقالة اصبح فجأة بلا قيمة ... بلا اهمية ...

وكأن أيهم في سباق معها ..

حتى وهي تحاول رد اعتبارها يسبقها بالخطوات
فلا تنال ما يطفئ نارها ....

رفضت التحدث مع الجميع واصابتها حالة تبلد
لايام ...

ثم ببطئ عادت لروتين العمل ... لكنها
اصبحت تغرق نفسها فيه باجتهاد هستيري اثار
عجب الاستاذ نامق ... بينما هيفاء عجزت عن
استشفاف الاسباب منها لما يحدث لها ...

تعود للبيت ... تأكل بصمت ثم تنام
كالاموات من شدة الارهاق الجسدي والذهني..

خالتها الوحيدة التي تعاني في الادعاء امامها..

تظهر ابتسامة تجتهد طويلا لترسمها على
وجهها دون نجاح مقبول ..

لحسن الحظ ان خالتها الحبيبة تتصورها
مشغولة بتثبيتها المترقب في المؤسسة ..
مشغولة بمستقبلها المهني الذي سيتحدد ...

وجدايل تركت خالتها لظنونها ...

لتعاطفها الامومي ...

لاحلامها التي ما زالت تدور حول تزويج ابنة
اختها لسعد ...

كان لزاما على جدايل ان لاتظهر حطامها ..

لم تستطع ... لم تستطع قول شيء لاحد ..

الامر اكبر بكثير من قدرتها لتعبر عنه ..

او حتى تفصح عما حصل بكلمات معقولة
مفهومة ..

ولذلك لجأت لتخدير عقلها بالعمل ...

ونأت بنفسها عن نفسها ..

ومرت الايام وترشحت للعمل بشكل ثابت في قسم الموارد ...

ورغم كرهها للاستاذ ثامر (مديرها الجديد) الا انها كانت راضية بعملها .. راضية بوحدتها..

ولم تعد تلتقي بهيفاء الا نادرا وفي أروقة المؤسسة مصادفة ..

فهيفاء انتقلت لقسم الشؤون المالية ..

اما مقهى الشركة فقد هجرته جدايل .. هجرته لان لاقدرة لها على احتمال النظر لركن جلوسه الفارغ ..

هناك .. حيث كان يعيش خواءه ووحدته..

ليسحبها شيئا فشيئا لهوته المظلمة ويجعلها تعيش نفس الخواء والوحدة ...

هتف بها الاستاذ ثامر حالما رآها تدخل القسم

" اين كنت كل هذا ؟! عملك الجيد معي لايشفع لك في كل هذا التغيب عن العمل ...فليس لك تميز عن غيرك ممن يعملون تحت إمرتي في هذا القسم .."

نظرت اليه جدايل بنفس البلادة في الاحساس لتقول بنبرة خافته

" انا لاغادر حتى في وقت الاستراحة كالآخرين فاعتبره اذن كتعويض ؟"

شهق ثامر وهو لايتخيل جرأة الفتاة بينما اخذ يهذر بالكلام الغاضب يصبه على رأسها وهي لاتبالي ولا حتى تبدي ردة فعل واحدة ...

فقط الجمود .. ولا شيء آخر غير الجمود ...

تحتاج للابتعاد .. الابتعاد الآن حالا ... بأسرع وسيلة ...

كان الاستاذ ثامر ما يزال يعنفّها عندها صدمته وهي تنحني بهدوء فتلتقط ورقة وقلما من على مكتبه وبنفس الهدوء اخذت تكتب ببعض الارتعاش لتوقع في النهاية وتدفع الورقة اليه عبر مكتبه وهي تقول

" هذه اجازة لمدة شهرين دون راتب "

جحظت عينا ثامر من شدة غيظه وذهوله في نفس الوقت ليرد بلؤم وهو ينقر بعنجهية على الورقة

" لايحق لك طلب اجازة طويلة وانت قد تبثتِ للتو ... طلبك مرفوض انسة جدايل "

عندها ابتسمت جدايل ابتسامة لاتحمل اي معنى لتقول ببساطة

" اذن اعتبرها استقالة استاذ ثامر ..."

ثم استدارت لتتحرك مغادرة بينما الفك السفلي للاستاذ ثامر متدلِ بشكل مضحك..

بعد اسبوع ....

يده ترتعش بانفعالات لاتوصف بينما يحدق في خط يدها بحروفه المرتعشة المستفزة ...

لايمكن ... لايمكن.....

منذ اسبوع كامل تركت المؤسسة وهو لايعرف !

كيف ؟! كيف ؟!

كيف تلاهى عنها لهذه الدرجة ؟

كيف لم يبحث عن السبب الحقيقي لاختفائها التام من امام ناظريه ..

إنه حتى لم يعد يهتم بالرسائل التي تصله من شؤون الموظفين حول من يستقيل او يطلب اجازة في مؤسسته ..

هل اعماه غروره لهذه الدرجة ؟

تصور انها لن تستطيع فراقه ابدا ...؟

انها لن تقدم على فعلة كهذه وهو موجود ؟

لم تفعلها وهو غائب فكيف تفعلها وهو موجود ؟!!

لماذا يشعر ان هذه المرة هي جادة تماما ...

انها قررت الهروب بجلدها منه ..

انقاذ نفسها من براثن عشقها له ....

يا الهي ... لقد رحلت ... رحلت الى غير رجعة !

رحلت وهو بغباء كان مطمئنا انه سيتفرغ لها ويجعلها تعود اليه ...

حتى انه كان يفكر بنقل هنادي لقسم آخر واتخاذ جدايل بديلة لها ..

كان يحضّر للامر حتى يفاجئها وتكون تحت ناظريه مباشرة ...

غبي يا أيهم .. غبي ....عصفورتك طارت وانت ظننتها لن تغادر قفصك حتى لو كان باب القفص مشرعا امامها ...

لم تكن الا صدفة ان سأل ..

لا بل هو تعمد جعلها صدفة .. فقد أراد السؤال عنها ... اشتاق ان يسمع اسمها .. ان يعرف خصوصيتها الغائبة عن عينيه ..

لقد احتك مباشرة بمسؤول التحقيق مع ثامر حول السرقات والتلاعب الذي يحدث في قسم الموارد ...

وبطريقة جعلها عفوية سأله عن الموظفين هناك ليصدمه مسؤول التحقيق ان احدى الموظفات متغيبة وانها قدمت ورقة بخط اليد لاجازة طويلة رفضها ثامر ليعتبرها استقالة !

وها هو .... يمسك ورقة كتبتها بخط يدها ..

وما زالت يده التي تحمل الورقة ترتعش ...

قلبه يرتعش ايضا لفكرة انها رحلت ...

لايمكن ... لايمكنها ... لن يسمح لها ...

جدايل له .. وستبقى له حتى اخر نفس ..

جنون .. غضب .. عته .. هوس ...

كل هذا لايهم ... انه يريد جدايل وقد حان الوقت لربطها به بطريقة لاتستطيع الفكاك منها حتى لو وجدت القوة لتصمد امام عشقها له ...

مزق الورقة تمزيقا ورمى القصاصات ارضا ثم بعزم لايلين التف حول مكتبه ليرفع سماعة الهاتف ويطلب رقما يحفظه منذ زمن ...

وكما توقع وجده مغلقا ...

حسنٌ ..... الصغيرة تريد اللعب بخشونة ...

وهنا... طلب رقما آخر ..

ربما تظن السمراء انه لايعرفه ...

لكنه .. يعرفه ...

ويحفظه عن ظهر غيب كما يحفظ رقم هاتفها الخلوي ...

فذاكرته حديدية خاصة عندما يتعلق الامر بما يخصه ....

جاء من الطرف الآخر صوت امرأة بنبرة اومومية واضحة ليتكلم أيهم بنبرة تفيض لطفا لايعكس مزاجه الحقيقي

" مرحبا سيدتي .. معكِ مؤسسة سليماني ونود التكلم مع الانسة جدايل لأمر عاجل "

فترد السيدة باندفاع هجومي وحنق واضح

" لماذا تتصلون الآن ؟! الا يكفي انكم اغضبتم صغيرتي المسكينة وجعلتموها تتركني لتعود يائسة محبطة لبلدتها ؟! "

كان عقل أيهم يستوعب المعلومات بينما تفيض المرأة بتوبيخها وتقريعها الهادرين

" بعد كل تعبها المضني خلال الشهر الماضي.. لقد عملت كعبدة تكاد لاتأكل بينما تريد اثبات نفسها لكم ايها الظالمون الجاحدون .. "

ثم دون مقدمات اغلقت الخط في وجهه !

اعاد أيهم السماعة ببطء الى موضعها بينما ذهنه يرتب اوراقه .. واخيرا لهث ...

رغما عنه......... لهث للفكرة ...!

منذ سنوات بعيدة لم يلهث هكذا لفكرة جنونية... خلابة... ومثيرة ....

منذ ان كان في بداية العشرينات ...

مجرد شاب حيوي متمرد يفعل كل ما هو غير متوقع في توقيت غير مناسب للاخرين ...

لكن في النهاية كان يحصل على ما يريد...

أجل ... هذا هو ما يحتاجه ...

هذا هو ما تحتاجه هي لتبقى ...

تبقى له .....

تعدل من وشاحها على رأسها وهي تبحث عن اختيها بين الاشجار ...

تأففت بضيق شديد ...

هل عليها ان تبحث عنهما هنا وهناك وكأنهما طفلتين ضالتين ؟!

وفي النهاية تعرف انها ستعود لبيت والدها لتجدهما هناك تعبثان وتضحكان بينما امهما تزمجر متوعدة اياهما بعقاب لن يطالهما ابدا ...!

تطلعت جدايل حولها ...

اشجار كثيفة هنا .. ليس ببستان ولا مزرعة .. مجرد منطقة هادئة شبه معزولة ومهجورة لكن اختيّها تعشقانها ايّما عشق !

مجنونتان وهما طوال الوقت مهووستان بقراءة قصص جرائم القتل فتؤثر في (خلاياهما الرمادية) كما تحبان ان تطلقا على الدماغ وهي تسمية اخذتاها من بطلهما الفريد المحقق الشهير (بوارو) في سلسلة اجاثا كريستي للجرائم ...

مؤكد مجنونتان !

فقد تحول هوس القراءة لمحاولات رعناء في استكشاف الاماكن الغامضة فربما تعثران على جثة ما وتتبعان دلائل الجريمة لتصلا لحلها قبل وصول الشرطة ...!

اخذت جدايل تصرخ تناديهما بغيظ

" عبير ... نجوان .... "

ثم تكرر النداء مرة تلو الاخرى وبنبرة تتعالى لتشتم وهي تتعثر بخطواتها بين الاعشاب الطويلة والاغصان الملقاة ارضا هنا وهناك ، ضربت بقدمها الارض حنقا بينما يعلو نداءها اكثر " عبير .. نجوان... لاتكونا سخيفتين .. اين انتما ؟!! "

صوت تكسر اغصان ثم حركة سريعة شعرتها خلفها تماما جعلت قلبها يهلع وهي تشد الوشاح على رأسها واوشكت ان تستدير عندما باغتتها حركة مفاجئة عنيفة من الخلف لتلتف ذراع حولها وتديرها 180 درجة فتترنح

شاهقة برعب وفي لحظة واحدة كانت كمن اصيب بمس كهربائي جمدها مكانها وهي تحدق في وجه أيهم سليماني الضاحك بتسلية صبيانية بينما يحتجزها بين جسده وبين جذع شجرة...

عيناها لاترفان وهما تحدقان في ذلك الوجه..

همس وابتسامته تذوب مع حروفه " هل تظنين ان الهروب مني سهل هكذا يا سمراء ...؟"

اخذت تحرك رأسها ببطء ولسانها معقود تماما تعجز حتى هذه اللحظة عن استيعاب وجوده هنا.. هل هذا ... حلم ؟!!

قلبها الوحيد الذي استوعب واخذ يغرد... يرفرف ... يتخبط بهستيرية فرح بين اضلعها...

همست أسمه دون وعي " ايهم ..."

تلاشت ابتسامته المتسلية شيئا فشيئا بينما يحدق فيها كما لم يفعل من قبل ...

ارتعش جسدها رغما عنها فيميل نحوها قليلا ليهمس بحرارة قرب بشرة خدها

" اجل هكذا .. اظهري ارتعاشك لرؤياي يا سمراء .. "

يده اليسرى تحركت لوشاحها يبعده عن رأسها للخلف بينما هي تهمس باختناق وارتجاف متزايد " ماذا... تفعل ..؟! "

لم يبال باعتراضها وهو يسحب الوشاح تماما عن رأسها ليوقعه ارضا فينكشف له شعرها المربوط بطريقة بعثرت خصله بعشوائية ليمد نفس اليد ويلامس الجدائل ببطء موجع...

اخذت تتلوى بضعف وهي تدفع صدره بيديها وتحرك رأسها لتبتعد عن ملامسته بينما تهمس " اتركني .. اتركني .."

ماذا اصابه ؟! انه يشعر باحساس فريد وهي تتلوى بمقاومة واهنة هكذا !

شعرها ... آآآه ... انه ناعم ... دافئ .. مغري ويثير فيه خيالا جامحا ...

ماذا لو تناثر على وجهه ليشم عطره بينما يضم جسد هذه السمراء ليمتلكها بكل ما فيها ....

انه...... يريدها ...!

لقد مضى زمن .. زمن طويل لم يشعر فيه انه رجل ويرغب بأنثى...

لايرغب بجسدها بل يرغب فيها بكليتها...

والفرق كبير بين الاثنين ...

قد يتذوق الرجل اجسادا كثيرة فتصبح كل الاجساد سواء لتعطي نتيجة واحدة ..

مذاق باهت وشهوة فارغة ...!

لكن ان يتذوق انثى هذا امر مختلف....

متفرد... واشد فتكا بمشاعر اي رجل...

كانت تلهث بينما تردد والصدمة ما زالت تشل مقاومتها " كيف وجدتني هنا ؟!"

أمال رأسه ليتشمم شعرها بعمق كما فعل في مرة سابقة ثم همس بصوت مبحوح واستمتاع عجيب " تشممت رائحتك ...."

ما فعله كان فوق احتمالها ... في لحظة تذكرت كل شيء ... وادركت ان وجوده ليس خيالا او حلما ... انه هنا .. لسبب مجنون لايعلمه الا اللّه ...

مقاومتها استردت بعض القوة لتهتف به " ابتعد .. ابعد يدك ... ماذا تفعل .. لاتلمسني ... هل جننت لتلمسني هكذا ؟!"

ادرك انها ما زلت تتلوى وضرباتها على صدره ازدادت قوة واهتياجا ...

اتسعت عيناه بنوع من المتعة المذهلة ..

بشرتها السمراء ... انها صافية .. صافية تماما..

اصابعه التفت حول رقبتها وابهامه ارتفع ليلامس خدها ...

كان يلهث بعجب من تزاخم الانفعالات في جسده ...

دفئها .. رقتها .. نبضها المتسارع الذي يلمسه مباشرة وكأنه يلمس قلبها في جوف صدرها ..

اخذت تصرخ فيه وهي تدفع يده عن رقبتها

" اترك رقبتي ... ماذا تفعل ؟ ما الذي جاء بك .. ماذا تريد .. ابتعد... قلت لك ابتعد !"

جن جنونها وهي لاتشعر بجنونه الصامت ...... الصاخب ...!

اخذت تضربه على وجهه وهي يتلقى ضرباتها بنشوة ، جسده يقترب من جسدها بعفوية ليقيد حركاتها المجنونة فيلهث وريقه يجف

" تزوجيني يا سمرائي .."

فجأة ... سكنت كل حركة فيها بينما تلهث كلهاثه المستعر ...

مزقت ملامحها الناعمة تعابير ألم مبرح وهي ترفع وجهها اليه وترد عليه باختناق

" لهذه الدرجة تظنني لعبة رخيصة بلا مشاعر ولا كرامة ؟! ألا يكفي ما فعلت بي ؟! يا الهي هل انت سادي ام ان السادية تختصني بها انا وحدي؟! ماذا فعلت لك؟ لماذ تتلاعب بي هكذا ؟ انا لم أؤذِك في شيء .. لم افعل شيئا سوى اني احببتك .. لم افعل شيئا يؤذيك .. "

اخذت دموعها تملأ عينيها والغضب يستفحل في خلايا روحها قبل جسدها ..

عادت لتضربه بهستيرية ودموعها ضببت الرؤيا فلم تعد ترى وجهه ...

لكنها تلهث .. تبكي .. تضرب .. تتهستر الكلمات على شفتيها وهو مازال لاينطق بشيء...

انهار جسدها اخيرا ليتلقفه هو بتنهيدة رضا ونشوة الانتظار ..

منهارة باكية على صدره وهو يضمها اليه بتملك غير عادي ...

كان الامر فوق قدرته ...

انه يريدها ... يريدها ...يريدهااااا

فليخرج الجحيم عن سيطرته .. لم يعد يهم ..

فلتتبعثر قطع احاجي الكون بأكمله ولاتعرف طريقا لتتشكل من جديد ...

فلتضيع تفاصيل الهدف ما دام الانغماس في

الهوس يمنحه كل هذا ...

لم يعد يهم شيئا ما دامت هي له ....

كان يعرف انه يقارع جزءا رهيبا من روحه ...

جزءا جبارا متمردا متناقضا وغير انساني ...

ضمها اليه بعنف .. ذراعاه تطوقان جسدها

بوحشية التملك .. يداه تتحركان بشغف

فوق ظهرها المتشنج لترتفعا عاليا وتصل راسها

العصفوري وتنغرس اصابعه بين خصل شعرها..

انبهار .. انفجار ... لايعلم كيف يصف الامر ..

همس بصوت متوحش مبحوح وفمه يلامس

اذنها بين طيات شعرها

" انا اريدك زوجة ... اليوم .. الآآآآآن.... "

عادت لتعاركه وتدفعه بكل قوتها وهو يشعر

بنبضات قلبه تصرخ ليعلو صراخها هي

" انت مجنون .. مجنون .. لااريد .. اتركني "

عندها وبنفس الوحشية رفع رأسها ليثبت

وجهها بين كفيه وقبالة وجهه فيتطلع

لثورتها والانبهارات توقظ ما تبقى من خلاياه

ليقول بحشرجة وتقطع

" ارسلت اختيّك لتخبرا والدك اني اريد

مقابلته الآن.. وغالبا هو ينتظر مجيئي .."

جحظت عيناها بصدمة بينما هو يهز راسه مؤكدا " نعم يا سمراء .. سأطلبك حالا من والدك وأريني كيف سترفضين المجنون الذي يلاحقك بين الاشجار "

هذه المرة استخدمت كل طاقتها وما تملكه من قوة جسد لتدفعه في لحظة استرخاء منه..

تراجع خطوة للخلف بتأوه ضاحك بينما تفلت هي بعيدا عن الشجرة ..

بعيدا عن حصاره ..

كانت تتفجر بمشاعر الغضب بينما تبحث عيناها عن وشاحها حتى وجدته فالتقطته من الارض تنفضه من التراب بينما تشعر بخياله

يحمحم فوقها كغمامة سوداء حطت فوق رأسها وحجبت عنها الشمس ..

ليس فوقها فقط بل وخلفها ومن جانبيها وحتى من داخل روحها هي !!

توترت اصابعها وهي تضع الوشاح على رأسها ثم تجاهلت النظر اليه لتتحرك بخطوات مشحونة بالغضب ..

كان يلاحقها .. تشعر به ...

بعد خمس خطوات بدأت تشعر غضبها يتراجع وهي تستعيد ببطء ما حصل قبل قليل ...

وخمس خطوات اخرى ارتعشت ساقاها وهي تتذكر ملامساته الجريئة المتملكة وعباراته المحمومة التي صبّها في قلبها قبل اذنيها...

ثم ثلاث خطوات .. اخذ قلبها يسخر من غضبها بينما يقيم احتفاليته الخاصة ابتهاجا بمعشوقه الذي عاد يبحث عنها ...

هذا المعشوق السادي المتجبر الذي يلاحق خطواتها دون هوادة ...

ضحكات رجولية خافتة ليصلها صوته ساخرا برقة " هذا ابشع جلباب رأيته في حياتي ! احرقيه حالما تصلين البيت "

توقفت خطواتها واستدارت اليه بكليتها عاقدة الحاجبين تمسك طرف الجلباب البني لتقول وهي تكز على اسنانها

" وماذا تتوقع من قروية ان تلبس ؟! عد لمدينتك المبهرجة واستمتع برؤية الكاسيات العاريات اللواتي يملأن الشوارع .."

غامت عيناه بعواطف حارة بينما تجري على جسدها النحيل المختفي تحت جلباب خالتها زاهرة الفضفاض ليهمس

" احب الاستمتاع بالنظر لكاسية عارية واحدة .. سمراء .. ستكون لي وحدي ..."

تخضبت وجنتاها واخذت تعض بشفتها السفلى
فضحك أيهم عاليا لتزمجر جدايل بصوت
حانق " انت ... انت ... لااعرف ما أنت ؟ "

ثم اختنقت الكلمات لتقول بعجز واحباط

" انا لم اعد افهم شيئا على الاطلاق ؟ "

هذه المرة كانت خطواتها بوتيرة واحدة بينما
تشرد بافكارها المتخبطة واما ايهم فما زال
يلاحق خطواتها بصمت ... خطوة بخطوة ...

دخل الاب حجرة استقبال الضيوف المتواضعة
تلحقه جدايل برأس مطاطأ وخدين
متوهجين...

بالكاد استطاع أيهم ابعاد ناظريه عنها
ليواجه نظرات الاب التي تحمل الف استفهام
واستفهام .... وربما بعض القلق...

بعد مصافحة بين الرجلين دعاه الاب للجلوس
بينما التفت لابنته التي ما زالت بذلك
الجلباب القبيح ليقول لها " اجلسي يا ابنتي "

جلس الجميع ليبتسم أيهم بهدوء مخفيا
احساسا غريبا غير مريح من الترقب ...

نظر لوالد جدايل بتمعن ، رجل أشيب بملامح
اصيلة وعينان تشبهان عيني جدايل ...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

رجل تراه ولاتستطيع ان تصفه الا بسيط وفي حاله ، ملابسه تعكس بساطته من قميص قديم ابيض بخطوط رفيعة طويلة وعرضية وبنطال رمادي مجعد يحتاج لبعض الكي ...

بدا هادئا رغم قلقه الواضح ...

خلع نظارته الطبية واخذ يمسحها بعفوية بكم قميصه وكأنه يحتاج لبعض اللحظات مع نفسه قبل ان يبدأ الكلام ...

فكر أيهم ...

مؤكدهذا الرجل متوجس من عريس أبنته !

كان الاب يعاود ارتداء نظارته عندما دخلت امرأة خمّن أيهم انها زوجة الاب ، وللحظة اوشك ان يضحك وهو يرى الجلباب الذي ترتديه هي الاخرى فأدرك ان (جديلته السمراء) استعارت جلبابها القبيح من زوجة ابيها ...

امرأة ابيها ايضا ترتدي الوشاح على رأسها اقتربت منه بابتسامة واسعة تقدم له كأسا من عصير الليمون كما صرحت ...

للحظة تصورها ستغادر بعد ان اخذ منها كأس العصير وشكرها لكنها وضعت الصينية جانيا وجلست بجوار زوجها تتجاهل نظرات الرجل غير الراضية لتبتسم بحبور في وجه الضيف..

كل شيء حوله يجعله بطريقة ما خارج حدود زمنه ...!

كأنه انتقل لعالم آخر تاركا خلفه كل الجنون ليدخل هذا العالم الذي يجعله يتمرغ بنوع من الاسترخاء اللذيذ ...

حتى اللهجة المموطة للجميع هنا تبهجه على نحو غريب ...!

لكن تلك السمراء (المطأطأة الرأس) التي تجلس بتشنج على حافة كرسيها تسبب له جنونا خاصا لايمت للاسترخاء بصلة ...

عاد ليركز مع الاب ، فيشعر ان طلب الزواج من جدايل يحتاج لمجهود ذهني في التأثير على الآخرين ....

لاحظ تلك الحركة الخفيفة من كوع الاب وهو يلكز زوجته التي كانت تهمس بكلمات في اذنه ...

تنحنح الاب قبل ان يقول اخيرا

" انت رئيس مؤسسة سليماني اليس كذلك؟ "

فيرد أيهم وعيناه تحيدان نحو جدايل ثم تعودان ناحية الاب " نعم ..سيد توفيق .. أنا هو أيهم سليماني ..."

تمتم الاب باحترام " حسنً سيد أيهم مؤكد انت رجل معروف وأشهر من النار على العلم ... " ثم ضيق عينيه خلف نظارته الطبية ليقول بشكل مباشر " اخبرتني جدايل انك تريد الزواج منها .."

فرد أيهم بابتسامة " لن اعود العاصمة الا بموافقتك سيدي .."

انتفخت اوداج زوجة الاب لمناداة ايهم لزوجها بـ(سيدي) لتقول مرحبة بابتسامة من الاذن للاذن " نورتنا سيد أيهم ..."

التفت الاب ناحية جدايل فيعبر بصوت ثابت النبرات " الموافقة اولا من صاحبة الشأن "

فيرد أيهم بثقة " لقد اخذت موافقتها.. ولم يبق الا موافقتك سيدي .."

ارتفع حاجبا الاب قليلا لتلك الثقة والسيطرة التي يبديها هذا الرجل ناحية ابنته ولسبب ما لم يشعر الاب بالراحة تماما ....

ربما لأنه يراه مختلف تماما عن ابنته ، بل هو مختلف عنهم ومن مستوى آخر تماما ، مستوى قد يسمع عنه لكنه لم يلتق احدا ينتمي اليه ...

انه متردد .. محتار ... لكن عريس كهذا لايتكرر .. وجدايل تبدو ميالة له بشكل كبير...

قال الاب بتركيز على ملامح أيهم " جدايل اخبرتني انك حضرت لتخطبها بمفردك والداك متوفيان كما فهمت وقد كنت وحيدهما وليس لك اقارب مقربين ..."

اومأ أيهم برأسه موافقا لكنه أضاف موضحا

" لي عمة واحدة على قيد الحياة لكنها تعيش في مدينة جنوبية وصلاتنا منقطعة منذ سنوات..."

صمت أيهم بعد هذا التعريف ... لتعود عيناه ناحية جدايل ويلتقط ذبذباتها ...

علم عن يقين انها اخبرت والدها بأكثر من هذا ... يستطيع ان يعرف بسهولة انها اخبرته... انكماشها الشديد لانها تعتقد انها تفشي اسراره ...

اردف الاب ما حدسه أيهم ليقول بنحنحة

" كما اخبرتني عن.... وضعك.... اقصد كونك سبق... لك الزواج .."

شهقت زوجة الاب وهي تضرب على صدرها في حركة جزع عفوية بينما تلاشت ابتسامتها المرحبة تماما لتهتف بانفعال " متزوج ؟!! "

تجاهل أيهم انفعال زوجة الأب بينما تركزت نظراته على القبضتين السمراوتين اللتين اشبعتاه ضربا قبل ساعة واحدة فقط ..

رآهما الآن متشنجتين في حجرها بتوتر واضح...

عيناه هادئتان تماما بينما يشعر بجنون عالمه تتداخل بسلاسة مع استرخاء هذا العالم الذي يشكل عالم جدايل ... العالم الذي أنشأها وكونها لتكون كما هي .. كما يراها ...

جدايل التي يريد انتزاعها من كل العوالم على الارض لتكون له ...

رد أيهم ببساطة ودون اي شعور بالذنب او الحرج " انا منفصل سيدتي "

سارعت زوجة الاب لتسأل بانفعال مرتبك

" هل لديك اولاد ؟"

فتعترض جدايل بهمس مبحوح

" خالتي.... ارجوك .. "

ليرد أيهم متجاهلا توتر جدايل

" لا سيدتي ليس لدي.."

تنهدت المرأة اخيرا بارتياح وقد عادت لها ابتسامتها المرحبة المرتاحة ببساطة وعفويا افلت لسانها بالحمد " الحمد للّه .."

استغفر الاب محرجا من تعليق زوجته بينما احنى ايهم راسه يخفي ابتسامة متسلية وهو يدرك ان جدايل ستنفجر ، لتسارع زوجة الاب للقول باحراج

" اقصد عوضك اللّه خيرا سيد أيهم ..."

رفع أيهم وجهه للاب يسأله بشكل مباشر وواضح " ماذا قلت سيد توفيق ... ؟ "

لتتدخل زوجة الاب مرة اخرى باندفاع

" ماذا يمكنه ان يقول .. موافق طبعا .. على بركة اللّه "

عندها هتف الاب بحنق " حاجة زاهرة .."

فترتبك المرأة من النبرة الموبخة لزوجها وهو يناديها (حاجة زاهرة) فتبرر اندفاعها وحماستها ووجهها يتورد

" ماذا يا حاج توفيق ؟ لقد فكرت ان ... خير البر عاجله .. "

كانت جدايل تشعر بالخزي بينما تهمس بغيظ مكبوت " خالتي ... اتوسل اليك .."

قال الاب اخيرا وبنبرة صارمة " لو سمحتما اتركاني مع السيد أيهم بمفردنا .."

كان يوجه كلامه بوضوح لابنته وزوجته اللتين فهمتا جدية الطلب فغادرتا دون اي اعتراض ....

الفصل التاسع

على حافة الجدول الذي يقع خلف بيتهم تماما
كانت تقف متكتفة تحدق في المياه
الجارية بشرود مفكر ...

حتى هذه اللحظة لاتستوعب مجيئه لبلدتها..

لاتستوعب رغبته الغريبة الفجائية بالزواج
منها !!

بعد كل ما حصل يعود لتقلباته الرهيبة
لكن هذه المرة الانقلاب كان شاسعا لايعرف
حدودا او منطقا ...

ماذا يفترض ان تفعل وسط امواج الحيرة
والتشوش والارتباك التي تغرقها ...

انها حتى لاتستطيع البقاء في البيت وانتظار
القادم الذي تجهله...

لايمكن ان يتلاعب لهذه الدرجة .. لايمكن
ان تصدق مخاوفها بأن الامر بالنسبة له مجرد
مزحة .. مزحة سمجة على حسابها وعلى
حساب عائلتها ايضا هذه المرة ..

لكن لا ... إنه جاد .. جاد تماما ...

اذن ..... لماذا لاتشعر بالفرح ؟!!

حتى قلبها انكمش مترقبا وكفّ عن اهازيج
الفرح التي اطلقها أول مجيئه ..

لقد غادرت العاصمة بأكملها لتتماسك وتبدأ
من جديد في عمل آخر بعيدا عنه وعن
مؤسسته ،

ولكنه جاء لعقر دارها ليحاصرها وهذه المرة اللعبة توسعت ... توسعت واصبحت مرهقة اكثر مما مضى ..

ما معنى ما فعله قبل اكثر شهر ؟ ما معنى ما فعله قبل اسبوع في مكتبه وهي يسخر منها ليحطمها تحطيما ...

ما معنى ما حصل بين الاشجار ؟!!

احمرت وجسدها يرتعش بالذكرى ...

يا الهي كيف ستحتمل فراقه مع هذه الذكرى التي طمغ بها جسدها ..

كيف لامس شعرها .. كيف .. كيف..

لاشعوريا ارتفعت يدها لرقبتها وهي تتذكر كيف لامس رقبتها ثم .. ثم احتضنها !

شهقت بنعومة بينما احساس بالذنب والشعور بارتكاب الخطأ يربكها اكثر ..

" جدايل ...."

التفتت بقوة فرأته يقف على بعد خطوات ..

تنبهت للمرة الاولى انه يرتدي بنطال جينز بسيط وقميص اخضر باهت ..

بدا وسيما لدرجة يكاد قلبها ينشطر نصفين تأثرا به ...

ابتسم وهو يقترب ويهمس " لاتقفي هكذا بعيدا عني لقد كلفني كثير من قدراتي على الاقناع لآخذ الاذن من والدك فاكلمك بمفردي "

لم تتحرك من مكانها بينما قلبها يتراقص
فتغمض عينيها دون ارادة منها بينما ترتعش
شفتاها بيأس .....

قال اخيرا بصوت مبحوح

" لماذا انت متوترة هكذا ؟! والدك وافق لو
كان هذا ما يقلقك "

خنقتها عبرة بكاء مكتوم بينما تهمس
بتحشرج " لماذا تفعل هذا يا أيهم .. تعرف ان
لاقِبل لي بقول لا .. لكني ... خائفة .."

فتحت عينيها لتحدق في عمق عينيه
البندقيتين لتؤكد كلامها " خائفة منك.."

عيناه ابديتا تعبيرا غريبا ..

وكأنه للحظة تردد !

ثم سرعان ما تلاشى التعبير لتبرقا بالاثارة
وهو يتجاهل تصريحاتها فيقول

" السيد توفيق طلب ان نعقد القران هنا في
البلدة وعلى يد الشيخ عبد المجيد الذي زوجه
من والدتك .. "

كانت جدايل تهز رأسها برفض واهن بينما
يكمل أيهم بنبرة مشتعلة اثارة

" بعد اسبوعين سأعود ها هنا ونعقد القران
وسط احتفال مع اهل البلدة ثم بضعة اسابيع
أخر سأختطفك يا سمرائي عندما أجهز بيتا
مناسبا لنا ..."

هذه المرة رفضها كان اقوى مما فاجأه وهي تقول بألم " ارجوك لاتفعل أيهم .. اشعر انك ستسبب لي الألم .. لااعلم كيف ولكني اشعره .."

لاشعوريا وباحساس هائل تملكه امسك ساعدها ليقول بنبرة مبحوحة تفيض اصرارا

" اسبوعان يا سمراء وعلى حافة هذا الجدول ستكون قبلتنا الاولى .. ولااستطيع ان أصف لك حالي كيف سيكون وانا بانتظارها .."

ترك ساعدها ليستدير وانفاسه المتسارعة تسبب لها مزيدا من الحيرة والانفعال ...

قال لها اخيرا وهو يوليها ظهره " اسبوعان ارتاحي فيهما هنا واستعدي .. انا راحل الآن .. وعندما أعود سنحتفل ثم آخذك معي حيث اعيدك لبيت خالتك حتى موعد الزفاف الذي سنقيمه في بيتنا الجديد ..."

نادته وهو يخطو مبتعدا " أيهم .. توقف .."

لكنه لم يتوقف بل تابع ومزاجه المظلم وطبعه الناري عاد اليه

" تصبحين على خير يا سمرائي .. الامر انقضى وانتهينا ..."

رحل .. واذان المغرب يرتفع بنبرة الشيخ ذات الشجن الحزين وكأنه يتوسل المغفرة من اللّه..

بعد اسبوع ....

على سجادة فاخرة تفترش جزءا من ارضية غرفة المعيشة للعائلة (كما صنفتها هيفاء) يتمدد باسل باسترخاء متوسدا احدى الوسائد المربعة العائدة للاريكة بينما تجلس جواره شمس وهي منهمكة بتغيير ملابس دميتها ..

يده تحيط بخصر الصغيرة بينما يرخي جفنيه قليلا يتابع باستمتاع حركات يديها الصغيرتين الخبيرتين فيشعر برغبة مستفزة لعضهما ...

شعرها الكستنائي منكوش بشكل طبيعي وهي تحب ان تتركه هكذا دوما وقد عجزت هيفاء عن جعلها تربطه ولو بشريط ...

حرك يده من خصرها ليرفعها نحو تلك الخصل المجنونة فيضحك بخفة وهو يبعثرها قائلا

" ما هذا الخصلات الصغيرة المتعاركة مع بعضها البعض ... من أين لك هذا الشعر المستفز يا صغيرة .. "

ليضيف بصوت مبحوح

" امك شعرها كالحرير المغزول ..."

تضحك شمس وهي تقول ببساطة

" انا احبه .."

ثم تضيف دون ان تطلع اليه بينما تلبس الحذاء لدميتها " واحب شعر ماما واحب شعر خالي نمير ..."

فيدعي الحزن وهو يسألها بجدية " وماذا عن شعر العم باسل الا تحبينه؟!! "

تركت دميتها قليلا فترفع عينيها وتحدق في شعره بعمق وتفكير ، تعقد حاجبيها بملامح جدية لتقول في النهاية " احبه .. لكن شعر خالي نمير احبه اكثر ... ناعم كشعر ماما..."

يضحك باسل عاليا بينما يمد كفيه الاثنتين ليرفعها من خصرها فوقه فتظل معلقة عاليا تضحك ببشاشة بينما يزمجر باسل فيها

" ايتها الوقحة القاسية التي حطمت قلبي ..."

فترفس شمس بساقيها في الهواء بابتهاج وتحرك ذراعيها بشقاوة تريد ان تصل بكفيها لوجهه..

فيزمجر باسل مرة اخرى وهو يعقد حاجبيه بقوة " سآكلك أكلا ان لم تقولي شعري اجمل من شعرك "

فتقلد حركات وجهه وتعقد حاجبيها هي الاخرى وتطلق اصواتا مزمجرة ...

كاد يضحك مرة اخرى لولا انه للحظة رأى وجه ابيها فيها ....

انها تشبه قاسم ...!

ثم تذكر تفاصيل بعيدة لقريبه قاسم ..

تعود لسنوات ماضية وهو شاب عشريني ، لقد

كان شعره مجعدا كستنائيا ...

ما تزال شمس تزمجر وكأنها اسد صغير عندما

شعر بغرابة ما يحمله من مشاعر لهذه

الصغيرة...

انها حلوة كالسكر وهو يحب مجالستها يوميا

لكن مشاعره لم تنفعل هكذا من قبل !

للحظة .. للحظة فقط اراد اخذها في احضانه

وضمها بقوة لصدره ...

للحظة تمنى رؤية الغبي قاسم الذي ترك

ابنته هكذا ببساطة ليحطم وجهه بقبضة

يده ..

مرت اللحظة سريعا ليداهمه شعور مناقض

تماما ...

انزل شمس لتسترخي برأسها الصغير على

صدره ثم تبدأ بدغدغته وهو لايستجيب ...

كان شاردا تماما عن تلك الاصابع الصغيرة

التي تنحشر بين فتحات القميص لتدغدغ

جلده ..

يفكر انه ابدا لن يتمنى لو تصرف قاسم

بشكل مختلف ...!

فلولا هجر قاسم لهيفاء لما اصبحت له الآن...

جاء صوت هيفاء نزقا من عند المطبخ

" باسل .. لو سمحت تعال وشغل لي غسالة

الصحون .. انها لاتعمل مرة اخرى ! "

هذه المرة احتضن شمس بعاطفة قوية

متملكة بينما يهمس في اذنها

" تعالي لنشغل الغسالة لماما قبل تهاجمنا

مزمجرة كلبوة عصبية المزاج .."

هبّ على قدميه برشاقة وهو يحمل شمس بين

ذراعيه ليذهب الى المطبخ فيرى هيفاء تقف

هناك عابسة مرتبكة ...

تحدق في غسالة الصحون بحاجبين معقودين

نزقا بينما تحمل المغرفة بيدها حيث كانت

تعد طعام الغداء لليوم التالي كما تفعل كل

يوم...

كانت ما تزال بملابس العمل وترتدي فوقها

مريول المطبخ فقط خلعت حذاءها واستبدلته

بخف بيتي جميل ...

تنبهت لوجوده ووقوفه عند باب المطبخ

فعبست اكثر وهي تقول بحنق

" تعال وساعدني باسل .. لاتقف هكذا !"

انزل شمس أرضا ليتقدم ناحية زوجته

بابتسامة تعرفها جيدا ..

ارتفع حاجباها قليلا وقبل ان تعترض لفّ

ذراعه حول خصرها ليجذبها بقوة لصدره..

اخذت تدفعه بارتباك وهي تقول " اتركني باسل ! اقول لك ساعدني وانت .. وانت ..."

دون حياء او خجل من وجود الصغيرة شمس مال لشفتيها يصرعهما شوقا ورغبة وتملكا ...

عندما ابتعد ضربته بالمغرفة التي كانت تحملها بينما تهمس من بين اسنانها " اياك ان تفعل هذا امام شمس مرة اخرى .."

فيهز كتفيه ويقول بلا مبالاة " لاتكوني متحفظة اكثر من اللزوم ، انها لاتبالي ... "

زفرت بقوة وهي تنظر لابنتها المشغولة بأكل الفراولة من الثلاجة فتأففت هيفاء متوردة الوجه وهي تخلص نفسها من بين ذراعيه بحنق

فيضحك باسل ببشاشة مصطنعة يخفي في داخله شعورا غير مريح بات يكتنفه نحوها على الدوام ..

جلس القرفصاء امام الغسالة ليرى علّتها بينما عقله غارق في علّة زوجته !

يشهد لها انها امرأة من الدرجة الاولى ....

في كل شيء ....

في البيت .. تعتني بكل صغيرة وكبيرة .. تراعيه هو شخصيا كما تراعي شمس حتى بات معتادا بل مدمنا على اسلوبها في التنظيم والتنسيق ...

تستمع له كما لم تفعل ايا من زوجاته السابقات ولاتشعر بالملل عندما يكلمها عن الارقام التي يعشقها ...

هو نفسه لايشعر بالملل معها وفي اي حالة تكون عليها ... على العكس .. يحب اسلوبها في الكلام .. وطريقتها الحازمة التي لاتخلو من الانوثة وهي تتعامل مع الآخرين ..

يحب منهجها في قيادة الامور وتبدو في افضل حالاتها بوجود شمس ...

لكن في السرير الامر مختلف .....!

احيانا تثير فيه هستيرية رغبة محمومة تصل الذروة وهي ترتدي له قميص نوم جديد ابتاعته خصيصا لاجله دون ان تنسى ارتداء حذاء بكعب عال يؤجج فيه النيران اكثر واكثر ... ليقضي معها ليلة من الف ليلة وليلة ....

واحيانا ... احيانا تبدو غريبة الاطوار بين ذراعيه .. تبدو متباعدة ..

متباعدة بشكل يحبطه بل يجعله يجن ليعرف ما بها ..!

يتلهف لارضائها لكن عينيها تخبرانه بوجود نقص ما ..

نقص يوجعه ...... ولايفهمه ...

يسألها فتتهرب ببراعة من الاجابة ...

هيفاء امرأة ليست كأيّن من النساء ...

هي غامضة بالنسبة له بشكل مريب ..لايحب هذا الغموض .. دوما يحب صريح الكلام .. يتعبه الغموض ويجده مشقة لامعنى لها ...

انحنى لينظر داخل الماكنة العاطلة ثم بدأ يعمل على تشغيلها بينما ذهنه ما زال منشغلا بزوجته التي تؤرقه ...

على الاقل لم تعد تبكي ليلا كما كانت تفعل احيانا في الايام الاولى من زواجهما ...

كاد ان ينتهي عندما سألها فجأة " ما اخبار جدايل ؟ ألن تعاود التفكير بالعودة للعمل ؟ استطيع ان اتوسط لها لتسحب استقالتها .. "

شعر بحركة جسدها وكأنها ارتبكت !

رفع اليها وجهه عاقد الحاجبين فرآها كيف تحمل تعابير الحيرة والارتباك والقلق ...

عبس باسل اكثر وهو يقف على قدميه ليواجهها قائلا " ماذا يحصل مع جدايل ؟ لماذا لاتصارحيني بمشكلتها فربما استطيع المساعدة ..."

نظرت اليه بحيرة اكبر .. بدت الحيرة هذه المرة تخصه هو !

لتعبر هيفاء بالقول " هل تعني ما تقول يا باسل؟ هل تهتم لجدايل حقا ...؟"

ارتفع حاجبا باسل في عجب ثم قال ببعض الضيق " مؤكد اهتم ! ولم لا افعل ...؟! انها فتاة لطيفة كما انها صديقتك .."

ارتسمت تعابير غريبة على وجهها الجميل
لتقول بتأن " انت احيانا تربكني يا باسل !
احيانا لااعرف من أنت حقا .."

كان ضيقه يتزايد لاسباب لعينة مجهولة
غير مفسرة وكأنها معادلة رياضية مستحيلة
وعقله يعاني ليحاول استيعابها اولا ...

قال وهو يزم شفتيه " انا انسان ابسط بكثير
مما تحاولين تعقيده ..."

اغلق باب الغسالة ببعض الحدة ليضغط زر
التشغيل ثم تركها واستدار مغادرا المطبخ
بينما شمس تركض وراءه تلاحق خطواته
كظله ..

ظلت هيفاء للحظات طويلة تقف مسمرة
مكانها بينما قلبها يوجعها لرؤية شمس وهي
تلاحق خطواته هكذا ..

ابنتها تتعلق به رغم انه لايبذل مجهودا
يذكر معها ... فقط عندما يعودان من العمل
يجالسها .. يضحكها.. يتفرج معها على
التلفاز.. واغلب الاحيان تأخذه غفوة قيلولة
بجانبها على السجادة في غرفة المعيشة ..

لم يقدم لها أبوة حقيقية ... لاتشعره هيفاء
انه قدم لشمس هذا الاحساس ...

لكن يبدو ان ابنتها تتصرف غريزيا تبحث
فيه عن أب لم تره يوما ولم تعرف معنى
لوجوده ...

قبل زواجها بباسل كانت شمس احيانا تنادي جدها بـ(بابا) ..

ثم تعود لمناداته جدي دون ان يصحح لها احد... فقط من نفسها تصحح لنفسها ...

اما الآن فهي تتقبل ببساطة ان تنادي زوج امها بـ(العم باسل)

التفتت هيفاء قليلا لتمسك بحافة الخزانة دون سبب .. فقط تشعر برغبة في الاستناد لشيء ثابت ...

انها تبذل المستحيل لتتقرب منه وتتغلغل لحياته حتى لايستطيع الاستغناء عنها وفي نفس الوقت ما زالت تصارع في مشاعرها معه ..

لاتنكر انه رجل جذاب ، حيوي ومؤثر للغاية في انوثتها لكن ... ما زال جزء منها يرفضه .. وهي تعاني الامرين في طمر هذا الجزء بعيدا ..

لاتريد خسارة باسل ..

ليس بعد كل ما تبذله ..

هي لن تفشل .. لن تفشل مرة اخرى ...

اخذت نفسا عميقا قبل ان تأخذ افكارها مسارا آخر ...

مسارا الى حيث صديقتها جدايل ...

صديقتها تخفي امرا عنها ...لقد كلمتها قبل يومين فقط وبدت مشوشة لدرجة لاتوصف ..

تكرر الجمل وتتهرب من اسئلتها بطريقة مكشوفة ومربكة ..

كل ما قالته انها تحتاج لبعض الوقت حتى تستطيع الكلام ...

لاتعرف ما جرى لها !

عندما استقالت من المؤسسة صدمتها لكنها فهمت السبب نوعا ما حالما علمت بعودة أيهم سليماني من سفره الطويل ...

مسكينة جدايل .. لقد وقعت في هوة اعمق بكثير مما كانت تتخيله ...

بعد منتصف الليل ...

(ردي على اتصالاتي يا سمراء .. لن ينفع هذا التهرب مني ... تركتك لاسبوع حتى تستوعبي وهذا يكفي .. ردي يا صغيرة والا سأركب سيارتي وآتيك في عقر دار والدك واثير فضيحة في البلدة بأسرها .. تعرفينني مجنون وافعلها)

تعثرت انفاسها وهي تجلس في سريرها تضم ساقيها لصدرها وتمسك بهاتفها النقال تحدق في رسالته الاخيرة ...

لم تستطع التكلم معه ابدا ..

انها تشعر بالضياع التام ...

لاتعرف كيف يفترض ان تشعر !

قلبها يخونها ويتآمر على عقلها وحدسها الذي يحذرها منه على الدوام ..

ماذا تفعل ...؟ ماذا تفعل يا رب ؟

حتى والدها وعائلتها يبدون سعداء للغاية بهذا الارتباط المفاجئ... السريع ...

انها ليست مقربة لوالدها بشكل كافٍ حتى تخبره بما يحدث معها ... وهو لم يسأل ولم يستفسر عن شيء وكأنه أكتفى بفرحة ارتباط ابنته برجل كأيهم سليماني ...

وحتى لو كانت مقربة منه لاتعلم لم لاتشعر انه لن يفهمها ابدا وسيظنه مجرد دلال فتيات...

والدها و الخالة زاهرة بدوا فخورين جدا امام المعارف والجيران بالعريس المبهر ....

والخالة زاهرة تحديدا تبالغ بالتفاخر بين نساء البلدة ....

وهي جدايل ضائعة تائهة تبحث عن بر أمان ... انزلت قدميها الارض تبحثان بعفوية عن خفيها وما ان وجدتهما حتى ارتدتهما لتقف وتتحرك حاملة هاتفها مغادرة الغرفة بخطوات مكتومة حتى لاتوقظ اختيها ....

عند حافة سور سطح البيت تقف ..

في ظلمة الليل وهدوئه الذي لايقطعه الا صوت جريان الماء في الجدول امامها وحشرات الليل التي تعزف على طريقتها ...

حدقت بالشاشة قبل تتنهد بارتعاش لتتصل به.........

لم ينتظر الرنة الثانية ليرد عليها ويأتيها صوته ضاحكا " تخيلي...... تمنيت من قلبي ان لاتفعلي لانفذ تهديدي "

تنهيدة عميقة تحاول به السيطرة على انهيار قلبها ومشاعرها لسماع صوته ...

قال لها بهمس رجولي مدمر لقلبها

" اسمع صوت جريان الماء .. هل انت عند الجدول حيث تركتك ؟"

ردت باختناق " بل قريبة منه .. اطل عليه من على سطح البيت..."

سأل بنبرة مبحوحة " هل تشتاقين ألي ؟"

فتسيل دموع منها وتخنقها العبرة لتقاوم وهي تسأله بألم " لماذا تفعل هذا ؟ "

سال بصوت أجش " ماذا افعل ؟"

ردت والعبرات تتلاحق " اريد ان اعرف .. لأكف عن التساؤل ... ماذا تريد مني حقا ؟ لماذا تريد الزواج بي ؟ انت انت ..."

شهقات بكاء ناعم قطعت استرسالها ليسألها بهمس رقيق " أنا ماذا ؟ "

هتفت باختناق غاضب وهي تمسح دموعها

" انت تعلم وموقن اني .. لااستطيع قول لا !"

انفاسه تعالت عبر خط الهاتف وكأنه حاضرا معها هنا يلامس بشرتها بتلك الانفاس ليقول بصوت نابض " تحبينني ..."

لاإراديا اطلقت صوتا بائسا ملتاعا ....

لم تعرف أكان هذا سؤالا تعذيبيا منه ام مجرد تقرير قاس للواقع المؤلم الذي تعيشه ..

ناداها اخيرا وهي تفقد زمام امرها لتشهق ببكاء مكتوم " جدايل ...."

لم ترد عليه وهي تبكي بصوت اعلى وتحاول كتمانه بشق الانفس وسط هذا الهدوء النسبي حولها ...

كان مستلقيا على سريره عاري الصدر يحدق في سقف غرفته بينما كله منجذب لذلك الصوت الناعم الباكي الذي يأتيه عبر الهاتف...

كيف يشرح لها ما يعجز هو عن شرحه لنفسه؟!

كيف يفهمها انه يريدها بطريقة بدائية غير طبيعية على الاطلاق ..

عليه ان يعترف انها لاتخدره بل تمتصه ....!

لقد ضاعت منه ملامح علّته الاساسية ليغرق مرغما في تفاصيل دقيقة ترسمها احتياجاته التي اشعلتها هذه الصغيرة ...

كيف يفهمها انه يكاد لايعرف معنى الحروف التي تتشكل لتصف المشاعر !

كيف يصارحها بأنه اكتشف انه أميّ جاهل بكل تلك الحروف ....

انه اكتشف ببساطة ان حرفين فقط هما ما تعلمه في حياته .. تعلمهما وأدمنهما وأكتفى بهما ...

ح و خ ... حب و......خيانة ....

والآن الحروف تتدفق عليه وتتشابك بوجود هذه الفتاة التي قرر ان تصبح ملكه بكل ما تحمله الكلمة من معنى ...

لايستطيع فعل شيء آخر ..

الامر اكبر منه هذه المرة ليدعي الصمود ..

اكبر من قدرته ليتجاهل احتياجه اليها...

انه يراها في خياله فيلهث خلفها جائعا بضراوة يريدها بجنون لتسد جوعه ...

قال لاهثا " زواجنا سيتم يا جدايل .. لقد دخلتِ عالمي وخطوتِ داخل دائرتي الاقرب لي وجعلت نفسك هدفا دون ارادتي أو ارادتك..."

هتفت بصوتها الرقيق المعذب " لكنك لاتحبني ! لكنك لاتريدني حقا ... انت .. انت حتى لاتفصح عما تعانيه .. بل عما عانيته سابقا ليجعلك تعاني وتتألم حتى هذه اللحظة .. لاتخبرني لماذا يحدث كل هذا لك .. لاتصارحني بحقيقة انفصالك عن ..."

قاطعها هاباً من سريره وهو يزجرها بعنف رهيب دون ان يستطيع كبح نفسه " حذاري جدايل ... خطواتك ستقف عند هذا الحد ... سمعتني؟! عند هذا الحد..."

اخذ صوته يجلجل بالكلمات الاخيرة حتى ارتجت اركان غرفته بينما النار تشتعل بجسده في غضب مجنون ..

فلم تملك جدايل الا البكاء والصمت بينما هو يفقد كل استرخائه ليجد نفسه يحوم في اركان غرفته ...

انفاسه تزمجر كأسد عنيف في قفص يرفضه ويرفس قضبانه بينما ما زال الهاتف على اذنه والخط مفتوح بينهما ..

هدأ قليلا وصوت بكائها يهدأ معه ...

اخذ يمرر يداً مرتشعة في شعره الكثيف بينما يبتلع قسوته وغضبه قسرا ويحشرهما في جوفه تتلاعب بهما شياطينه ...

قال بصوت متحشرج غريب حتى لاذنيه

" جدايل ... قوليها لي "

فتسأل بهمس مرهق " ماذا اقول ؟"

ليعود للهاتف الخيالي خلفها فيقول باصرار غير عادي يطلب

" قولي انك تحبينني .. انك ستكونين لي"

صمتت وانفاسها فقط تصله مرتجفة فتتشنج اصابعه حول هاتفه ليهمس بحشرجة حادة

" قوليها جدايل .. قوليها ..."

بعد لحظات صمت وترقب مذهل قالت بنبرة شجاعة " لن اقولها أيهم ... افهمها أنت اولا قبل ان تطلبها ... فلا اصدق انك ادركت معناها يوما .. لا معي ولا مع غيري ..."

ثم ببساطة اغلقت الخط بينما تجمد أيهم وعيناه متسعتان بصدمة غير عادية ... وغير .. متوقعة ......

اغلق هاتفه اخيرا ورماه على السرير ...

بنظرات مشتتة اخذ يتطلع حوله ...

وكأنه يتطلع لداخله !

شعر فجأة بنفور شديد من هذه الغرفة الانيقة..

نفور من هذه الشقة بأكملها ...

شقة استأجرها منذ عام فهو لم يجد القوة لتطأ قدماه بيتا كان يجمعه بالخائنة ...

شقة شهدت عليه ... جدرانها كانت تحدق فيه وهو يتلوى من شدة ألم الخيانة الذي كاد ان يزهق رجولته ويقتل قلبه ..

نوافذها كانت توقظه صباح كل يوم لينفض عنه سبات الكآبة والخواء ثم تذكره بضرورة ارتداء قناع السيطرة على وجهه كما يرتدي ملابسه على جسده ...

شعر انه مخنوق هنا بطريقة عجيبة ...

فتمتم بعينين لامعتين وهو يستعيد تركيزه

" حان الوقت لرمي هذه الشقة بما فيها لاقرب مزبلة ..! "

صباح اليوم التالي ...

" اكاد لااصدق ! حصل كل هذا منذ اسبوع كامل ولم تخبريني جدايل ؟!! "

اخذت جدايل تمسح على جبينها بانهاك وقد عجزت عن قول المزيد ...

ظلت هيفاء تردد عبر الهاتف " لااصدق .. لااصدق ... ستتزوجين الاسبوع القادم ومن أيهم سليماني تحديدا ؟!!"

همست جدايل بضعف " عقد قران فقط ... العرس لن ... لن ...."

لم تعد تستطيع التحمل لتنهار بالبكاء .. تشهق بارتياع وعجز عن فعل شيء آخر ..

صمتت هيفاء وقد عجزت هي الاخرى عن قول ما يخفف عن صديقتها التي ابتليت بعشق ليست اهلا لتحمله في قلبها الصغير البريء..

سخرت هيفاء من نفسها وهي تفكر انها في يوم ما عندما كانت في عمر جدايل شعرت ان عشقها لقاسم ليس كعشق باقي البشر !

كم كانت واهمة ....

ما بينهما كان حبا رقيقا تكلل بزواج لم
تكتمل اركانه من نضوج الطرفين فوقع بيت
الزوجية تحت اول ضربة من غيرة الحموات
المكررة ....

لكن مع هذه الصغيرة المسكينة الامر
اكثر قوة واشد شراسة واعمق تأثيرا ...

ماذا تقول لها ؟!

فجدايل اكثر من مدركة ان الوضع غير
طبيعي مع هذا الرجل بماضيه الغامض ....

لكن جدايل عاشقة ..

متشربة عشقه في خلاياها ..

هو استعمرها بالكامل ولم يترك لها منفذا
واحدا لتهرب من خلاله ...

قالت هيفاء بصوت رقيق متعاطف متفهم وقد
هدأ بكاء جدايل قليلا

" جدايل انا اشعر بك ولن ألومك ابدا واقول
انك اخطأت بعشقه لان العشق كحيوان بريّ
لايعرف معنى اللجام وأيهم لم تكوني ندا
حتى لتقاوميه ... لكن يا صديقتي انا ارى
فيك قوة مطمورة مقيدة مشوشة .. حاولي ان
تنفضي عنها العجز وتقاومي .. حاولي على
الاقل تأخير الزواج قدر الامكان لتفهمي
الرجل جيدا وتعلمي حقا ما يربطكما معا
قبل ان تنغرز قدماك في رماله المتحركة
وتبتلعك ..."

شهقات ناعمة تتخلل تمتماتها بـ(نعم)...

ارتاحت هيفاء بعض الشيء فقد ادركت ان جدايل تفكر بنفس الطريقة وهذا جيد ...

ان لم تستطع قول (لا) له على الاقل تستطيع تأجيل الامر لبعض الوقت ...

سألتها تداعبها لتغير قليلا من مزاجها

" ما اخبار الخالة منيرة بينما عروس ابنها تساق لعريس آخر ؟ "

تنهدت جدايل بكآبة وهي تمسح خديها لتقول بضيق " خالتي منيرة في اول مكالمة اخبرها فيها بالامر اخذت تبكي وتولول عبر الهاتف لتغلق الخط في وجهي ثم اتصلت بعد نصف ساعة بغضب مدوٍ تهددني انها لن تسامحني ابدا اذا تزوجت بغير سعد ! ثم اغلقت الخط مرة اخرى واخيرا اتصلت ثالثا لتبكي هذه المرة بخجل من نفسها وتقول مرغمة انها سعيدة لأجلي ! "

ضحكت هيفاء رغما عنها بينما تسترخي جدايل قليلا وتبتسم بنعومة فتهمس لصديقتها " لاتتركيني هيفاء ... تعالي الي وقت عقد القران ...."

ردت لها هيفاء بحنان " مؤكد سأكون موجودة .. لاتقلقي حبيبتي "

فأكتفت جدايل بتنهيدة جديدة اشبه بشهقة بكاء مخنوق ....

على عتبة باب قديم يخفي وراءه الجحيم
يقف متأهبا لاستقبال النيران بصدره ....

كلمات تطن في اذنيه (" لن اقولها أيهم ...
افهمها أنت اولا قبل ان تطلبها ... فلا اصدق
انك ادركت معناها يوما .. لا معي ولا مع
غيري ...")

تمتم بشفتين مرتعشتين

" وانا لم اعد اصدق شيئا يا سمراء ..."

ادار المفتاح فانفتح الباب بسلاسة لم يتمنَها
وكأنه ارادها مستعصية منيعة لتقف في
وجهه ...

رائحة الغبار كانت عطر البيت الآن فلم
تسعفه ذاكرته بعطره القديم كيف كان !

ارتعد جسده وهو يقدم على الخطوة الاولى
ليعبر تلك العتبة ....

اسبل اهدابه ... بل اطبق جفنيه وهو يقف
هناك يجاهد مع اندلاع النيران في جوفه ..
تهدده بالمزيد اذا خطا خطوات أخر ...

لكن ليس أيهم سليماني من يتراجع ...

لن تخيفه نيران عاش بها ومعها لعام كامل ..

سبابة ووسطى من اصابع يده اليمنى ارتفعتا
لتلامسا الحائط بجانبه ، وكأنهما تبحثان له
عن طريق سالك وسط هذا الجحيم الذي لا
أول له ولا آخر ...عيناه ما زالتا مغمضتين
واصبعاه يقودانه كأعمى البصيرة بينما
تنسابان على الجدران بتأن ...

ارتجف كله بينما الاصبعان تصلان لاطار

صورة ... صورة ضخمة ..

انه يعرفها ..

يحفظها ..

متشرب بتفاصيل الوجه المغرور الفاتن فيها ..

وايضا لم يفتح عينيه بينما تنساب الخيالات

مع انسياب اصبعيه على طول حافة الاطار ...

(لماذا تبدين غير راضية ؟ ألأني غلبتك في

التنس ؟ ...... هل رأيت الفتاة ؟ ..... اي فتاة ؟!

..... تلك الصغيرة المدللة التي كان والدها

يحملها على كتفيه .... امممممممم نعم

لمحتهما يتفرجان علينا ونحن نلعب، ما بهما ؟

.... اشعر بالحنق والغيرة فلا اتذكر ان

هناك من حملني على كتفيه يوما ! جدي

كان عليلا على الدوام .... هههههههههه

..... لاتضحكك أيهم ! ..... لن أكون أيهم

سليماني ان لم احملك على كتفيّ الآن ودرت

بك في انحاء البيت كله حتى تملين

وتتوسلين النزول ....)

لم يشعر الا بتلكما الاصبعين يتوحشان

فيتنزعان الصورة من الجدار بحركة واحدة

لتسقط ارضا وتتحطم !

و ..... لم ينظر .....

سار فوق الحطام وصوت التكتكات تحت

قدميه تجعل داخله يتأرجح بين الانتعاش وألم

الحريق .....

انساب اصبعاه مرة اخرى وهو يعرف الى اين تقودانه ...

صورة اخرى .... كانت تعشق نفسها وتدرك جمالها .... فملأت الجدران بصورها...

هذه المرة كان الاصبعان يتشنجان وهما يمران على الحافة .....

(هل أنت واثقة انك تريدين فعل هذا ؟! ......
مؤكد واثقة لكني لست راضية لانك اجبرتني على ارتداء سترة النجاة فانا اجيد السباحة اين متعة الشعورة باثارة الخطر ؟!....

لااستطيع الاطمئنان لااستطيع ان اجازف بأي خطأ قد يعرضك لخطر مميت.........حسنا انطلق يا بطلي هذه الدراجة النارية رائعة يؤسفني انها ستسقط في النهر .... كله فداء لك عشتار ... وعلى بعد خمسين مترا من حافة النهر انطلقا معا على نفس الدراجة النارية كمجنونين حتى ارتفعت تلك الدراجة عاليا لتنزل مرة واحدة ويسقط هو وهي والدراجة جميعا في الماء وسط صيحات عشتار الحماسية)

صورة اخرى تتحطم بعد ان اوقعها بعنف على الارض ليدوسها متعمدا وبغل جنوني ثم تتحرك قدماه والاصبعان متلهفان للقادم وصورة اخرى ...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

(أيهم استيقظ ... ماذا هناك ؟! كم الساعة؟ ... الثانية بعد منتصف الليل .... ماذا حصل عشتار ؟! .... اريد الذهاب لجنوب افريقيا ... ماذا ؟! ... اريد زيارة القبائل الوحشية هناك .... لماذا تحدق في وجهي هكذا ؟! قل شيئا ..... امممممممم افكر ان لدينا مشكلة عويصة ......ماذا ؟ .... ليس لدي الا الليلة لاعلمك بعض الطقوس الوحشية لتلك القبائل قبل ان ننطلق صباحا لهناك .... ايييييييهم هههههههههههه انت تؤذيني يا متوحش .... هذا ثمن رحلة الغد حبيبتي........)

هذه المرة صرخة شقت صدره وحنجرته مع تحطم الصورة الثالثة ....

كان يلهث وهو يأبى ان يفتح عينيه وكأنه اصيب بمس من الجنون ...

لهاثه المجنون يسبق خطواته واصبعاه جُنّا معه حتى وصل الرابعة وهو ينهت !

(ماذا تفعلين ؟ .... انزع عنك قميصك ... وبعدها ؟ .... سأبني جذعك من الصلصال ..ساستمتع بشغف وانا اضعه كل إنج من جذعك الرجولي هذا ...... وبعدها ؟! .... ساستمتع أكثر وانا ازيل الصلصال بشفتيّ ....)

حطام جديد ... كفّاه متقلصان على الجدار

وقلبه يخفق بعنف وجسده يتعرق بشدة ..

يقاوم ويقاوم ..... وصوت السمراء يلامسه

كأجنحة فراشات وهمية (" لن اقولها أيهم ...

افهمها أنت اولا قبل ان تطلبها ... فلا اصدق

انك ادركت معناها يوما .. لا معي ولا مع

غيري ...")

تحرك منهكا ووجهته يعرفها لايحتاج

دليل........

يرتقي درجات السلم بعينين مفتوحتين هذه

المرة ... لكنهما جامدتي النظرات والخيالات

تطارده كاشباح سكنت روحه كما سكنت

هذا البيت ....

هنا ... يلاحقها على السلم وهي تضحك

تغيظه ... هناك اعلى السلم يمر قربها

يعاقبها بالتجاهل لايام اذ اثارت غضبه

بافعالها الرعناء احيانا فتتشبث به بجنون

هستيري وتقبل عنقه وشفتيه حتى تثيره

فينصاع للرغبة التي تدفع احدهما نحو الآخر

طوال الوقت ....

ضرب بقبضة جبارة على سور السلم الحديدي

الدائري وبعينين تحترقان اكمل طريقه

للاعلى ....

انه الآن في قلب الجحيم ....

غرفة نومهما ....

ينظر ولاينظر ....

يشتعل بالجحيم وترتعد فرائصه باحساس جليدي مميت ....!

يحدق بجمود في السرير المرتب الذي غطاه الغبار ككل شيء في هذا البيت ...

الخزائن ... منضدة الزينة .... كل شيء في مكانه وليس في مكانه في نفس الوقت ..

لم يعد هناك الا عطر الغبار الخانق !

تقدم بانفاس عادت للهاثها ...

بل ان اللهاث اصبح كسباق خيول بريّة ...

قبضته ارتفعت لتفتح خزانة بعينها دون غيرها ....خزانتها هي .....

صدره يعلو يهبط باضطراد وهو يقف ذاهلا امام بعض الفساتين المنسيّة ...

قبضته ارتجفت منه وهي تصل لفستان ازرق بلون عينيها ....

سحب الفستان ببطء من تعليقته ليرتجف الفستان امام ناظريه بارتجاف قبضته التي تمسكه بتشنج رهيب ...

بارادة منزوعة منه رفع القماش الرقيق لأنفه يتشممه باحساس لايوصف وكأنه مدمن يبحث عن ضالته لعلّه يجدها ....

وفي لحظة نفض الفستان من يده بعنف فاسود لون عينيه واظلمت ملامحه ليهمس بعنف مخيف

" لن أطيق صبرا لرؤية وجهك عندما اجدك واجعلك ... تعلمين ! "

وبلمحة جنون ناري انتزع الفستان ثم اخذ يمزقه تمزيقا ويرمي اشلاءه في انحاء الغرفة بهستيرية ...

كان الامر يرضيه ويزيده جنونا مخدرا لحواسه فلم يعد يشعر حتى بما تفعله يداه بينما ينتزع الفساتين الواحد تلو الاخر ليلقَ كل منهم مصير الذي قبله وهو يصرخ بكلمات جدايل التي أرقته طوال الليل

" لم ادرك معناها.... لم ادرك معناها "

....

بعد بضع ساعات.....

كان أيهم يقود سيارته بينما يتكلم برزانة وبرود عبر الهاتف وهو يلقي تعليماته لاحد ما قائلا " البيت اريد تنظيفه من كل شيء سأعرضه للبيع خلال يومين "

ثم اغلق الهاتف وهو يركن سيارته جانبا..

ترجل منها يحدق ببطء بينما عيناه تلتقطان عبر نظارته الشمسة السوداء قدها الدافئ المياس ... اشعة شمس العصر تنعكس على صفحة وجهها الاسمر المحتار ... تجلس على الارض بأريحية وهي تثني ساقيها تحتها بينما تحدق بشرود في صفحة الماء الجارية في الجدول امامها ...

وشاحها طار بخفة ليسقط للخلف ويتدلى على ظهرها دون ان تشعر به ...

شعرها يتطاير فيداعب خدها ويمنحها هالة غير واقعية وكأنها من عالم آخر ...

لم يعرف انه أبتسم ..

قلبه ... يخفق هوسا بالسمراء التي لاتكف عن التفكير به ..

به هو وحده .....

كما لايكف هو الآخر عن التفكير بها....

زفرة ناعمة حارة عبرت شفتيه ليغلق باب سيارته الرباعية الدفع بينما يتوجه نحوها واعاصير مرح احتفالي تهلل من حوله ...

همس لنفسه بشفتين ترتعشان تأثرا " متى ينتهي هذا الاسبوع الطويل يا أبن سليماني ؟!"

الفصل العاشر

لم يعلم كيف يفترض أن ينساق لاحساسه ورغبته في الوصول اليها ؟!

هل عليه ان يسارع في الخطوات ام يتراخى فيها ؟!

شيء ما يدفعه للاندفاع نحوها بجنون وشيء مضاد يزجره ليهدأ قليلا ....

انها تخافه ... وهو يخاف نفسه عليها ...!

اقترب بخفة مشاكسة بينما هي ساهمة لم تتنبه لاقترابه ...

سمعها تدندن باغنية ما لم يتعرف على لحنها بينما شعرها اخذ يتطاير اكثر دون ان تتعب نفسها بازاحته عن وجهها ...

وقف خلف ظهرها تماما ليهمس بنبرة شقية

" هل القرويات يغنين للجداول عادة ؟ "

شهقت وهي تستدير اليه باضطراب مضحك وبدلا من ان يضحك كان يبتسم بتلذذ فقط يراقب اضطرابها الشديد بينما تقف على قدميها بتعثر لترفع الوشاح تلقائيا فوق راسها تأبى النظر اليه وهي تتمتم (صباح الخير) ...

عبس قليلا وما زالت ابتسامته متراخية على شفتيه ليقول بتفكه " كنت أخف ظلا واكثر شرارة في العاصمة ! لم تكوني لتصمتي ابدا وانا اشاكسك هكذا "

فرفعت عيناها اليه باحتجاج صامت ليضيف المزيد يناكفها " ما رأيك ان اختطفك للعاصمة مرة اخرى ؟ سيتحسن مزاجك هناك وتستعيدين شقاوتك وتلاعبك الطفولي معي يا سمراء "

تنهدت بعمق وهي تشيح بوجهها جانبا فيقترب منها وهو يهمس بحرارة " استحلفك بالله الا تشعرين ولو ببعض الاشتعال الذي اشعر به ؟ اكاد لااطيق مرور الساعات.... "

احمر خداها فعضت شفتها السفلى لتتكلم اخيرا وهي ما زالت مشيحة بوجهها

" انت تعبث معي .. وانا بغباء استسلم لعبثك "

اقترب اكثر حتى كاد يلامسها بجسده فتراجعت هي عفويا للخلف تواجهه بنظرات شابها الشجن فيسأل بنفس الابتسامة التي لاتفارقه " اين والدك ؟"

ردت على مضض " ذهب لبلدة قريبة يزور بعض الاقارب ويدعوهم لعـ....قد.... القران ..."

ضاقت ذرعا بتجاهله لما تعانيه فهبت تسأل على حين غرّة " لماذا حضرت اليوم ؟"

فيرد بسلاسة مستفزة

" سؤال غريب من خطيبتي ! "

زفرت بقوة بينما هو يضيف بمرح ويقترب خطوة " احضرت بعض الهدايا لك .."

ردت بقسوة وهي تتراجع خطوتين " لااريد ..."

اصطنع نظرات حزينة اكثر استفزازا ليقول برقة وهو يشير للمسافة الفاصلة بينهما

" لماذا تقفين بعيدا هكذا .. كلما اقتربت خطوة تتراجعين خطوتين ..."

تقبضت يداها وهي تسأله اسئلة متلاحقة و بفقدان سيطرة كامل

" لماذا أيهم ؟ لماذا حضرت اليوم ؟ لماذا حضرت قبل اكثر من اسبوع تطلبني للزواج.؟ لماذا تريدني أنا تحديدا ؟ لماذا ... لماذا ؟ "

فيعاود الاقتراب وهو ينظر اليها بتملك ليسأل بصوت مبحوح " لماذا ماذا بعد يا سمراء ؟!"

تمسح عينيها بعنف تمنع دموعا اوشكت ان تنزل فرفضتها بقوة لتهتف بعدها وهي تكاد تنهار والذكرى المؤلمة ما زالت تنبض كنبض قلبها " لماذا فعلت ذلك ... تلك الليلة .. ثم تسافر لشهر كامل وتعود .. تعود بعدها لتعاملني ... ببرود ... بازدراء ... انا ... لااستحق هذا ... منك .. انا لست ضعيفة هكذا .. لست ضعيفة لأقبل منك هذا الاذى وأصمت .... كما لست غبية لاعيش فرح الزواج منك واتناسى ما حصل تلك الليلة البشعة في مكتبك ... "

ذابت نظراته بمشاعر غريبة وهو يقترب خطوة اخرى اكثر تلقائية ليهمس بصدق موجع لها هي تحديدا

" انت اكثر من غيرك تعرفين ... بل .. تشعرين بحدس صاف يثير الدهشة ان ما حدث لم يكن بيدي ..."

لكنها قاومت وهي تتراجع للخلف قائلة بعينين مشتعلتين بالغضب " كما حاجتك الغريبة الشاذة الآن للزواج بي ؟!! "

ابتسم بخفة وكأنه يحايل طفلة غاضبة بينما قال بعذوبة متناهية " ليست شاذة على الاطلاق ... ربما غريبة لكنها ليست شاذة ... "

تعبت من سلطانه عليها .. انهكها وتعبت من كل هذه المماحكات الجدلية بينهما

همست اخيرا وهي تتطلع لعينيه بتوسل من صميم قلبها " اخبرني أيهم .. فقط لماذا ؟ "

حدق في تلك العينين ليقول بنعومة تخفي الكثير القسوة " انت تعودين للتلاعب يا سمرائي ... تحومين حول (لماذا) واحدة وتتخذين من بعض الـ(لماذات) حجج واهية لتصلي الى ما تريدين ..."

ثم اضاف بنبرة تلوح ببعض تلك القسوة التي يكبتها " لقد حذرتك من فعل هذا اكثر من مرة يا جديلتي ... "

لم تعرف كيف تمكن منها عنادها لتواجهه بشجاعة تسأله بصراحة مباشرة

" هل اتهمتك حقا انك السبب بفقدان طفلكما؟"

اتسعت عيناه بطريقة ارعبتها للحظة ثم همس بنبرة مخيفة

" من اين سمعت هذا الهراء ؟"

لم تبالي بكل هذا الرعب الذي يتسلل لشجاعتها لتهتف " لايهم ان كان هراء ام لا .. فقط اخبرني السبب .. من حقي ان اعرف.. اذا كنت حقا تعتبر زواجنا جديا اذن يجب ان أعرف ... "

أسبل اهدابه ... كالعادة يحتجب بأحدى طرقه الخاصة عنها ...

قال بهدوء ظاهري لم يخدعها " لماذا تصرين؟! الا يكفي اننا سنتزوج ؟"

انه يتألم ... طوال الوقت يتألم .. تدرك هذا كما تدركه الآن وهو يحتجب عنها مخفيا نفسا مجروحة وآلآما لاتطاق .....

شهقة بكاء خانتها وهي تهمس بنبرة عاشقة متيمة ترد عليه " لانك تتألم ..."

فتح عينيه بقوة يحدق فيها وكأنه لايصدق وجودها بل حقيقة وجودها على هذه الارض !

ثم رفعت يدها تربت على مكان قلبها وتهمس باختناق " قلبي يتألم لألمك دون ان افهم السبب ... هذا هو مقتلي .. تجعلني اتخبط في داخلي فلا اعرف نفسي ! هل أنا غبية ضعيفة اما شجاعة عنيدة تريد بأي طريقة تخليصك من ألمك ...! "

جاشت مشاعر عنيفة في صدره فيقترب وهو يهمس بعنف عاطفي سافر

" آآآه من هذا القلب وما يدفعني لفعله .... وتسألينني لماذا اريدك ؟!!! "

رفعت كفها امامه وكأنها توقفه بينما تسيل دمعة على خدها وتهمس

" انت من يتلاعب الآن... تجعلني اشعر اني مميزة لك فقط لتخدرني .."

اقترب حتى لامست كفها صدره وهو يقول بارتعاش " وانت خدرتني يوم اعتبرتني مميزا لك فلا تلوميني ان أرد لك الصاع صاعين ..."

ابعدت يدها سريعا تضمها لصدرها بينما يضيف هو بانفجار عاطفي من نوع خاص

" لاتعرفين اهمية دخولك في حياتي يا جدايل ... لقد جعلتني اعبر عتبة الجحيم ... لقد كنت رفيقتي هناك وانا أواجه النيران وجها لوجه ..."

أخذت تهز رأسها وتردد " تتكلم بالالغاز ....
لكن ... لاتحاول الاستهانة بي يا أيهم ... قد
أفهم اني أثرت بك بطريقة ما ربما تريحك
.. تمتص بعض ألمك الغامض .. لكنك
لاتحبني ... كما انك لست صادقا معي ..."

شتم بقوة قبل ان يسأل بحدة " لست صادقا ؟!.
لماذا ؟!! "

فترفع عينيها اليه وتقول ببساطة

" هناك ما تخفيه عني ..."

فاوشك ان يرد بعنف عندما منعته بالقول

" ولااقصد ما ترفض الاجابة عليه وان كان
يتعلق به ... اشعر بهذا ولا افهمه ... اشعر ان
لديك هدفا ما من اصرارك على الزواج بي
بسرعة ......"

رأته كيف تغيرت نظراته ... رأته كيف اخذ
يحدق في عمق عينيها وكأنه يبحث فيهما عن
كلام آخر او ربما يريد ايصال كلام آخر
يعجز عن قوله بصريح العبارة ....

قال اخيرا " ربما لاني ببساطة لم ارض
بفكرة فقدانك ...."

انه يراوغ ... لكنها لم تملك الطاقة لتتهمه
بهذا فاكتفت بسؤال لاتعرف متى ستحصل
على اجابته " ماذا تخفي عني يا أيهم ؟ انا
لاافهم ... لاافهم حقا ..."

ارتعشت شفتاه قليلا ليقترب منها هامسا
بعاطفة مداعبة " ألا سبيل للمسك ؟! عسى
اللمس يشرح اكثر من الكلمات ..."

همست بارهاق عاطفي وهي تغرق في عينيه
البندقيتين " لاتنظر ألي هكذا ..."

للحظة تطلع حوله ليتأكد من خلو المكان
فيقترب جدا ويده ترتفع اليها هامسا

" لِمَ لاافعل وانا أريد ؟! .... هذا الاسبوع أطول
بكثير مما ظننت ..."

ابتعدت بخجل فظيع مما ترسله اليها عيناه من
رسائل بينما يقترب بدون توقف ، اصابع يده
اليسرى تلامس باطن كفه الايمن وهو يهمس

بالمزيد " لمست بشرتك لمرتين فقط وهل
تعلمين آثار تلك اللمسات علّمت في جلدي ؟! "

تتراجع وتتراجع قائلة بارتعاش " لاتقترب "

وهو يقترب ويقترب عيناه متوهجتان وشفتاه
ترتعشان قائلا ما يشعر به وكأنه يعتاش عليه

" وكل يوم تتغلغل تلك الاثار تحت الجلد
رويدا رويدا تتسرب عبر مساماته الصغيرة يا
صغيرة ... فتصل مسرى الدم في جسدي
لتنتشري يا سمراء في كل مكان دون ان
أملك القدرة على ايقافك..."

قلبها يخفق بجنون بينما تواصل تحذيره
بضعف وهي تتراجع للخلف

" لا ... اياك ان تقترب ... ابتعد أيـ..... آآآه.."

لم تشعر الا بقدمها اليمنى تنزلق عن حافة الجدول ليختل توازنها فتقع وتدحرج ناحية الماء بينما صوت ايهم يصرخ " جداااايل ...."

يضحك كصبي في العاشرة بينما يحمل دميته السمراء بين ذراعيه والماء يقطر منهما معا ....

خرج بها من الانحدار الترابي لجانب الجدول يحتضنها وخدها ملامسا صدره وهي ما زالت تشهق من الماء الذي ابتلعته ...

بتعمد اخذ يتباطأ بخطواته يريد ان يطيل ما يشعر به وهو يحملها هكذا ...

اخيرا وجد طريقة ليلمسها ويشعر بحيويتها ...

انها طاقة مشاعر غير عادية بالنسبة له .. تمده باشعاعات لاتنضب ....

اخيرا هدأ سعالها ثم رفعت عينين عاصفتين اليه واخذت تقاوم ذراعيه لتنزل بينما تبعد الشعر عن وجهها وهي تقول بحنق

" انزلني أيهم لم يكن عليك النزول خلفي ! انا اجيد السباحة وقضيت طفولتي العب في هذا الجدول ..."

فيضحك نفس الضحة الصبيانية وهو يقيد حركتها بسهولة قائلا

" وهل كنت تبتلعين الماء ايضا وانت تبحثين عن وشاحك الاثير ؟!"

اخذت تضربه على صدره وغضبها يتفاقم

" لاتسخر من وشاحي ... انزلني .. قلت لك انزلني ..."

عيناه انسابتا فوقها حيث التصق جلبابها بجسدها فهمس بنبرة ذائبة

" ما هذا الجسد الانثوي الرقيق ..."

لاشعوريا غطت نفسها بذراعها تستر صدرها بينما تتوسله بخجل " ارجوك.. أيهم .. انزلني .. ولاتنظر ... هكذا ... "

فيرد وهو يحث خطاه لبيت والدها " انزلك !؟ ليرى احدهم مفاتنك الصغيرة هذه ؟ "

شعرت بالحرارة تشع من كل خلية منها فالتزمت الصمت وهي تدعو الله ان يخرجها من هذه المحنة ....

بعد نصف ساعة دخلت عليه بفنجان القهوة بينما تغادر اختيها الشقيتين غرفة الضيوف وهما تضحكان بشقاوة ....

هزت جدايل راسها وهي تحدجهما لتصمتا ...

التفتت اليه وهي تقترب من موقع جلوسه وتعرف انها هي نفسها تغالب ضحكاتها ..

منظره مضحك جدا بقميص والدها المجعد وبنطاله البني بطرازه القديم ، لقد اعارته الخالة زاهرة هذه الملابس ريثما تجف ملابسه..

قدمت له القهوة دون ان تنظر اليه ..

في الواقع منظره ليس مضحكا تماما !

وجهه الوسيم مشرق التعابير ، شعره الكثيف الطويل نوعا ما بدا لامعا جدا برطوبة الماء كلحيته التي تحبها ...

همس بشقاوة وهو يميل نحوها

" احب هذا الجلباب لاداعي لأن تحرقيه .. يليق بك لون الدرّاق يا سمرائي ..."

لم ترد ووجنتاها تحمران بينما يأخذ الفنجان من الصينية لتجلس بعيدا عنه في كرسي على الجانب بينما يرتشف هو من القهوة ويقول بانشراح احبته منه

" اختاك الشقيتان تضحكان مني ..."

فتهز كتفيها لتقول ساخرة منه

" ملابس أبي مضحكة عليك ... اسفة ..."

اغمض عينيه نصف اغماضة وهو يتطلع اليها وكأنه يتوعدها الانتقام ثم وضع فنجانه على المنضدة المستطيلة امامه ليربت بجانبه على الاريكة قائلا بصوت مبحوح

" تعالي واجلسي قربي .."

اثارة ... اثارة وخوف لذيذ ..

هذا ما يجعلها تشعر به رغما عن كل المحاذير التي يرسلها عقلها لقلبها ...

ان عدم التأثر به مستحيل !

كاستحالة عدم التبلل بوقعها في ماء الجدول..

قاومت ظاهريا قائلة وهي تنظر ناحية باب غرفة الضيوف المفتوح " لن افعل ... "

فيرد همسا مشاغبا " اغلقي تلك الباب وتعالي واعدك ... لن اتمادى .. "

احمرت وهي تهمس بحنق " اولا لن اغلق الباب ابدا وثانيا انت تعرف انك ستفعل وتتمادى حتى والباب مفتوح ؛ استطيع ان أرى اني بطريقة ما احيي فيك مشاغبة المراهقين..."

يضحك تلك الضحكة التي تحطم كل أسوارها ثم يقول بعينين لامعتين

" وماذا ان فعلت ؟ لماذا ترفضين .. نحن خطيبين .... "

فترد بتحشرج وهي تحاول الهروب من تأثيره

" انا لست زو...جتك ....بعد ... "

فيهمس " لكنك ستكونين خلال ايام "

تمرر يدها بارتباك على صفحة الصينية الفضية اللامعة بينما تردد بعفوية

" يبقى الامر خاطئا .. انا لا أجوز لك ... لااستطيع اغضاب ربي وخيانة ثقة ابي بي "

ثم ترفع عينيها اليه تضيف بهمس مؤثر

" حتى لأجلك انت لاافعلها ..."

بدا مصدوما بشكل الغريب وقد فارقته تماما شقاوة الصبيان !

للحظة تمنت لو لم تقل شيئا ليبقى على انشراحه المحبب اللذيذ ...

قال بعدها بملامح غريبة " انت تقولين جملا قاتلة يا سمراء ... انك ... تضربين تحت الحزام ..!"

وقبل ان تسأله عما يقصده جاء صوت والدها وهو يدخل البيت واختاها ترحبان بمقدمه ، لاشعوريا وقفت حرجا على قدميها احتراما لمقدم والدها ، وبينما تتحرك خطواتها باغتها أيهم وهو يمسك ساعدها ليهمس بتعطش قرب اذنها

" فقط افرحي بما يحدث لنا .. امنحيني هذا جديلتي وافرحي ... انسي كل شيء معقد وغير مفهوم وعيشي معي ما اعيشه معك ... "

ابتعدت وهي تترنح تأثرا بينما تسمع صوت والدها قادما وهو يرحب بخطيب ابنته ...

حفل عقد القران ....

تسلل من بين جمهرة الرجال بصعوبة شديدة مدعيا ذهابه لسيارته ليحضر شيئا ما ولكنه التف حول البيت يبحث عن منفذ ليراها ...

لايعلم ماذا يفترض ان يفعل ليصل اليها وقد احتجبت مع النساء في داخل البيت ..

هذه اعرافهم هنا ...

احتفال رجالي خارج البيت واخر نسائي داخله...

والعريس يحترق بغياب عروسه !

صوت الزغاريد ارشده لجهة معينة من البيت ..

تلك الجهة حيث غرفة الضيوف التي تطل من جانب منها على جدول الماء ..

وفي الظلام كانت يتسلل بخفة القط حتى وصل لبصيص نور وسط هذه الظلمة الخلفية للبيت ...

وعبر شباك موارب ساهم هو في تكبير الشق بين ضلفتيه اخذ يبحث بقلة صبر بين الوجوه النسائية الكثيرة ...

رآى هيفاء تجلس باسمة وفي حجرها ابنتها الصغيرة التي كانت تصفق بحماسة على انغام الاغاني التي تغنيها النسوة من حولها مع الدق على الطبول ...

وعلى يمين هيفاء تجلس الخالة منيرة بعينين دامعتين ووجه متحسر !

تأفف وهو يتحرك قليلا ليغير زاوية النظر فرآى الآن تجمع نسوي صاخب يغنين ويرقصن وتشاركهن الخالة زاهرة مع ابنتيها بالرقص وبالزغاريد ..

ووسط هذا الصخب ... وجدها ...

ميز ثوبها مباشرة بين اثواب الفتيات الملونة...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

ثوبها الذهبي الباهت الذي اشتراه لها بنفسه كان ملتصقا بجسدها محددا كل انثناءة رقيقة فيه داعبت مخيلته طوال الايام السابقة .. منذ وقعت في الماء وحملها بين ذراعيه واصبح تلهفه اليها يأخذ بعدا اكثر واقعية وطبيعية ....

عقد احجار الشمس الذي زيّن جيدها زادها ألقا وتفردا.... لقد أصاب في اختياره هذا الحجر لسمرائه ... انه حجر السمراء ....

عيناه توهجتا بشدة وباعجاب رجولي وهو يراقبها عبر الشباك الموارب ...

يرى جسدها الانثوي الرقيق يتمايل بخفر ووجنتاها محمرتان وهي تسبل اهدابها حياء

بينما الفتيات يحاوطنها ويزغردن ويتراقصن بخفة من حولها ...

سرقت انفاسه وعيناه تتأنيان النظر في تفاصيلها الذائبة مع رقصتها الخجول ...

ها هي ترفع ذراعها وتطوي مرفقها امام وجهها فتغطي جبينها وعينيها بظاهر كفها الصغير..

شعرها المحلول ببساطة بدا اكثر سحرا .. اكثر كثافة وبلون اقرب للشيكولاته ......

بشرتها السمراء تضج بالدفء المغري ....

آآآآآآآه .... ما هي بالضبط هذه الجدايل ؟!

هل هي نقطة بيضاء اضاءت في اعماقه السوداء اما انها احيت بياضا منسيا هناك قابعا باستكانة خلف جدران الثأر ...

فيبرق قليلا ثم يعود يهفت بريقه سريعا ...

جدايل ... فراشة مضيئة تسللت اليه وتاهت

بين سواداته تحمل ألقها الوضاء بين كفيّها

لاتهدأ ولا تكل تتنقل هنا وهناك تبحث عن

نظيرها الابيض في أعمق اعماقه ...

تمايل جسدها اخذ يزداد لكن بعذوبة

خاصة وكأنها بدأت تحكي حكاية ...

حكاية عشق !

ارتعش انتعاشا من اخمص قدميه حتى قمة

رأسه ..

انها تحكي حكاية عشقها له وحده ...

يده ارتفعت في الهواء يلامس صورتها امامه وهو

مدرك انه لا يلمسها حقيقة ..

فقط يمرر انامله على هيئتها البعيدة عنه

وكأنه يلامس ما اصبح يملكه ..

اجل .. لقد قيّدها به كما يجب ...

لقد عقد القران وتم الأمر ...

جدايل الآن زوجته شرعا وقانونا ..

وبشرعه هو وقانونه هي اصبحت ملكه ..

لازال جاهلا بحقيقة وعمق ما يشعره وما يريده

من جدايل لكن حدسه ينبؤه انه سيجد فيها

خلاصا !

وضع شمس في المقعد الخلفي للسيارة وقد غرقت الصغيرة في نوم عميق بعد بهجة الاحتفال وصخبه ...

فتحت هيفاء باب المقعد المجاور وهي تتطلع اليه ببعض الشعور بالذنب وكثير من الحنق !

يتجاهل النظر اليها وهو يغلق الباب الخلفي ويفتح باب مقعد السائق ...

جلس على مقعده وشغل السيارة وهو يغلق الباب ثم عاد وفتح بابه ليترجل من السيارة وهيفاء تنظر له بتساؤل !

فتراه يفتح الباب الخلفي مرة اخرى حيث تنام ابنتها وبسلاسة يسحب حزام الامان ويلفه بتأن حول جسد شمس ثم ثبت الحزام في مكان ..

بطريقة ما اوجعها قلبها وشعور الذنب ارتفع !

عاد لمقعده وهو يتجاهلها بنفس الطريقة ثم تحرك بالسيارة ليغادر البلدة ....

مرت ربع ساعة لم تطق هيفاء بعدها لتسأله

" هل ستبقى صامتا طوال الطريق ؟! "

فيرد دون ان يتطلع اليها

" شمس نائمة ولا احب ان ازعجها ..."

تأففت وهي تتكلم بصوت منخفض

" ما الذي يضايقك باسل ؟! اخبرني ..."

رد ببرود ساخر " لاشيء ... وهل هناك ما يستوجب انزعاجي ؟! "

كزّت هيفاء على اسنانها لتقول بحنق " كل هذا لأني لم اخبرك عن جدايل وأيهم ...؟ "

فرفع باسل حاجبا واحدا وهو ينظر اليها نظرة جانبية ويقول " اذن فأنت تنادينه بأسمه المجرد (أيهم) وبطريقة عفوية .. كيف لا وهو حبيب صديقتك منذ مدة ليست بالقليلة كما يبدو ..."

هتفت به " لاتسئ لجدايل في غمرة غضبك مني انا .."

فيرد ببرود وفم مشدود

" وانت لاتحوري الكلام كما يحلو لك فقط لإدانتي ..."

ثم التفت اليها مضيقا بملامح صلبة

" تعرفين جيدا اني لااقصد معنى حسيا مبتذلا لكلمة (حبيب).."

ثم عاد بوجهه للامام يحدق في الطريق المظلم امامه بوجوم .....

تنهدت بضيق وهي تسأله " فقط اخبرني لماذا كل هذا التجهم ؟! "

فسألها في المقابل ودون مواربة " متى اخبرتني عن عقد قران جدايل وايهم سليماني يا هيفاء؟"

ترددت وهي تشعر بالضيق اكثر " صباح .. اليوم ...لكن ..."

قاطعها وهو يسألها بنفس النبرة " ومنذ متى وانا اسألك عنها وانت تتهربين ..."

ردت تدافع عن نفسها " انها اسرارها الشخصية يا باسل .. لايمكنك ان تطلب مني افشاء تلك الاسرار لك .."

فرد باسل بنبرة متهكمة " لااتوقع ان هذه هي اسبابك .."

ارتشعت شفتا هيفاء بينما يردف باسل قائلا

" انت فقط لاتثقين بي .. لاتنظرين الي كزوج يشاركك كل تفاصيل حياتك ويهتم بكل شؤونك ..."

ضرب على وتر شديد الحساسية بكلماته لتهاجمه بالقول المتسائل في سخرية

" وهل انت تفعل ؟! "

تصلب فكيه قبل ان يقول من بين اسنانه

" اصمتي هيفاء .. فقط اصمتي ... لم أعد اطيق هذا ..."

تقبضت يداها بينما تدير وجهها جانبا تتطلع لظلمة الطريق عبر الشباك ...

ساد الصمت المتوتر طوال طريق العودة وحتى دخول الشقة ... وما ان وضع باسل شمس في سريرها حتى عاد باتجاه باب الشقة فلاحقته هيفاء وهي تقول بارتباك

" الى اين تذهب ؟! انها قرابة الحادية عشرة.."

فيرد عليها بهدوء وهو يفتح الباب " سأخرج مع بعض الاصدقاء .. تصبحين على خير ..."

بابتسامة مستمتعة منتعشة كان يعبر بخفة عبر حافة شباك غرفة الضيوف حيث افترشت له الخالة زاهرة ليقضي ليلته عندهم...

كم كان ممتنا للدعوة من والد جدايل حتى لايعود ليلا للعاصمة نظرا لتأخر الوقت والعصفورة الصغيرة تحمر وجنتاها وهي تحدق فيه وتدرك سبب قبوله لدعوة ابيها للمبيت...

يا الهي كانت كقطعة شيكولاته ملفوفة بورق ذهبي تؤجج الرغبة بالتهامها ....

استند بظهره الى جدار البيت وما زالت ابتسامته مشعة تحت ضوء القمر ...

اخرج هاتفه ليبدأ بكتابة رسالة نصية وهو يعض شفته السفلى اثارة ...

(تعالي الي يا صغيرة .. انت تعرفين موعدنا الليلة قرب الجدول ..)

ثم عاجلها بارسال رسالة ثانية (اياك ان تحضري بجلباب سخيف ووشاح ... اريدك بالثوب الذهبي وعقد الشمس ...)

استلمت الرسالتين وقلبها يتقافز بجنون ...بينما تلامس بيدها عقد الاحجار المتوهجة الذي لم تخلعه من رقبتها كما لم تخلع الفستان الذهبي ...

كانت تعلم ان هذا ما سيفعله ..سيطلبها ليراها في ظلام الليل ...

نظرته الشقية المشاغبة اخبرتها ببساطة انه لن يعود العاصمة قبل ان ينال ما يريد ...

الحرارة شعت منها بينما تحدق عبر الظلمة بتوهج فستانها ..

انه لايعلم ... يا الهي لايعلم كم أحبت هذا الفستان ولم تستطع خلعه !

كم احبت دفء العقد على جيدها والاسورة المماثلة في معصمها ...

لقد تمددت بكل هذا على سريرها واختيها تضحكان منها ...

تلكما الشقيتان ستلقنهما درسا قاسيا في الصباح ....

رفعت يدها ليلتمع بنصرها الايمن بخاتم دائرة مرصع بالاحجار صغيرة من نفس النوع .. براقة بلون شفاف اقرب للبياض منه للصفار ...

النساء هنا اوشكن على الاغماء وهنا ينظرن لكل هذا التوهج ... خاتم مشع و اسورة مبهرة وعقد اكثر ابهارا ليتكامل اطقم مع الفستان فيعطيها هيئة مشعة ...

صوت رسالة ثالثة

(اسرعي يا صغيرة .. لاتخرجي عبر الباب فخالتك منيرة تحرس المكان وقد افترشت الصالة خصيصا لمتنعك عني ! اخرجي كما فعلت.. عبر الشباك .. انا بانتظارك ... لكن لااضمن لك اني سانتظر كثيرا في الخارج

فقد تجديني بجانبك في الغرفة خلال بضع ثوان)

انه مجنون ويفعلها ... كيف ستقنعه الآن ان يترك هذه المغامرة الصغيرة التي يريدها ؟!

تمسك بهاتفها في يدها تحدق في كلماته الصبيانية المتاججة شقاوة وعبثا ومن بين تلك الحروف تقافزت من ذهنها حروف لكلمات أخر

(فقط افرحي بما يحدث لنا .. امنحيني هذا جديلتي وافرحي ... انسي كل شيء معقد وغير مفهوم وعيشي معي ما اعيشه معك)

تنهدت بخفوت وتطلعت جانبا لاختيها وهما تتشاركان سرير واحد ومستغرقتان تماما بالنوم ...

خرجت من سريرها ومشاعر غامرة تتأجج فيها..

خوف لذيذ واثارة تسرق انفاسها بينما قلبها المجنون يحث خطواتها للاسراع الى معشوقه...

فتحت الشباك لتشهق عفويا وهي تراه امامها تماما !

ضاحك الوجه لامع العينين مبعثر الشعر ...

قميصه الحرير الابيض مفتوح الازرار من الاعلى ونسمات الهواء تتلاعب بحافتي القميص فتطيرهما هنا وهناك لتكشفان عن الجلدة السوداء لقلادته المرعبة !

بدى قرصاني .. مشاغب ... جذاب بشكل لايوصف ...

مد يده اليها بصمت وصدره يعلو ويهبط بوضوح... هي ايضا كانت انفاسها تتسابق مع انفاسه ..

بارتعاش .. وبصمت مشابه مدت يدها لتضعها في راحة كفه الممدود ثم جلست برشاقة على حافة الشباك تحاول رفع ساقيها معا لتعبر بهما الحافة بينما شعرها يتطاير في كل اتجاه وهبّات من الهواء تتزايد حولهما ..

لم تتم عبور الحافة الا وقد حملها أيهم بنفسه ليسحبها خارجا وكأنه يختطفها ..

وهو اختطفها ...

بكل ما لهذه الكلمة من معني ..

اختطف قلبها وروحها وعقلها .....

يكتمان ضحكاتهما وهو ينزلها ارضا ليحشرها للجدار يخفيها عن ضوء القمر بجسده وصوت الجدول الرقراق يخفي شغبهما...

همس بحشرجة وهو يحدق بوجهها الضاحك

" وانتهينا .... اصبحت لي وانتهينا يا سمراء ذات الجدائل "

تراجعت شيئا فشيئا ابتسامتها المستمتعة بالمغامرة لتحدق فيه بعجز بريء !

تطاير شعرها مرة اخرى فاشتد توهج عينيه
ليرفع كفه يلامس تلك الخصل الدافئة
بينما يشعر بخفقان قلبها كخفقان قلبه ...

جنون في جنون ...

ثم انزل انامله لتلامس عقدها فيستشعر دفء
احجاره فيهمس بصوت مبحوح " حجر الشمس
يليق ان أسميه بأسم السمراء .. هل تعلمين انه
إذا تعرض للشمس خلال النهار يظل دافئاً
محتفظاً بالحرارة طوال الليل؟ "

فترتعش برقة بينما تمر انامله هذه المرة على
بشرة جيدها ليهمس بحرارة أشد " لكن من
يحتاج لدفء الشمس وانت لديك كل هذا
الدفء الطبيعي يا سمرائي ؟!"

اعاد يده لامساك خصرها المرتعش بينما
يهمس باشتياق محطم لارادته

" انت تثيرين الشوق يا جدايل بطريقة
بدائية! كل ما فيك يثير الشوق الى درجة
الألم "

يداه تستقران بخفة على خصرها من الجانبين
وبينما هو يحاول أمالة رأسه تحاول هي الابتعاد
والتسلل بارتعاشها اللذيذ بعيدا عنه ..

اصابع يده اليمنى تنساب من خصرها لبطنها
اثناء تسللها الواهي منه لكن تلك الاصابع
تعاود الزحف بعزم لامساك خصرها واعادة
جسدها الى حيث كان امامه محاصرا بين
جسده والجدار الخلفي للبيت ...

انفاسهما تختلط وهو يهمس برقة ضاحكة

" اين تهربين ...؟ "

عيناها تلمعان في وسط الظلمة وهي تحدق في عينيه العابثتين تتوسله بهمس متعثر " اريد العودة .. ما كان .. يجب أن آتي ... اليك .."

ضحك بخفوت مرة أخرى وهو يميل فتلامس شفتاه بشرتها جانب فمها ...

تختض بين ذراعيه فيشدد من امساكها خوفا ان تقع منه ...!

همس ببحة قرب فمها المرتعش " ما زلت أطرق باب براءتك بخفة يا جدايل ... وهذه طرقة اخرى فهل من مجيب ؟ "

هذه المرة شفتاه لامست شفتيها برقة شديدة فلم يصدق ان جسده ارتعش كارتعاشتها هي !

ماذا يحصل له ؟! ألن يكف عن هذا السؤال ؟!

توسلاتها الرقيقة المتعثرة " لا.. ارجوك .. انا اريد .. العودة ..."

ملامسة اخرى لتلك الشفتين الرقيقتين ثم يهمس " لاتخافي .. سأراعي تلك البراءة الى اقصى حد .. "

ثم اضاف ساخرا برقة

" اقصى حد اقدر عليه يا سمرائي ..."

" أيهم ...."

لفظ اسمه ضاع مع قبلته ...

كان يبذل جهدا جبارا كي لايؤذي تلك الشفتين العذبتين ...

ما هذا المذاق الذي فيهما ؟!!

ما هذا الاغراء البريء الذي تحمله ...

لحظات وشفتاها استجابتا عفويا له ويداها ترتعشان على كتفيه ولايعرف متى وكيف وصلتا هناك ...؟!

ما زال يقاوم نفسه وجنونه بينما عقله يتوه منه .. اجل ... يتوه مع مذاقها ...

مذاق عسل بلسعة اثارة !

كأن هناك نحلات صغيرات تلسعه بمشاغبة شقيّة بينما تصب عسلها بين شفتيه ...

فجأة حُرم من كل هذا التوهان الحلو وهي تدفعه بطريقة ما لتهرب منه بخطوات متعثرة وهو ما زال يترنح من سكرة عسلها اللاسع ..

يلامس شفتيه باصابعه ويضحك بخفوت تسيطر عليه حالة من الانبهار الذاهل ...

ليهمس بدهشة وعيناه تلمعان

" كيف لعصفورة صغيرة لاتعرف التقبيل أن تثير فيّ كل هكذا؟! "

ثم توهجت عيناه وابتسم ابتسامة عاطفية شرهة للمزيد هامسا بصوت أجش

" كيف ساشعر معها عندما اعلمها ... كل شيء ؟! .. كل شيء يا عصفورة ..."

تستلقي على الاريكة الجلدية وعيناها تحدقان بباب الشقة ..

ما زالت تنتظره ولن تنام حتى يعود ...

احساس الضيق ما زال يتملكها .. ليس الضيق فحسب بل التوتر وحتى بعض الخوف !

امسكت هاتفها للمرة العاشرة تحدق في الساعة التي تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ...

تمنع نفسها من الاتصال به ...

لاتريد ان تشعره انها زوجة متحكمة مزعجة تضيّق عليه الخناق وقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يخرج للسهر مع اصدقائه منذ زواجهما ...

صوت مفتاح الباب جعلها تسترخي بينما تترك هاتفها يسقط جانبا وتغمض عينيها باسترخاء...

كانت مستعدة له نفسيا وجسديا ...

تريد استرضاءه وقد شعرت انها اخطأت بحقه عندما لم تكلمه عن موضوع جدايل رغم انه ابدى اهتماما صادقا بالفتاة ...

تعرف انها كان يفترض ان تخبره بالامر منذ ان اخبرتها جدايل بموعد عقد القران لكنها... لاتعرف لم لم تفعل !

لقد أزعجته ولم يستحق منها هذا ..

لذلك هو يستحق منها تدليلا خاصا الليلة ..

لاشعوريا ابتسمت ويدها متراخية على نعومة مبذلها الحريري الاسود وما خفي سيثير جنونه بالتأكيد ...

سمعت اصواتا تعلن عن دخوله ثم صوت اغلاق الباب بعدها ...

قلبها يقرع في صدرها اثارة وترقبا لردة فعله بينما تسمع صوت خطواته وللحظة توقفت تلك الخطوات ثم عادت مرة اخرى ...

إنه آتٍ اليها .. وهذا جعلها تمتلأ بالرضا ...

شعرت به قربها يهمس باسمها بتأثر حسي تعرفه ...

كانت مستعدة تماما بل حتى مشتاقة بطريقة ما لاقترابه وهو يميل ناحيتها كفه يمر على جسدها قبل ان تصل شفتاه لشفتيها ...

تجمدت وضاع كل الترقب والشوق السخيف !

رفعت كفيّها لتدفعان كتفيه بعيدا عنها تقطع قبلته العاطفية وهي تقول باشمئزاز

" ماهذه الرائحة وهذا الطعم الكريه في فمك ؟! هل شربت الخمر ؟"

فيتطلع اليها ببعض الشعور بالذنب ليبتسم قليلا وهو يعاود الاقتراب منها

" فقط كاسين ثلاثة لااكثر ..."

ابعدت وجهها جانبا لتمنعه من تقبيل شفتيها
لكن شفتاه سافرتا عبر بشرتها لتقبلان
جيدها بنهم عاطفي ..

اخذت تضربه على كتفيه وتهدر به

" ابتعد عني باسل ... قلت لك اذا شربت هذا
السم الزعاف فلاتقربني وجد لك مكانا آخر
تبيت فيه ..."

كانت همساته شبه متوسلة وقد اشتعلت
رغبته فيها " ليس الليلة حبيبتي .. فقط انسي
الامر الليلة .. لن افعلها مرة اخرى .. فقط
دعيني الليلة أكون معك ..."

لكن هي مقاومتها تضاعفت واخذت تحرك
ساقيها بقوة وتدفعه وتقول بغضب شديد

" قلت لك ابتعد باسل .. لااريد .. لاتجعلني
ارفع صوتي اكثر فأوقظ شمس ..."

حاول فتح مبذلها الحريري فاخذت تضربه
بعنف هذه المرة وهي تقول

" لن تنال ما تريد .. لن تقربني الليلة ...
سأتقيأ ان فعلت ! "

الفصل الحادي عشر

" لن تنال ما تريد .. لن تقربني الليلة ...
سأتقيأ ان فعلت ! "

تجمد باسل تماما فانسلت هيفاء مبتعدة عنه
لتخطو خطوات ناريد ناحية غرفتهما ..

جلس على الارض باستسلام ظاهري يحدق فيها
تدخل غرفتهما بينما يكتم انفعالات اخرى
تسيطر عليه ..

يحدث نفسه يخفي غضبا ناريا (تتقيئين
هيفاء ؟!!! هل تقولينها في وجهي هكذا ؟)

نعم هو شرب الخمر .. ولم يكن ينوي الرجوع
للشرب اصلا لولا تعاملها السخيف معه ...

عندما عاد ووجدها بتلك الهيئة بانتظاره
ذاب كل غضبه منها ونسي كل شيء عن
شرطها السخيف حول عدم الشرب !

عادت وخرجت من الغرفة مكفهرة الوجه
تحمل بين ذراعيها وسادة وغطاء وفوقهما
ملابس نومه ..

وضعت كل شيء على الكرسي القريب منه
دون ان تتطلع اليه لتعود من حيث أتت ثائرة
مثيرة رغم كل شيء !

صوت اغلاق باب الغرفة بالمفتاح اشارة واضحة
انها لن تعود عن قرارها ...

زفر باسل بقوة وهو يمسح وجهه بضيق ...

تمتم باحباط " ماذا افعل معك يا هيفاء ؟!"

بعد نصف ساعة كان يطرق باب الغرفة وهو بملابس البيت ..

شعره ندي من حمام بارد جعله متيقظا اكثر ومتوقدا اليها اكثر واكثر ...

الايفترض الماء البارد يطفئ الرغبة الجسدية؟ فما بال ناره لاتنطفئ ؟!

لم ترد على طرقته الاولى فعاود المحاولة ليهمس بعدها بصوت يعلم انه يصلها

" حبيبتي ... أنا آسف .. فقط افتحي لي الباب وساصالحك .."

صمت قليلا قبل ان يقول برقة " لقد اغتسلت ولم تعد هناك اي رائحة للشراب .."

ثم ضحك بخفة قبل ان يضيف بطفولية

" فرّشت اسناني ايضا ..."

لم يكن يعلم انها ابتسمت هي الاخرى رغما عنها بينما كانت مستلقية في السرير تستمع لمحاولاته الوصول اليها ...

رغم هذا ما زالت غاضبة منه ... لاتريده ان يشرب .. لاتريد لشمس ان تفتح عينيها على امور كهذه ...

اغمضت عينيها باصرار بينما تستمع ليأسه واحباطه وهو يهمس عبر الباب

" احتاجك هيفاء .. احتاج فقط ان انام بقربك .. لن اقربك .... اعدك بهذا لكن ... فقط ... قربك"

تعترف انها بدأت تشعر بالضعف لكل هذه المحاولات لاسترضائها لكن شمس اهم من كل شيء ...من كل شيء ...

وعلى هذه الفكرة غفت بينما صوت توسلاته يتلاشى لتتلاشى بعدها صوت خطواته المبتعدة ...

اليوم التالي (الجمعة)...

استيقظت هيفاء فجرا ...

أدت صلاتها وهي تشعر ببعض الضيق من احلام لاتطاق رافقت ليلتها ...

باسل يخونها مع امرأة ساقطة وامها تعايرها وتتهمها انها السبب ! والدها يضرب كفا بكف ويقول لها فشلت مرة اخرى ...

وشمس .. شمس تبكي بألم اوجع قلبها حتى وهي في الحلم !

خلعت ازار الصلاة وهي تستغفر اللّه وتدعوه ان يمنحها راحة النفس ويحفظ لها ابنتها ...

ثم حدقت في باب الغرفة المغلق لتضع الإزار جانبا بينما تهمس بعفوية

" واحفظ لي باسل ايضا يا رب واهده "

ثم بخطوات هادئة توجهت ناحية ذلك الباب لتفتحه على مهل ...

تعرف انه غارق بالنوم ...

باسل شخصية عجيبة لديه قدرة غير عادية على التحكم بساعة الجسد البايولوجية ..

نشيط ايام الاسبوع حتى انه هو من يوقظها من النوم ليذهبا للعمل ... مهما سهر ليلا فأنه يستيقظ في نفس الموعد الصباحي المبكر...

لكن يوم الجمعة ينام عميقا جدا فلا يستيقظ الا عند العاشرة .. بل في تمام العاشرة دون اي تأخير ...

تحركت هيفاء بخطوات هادئة وما ان وصلت غرفة المعيشة حتى تجمدت خطواتها وتسمر جسدها في مكانه ...

تتطلع الى هذا المنظر الذي اعتصر قلبها عصرا ...

انه ينام على الاريكة يطوي ذراعه ويسندها فوق جبينه بينما ذراعه الاخر يلتف باحكام حول جسد ابنتها الصغير التي تنام فوق صدره...

لاتعرف ما حصل بعدها ودموعها السخية تجري على خديها حتى انها رفعت يدها لفمها تكتم شهقات البكاء وعيناها من بين الدموع تتعلقان بكف ابنتها الصغير وهي تتشبث ببلوزة باسل الرمادية القطنية ...

بعد بضع ساعات..

تعد الافطار بهدوء تام .. لا كلمة ولا تنهيدة

ولا حتى عبوس !

اوشك ان يصاب بصداع !

لقد اكتفت بأن ألقت عليه تحية الصباح

بينما تأخذ شمس في احضانها بطريقة غريبة

وكأنها توشك على البكاء ...

زفر باسل بقوة بينما يشعر باحتياجه الشديد

لفنجان قهوته وسيجارة يدخنها حتى يستعيد

تركيزه ..

" تفضل قهوتك .. وسجائرك ستجدها في

تلك الخزانة الصغيرة اخفيتها حتى لاتعبث

بها شمس ، يمكنك الذهاب للشرفة ونحن

سننتظرك حتى تنهي تدخين سيجارتك

وشرب قهوتك لكي نفطر سوية ..."

خطاب طويل بعد صمت أطول ...

حدق في وجهها الهادئ وهي تقف قبالته تحمل

فنجان القهوة بيدها ....

اخذ الفنجان من يدها ثم ببساطة وضعه

جانبا ....

نظرت اليه هيفاء بتساؤل بينما يتخصر باسل

قائلا وهو يعقد حاجبيه " انفجري في وجهي

هيفاء وانهي هذا البرود بيننا لاني لااطيقه .."

ارتفع حاجباها قليلا قبل ان تحني رأسها قليلا

لتتلاعب بحزام مبذلها الحريري قائلة ببطء

" انه ليس برودا باسل .. انا فقط ...."

" عم باسل ... تعال وساعدني بغسل ملابس دمياتي الحقيقيات ..."

كانت هذه شمس تسحبه من بلوزته وتتوسل اليه بعينيها الصغيرتين البنيتين ...

بعفوية أسرت قلب هيفاء رأته كيف انحنى ليقبل خد صغيرتها ويهمس لها

" سنستخدم المسحوق الزهري الذي اشتريناه سوية .. لكن ليس الآن .. بعد الافطار .. "

هزت رأسها برضا تام لتهرول مغادرة المطبخ وهي تقول بحماسة

" سأخلع عنهن ملابسهن جميعا "

عاد بتركيزه لزوجته ليجدها تحدق بغرابة فيه !

انها ليست المرة الاولى التي تفعلها وبدأ يربط الامر مباشرة بشمس ...

قال وهو يضيق عينيه " هل يزعجك شيء في تعاملي مع شمس ؟ اخبريني هيفاء هل تدخلت اكثر مما يجب في شؤون ابنتك "

كان يحاول ان يتكلم بهدوء لكن داخله يغلي بانتظار ردها ..

انها تصيبه بالاحباط .. احباط شديد ...

يريح منها اكثر واقل في نفس الوقت !

المعادلة مختلة بينهما وينقصها التوازن رغم انها تبدو في ظاهرها مثالية ...

البارحة في جلسته مع اصدقائه تقدمت امرأة منهم وتحرشت به هو تحديدا ... وهو لأول مرة منذ زواجه بهيفاء ينظر لامرأة اخرى ... ينظر لمفاتنها بتعمد وحتى تلذذ ...

صحيح هو رفض عرضها السخي لكنه للحظة شعر باحتياج لدفء امرأة ... أي امرأة ...

أخذ يهز رأسه رافضا لافكاره بينما يسمع صوت هيفاء يأتيه ببحة انثوية

" لاتنزعج هكذا ... انت رائع معها وبشكل عفوي مدهش .. لكن .."

كزّ على اسنانه وهو يحدق فيها بضيق شديد ويقول " لكن ماذا ؟! ما زلت لا أرقى لمرتبة (أب بديل)؟!! حسنا هيفاء انا لااحاول لعب دور (الاب) هنا .. انا اتصرف بعفوية كما وصفتِها بالضبط ... بينما أنت من تلعبين العديد من الادوار وبتكلف مفضوح احيانا ..."

شهقت هيفاء باحتجاج قبل ان تقول بانفعال

" انا احاول كل جهدي لارضيك ثم تقول اني اتكلف في تصرفاتي معك ...؟! "

للحظات بدت طويلة جدا كان باسل ينظر اليها بعمق وكأنه يخترقها قبل ان يهمس بنبرة غريبة " قبليني هيفاء ..."

ارتفع حاجباها واتسعت عيناها وهي تحمر هامسة " ماذا تعني ؟! "

اقترب قليلا منها وبحركة واحدة فك حزام مبذلها الحريري ليكشف عن قميص نوم قصير جدا مخرم وباللونين الاسود والاحمر .. كان مبهرا لدرجة أعاق تنفسه !

لكنه قاوم وهو يرفع عينيه اليها مصرا على طلبه شارحا وجهة نظره ببحة أشد " قبليني هيفاء ... أشعر ان المشكلة ليست في شمس .. المشكلة تنبع من بيننا .. تحتاجين لترينني بعين أخرى ... وانا ... احتاج هذا الذي تمنعينه عني ..."

رأى التردد يفيض من تلك العينين الواسعتين..

بدا مصدوما قليلا بينما يهمس " انا انتظر هيفاء .. انتظر منك مبادرة حقيقية .. اريد دفءك .. اريد ان اشعر انك انثاي وانا رجلك"

ثم مد كفه الغليظ يلامس ذلك القميص الفتاك بالعقول يبتلع ريقه بصعوبة هامسا بحشرجة

" اريد ان أشعر انك ارتديت هذا القميص لانك تحبين ارتداءه لاجلي وليس لانك تريدين ارضاء ذوقي حتى تكوني امرأة مثالية.."

وضعت يدها فوق يده التي تلامس قميص نومها المغري توقفه عما يفعل وللحظة رهيبة تخيل انها ستبعد يده وتغلق المبذل الحريري في وجهه !

لكنها ويال الهول رفعت كفه لثغرها تلثم باطنه بينما يراقب هو حركتها مسحورا بها!

ثم رفعت اليه تلك العينين القاتلتين بسحرهما لتهمس " فقط قبلة صغيرة فلا تكن مجنونا وتنسى وجود شمس ..."

قبل ان يستوعب حقيقة ما قالته كانت تلتصق به وتلف كفيها حول رقبته لتدمره بقبلة عاطفية مشتعلة ...

هل هذه قبلة صغيرة؟!!

رأسه ثقل من فوران مشاعره بينما تفلت منه الحورية ذات قميص النوم المخرم من بين ذراعيه وهي تتضاحك بانفاس متقطعة هامسة قرب اذنه

" شمس قادمة .. وانت ... تستحق عقاب الحرمان حتى لاتشرب الخمر مرة اخرى ...."

ثم تمايلت امامه وهي تربط حزامها وقالت بدلال مغيظ " سأعد لك فنجانا اخر .."

تركته مشتعلا وعاجزا عن فعل شيء سوى انتظار قيلولة للصغيرة شمس ....

فتحت جدايل باب المقعد المجاور للسائق
لتقول لخالتها القادمة نحوها تدعوها
بابتسامة متوسلة " تفضلي خالتي .."

لكن الخالة منيرة تجاهلت جدايل لتفتح
الباب الخلفي وتتسلق المقعد بصعوبة نظرا
لارتفاع السيارة الرباعية الدفع ...

تنهدت جدايل باحباط وهي تصعد للمقعد
بينما أيهم يراقب بتسلية ...

بعدها كانت الرحلة ثقيلة جدا على جدايل
مع الصمت المطبق لخالتها الذي وترها للغاية..

بينما أيهم بدا منشرحا وهو يدندن بأغنية ما
وكلما التقت نظراتهما يغمز لها وعيناه تشع

حرارة فيذكرها عن قصد وتعمد بما حصل
بينهما فجر اليوم ..

فتزفر بقوة لتتنفس عن بعض اضطرابها بينما
لاتستطيع منع خديها من التخضب بالحمرة
القانية ...

ما ان وصلا بيت الخالة منيرة واوقف أيهم
سيارته جانبا حتى التفت للخالة مبتسما وهو
يقول باحترام وابتسامة لطيفة

" بعد اذنك سيدة منيرة سآخذ جدايل معي
لأريها البيت الذي أزمع شراؤه لنا ، انهم
ينتظروننا هناك لاجل ان تراه جدايل وتقرر "

زمّت الخالة منيرة فمها وهي تطبق شفتيها
تماما بينما عيناها تنطقان بالغيظ وهي تحدق
في وجهه المبتسم !

ادارت وجهها بحدة طفولية لترى وجه جدايل
وعيناها تتوسلان لها ان ترضى عنها ..

تراخت تعابير الخالة منيرة وغامت عيناه
بخليط من الفرح والشجن ...

ابتسمت لها ابتسامة صغيرة ثم مدت كفها
لتلامس كتف ابنة اختها وربيبتها فتقول لها
بتأثر " اسعدك الله صغيرتي .. انت تستحقين
كل الخير ..."

ثم سحبت يدها بسرعة وهي تطرق برأسها
فادركت جدايل ان الخالة تغالب دموعها ..

قبل ان تقول جدايل اي شيء كانت الخالة
تغادر السيارة وهي تلقي بتمتمات وداع ...

توترت جدايل اكثر فأطرقت وهي تحدق
بكفيها القابعين في حجرها ...

خاتم زواجها في خنصرها الايمن متوهج ببريق
أخاذ ... وتلك الاسورة الناعمة اشبه بخلخال
يصدر اصواتا مع كل حركة من يدها ..
كانت هدية اخرى اضافية احضرها لها مع
باقي الهدايا ...

انه رجل كريم .. سخي في كل شيء ...

فقط لو يسخى بأكثر ما يهمها ..

لو يسخى بقلبه ....

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

دخلت منيرة لبيتها فتلفحها برودته ...

برودة الخريف تجلب الكآبة لروحها ...

تخنقها العبرة وهي تحدق بالجدران الباردة حولها ... ما بال هذه الجدران فقدت كل حيويتها فجأة وقد كانت عامرة بصدى صخب الصغيرة جدايل ....

تنهدت منيرة وهي تتحرك هنا وهناك في ارجاء البيت لتقف اخيرا عند الصور المعلقة على الحائط ...

زوجها العزيز وجنبها صورة ولدها الوحيد سعيد يوم تخرجه من الجامعة ...

ثم صور متفرقة تجمعها بعائلتها الصغيرة ...

واخيرا صورتها مع جدايل يوم تخرجها من الجامعة ....

لم تشعر منيرة بنفسها والا وهي تبكي بحرقة ويداها ترتفعان لتلامس احداهما صورة جدايل وتلامس بالاخرى صورة سعد ...

تبكي وتبكي واشتياق لرائحة ولدها تضنيها وتنهك سنيّ عمرها التي قاربت الستين ...

ليلتاع لسنها بالقول الباكي

" لهف قلبي عليك يا وحيدي .. ها قد طارت العصفورة التي أردتها لك وهجرت العش الذي كنت اعده لكما معا ..."

اخفت وجهها بين كفيها تستغرق في شعورها
بافتقاد ولدها ...

ووسط جياشان مشاعرها الامومية وشعورها
بفقدان آخر أمل لحلمها بزغ قرار مفاجئ ..

اجل ... ستتصل بابنها وتخيّره ...

اما ان يأتي هو او ستذهب اليه بنفسها حيثما
كان ....

قاد ايهم سيارته بسلاسة بينما تحركت يده
اليمنى لتلامس اطراف اصابعه ظاهر كفيّ
جدايل صعودا ونزولا ... ثم تتعلق بتلكؤ على
الخاتم في خنصرها ...

ليعود مرة اخرى ويلامس يديها الاثنتين ...

اغمضت جدايل عينيها وهي ترتعش تأثرا لهذه
الملامسة ...

همس باسمها فابتلعت ريقها قبل ان تقول
ببعض الحزم

" اريد ان نتكلم قليلا لو سمحت .."

فرد بنبرة حلوة " أمرك مطاع يا عروس .."

هدرت سيارته الضخمة في شوارع المدينة
وبعد فترة اصبحت المباني اقل عددا واكثر
تباعدا ...

ارتبكت وهي تتطلع حولها وتسأله

" الى اين تأخذني ؟ أننا نغادر المدينة تقريبا "

رد دون ان يتطلع نحوها " سنذهب الى مكان هادئ تماما لنتكلم فيه براحة قبل أن آخذك لتري البيت ..."

بنبرة مبحوحة قلقة سألت " اين بالضبط؟ "

فالتفت بوجهه اخيرا يبتسم ابتسامة شريرة مغيظة " سأختطفك الى مكان ناء ! "

تأففت بقوة وهي تقول بحنق " توقف عن محاولة ارعابي على الدوام .. انا لست أرنبا وانت الثعلب الذي يتسلى على حسابه "

ضحك أيهم عاليا فازداد حنق جدايل رغم رفرفة القلب الخائنة لضحكاته المحببة ..

ابتعد بها تماما عن المدينة واصبحا في منطقة نائية بالفعل اقرب لترابية وبضعة مساحات صغيرة خضراء متفرقة هنا وهناك على جانبي الطريق ...

قبل ان تعترض مرة أخرى سألها

" لماذا خالتك لم تحبني ؟! هل فعلت ما ضايقها او ربما انت اخبرتها أمرا ما عني ؟"

سارعت للقول بلهجة دفاعية " انا لا اقول أي شيء يسيء اليك امام اي انسان .. لا والدي ولا خالتي .. ابدا لم افعل ..."

همس بهمس رقيق وهو يتطلع لملامحها المنفعلة " اعلم انك محاربتي الصغيرة التي تساندني في السراء والضراء ..."

احمرت وهي ترى نظراته تنساب الى شفتيها ليبتلع ريقه بوضوح بينما يضيف بصوت مبحوح " لكن دعي هاتين الشفتين تخبراني بسبب كره خالتك لي ورغبتها المؤكدة بصفعي ! "

همست بارتعاش " انها لاتكرهك .. صدقني هي قلبها طيب جدا وعوضتني كثيرا عن حنان الام الذي فقدته باكرا وعجزت الخالة زاهرة عن منحه لي ..."

رفع حاجبيها قليلا بينما يركز عينيه الان على الطريق ويعطي اشارة جانبية ليقول

" اذن ما السبب لكل تلك الشحنات السلبية؟"

ارتبكت وهي ترد ببعض القلق

" انها فقط ... فقط ...."

دخل بالسيارة لطريق داخلي غير مأهول واشجار يوكاليبتوس متفرقة مترامية هنا وهناك ..

أوقف السيارة اخيرا جنب احدى الاشجار ثم التفت اليها بكامل جسده ليتساءل بهدوء

" انها فقط ماذا يا جدايل ؟ كانت تريدك مثلا لابنها سعد ؟ "

عضت شفتها السفلى قبل ان تقول بحذر

" انها امرأة مسكينة يا أيهم .. ليس لديها الا سعد الذي هجرها من سنوات طويلة حتى قبل ان آتي لاعيش معها في العاصمة .. هي لم تره منذ سفره ولايتصل بها الا كل بضعة اشهر .."

تمتم أيهم " أجل .. اذكر انك اخبرتني سابقا بهذا .. لكن ما علاقته بما استشعره من خالتك ضدي ؟"

ردت ببعض التلعثم " هي ... تحبني جدا ... وتعتبرني ابنتها .. حلمها دوما ان .. يعود سعد و.... اقصد هي مجرد احلام أم مكلومة بغياب ابنها وهجره لها ... تشعر بالوحدة الشديدة "

سأل أيهم وعيناه تلمعان

" ما هو حلمها جدايل؟"

تنهدت بجزع قبل ان تقولها ببساطة وقد كرهت شعورها كمن اخطأ في شيء !

" حلمها ان تزوجني لسعد فنعيش جميعا في بيتها ...."

أسبل أيهم اهدابه وصمت للحظات ...

بينما شعرت جدايل بالضيق من نفسها ...

لم كل هذا الارتباك ؟!

وماذا لو كانت خالتها تريدها زوجة لسعد ؟

كل الفتيات يُخطبن عدة مرات لاقاربهن وغير اقاربهن فهل يفترض ان تكون هي مختلفة ؟!!

استرخى جسد أيهم وهو يستعدل في جلسته وتصورت للحظة انه سيعاود تشغيل السيارة لكنه بدلا من ذلك فك الحزام ومد يده الى جانب البعيد عنها من كرسيه وبصوت غريب مكتوم كان كرسيه يعود للخلف...

أمال ظهر الكرسي حتى آخره وببساطة شديد استلقى أيهم بظهره للخلف ثم رفع عينيه ليتطلع بابتسامة غريبة لعينيها ...

عقدت جدايل حاجبيها وهي تحدق في استلقائه هذا وتسأل

" هل ستنام ؟! أأنت متعب من الطريق ؟ "

رد وهو يطوي ذراعه الايسر ليضعه تحت رأسه

" متعب قليلا لاكثر ... لم أنم جيدا ليلة الامس ... "

ثم اضاف بمرح " اخبريني الآن بما كنت تريدين الكلام معي ..."

فتحت فمها عندما سبقها ليضيف بعفوية

" افتحي حزام مقعدك لتشعري بالراحة وانت تلتفتين نحوي "

تنهدت وهي تفتح الحزام وعندما رفعت وجهها لتبدأ الكلام شهقت بقوة وذراعه الايمن يلتف في لحظة حول خصرها ويسحبها في لمح البصر اليه فتتكوم بكليتها فوق صدره ...

اخذ يضحك من قلبه وهي تقاومه وتضرب على صدره وتحاول بنفس الوقت ابعاد جسدها عن جسده ..

ساقاها حشرتا في مكان ما واحدى هاتين الساقين مضغوطة بقوة لجانب المقود الضخم..

فستانها الخريفي انحسر عن ساقيها بينما تتحرك بانفعال لتفلت منه ....

لكنه يكبلها بذراعه اليمنى الملتفة بقيد
لايلين حول خصرها النحيل يضمها ضما اليه
بينما يده اليسرى احتضن جانب وجهها
الغاضب ليهمس امام شفتيها واطراف شعرها
الكثيف تلامس جانبي وجهه " اهدأي يا
صغيرة .. لن افعل اكثر من الاحساس بك ..
تحقيق حلم الشعور بخصل شعرك الدافئة
تلامس وجهي .. ويا له من شعور عجيب يا
سمراء .. انتعاش غريب وكأني خرجت من
البحر للتو فتلامسني اشعة الشمس .. لاشعور
اجمل من هذا .... هل جربته ؟ "

ما زالت تعافر لتتخلص من تطويقه فيميل راسه
جانبا ويقترب بشفتيه من خدها يهمس بحلاوة

" ايتها الصغيرة الشقية التي تريد مقاومتي
هباء ، لكن صغيرتي ذكية بما يكفي
لتعرف انها يجب ان تهدأ وتتكلم بما تحتاج
لمعرفة اجوبته ..."

ترتعش بقوة الآن وهو يقبل خدها قُبلا
متفرقة حارة ...

همست بصوت متحشرج متقطع " ارجوك ..
توقف عن .. فعل هذا .... لااستطيع ..."

تنهد وهو يعاود النظر لتلك العينين
المتوسلتين ليهمس " لن اقبلك مرة اخرى
حتى تنهي كلامك .. اتفقنا ؟ "

شعرت الدم يتجمع كله في وجنتيها لكنها حاولت التحرك لتبتعد عن جسده فمنعها وهو يشد ذراعه اكثر ويقول " ابقي حيث انت .. لديك جسد غريب ..! صغير لكنه يجعلنني مدمنا لأشعر به هكذا ..."

لم تعرف كيف تواجه كل هذا التغزل الصريح فيها ... لم تجد الا ان تباشر بالسؤال هربا مما يحدث لها ..

" لماذا انت وحيد تماما هكذا ؟! "

عقد حاجبيه قليلا بتساؤل فاردفت لتفسر

" لم ليس لديك اقارب ولا حتى اصدقاء .."

سأل بفكاهة " هل تريدين التفاصيل ؟"

فردت بعزم وهي تبعد شعرها خلف اذنيها

" نعم ... تفاصيل التفاصيل .. كما تعرف تفاصيلي اريد ان اعرف تفاصيلك .."

ارتعشت شفتاه ويده ترتفع لتعيد شعرها منسدلا كما ثم همس بحرارة

" ما حكاية تفاصيلنا التي سنتناقش عنها الآن ونحن في هذا الوضع المغري ؟! المكان غير ملائم يا صغيرة ومعرفة تفاصيل بعضنا البعض تحتاج لخصوصية اكبر وفراش واسع ... واسع جدا..."

وبختته بحنق والاحمرار يعود لطغيانه على خديها " لاتقل هذه ..الامور المخـ..جلة .. انت تعرف .. لم .. لم ... اقصد .. ان ... أن .."

ضحك أيهم عاليا وباستمتاع شديد وبعد ان هدأت موجات الضحك عاد يحدق في ملامح وجهها اللذيذة ليقول بابتسامة منشرحة

" لي عمة واحدة على قيد الحياة اخبرتكم عنها سابقا ... هي تعيش بمدينة اخرى .. متعجرفة في شبابها ولم ترض بأي ممن تقدم لخطبتها ربما لانها كانت الابنة الكبرى لوالديها ومصدر فخرهما .. ثم زادت حالتها سوءا عندما فاتها قطار الزواج لتصبح عانسا بطباع منفرة جافة ثم قاطعت الجميع بمن فيهم اخويّها الوحيدين لتعيش بمفردها في تلك المدينة ولاتحب ان تزور احد ولا احد يزورها .. فقط كنا نطمئن عليها بين فترة واخرى ... "

لامس خدها باصابعه وهو يهمس " يسمونها في الحي الذي تقطنه (العجوز ذات المكنسة) "

فارتفع حاجبا جدايل بذهول وهي تردد

" ذات المكنسة ؟! ولماذا ؟"

فيرد ايهم وهو يلامس الآن جانب فمها

" كان لديها مكنسة من القش وبذراع خشبي طويل تضعها عند باب البيت واي شخص يرن جرس الباب تفتح له وهي تحمل تلك المكنسة فأن لم يعجبها الطارق شوحت امامه بمكنستها لتهدده بالضرب وترعبه ليرحل !"

ضحكت جدايل رغما عنها فاستمتع هو بضحكاتها لتلامس سبابته الآن شفتيها الرقيقتين وهو يهمس

" فمك صغير كفم طفلة لكن شفتيّك مغريتان كالجحيم ... جسدك كله طاقة جاذبة متحدية لاستكشافها "

تراجعت ضحكاتها وعفويا تشنج جسدها بينما تبعد اصابعه عن شفتيها وتسبل اهدابها قائلة

" وماذا عن عمك ... اعلم ان والديك متوفيان وليس لك اخوة .. فهل لديك ابناء عم ؟ "

رد وهو يعاود ملامسة وجهها

" عمي كان عقيما "

شهقت بنعومة تأثرا ثم قالت

" يا له من مسكين "

فيكمل أيهم " زوجته ظلت معه رغم كل شيء ، وعندما توفي ذهبت لتعيش مع اخ لها في مكان ما ... وقبل ان تسألي امي كانت وحيدة والديها كما كنت أنا ..."

اخذت جدايل تتطلع لوجهه وتتوجع لاجله هو ... انه وحيد فعلا ... وحيد تماما ...

لاشعوريا كفها لامس صدره برقة فتسارعت نبضات قلبه بينما تسأله بمزيد من التأثر

" ماذا عن الاصدقاء يا ايهم ؟ انا اعلم عن تجربتي الشخصية بأن الحصول على صديق صعب لكن انت مختلف عني .. اقصد انا فقدت صديقاتي ببلدتي عند انتقالي للعاصمة وهناك شعرت دوما اني لست كباقي الفتيات .. مختلفة عنهن ولست مثلهن ... ولم أجد من اشعرها قريبة مني لتكون صديقتي حقا ، كل الفتيات مررن في حياتي مرورا سريعا ولم يتركن أثرا عميقا... هيفاء هي صديقتي الاولى .. صديقتي بحق ... "

يده غطت يدها التي تلامس صدره فيكاد يعتصرها وهو يقول بجدية " كل الفتيات سخيفات لانهن لم يعرفن حلاوتك ولا خفة ظلك ولا عمق فطرتك البريئة .. انت مميزة جدايل .. مميزة ومختلفة .. هن من كن غبيات ولم يعرفنك كما يجب ..."

صمت للحظة قبل ان يردف بصوت مبحوح غريب " كلنا احيانا نتصرف بغباء ونظل نتصرف هكذا عندما يفوق الامر قدرتنا على السيطرة عليه .. لانملك الا ان نتصرف بغباء وحمق حتى ونحن ندرك تماما مدى غباءنا وعمق حمقنا لكننا لانتوقف .. احيانا يكون الامر صعب .. صعب جدا جدايل... لذلك العلة ليست فيك وانما في من حولك "

ظلت ترمش وهي تحدق بملامحه غير المقروءة .. كان وجهه على بعد انشات منها لكنها تشعر بالغرابة ويداهمها احساس مخيف مما يخفيه عنها ....

سارع ايهم للقول وهو يبتسم بشكل مختلف

" كان لدي صديقان مقربان جدا .. احدهما عبقري تكنولوجيا .. مجنون مهووس بكل ما يتعلق بها حتى صدمنا يوما بقراره الهجرة الى اليابان ليعاصر التقدم التكنولوجي هناك اولا بأول ..."

ابتسمت جدايل قليلا رغم اضطراب مشاعرها الداخلية بينما يكمل ايهم " التقيه مرة او مرتين في السنة فهو شديد الانشغال وحتى اصبح فكره مشتت كانسان ولايركز الا بهوسه التكنولوجي ..."

سألت جدايل وهي تحاول التحرك لتبتعد

" وماذا عن صديقك الآخر ؟"

منعها من الابتعاد مرة اخرى هامسا بلهجة عاطفية آمرة " استرخي ..لاتبتعدي .. "

استرخت على مضض وهي تسبل اهدابها بينما يرد على سؤالها بنبرة هادئة تخفي الكثير

" صديقي الاخر توفي قبل سبع سنوات .. "

رفعت وجهها بقوة تكتم شهقتها بينما يردف ايهم ردا لسؤال لم تنطق به " مات فجأة بجلطة دماغية دون اي عوارض مسبقة .. وجدته أمه صباحا ميتا في سريره "

خنقتها العبرة فهمست بحشرجة ألم

" يال فجيعة أمه المسكينة .. انا آسفة لاني... ذكرتك بهذا ..."

مدت يدها لتلامس لحيته بارتعاش وتهمس باختناق منفعل واندفاع عفوي

" لابد انك تألمت بشدة لوفاته المفاجئة وهو شاب في ريعان الشباب .. ليتني كنت معك .."

لم يستطع الا احاطة وجهها بكفيه يهمس لاهثا بعنف " قولي لي انك تحبينني جدايل "

ترقرقت عيناها وهي تحدق بذلك الاحتياج المجنون في عينيه فسالت دمعتها وقبل ان تنطق بشيء كان يسحق شفتيها ..

قبلته كانت رهيبة.. لم يكن مراعيا لها ولبراءتها هذه المرة ...

انها حتى لم تعرف كيف ترد له قبلته العاطفية الجريئة ...

ابتعد لاهثا عنها وصدره يعلو ويهبط فرأى كيف احمرت بشرة وجهها ورقبتها متحسسة من اثار لحيته ...

همس وهو يسحب راسها اليه ليضع جبينها فوق جبينه " لحيتي تشكك بشرتك "

فردت بلهاثها الناعم " انا .. احب لحيتك "

رآها تغمض عينيها بقوة خجلا فظيعا مما قالته .. لكنه تجمد ... وجنون غريب تأجج فيه ..

هز وجهها بين كفيه ليسأل مدفوعا بجنونه

" وماذا لو حلقتها ... حلقتها بالكامل فلا اترك لها اثرا .."

فتفتح تلك العينين ليطالع دكنتهما الذائبة كعصير التمر ...

تبتسم له بحياء وخجل لكنها تعبر عن
عشقها له مع كل تعبير تحمله ملامحها
الناعمة فتهمس من عمق عاطفتها نحوه

" عندها سأحب ملمس جلدك .. "

كان يعلم انها لاتقصد اغواءه .. انها تتكلم
ببراءة وانفتاح عاطفي فقط ...

لم يصدق .. كان مصدوما من نفسه كيف
يشعر نحوها بكل هذا وما زال معلقا بأخرى
خانته !

ثم اطلقت جدايل الرصاص على افكاره كلها
بكلمة واحدة بل كلمتين " انا احبك "

فقد رشده وهو يقلب جسدها بعنف لتصبح
تحته....

تشهق بكلمات لايسمعها فالطوفان غمره
ويدوي بهدير عال في روحه فيصم اذنيه
وعقله على حد سواء ....

فستانها بازراره العليا الصغيرة جدا يعاند
اصابعه وهو غارق ... غارق في تذوق دفء
جلدها بل وما تحت جلدها ....!

فجأة عاجلته ضربات على رأسه وساقاها
تركلان ساقيه بضراوة ..

استيقظ من تلك النشوة المحمومة لينتزع
شفتيه انتزاعا من عنقها المغري الدافئ ...

كانت ينهت من اثر العاطفة وهو يرفع وجهه
فوق وجهها ..

اما هي فكانت تنهت من المقاومة الشرسة !

تحدق فيه بغضب رهيب لتصرخ به وهي تعاجله بضربة اخرى

" ايها المتوحش الـ... الـ ... الوقح ... عديم الحياء ... ابتعد عني حالا ... ابتعد والا اقسم ساصرخ حتى اسقط هذه الاشجار فوق سيارتك الغالية لتتحطم فوق رأسك ! "

امسك كفيها يحجزهما الى جانبي رأسها يمنعهما ضربه مرة اخرى بينما يحدق فيها وعيناه تتسعان وهو يرى اثار هجومه العاطفي المجنون قد دمغ شفتيها وكل وجهها وجيدها... اما شعرها فقد تشعث وتبعثر في كل مكان ..

فجأة انهار في الضحك وهو يردد بانفاس متلاحقة

" عديم الحياء ؟!.... عديم الحياء ! زوجتي تتهمني اني عديم الحياء معها ... يا له من أمر مخز ! "

لتعاود جدايل المقاومة بشراسة وهي تزمجر

" ابتعد عني .. ابتعد .. لن اخرج معك مرة اخرى قلت لك ابتعد.... أيهم .. وألا سأظل اركلك واضربك و... و ... اركلك ... ابتعععععععععععععد .... "

كان يضحك ويضحك ويضحك بينما يعاود امساك جسدها الصغير الذي جن بجنون صاحبته فيقلبها مرة اخرى لتصبح فوقه من جديد لكنه كان مسترخيا تماما ومستمتعا بمقاومتها فيهمس بنبرة مبحوحة وهو يستمع بجذل لشتائمها

" أحبيني ... قاوميني... اشتميني .. اضربيني بقبضتيك الطفوليتين ... اركليني قدر ما تشائين .. مرة ومرتين وثلاث ...وحتى عشر ... وكلما قاومتِ فإنك تفتحين ابوابا اخر من الجحيم لنعبرها معا جديلتي ... "

بعد عشرة ايام ....

قال ضابط الجوازات وهو يتطلع للفاتنة امامه بانبهار واضح

" الحمد لله على السلامة سيدتي "

بابتسامة خلابة لاتخلو من بعض الغرور ترد عليه وهي تأخذ جوازها منه

" شكرا لك ... سعيدة بعودتي للوطن "

ثم التفتت لتغادر مدركة بلامبالاة للنظرات التي تلاحقها ..

ليس الضابط فحسب بل كل من تمر به ...

بثقة وشموخ يليقان بها غادرت بوابة المطار وهي تدفع عربة الحقائب برشاقة امامها ..

انتعشت بشكل حميمي وهي تشم رائحة الوطن فتواجه الشمس بعينيها الزرقاوين وتهمس لها

" ها قد عدت !.. فأخبريه اني هنا قدمت لاطلب غفرانه ..آآه ...لقد اشتقت حتى الموت لرائحة الوطن فيه ..."

" سيدتي .. هل تحتاجين لسيارة اجرة ؟"

التفتت عشتار للشاب العشريني تبتسم له فتعثر الشاب في خطواته وهو يحدق في جمالها بانشداه لتضع نظارتها الشمسية فوق عينيها وترد بخيلاء

" نعم ... اريدك ان توصلني لفندق (...) "

فيسارع الشاب ليأخذ عربة الحقائب وهو يردد بحماس " تفضلي .. تفضلي سيدتي .. الحمد لله على السلامة ..."

الفصل الثاني عشر

" عصفورتي .. تعالي وساعديني .."

عضت جدايل على شفتها السفلى بحنق وهي تسمع صوته المشاكس عبر جهاز الحاكي ..

كم مرة اخبرته ان لايناديها (عصفورتي) ؟!
الكلمة تثير استفزازها بطريقة نطقه لها ..

وكم مرة اخبرته في العمل تريده ان يأخذها على محمل الجد لا ان يتعامل معها انه وضعها خصيصا في مكتبه كمساعدة شخصية له بدلا من هنادي -لمجرد تسليته- ..

كزّت على اسنانها وهي تدفع كرسيها للخلف عاقدة الحاجبين لتقف بحركات حادة مغتاظة ثم تتحرك صوب الباب الذي يفصلها عنه ...

ماذا سيطلب منها الآن ؟!

تفريك كتفيه كما طلب قبل يومين او ربما طقطقة اصابع يده !

المغرور المزعج الذي لايكف عن التدلل والاستفزاز ...

احمرت وهي تقف بمواجهة ذلك الباب قبل ان تفتحه ، تعترف لنفسها انه يجيد التدلل والتدليل في نفس الوقت ...

لديه طاقة لاتنضب لفعل الامرين معا ....!

انها تتهرب منه على الدوام لان مشاعره ومتطلباته تأخذ ابعادا اكبر من قدرتها على كبحها ..

انه رجل فريد من نوعه ....

ابتلعت ريقها وهي تضع يدها على مقبض الباب تدعو الله ان يجعلها تصمد امام طوفانه ...

يجب ان تصمد ..

حتى تعرف ... ويجب ان تعرف ...

لقد جاء قرار سفر خالتها منيرة في صالحها..

منحها عذرا جيدا لتأجيل العرس حتى اشعار آخر ...

اخذت نفسا عميقا قبل ان تضغط بيدها لتدفع المقبض فينفتح لها الباب بسلاسة ..

باسما بشقاوة تأسر القلب ...

هذا حاله منذ عشرة ايام ... منذ عودتها معه بعد عقد القران ...

كلما كانا بمفردهما هو يبتسم بهذه الطريقة التي تذيبها تماما ....

شعره رطب وقميصه محلول الكمين ، ربطة عنقه ايضا محلولة وقد تركها متدلية باهمال على كتفيه ...

علمت انه أخذ حماما للتو ..

لاتزال جدايل تجد صعوبة في تقبل اخذه لحمام في الشركة !

لكنه بعد اجتماع مستمر مرهق لخمس ساعات يحتاج ان يتنشط بحمام ..

لقد عرفت طباعه عن قرب ...

مد ذراعيه نحوها بحركة طفولية متعمدة باسطا كفه اليمين بازرار ذهبية ليقول مستفزا اياها بطريقته

" لااجيد وضع الازرار في الكمين بمفردي عصفورتي ..."

تأففت وهي تقترب منه بينما يضحك بخفوت..

تلامست اصابعها بباطن كفه وهي تلتقط تلك الازرار المعدنية المذهبة ...فترتعش داخليا رغما عنها كما في كل مرة ..

لمسه وهي حلاله شرعا يجعلها تحلق ببهجة عارمة لتعانق عنان السماء ....

اطرقت وهي تمسك بكمه الايمن تدخل الزر الاول فيه بينما يقترب بجسده منها حتى كادا ان يتلامسا ...

تعقد حاجبيها بتركيز وهي تعاني مع هذه الازرار المزعجة ..

مِمَ تشكو الازرار البلاستيكية العادية ؟!!

ما هذا التعقيد باستخدام إزار منفصلة ؟!

رنّ هاتفه النقال فقالت بحنق وهي منغمسة في تعقيد الزر

" اياك ان تتحرك الآن.. اوشكت ان انتهي "

فيرد بهمس مبحوح وهو يميل نحو اذنها

" وهل تتصورين اني سأتركك وأرد ؟!! "

صمت الهاتف بينما تشعر بيده اليسرى تتسلل لخصرها فيهمس مرة اخرى بحرارة

" لم اقبلك صباحا كما يجب ..."

تخضبت وجنتاها وهي تتذكر قبلة الصباح المجنونة ! ماذا يريد بعد ؟ ان يأكلها مثلا ؟

كزّت على اسنانها غيظا فترفع له وجها حانقا متوهجا بالاحمرار بينما تدفع يده اليمنى بعيدا بعد ان انهت اغلاق الزر البغيض ...

حدجته بتعنيف عاصف صامت بينما تمسك كفه الايسر الذي يداعب خصرها فترفع الكف لتحاول اتمام مهمتها العسيرة ...

يضحك بخفوت بينما تتسلل يده اليمنى هذه المرة لخصرها ...

عاد رنين الهاتف لكنه تجاهله تماما بينما يميل برأسه ليغرق شفتيه في عنقها ..

قاومت الضعف وهي تحاول ابعاد رأسها ورقبتها تلقائيا عن مرمى قبلاته دون ان تفلت الكم الايسر من يدها لتزجره بهمس لاهث

" توقف أيهم ... كم مرة قلت لك لااحب ان تفعل هذا في العمل ... "

لم يفلتها بل تشبث بها اكثر والهاتف يصمت من جديد ، اغرقها بقبلات نهمة على طول جيدها حتى انه كان يرتعش كارتعاشها ..

سقط الزر المعدني ارضا ليتحرك كفه الايسر بعنف عاطفي فيتشبث بالجهة الاخرى من خصرها ..

ظلت تتوسل اليه " أيهم .. لاتفعل هذا هنا .. انا .. انا اشعر بالحرج من ...."

اخرسها بقبلات على شفتيها ليغرقها في دوامة عاطفة اصبحت اقرب لاعصار يقلب كيانها رأسا على عقب ...

يهمس بين قبلاته النارية " انا افكر بك ليل نهار الى درجة الهوس جديلتي .. دفئك منحة الهية اختصني وحدي لاحظى بها ... وحدي انا يا سمراء ..."

عاد رنين الهاتف لكنه انحنى ليحملها بين ذراعيه ذائبة مشتاقة ملتاعة بالعاطفة مثله تماما ...

جلس على الاريكة التي كانت يوما ما تشغلها جدايل وحدها بينما هو يراقبها عن بعد ويستمتع بوجودها حوله وها هو الآن يشغلها معها .. يحتضنها بجنون سيترك اثاره على جسدها الانثوي الصغير ..

يلهثان وهي تريح جبينها على رقبته وبجسد يرتجف ارتجافا كجسده هو ...

همست بتحشرج " لايجوز .. ان تفعل كل هذا .. لايجوز ... ان ارضى انا به ... توقف ارجوك .. عندما .. نتزوج ســ..."

قاطعها وهو يشدد احتضانها

" أنت زوجتي .. كم مرة قلتها لك .. انت زوجتي جدايل .. لاتضعي قيودا ابدا بيننا ... كان يفترض ان تكوني في بيتنا الجديد خلال اسبوع واحد .. لكن خالتك .."

هذه المرة هي من قاطعته لترفع وجهها اليه وبعينين لامعتين تسألانه التفهم قائلة

" لااستطيع الزواج دون وجود خالتي معي .. انها بمثابة أمي .. كما ان سفرها .. قد لايطول .. لاسبوعين كما سبق وقالت ..."

عقد حاجبيه قليلا متسائلا " كيف لن يطول لاسبوعين ؟! انا أتوقع انه سيطول اكثر من هذا بكثير ، لقد مضت سنوات لم تر ابنها ..."

ابتلعت جدايل ريقها ببعض الارتباك قبل ان تحدق في شفتيه فتهمس بتوجس

" انا اعرف خالتي منيرة كما اعرف انها في قرارة نفسها ...تنوي ان تعيد سعد .. معها .."

تجمدت نظرات أيهم وتصلبت اصابعه حول جسدها الغض فقال بقسوة " اذن تريد اعادة سعد .... وتحديدا قبل اتمام زواجنا ...؟ "

تطلعت اليه وقلقها يتزايد .. لقد علمت تماما هذا ما سيفكر به ... ولاتستطيع لومه ..

لانها هي ايضا تشك الى درجة اليقين بنوايا خالتها منيرة التي ظلت تؤكد عليها قبل سفرها ان لا تقيم العرس ولا تتم الزواج مهما طال غيابها ...

في الظاهر اعطت خالتها الحجة المقبولة انها تريد حضور عرس ابنة اختها التي ربتها ..
لكن جدايل تعلم جيدا بأن خالتها تريد الاقدام على محاولة يائسة اخيرة ..

(محاولة الجمع بين سعد وجدايل ....)

عجزت جدايل عن قول ما يجعله يهدأ ، كانت تعرف ان ذكاءه لن يخونه وسيفهم ما ترمي اليه خالتها ... وعلمت ان ردة فعله ستكون هكذا ...

هناك فرق بين ان يكون سعد مجرد اسم لغائب منذ سنوات على ارض بعيدة وبين ان يصبح احتمال وجوده حقيقة واقعة على ارض الوطن بينما خالتها تعود لتنسج الاحلام !

أضاف بقسوة ضارية ارعبتها

" اذا عاد ابن خالتك العزيز مع أمه فتيقني يا عصفورتي انك لن تبقي ساعة واحدة معه تحت سقف نفس البيت .. ستنتقلين للعيش معي انا .. انا زوجك .. هل فهمت ؟!! "

ثار طبعها العنيد وهي تتطلع لملامحه لتحاول الابتعاد عنه وهي تقول " انا لي بيتي يا أيهم ، انه حيث يكون والدي وولي أمري.. ويوم يعود ابن خالتي سأعود انا لبيت ابي - ان كان يرضيك- حتى موعد عرسنا ..."

لم يفلتها بل التفت اصابعه حول ذراعيها يهزها قليلا وهو يهدر بانفعال غريب

" لن تغادري بعيدا ابدا يا جدايل هل فهمتِ ؟!
لن تذهبي بعيدا عن ناظري حتى آخر يوم في حياتك ... سمِّها اعتقال .. سجن أبدي ... تملك مجنون .. لكن ضعيها في عقلك الصغير هذا .. أنت ستظلين هنا .. هنا فقط .. ولن تبتعدي ابدا جدايل .. ابدا ابدا ..."

رنين الهاتف لم يتوقف بينما يحدقان في بعضهما البعض ...

هو يحدق بطريقة اقرب للجنون وهي تحدق بجمود وخوف غريب غير مفسر !

وليزداد جنونه وهو يضمها اليه بقسوة تملكية مرعبة يشقق شفتيها بعنف قبلاته وللحظة شعرت جدايل بدوامة من نوع اخرى تهاجمها ...دوامة غامضة حالكة السواد !

انقبض قلبها بشدة بينما رنين هاتفه النقال لايتوقف.............

بعد العصر ...

" ما بك امي ؟! لماذا تنتحين بي جانبا هكذا؟!"

تحدق هيفاء في وجه امها والتي سحبتها من ذراعها بعيدا عن مرمى مسامع الجميع بمن فيهم باسل حيث اجتمعوا عصرا في غرفة المعيشة ببيت والدها ...

سألت الام بهمس وعيناها تنطقان مع كل كلمة من شفتيها " هل انت حامل ؟"

تصلب فك هيفاء لكنها تحاملت على نفسها وهي تفلت ساعدها من اصابع أمها المتشبثة

" لا امي .. ليس بعد ..."

ففعلت امها تلك الحركة المريعة التي تمقتها هيفاء .. مصمصت شفتيها !

اخذت هيفاء نفسا عميقا وزفرته ..

ثم حدقت ببرود في وجه امها لتقول " لاتقلقي .. باسل لايفكر بموضوع الاطفال .."

لكن الأم كزّت على اسنانها غيظا قبل ان تهمس بحنق بالغ

" ايتها الغبية ! كيف لايفكر وهو في الحادية والاربعين ؟!! مؤكد سيفكر .. وعليك انت ايضا انت تفكري أم هل نسيتِ ان لديك مشاكل في ثبات الحمل ؟! "

فردت هيفاء وهي تغلي من الداخل

" مشاكل الحمل ليس لي يد فيها وباسل عندما تزوجني يعرف بهذا جيدا لم اضربه على يده ليقترن بي ..."

شهقت الام باستهجان قبل ان تقول بقسوة

" الا زلت على تعنتك الغبي هذا ؟! ام تظنين انك ست الحسن والجمال التي لايستطيع باسل الاستغناء عنها ؟! "

ابتلعت هيفاء احساس الاهانة الذي تغرقها فيه امها لتسأل ببرود ظاهري

" ماذا تريدين مني ان أفعل بالضبط ؟"

عاد تركيز الام للموضوع الاساسي الذي يهمها بشأن ابنتها لتهمس بلهجة كمن يقول سرا خطيرا " حجزت لك عند طبيبة نسائية نذهب اليها معا يوم الاربعاء المقبل "

ما مدى ما تمدها به امها من احباط !

ترى .. هل تساءلت يوما لِمَ لم ينجب باسل من احدى زوجاته السابقات ؟!هل خطر ببال امها للحظة ان هناك مانعا منه هو ؟!!

ردت هيفاء وهي تتحرك مبتعدة

" حسن امي ساذهب معك ..."

دخل أيهم لبيته الذي اشتراه مؤخرا ..

تحرك بخطوات هائمة في انحاء البيت الواسع عسى ان يخفف من حدة توتره ...

مزاجه سيء .. سيء جدا ...

سمراؤه غاضبة وهو غاضب بل مجنون من شدة الغضب ...

يعلم انه تمادى بشدة هذا اليوم ...

لكنه يريدها .. لقد منحها عملا في مكتبه حتى تبقى قربه ...

المؤسسة كلها انقلبت رأسا على عقب بخبر الزواج المفاجئ الصدمة والعرس المرتقب ...

مع ذلك لم يتوانَ عن جعلها تواجه كل هذه الامواج وهو موقن انها ستعاني من الهمزات واللمزات ...

هو قدم لها الحماية بجعلها في محيط مكتبه بعيدا عن محيط عمل باقي الموظفين لكن هي من تواجه الاخرين عندما لايكون معها...

وجدايل اثبتت له انها اقوى مما كان يظن ...

انها لاتشتكي وتبدو صلبة فتذكر ما أخبرته يوما به عن بنات الثانوية العامة وما فعلنه معها ...

ورغم هذا ما زال يشعر بالذنب !

انه كان انانيا بجعلها تواجه الموجة العاتية في أوجها .. لقد ارادها قربه ... تحت ناظريه .. لم يستطع جعلها تغيب ..

ثورة عارمة جاشت في صدره يعاند اسبابا خفية تؤرقه ...

اخرج هاتفه من جيبه فوجد شحنه منتهٍ...

تأفف وهو يفكر كيف تركه يرن طوال النهار ولم يرد !.. لقد انشغل تماما بجدايل ..

تحرك نحو الهاتف الارضي ليجد اكثر من ثلاثين مكالمة وخمس رسائل صوتية!

ضغط الازرار لتتسع عيناه وهو يتعرف على الرقم المتصل ...

ارتشعت يده وهو يشغل الرسالة الصوتية الاولى ...

(سيد ايهم انا اتصل بك منذ الصباح وانت لاترد .. ارجوك اتصل بي للضرورة القسوى.. هناك معلومات جديدة ...)

والثانية ....

(سيد ايهم اين انت ..؟ لم استطع الوصول اليك في المؤسسة ولا في البيت)

والثالثة....

(سيدي مضطر ان ابلغك عبر رسالة صوتية .. اعتذر لهذا .. السيدة عشتار وصلت الوطن صباح اليوم وسأوافيك بمكان تواجدها خلال بضع ساعات فقط لأتأكد)

تجمدت الصور من حوله .. حتى الهواء تجمد!

سكون تام ......

حواسه تحجرت فلم يعد يسمع او يرى او ينطق.......!

أول شعور أدركه جسده أن انفاسه تحرق رئيته ثم العرق يتصبب غزيرا كالجحيم من كل مسام جلده !

لقد عادت ...

عادت الخائنة ......

وسلبته حتى الحق بايجادها بنفسه ...

حدقت عشتار لنفسها في المرآة ببعض التوتر..

تبدو فاتنة كالعادة ...

بقميص حريري ازرق وبنطال مستعرض ابيض شديد الاناقة ...

شعرها تركته على سجيته المغرية فيغطي ظهرها كله ..

عقد من اللؤلؤ يزين عنقها ويزيد من توهج ونضارة بشرتها ...

رشة من عطرها المميز كانت اللمسة الاخيرة..

رفعت معصمها تحدق في ساعة يدها الماسية بينما تحارب توترها ...

لازالت الساعة الثامنة مساء ...

انزلت يدها جانبا تحدق في المرآة ..

تكلم نفسها اخيرا " ماذا تنتظرين ؟! هل أنت تدّعين وجود موعد معه ؟! هل توهمين نفسك انه شعر بوجودك على أرض الوطن وسيهرع ليجدك بطريقته ؟! "

تسلل خوف غريب لقلبها وهي تهمس

" هل تخشين المواجهة ام تخشين انعدامها ؟!"

أخذت نفسا عميقا وهي ترخي اهدابها ثم اطلقته على مهل ...

اعادت الكرة مرتين او ثلاثة لتتنفس عن توترها المشحون ...

اخيرا هدأت بعض الشيء واستدارات باناقة

طبيعية لتتحرك ناحية باب جناحها

الفندقي ، حذاؤها الابيض يلامس برشاقة

الارضية المفروشة بالسجاد ...

افكارها تتصارع ... هل تذهب أليه ..

أم تنتظر علّه يصل اليها اولا ...

حالما فتحت الباب شهقت بقوة !

ظل اسود داكن يقف قبالة الباب مباشرة

يستند للحائط ... بانتظارها ..

ظل ؟!

بل زوبعة ... اعصار خامد يدور عنيفا في فلك

السواد قبل ان يتحرك بضراوة ليصل اليها.....

نطقت أسمه ... جرؤت ونطقت الاسم ..!

انه لايصدق !

الشوق والرعب ... كجوادين مجنونين

يتنافسان في سبق اكثر جنونا ورعبا ..

ضجيج ... ضجيج صاخب في دوائر شيطانية

لاتنتهي حوله ...

كم مضى على وقوفه قبالة باب جناحها ؟!

ثم ... صوت الباب يفتح...

صوت ضئيل ارتفع فوق ضجيجه الشيطاني !

بل بدى وكأنه قرع طبول ايذانا بحرب

وحشية شعواء واقعة لامحالة ...

وقفا .. ينظران لبعضهما ....

شعلة تلّوت بالتياع في دوامة نارية انطلقت من احشائه وعيناه الخائنتان تسبران اغوار فتنتها رغما عنه لتصل عيناه لتلك العينين اللتين عرفهما منذ ان كان مراهقا في عمر السادسة عشرة فيغرق في زرقتهما كما غرق مرغما الآن......

صوتها تهمس اسمه جعل الضجيج الصاخب يعلو ويعلو فلم يدرك أيهم انه يتقدم نحوها للامام وهي تتراجع للخلف ...

" أيهم ... "

صوتها ... آآآآه من نبرات كان يستعذبها لسنوات ويتذوق حلاوتها سنوات وسنوات ...

اغلق الباب بركلة عنيفة من قدمه ويستمر تقدمه وتراجعها ......

هل هذه عشتار حقا امامه ؟!

هل هذه من عشقها حتى الموت منذ صباه لتذبحه وتتركه ينزف حتى الموت ايضا !

همس بلهجة اقرب للجنون

" لم تمنحيني حتى لذّة احضارك بنفسي ! "

ابتلعت ريقها بوضوح وهي تحدق بجنون في نظراته المرعبة فلا تجد في تلك النظرات معشوقها الاوحد !

همست باختناق " كنت آتية لالقاك ...آآآآآآآآآآآآآآآآه .. "

صفعة ارجعتها للخلف خطوتين !

جحظت عينا عشتار وهي ترفع وجهها المحمر

في جانبه الايسر من صفعته الاولى لتحدق في

وجه أيهم وقد بدا مرعبا بكل ما فيه ...

لحيته الطويلة شعره الذي استطال حتى غطى

ياقة سترته السوداء .. عيناه الضاريتان

بجنونهما الوحشي ...شفتاه التي ابيضتا

كالموتى ...

رباه ... ماذا فعلت .. ماذا فعلت به ؟!

انفاسها مرتعشة بينما انفاسه ضارية

كضراوته .....!

اقترب مرة اخرى بينما تهمس لتهدئه

" أيهم .. اسمعني أولا... انتظر و .... آآآآآآآآآه "

صفعة ثانية اقوى وهدير انفاسه يصلها

كهدير وحوش البراري ...

وصفعة ثالثة ورابعة وخامسة حتى سقطت

ارضا على ركبتيها وشعرها تناثر حولها حتى

غطى وجهها الملفوح بحرارة الصفعات

الجنونية ...

الصفعة الاخيرة كانت الاقوى والأشد لتشعر

بسائل دافئ يمر عبر انفها ...

طبعها الناري استيقظ رغما عنها نافضا احساس

الذنب القاتل لخطيئة ارتكبتها بحمقها....

نظراتها تحولت للشراسة وهي تستند بكفيّها

على الارض فتهمس بنبرة خشنة

" لم أكن اعرف انك اصبحت تضرب النساء "

صرخة ألم مبرح وهو يمسك شعرها بعنف
ليرفعها فتقف متزلزلة من هول ما وصل اليه
ليقرب وجهها من وجهه بقسوة يحدق بجنون
مطبق في ملامحها التي تتوارى خلف خصل
شعرها المبعثرة التي التصقت بعضها بالدم
النازف من أنفها ليهدر لاهثا بينما اصابع يده
الاخرى تمسك ذقنها بعنف

" انت لست من النساء ... انك مجرد حثالى
طفيلية كالذي خنتني معه .. عاشرته
بجسدك الفاسق النهم وامتصصت منه ما
كنت تمتصينه مني"

صرخت بعنف وهي تتحداه بعينيها

" ايهم .. اتركني .. "

اصابعه القاسية ارتفعت من ذقنها لانفها يمرر
بتلذذ مجنون طرف سبابته ليبعثر الدم السائل
بدوائر عشوائية على خديها المتوهجين من
آثار صفعاته ثم يصل بالدم لما بين شفتيها
المكتنزتين فيهمس " تذوقي دمك عشتار ..
تذوقيه واخبريني بمدى فساده ..."

اخذت تبصق طعم دمها وتصرخ بهياج وهي
تحاول تخليص راسها من قسوته

" يكفي ... يكفي ... لقد جننت ...؟! "

اصابعه انحدرت في لحظة لرقبتها البيضاء
يلوثها باثار الدم ايضا ثم ... وبذهن مغيب
أخذ يضغط بسبابته وابهامه على قصبتها
الهوائية ....

جحظت عينا عشتار وهي تنظر لجنون الانتقام المسيطر عليه بينما يداهمها الشعور بالاختناق من ضغط اصبعيه على مجرى تنفسها ...

حاولت بجنون تخليص نفسها من براثنه دون ان تستطيع .. دوما كان قويا البنية لكن ليس هكذا ! كأن جسده اكتسب اضعاف قوته الاصلية .. لم تكن تظن أنه يعاني هكذا ... لم تتخيل لهذا الحد وبعد مرور كل هذه الفترة !

يا الهي انها تختنق حقا ... وأيهم من فقد عقله ليخنقها .. ليقتلها هنا وهي الغبية قد أتتها الشجاعة اخيرا لتطلب غفرانه ...

تصورت انه هدأ .. ان ثأره هدأ قليلا ...

ستموت قبل ان تحصل على غفرانه ...

قبل ان تقول لها انها لم تخنه ... لم تخنه حقا كما يتصور ..

سلمت جسدها لرجل آخر هذا صحيح ..

لكنها لم تشعر بأي رجل آخر غيره ...

ما حصل كان غلطة ... غلطة عمرها ...

لكن قلبها وروحها مع أيهم فقط ...

همست ودموعها تهطل بينما بدأ الدوار يسيطر عليها

" اغفر لي ... انا ... أنا ... اتعذب .. أتعذب اكثر منك .. اقسم بالله اتعذب..."

صرخ كمعتوه وهو يترك رقبتها ليمسك شعرها بين اصابع كفّيه

" العذاب ؟! ماذا تعرفين عن العذاب ؟! هل تذكرين ما وعدتني به يا عشتار ؟! هل تذكرين قبلتنا الاولى ؟ كنتِ في الخامسة عشرة وقلتها لي ... قلتِ انا امرأتك أيهم .. وسأكون لك وحدك حتى أموت ... قلتِ انا زوجتك روحا وجسدا .. قلتِ انك لاترين الرجال الا بي أنا ... هل تذكرين هذه الكلمات التي قلتها لي وانت مراهقة تزحفين زحفا بربريا لقلبي ..."

اختلطت دموعها بدمائها بينما يشد هو على خصل شعرها حتى اوشك ان يقتلعها من مكانها لتتوسله بحشرجة الندم والألم

" اغفر لي .. انا ما زلت عشتار التي لم تنس عشقك ولن تنساه ابدا .. لم أكن بحالة طبيعية بوقتها ... اقسم لك كنت أتعذب وافتقدك بجنون .. عذابي لايمكنك تصوره كما لايمكن ان تتصور كيف عشت عذابا اشد طوال هذا العام ....."

ألتمعت عيناه بشكل مخيف وهو ينظر اليها بتشفٍ غابت عنه معنى الانسانية ليهمس بصوت قاتل

" العذاب لم تتذوقيه بعد يا خائنة ..انا احفظك واعرف أشد ما يؤلمك .. هل تعلمين متى ستعيشين جحيم العذاب الحقيقي؟ يوم تفقدين ما خلقت لاجله .. ان تكوني مميزة ... تعشقين نفسك وتفردك ... "

غاص قلبها وانذارات الألم من مجهول قادم

ارتفعت وتيرتها بينما تهمس

" ما...ماذا ... تقصد ؟! "

ابتسم ببشاعة لم ترها على وجهه سابقا ثم

دفعها بعيدا وهو يقول

" ستعرفين قريبا ... وسأتلذذ بكل لحظة وانا

أراها في عينيك الفاجرتين ... عندها فقط

سأرتاح ... سأرتوي مما سيطفئ ناري ..."

وكأن حدسها الانثوي اخبرها .. دلّها لاشعوريا

لتنظر مباشرة لاصابعه فـ...تختنق !

اختنقت برؤية ذلك الخاتم اللامع الجديد ...

خاتم في بنصره الايمن !

توحشت دواخلها وزأرت بتملك له ...

اقتربت منه..عيناها متوحشتان ووجهها الملطخ

بالدماء يمنحها هالة اكثر وحشية لتهدر فيه

" ما هذا الخاتم ؟! اجبنيييييييي ...."

لم يكن اقل منها توحشا وهو يستمتع

بفريسته التي بدأت تتلوى كما يشتهي..

كما خطط ...

قال بنفس الابتسامة وهو يرفع يده مقابل

وجهها " هذا ؟؟ ..... انه قلب امرأة اخرى ... "

صدرها يعلو ويهبط وقلبها ينبض بجنون

هستيري لتهمس بتحشرج كلمة واحدة

" مستحيييل ..."

نظر اليها من قمة راسها حتى اخمص قدميها

ليرد بنبرة مميتة

" لا مستحيل عشتار ... منذ خيانتك لي وآمنت

ان لامستحيل في هذه الحياة..."

تراجع للخلف فكان دورها لتتقدم وتسأل

بانفعال فاق كل الحدود " هل تحبها ؟! "

ارتشعت نظراته ! للحظة غاب توحشه وبدى ...

بدى مرتبكا !

لا .. ليس مرتبكا بل بدى ..

يا الهي ... انها لاتعرف هذا التعبير على وجهه

... كأنه استيقظ للتو ويبحث عن شيء ما ..

شيء ليس لديها هي ... هي... عشتار ...!

همس اخيرا وبضياع غريب

" اكتشفي ذلك بنفسك .."

ثم التفت وغادر !

لقد غادر !.....

ماذا يعني هذا ؟!

الى أين ذهب ؟

كيف يتركها ؟...........

تحجرت نظرات عشتار وهي تحدق بالباب الذي

خرج منه للتو دون ان يغلقه خلفه ...

هاتفه مغلق ...

تتصل برقم البيت ولاتجده !

اين هو ؟ ماذا حصل ؟

هل هو غاضب منها ؟

هي ايضا غاضبة جدا منه ولاتطيق انفعالاته غير المفهومة ...

انها تشعر بانفعالاته دون ان تدرك اسبابها ..

وهذا شيء يجعلها تشعر بالغضب الشديد ..

انها شديدة التأثر به وتلتقط منه الكثير فتعاني مع معاناته لكنها تغضب بجهلها الذي يزداد عمقا يوما بعد يوم ...

هيفاء تنصحها دوما بالتريث .. ان تحاول جعله يسترخي ليفضفض عن مكنوناته بأريحية دون ضغوط ...

لكنها لم تعد تستطيع الصبر اكثر

ماذا لو عادت الخالة منيرة في اي وقت ؟

ماذا ستقول عندها لكي تؤخر زواجهما؟

والدها صامت على مضض ويريد ان يتم العرس سريعا فلا معنى لبقائها بهذا الوضع خاصة مع سفر خالتها ... ولولا السيد مهيب طمأنه انه سيرعاها في غياب خالتها وان ابنتيه المراهقتين ستبيتان معها كل ليلة حتى عودة الخالة منيرة لكان والدها أصر على عودتها للبلدة ...

ولو عادت لواجهت جنون أيهم ورغبته الرهيبة بابقائها (تحت ناظريه)...

لقد انهكت ... حقا انهكت ....تمددت جدايل على سريرها تحتضن هاتفها النقال وكل بضع لحظات تضغط زر الاتصال دون جدوى ...

ارخت جفنيها وهي تهمس

" أين أنت يا أسدي ؟"

في بلد آخر ...

نظر سعد لأمه الغافية على سريره فيقتله الشعور بالذنب ...

لايعلم كيف مرت السنوات سريعا هكذا وكأنها بضعة ايام لاغير !

لقد صدم في المطار عند رؤيته لأمه ...

لقد كبرت ...! سبع سنوات جعلتها تبدو اكبر بكثير مما يذكرها وهو يودعها في مطار الوطن مغادرا نحو حلم في ارض الغربة ..

تنهد بحسرة وهو يتطلع للمدينة الزاهية باضوائها عبر شباك غرفته ... اضواء تنير غرفته المظلمة دون ان تنير روحه ...

لقد سرقته الحياة .. سرقت سبع سنوات كاملة وهو يعمل كآلة لجمع المال لتسرق منه جهوده هذه المرة بغمضة عين وبضربة واحدة خاسرة في البورصة ..

تكتف سعد شاعرا في داخله انه عجوز..

عجوز ينظر للدنيا نظرة زائلة ....

وكأنه فقد رغبته للمضي قدما ...

انه في الثلاثين .. بل الحادية والثلاثين ..

سيتمها مطلع راس السنة الميلادية ...

وها هو صفر اليدين يعيش في شقة للايجار
تنهك ما تبقى من مدخراته .. وما تبقى قليل
.. قليل جدا نسبة لما جمعه ...

عاد ليلتفت ناحية أمه فيشعر بالأسى اكثر ..

انها مصرة على عودته وكل صباح تمارس
هوايتها القديمة بالضغط غير المباشر وهي
تصف له الوطن والجيران والاهل .. و جدايل ...

ابتسم رغما عنه وهو يفكر بسذاجة امه ...

تظن انه لايدرك عمق واهداف اشاراتها
المتلاحقة حول جدايل ...

جدايل ذات الضفائر البنية والبشرة السمراء
كسمرة بشرته ..

لايذكرها الا بهذه الهيئة المحببة ...

وها هي امه تعود لتناور حول الموضوع الذي
طالما لمحت له في مكالماتهما الهاتفية خلال
العامين الماضيين تحديدا ...

رغم انها اعترفت بخطبة الصغيرة السمراء لرجل اعمال وصاحب مؤسسة ضخمة لكنها أبدت امتعاضها الواضح من الرجل وحجتها انه من عالم آخر مختلف عن جدايل ولن يسعدها ابدا...

عاد سعد ليتطلع عبر نافذته فيشعر بغربة ووحشة لم يشعرها حتى اول ايام وطأت فيها قدماه هذا البلد الحيوي ...

كان مندفعا متلهفا لبناء نفسه ...

لكنه اخطأ ... اخطأ التقدير للاسف ...

ولم يعد لديه شيء يهمه هنا ... ثم جاءت أمه بتوقيت غريب تحمل معها مقص الحنين للوطن فتقطع مزيدا من الخيوط الواهية التي تربطه بهذا البلد ..

" سعد ... ولدي سعد ..."

يلتفت اليها بابتسامة حانية فيقتله شعور الذنب وهو يرى كبرها وضعفها بينما تحاول ان ترفع نفسها عن السرير ...

اقترب منها تلقائيا وهي تمد كفها في الظلام كما الضرير الذي يبحث عن دربه ...

اوجعه قلبه بشدة فسارع ليمسك بكفها الحاني يرفعه لفمه يلثمه بينما تقول له شبه نائمة " عطشانة يا ولدي .. اريد بعض الماء "

فيقبل يدها مرة اخرى قائلا

" حالا أماه ...."

ويسارع ليغادر الغرفة نحو المطبخ الصغير فيحضر لها بعض الماء ..

تشرب الماء بتهلف بينما يراقبها بتلهف هو الآخر ... كيف سرقته الحياة هكذا ؟! كيف ؟؟ كيف ترك امه كل هذه السنوات؟

نظرت اليه بمحبة خالصة وهي تبتسم ابتسامة الارتواء فقال لها وهو يمتلأ رضا

" هنيئا امي ..."

فتمد يدها تربت على شعره تقول له بحنان

" باركك اللّه بنيّ .. وسقاك من ماء الكوثر"

فيطرق براسه وهو يأخذ الكأس من يدها الاخرى بينما تقول امه المزيد وبنبرة تثير الشجن

" جدايل دوما تحضر لي كأس ماء بالليل دون ان اطلب .. تعرفني اصاب بالعطش"

رفع عينيه اليها فتعذب بتعابيرها اكثر ..

كانت تقولها دون كلمات ... تقول الكثير ..

تقول... انك لم تكن موجودا عندما كنت أعطش..

تقول ... ماذا سأفعل بعد رحيل جدايل ؟

من سيرويني ؟؟

شعر صدره يضيق .. يضيق بكل شيء هنا ..

أمه تناديه ... ووطنه يبثه اشواقه عبر عينيها الحنونتين ...

ما الذي يبقيه هنا بعد ؟! ماذا يفعل هنا ؟!!

حدق في أمه قبل ان يقول

" امي لقد اتخذت قراري ... انا عائد معك ... امهليني بعض الوقت لأصفي كل اموري هنا ثم أعود معك للوطن.."

صباح اليوم التالي

" أيهم .. مابك ؟"

قلبها يؤلمها بطريقة غريبة ...

يا الهي ماذا حصل له ...

تطلعت لجانب وجهه الصامت الجامد كتمثال حجري قُدّ من الصوان ....

وجهه بدى شاحبا جدا.. عيناه حمراوتان كالجحيم المستعر ...

لم يرد حتى على تحية الصباح عندما أتى ليقلها للمؤسسة كالمعتاد ...

لكنه حاد عن الطريق الرئيسي المؤدي للمؤسسة ليسلك طرقا فرعية بشكل بدى عشوائيا لها ..

كأنه يبحث عن شيء ولايجده ولا يجد مكانه ....

ثم توقف اخيرا على جانب الطريق وهو لاينطق بشيء ...

عادت تهمس بوجل وقلبها يرتعش لرؤيته بهذه الحال " اخبرني .. ماذا حصل بالامس .. بحثت عنك ولم اجدك ... ونمت وقلبي متوجع يهفو لسماع صوتك "

التفت اليها اخيرا وبدت نظراته ميتة جوفاء !

قال بصوت غريب " لم أنم ليلة الامس .. قضيت الساعات الطوال اهيم في ظلام البيت الفارغ "

خنقتها العبرة دون ان تعلم السبب فتمد يدها لخده تلامس لحيته بارتعاش فارخى اهدابه للحظة ثم فجأة تعكرت ملامحه وتسارع تنفسه وكأن هياجا مدمرا اصابه ...

اوشكت ان تسحب يدها فعاجلها بسرعة خاطفة وهو يضع يده فوق يدها يمنعها الابتعاد عن ملامسته ...

تحشرج صوته وهو ما يزال مغمض العينين

" انا أبحث عن نفسي ولا اجدني جدايل .. باب جديد للجحيم فُتح ... باب كنت انتظره واسعى له ... ثم تناسيته لبعض الوقت وانا غارق فيكِ .. لكنه غافلني وانا في قمة النشوى ليفتح على مصراعيه فاذا الجحيم هذه المرة اكبر حتى مما كنت اتخيله يوما ... حجيم من سواد خام .. خام يا جدايل ... اشعره يبتلعني .. فلم أعد اعرف من أنا ! "

لم تسمع يوما كلمات تقطر أسى كهذه !

وتشعر ان القادم محملا بأسى اكبر واعظم ...

همست بحشرجة بما هي مستعدة لفعله لاجله

" لاتخش شيئا يبتلعك..وأنا سأكون معك

أنت اقوى بكثير .. انا اثق بهذا ... انا اعرف

من أنت .. واحببتك لانك أنت ... لذلك ..

انا باقية أيهم وسأظل باقية .. "

فتح عينيه اخيرا تفيض نظراته بما يقبض

قلبها اكثر ...

هل هذا الشعور بالذنب ؟!

نفض رأسه لتختفي نظرات الشعور بالذنب

ويحل محلها نفس الجوع لكن هذه المرة اقوى

وأوقع تأثيرا في قلبها وروحها ...

قال بتصميم لاهث

" اجل انت باقية .. لاني لن اسمح لك

بالرحيل ...."

ثم سحبها اليه وبتهور مجنون اخذ يقبلها

بعنف أشد من عنفه بالامس !

تركها فجأة وانفاسه تهدر يحدق فيها ملء

عينيه وكأنه يحفر ملامحها حفرا بينما هي

ترفع اصابعها المرتعشة لتلامس شفتيها بتوجع

وقلبها يخفق بجنون ..

طالت ساعات النهار وهو لايطلبها !

وهي بحدس فطري شعرت انه يحتاج للبقاء بمفرده ، شعرت انه يصارع ذاته ويستكشف طريق نفسه التي تاهت منها ....

متى ستعرف ماذا فعلت به عشتار تلك ...؟

ليتها تعرف ماذا فعلت .....

ومرت ساعة اخرى وهو يرفض مقابلة احد ...

لكنه بدى ... بدى كمن ينتظر حضور احدهم !

كلما اخبرته ان هناك من يريد التكلم معه او مقابلته يسأل بنبرة مظلمة لاتخلو من لهفة غريبة عن هوية الشخص وحالما تبلغه يرفض بشكل قطعي ....

اخذت تلاعب الحلق الدائري الكبير المعلق باذنها وعيناها مسمرتان على ذلك الباب الذي يفصلها عنه ..

ثم انتقلت لتتلاعب بخصل شعرها التي تربطها جميعا للخلف بعقدة منخفضة...

لكن ... لم تعد تحتمل ....هذا كثير ... كثير لتتركه وحده مع ما يعانيه ...

تحركت من مقعدها لتتوجه اليه ودون استئذان دخلت واغلقت الباب خلفها ...

نظرت اليه جالسا في كرسيه يسند رأسه للخلف مغمض العينين ...

قبل ان تتكلم سأل بصوت بارد

" هل هناك من يريد مقابلتي ؟ "

ردت وهي تقترب ناحيته " اجل .. انا ! "

تبسم.. ابتسامة صغيرة ... صغيرة جدا ...

لم يغير من وضعية جلوسه ولم يفتح حتى عينيه فقط رفع كفه يشير لها هامسا بصوت مبحوح

" تعالي يا سمراء ... احتاجك "

بلهفة قلبها الذي يتمزق لاجله اقتربت حتى وصلت لمرمى كفه فتركت له حرية ملامستها ثم سحبها من خصرها لتجلس على حجره يضمها لصدره بصمت ..

بعد لحظات رفعت رأسها لتلامس بشفتيها ذقنه وهي تهمس بثرثرة انثوية " ابنتا السيد مهيب جئتا حماسة واعجابا بفستان الزفاف "

ترتفع يده من خصرها لجانب عنقها يلامسه دون ان يتخلى عن استرخاء راسه للخلف واطباقه لجفنيه ..

قال اخيرا بصوت لايعبر عن شيء

" وماذا عنك جدايل ؟ هل اعجبك الفستان بنفس الحماسة ؟ "

ردت برقة محببة

" دوما انت مميز فيما تقتنيه لك او لغيرك "

فيرد بابتسامة صبيانية ويده تسرح عند مقدمة ياقة قميصها الازرق

" وانت اكثر مقتنياتي تميزا .."

في موقف آخر كانت ستثور في وجهه وهو كان سينفجر ضاحكا منها ...

لكنها لاتشعر بأدنى رغبة لأن تثور ..

فقط تريد ان تكون متقاربة معه ..

ليتها تشعر بأنها قريبة من نفسه كما هو قريب من نفسها ...

اصابعه عبثت بزر القميص العلوي ففتحه بسلاسة بينما هي تقاوم يده قائلة بحزم خجول

" الا تتوقف عن تلك المحاولات قليلة الحياء...؟!!"

يراوغ مقاومة يدها التي تدفع يده فيلامس بسبابته عظمتها العليا ويقول بهمس

" عظمة الترقوة لديك مرتفعة اكثر من المعتاد ..."

فتزفر وهي تحاول ابعاد يده ليحرك رأسه قليلا للامام يحدق فيها بابتسامة فيها شجن رغم شقاوتها ...

توقفت عن محاولة مقاومته وهي تحدق فيه بانفاس متحشرجة ...

همست اسمه فتغيب ابتسامته وتشرق عيناه فيميل لشفتيها بحركة سريعة مفاجئة بينما يده تزيح حافة القميص عن كتفها ...

تأوهت رغما عنها تاثرا بينما تشعر بشفتيه تنزلقان حتى بشرة كتفها المكشوف ...

لمحة تعقل خطفت بعقلها الغارق في دوامة العاطفة ...فأخذت تترجاه بارتعاش

" لاتفعل... هذا أيهم ... ليس الآن ...عندما ... نتزو...."

على حين غرّة انفتح الباب فشهقت جدايل بقوة وبحركة تلقائية واحدة ابعدت أيهم بينما تعيد حافة القميص فوق كتفها وتزرره بارتعاش مختنز دون ان تجرؤ على النظر لمن اقتحم خلوتهما ...

لكن همسة من فمه جعلتها تتجمد كما ادركت انه هو ايضا متجمد ....

" عشتار ...."

انسابت من بين ذراعيه لتغادر حجره تصلها رائحة عطر انثوي مميز .. شديد التميز ..

وبقلب خافق رفعت عينيها لتواجها ... عشتار ..

ويا ليتها لم تفعل !

امرأة بجمال لم تر له مثيلا على ارض الواقع ..

ربما في المجلات فقط قد تمر على جمال فريد كهذا ....

تدفق الدم في عروقها باردا وهي تحدق في
تلك المرأة المبهرة بثوبها الليلكي الحريري
وقد اشرست ملامحها الفاتنة وتأججت النيران
في عينيها الزرقاوين الساحرتين...

تثلجت اطراف جدايل تماما وهي تحدق بعينين
متحجرتين بهذا الجمال الخلاب ...

متبلدة متسمرة في مكانها تفكر ... اذن ...
هذه عشتار ... طليقة أيهم ... سر بلائه الذي
لم تصل جدايل لكنهه ..

تحدثت المرأة اخيرا وقد بدت ثائرة بجنون

" من هذه الحثالة ؟! "

كان أيهم قد وقف على قدميه بتأنٍ وهدوء ...

طالعته جدايل وهي ما زالت متخبطة ..
مشوشة كما لم يحدث لها يوما ..

كان واجما .. يحدق في طليقته قبل ان يرد
على تساؤلها بنبرة ارتعشت منه " احفظي
لسانك عشتار ... فأنت تعلمين من تستحق
حمل صفة الحثالة ! "

ذهلت جدايل ... رغم ان الامر يبدو انه يهين
بكلماته طليقته الثائرة الا انه كان محطما
وهو ينطقها !

ثم ذهلت اكثر وعشتار تقترب بهياجها قائلة

بارتعاش يوازي ارتعاشه

" وهل خطيبتك العتيدة تعرف بشأن كل
الحثالات في حياتك ؟"

ماذا يحدث ؟ كانت جدايل تعافر لتتنفس

وهي تنقل نظراتها بين الاثنين ...

تنتظر ... ماذا تنتظر ؟!!

ان يعترف بوجودها احدهما مثلا ؟!

ان توجه لها الكلام تلك الـ(عشتار)؟!

ام ان يسندها أيهم ويدافع عنها بقوة اكبر ؟

ابتسامة قاسية من أيهم بينما ترى ارتعاش يده

قبل ان يخفيها في جيبه ليقول بعدها

" تصحيح ... هي ليست خطيبتي وانما ...

زوجتي ... وهي .. تقف امامك مباشرة ..."

ثم التفت التفاته بسيطة ناحية جدايل قبل

ان يعرفها بجمود غريب " اقدم لك جدايل ..

زوجتي ... عقدنا القران وزفافنا بعد... ايام ..."

صدرها يؤلمها ... يؤلمها بشدة وهي تحدق في

ألم تلك المرأة الذي تجسد امامها تجسيدا ...

لقد مزّقها أيهم بتعمد مقصود وحشي

لايرحم... لماذا يخبرها بهذه الطريقة ؟

يا الهي .. لماذا يفعل بها هذا ؟

همست جدايل باختناق فلم تعد تتحمل

" ارجوك ... سيدة عشتار ...أنا .."

صرخت عشتار وعيناها تلمعان بالدموع

" من أنت لتوجهي لي الكلام ايتها الضئيلة السمراء كفأر التجارب "

اتسعت عينا جدايل وهي تستقبل الاهانات وفي لحظة غاب تعاطفها ليتوقد غضبها بينما تسمع أيهم يقول صارخا بغضب أعمى له ابعاد اوسع من مجرد الدفاع عن جدايل

" ايتها الحقيرة الفاسقة .. أو تجرؤين ؟"

وقبل ان ترد عشتار قالت جدايل بانتقام بارد وهي تشمخ امامها " أنا ... يا سيدة عشتار .. أكون زوجته... الحالية ....عرسنا قريب جدا كما ابلغك أيهم .. ويسرنا ان تحضريه "

اقتربت عشتار ووحشيتها تطغى عليها لتقف قبالة جدايل تشمخ فوقها بقامتها الطويلة فتهمس بشراسة

" انت لست اهلا لتتحديني ... لااعلم ما قاله لك عني لكن حتى غبية مثلك مؤكد ستدرك من أنا بالنسبة له "

في لحظة كان ايهم يقف بينهما ... يغطي نصف جسد جدايل وقد شع جسده بامواج متنافرة من المشاعر ...

تلتقطها جدايل ولا يسعفها الوقت ولا المنطق كي تفسرها ...

همس أيهم بشراسة مماثلة وعيناه في عيني عشتار " ومن أنت عشتار ؟!! "

فتحدثه بالقول وهي تقرب فمها من فمه لتقول بعاطفة رهيبة تفيض شغفا وغضبا

" انا معشوقتك الوحيدة ... حتى لو حملت لقب طليقتك...! مهما حصل سأظل معشوقتك التي لن تنساها حتى مماتك ..."

لم يبتعد .. فمه يكاد يلمس فمها وجدايل تحدق بانبهار عاجز يقتلها هذا الشغف المتبادل الذي تستشعره منهما معا على حد السواء ...!

شغف من نوع خاص وصراع قاتل لاتفهمه ...

ابتسم ايهم فجأة ...

ابتسامة تفيض رضا شيطاني بينما يقول بسلاسة

" تصحيح آخر ... انت حاليا... تحملين لقب ... (زوجتي الاولى) "

ضربة قاصمة !

تمايلت جدايل من أثر تلك الضربة وهي تهمس بتحطم " أيهم ...."

لكن أيهم كان لاه عنها .. يعيش صراعه مع اخرى تناظره وحشية وعاطفة استبدادية

فقال أيهم وهو ما زال على نفس الوقفة المقابلة لعشتار يتحداها بنفس النبرة وهو يشير بيده ناحية جدايل

" (زوجتي الاولى) اقدم لك ضرتك ... (زوجتي الثانية) ... جدايل ...."

بينما تعاني جدايل قرب انهيار صمودها ترى عشتار كيف تشتتت وتبعثرت نظراتها ...

لقد كانت تتحطم ببطء وايهم يستمتع بتلذذ جنوني وهو يراقب تحطمها !

همست عشتار اخيرا وعيناها الرائعتان تتغرغران بالدموع بينما نظراتهما تفيض بعدم التصديق الذاهل ...

" ماذا تقصد ... الاولى ..! الـ...ثانية ؟!"

عادت الارتعاشة الخفية لنبرة صوته وهو يرد بهياج ينضح بالقسوة المرعبة " هل ظننت ان باتصال هاتفي العام الماضي تعترفين بقذارتك وتطلبين الطلاق بنفسك فساسارع انا للتنفيذ ببساطة ؟ كنت تتوهمين ان أيهم قادر على تحقيق كل المعجزات لاجلك ...

ولكن هذه المعجزة لم استطع تحقيقها لك .. ليس قبل آخذ بثأري يا عشتار .. وانت تعرفيني جيدا ... تعرفين اني أجيد اخذ ثأري وبدم بارد ... "

عشتار محطمة خلف شراستها الظاهرة وتشتتها الواضح ...

وأيهم محطم خلف قساوته الظاهرة وألمه الموجع ...

وهي جدايل .... تجمع حطامها بين الاثنين ... في صمت ....!

عاد ليقول بنبرة تحمل كل معاني الغل الحاقد

" وانا انظر اليك الآن محطمة.. ذليلة ..بينما تستوعبين معنى ما أقول .. بالضبط كما تخيلت وجهك لاشهر مضت ... وتخيلت شعوري وانا اتشفى بل اتلذذ بكل لحظة وأنت تتعذبين.. فاقدة القدرة او السيطرة على فعل شيء لدحر اذلالك كأمرأة ... أمرأة مثلك فخورة لدرجة الغرور القاتل .. نرجسية لدرجة الهوس بينما تصبحين في المرتبة الثانية وحتى الاخيرة .. هذا هو مقتلك عشتار ... ان تخسري تميزك الغالي .. ان تخسري قدرتك على القبول او الرفض .. ان تسلبي حتى حق القتال لتستردي ما ملكته يوما وفرطت به برعونتك التي لاتنتهي .. أن تهزمك امرأة اخرى وتأخذ مكانك .... امرأة ترينها بعينيك القاصرتين ...عادية ... عادية جدا.."

اخيرا ابتعد عنها ليقول بشفتين شاحبتين مرتعشتين

" بكلمات واضحة مباشرة لا لبس فيها ... أنت ما زلت على ذمتي... فانا لم اطلقك ... حتى هذه .... اللحظة.. "

الفصل الثالث عشر

كانت عشتار تختض فلفّت ذراعيها حول جسدها الفاتن بينما تراجعت خطوات جدايل للخلف تترنح حتى اسندها الحائط...

انفاس عشتار تتعثر وهي تهمس بنبرة مبحوحة مختنقة " لقد ثأرت ! ... علمتَ جيدا كيف ... تقتلني ... حيّة ..."

كانت ملامح وجهه جامدة .. لاحياة فيها ..بينما جدايل تلهث خلفه تحدق فيه وهي تهمس لنفسها بشجاعة مهلهلة

" توجعي جدايل .. ابكي لو شئت .. اصرخي فيه .. لكن لاتنهاري .. اياك والانهيار .."

تراجعت عشتار هي الاخرى للخلف وعيناها في عيني أيهم بينما ترتعش دون ان تفقد كبرياءها هامسة

" لكنك مخطئ اذ ظننت مقتلي في نرجيستي وغروري ..."

ثم تراجعت اكثر واكثر وما زالت عيناها في عينيه لتهمس بألم صافٍ

" مقتلي فيكِ أيهم .. فيك أنت ....."

ثم دون ان تضيف المزيد هرولت برشاقة وعطرها يتماوج في الاجواء ...

انعصر جسده بل وكأنه تلوى حالما اختفت عن ناظريه ليتحدب ظهره وهو يميل مستندا بكف واحد على حافة مكتبه ...

تحركت جدايل تبتعد ...

خطواتها غير ثابته وصخب الافكار يكاد يصيبها بالغثيان !

لم تكن تشعر بما يفعله أيهم خلفها بينما تقودها قدماها للباب الذي غادرته عشتار للتو..

عشتار .... انعصرت جدايل عصرا ...

فتأوهت بصوت مسموع رغما عنها وكأنها تلفظ الألم مع انفاسها ...

الباب كان مفتوحا امامها للتو لكن شهاب مظلم خطف من جانبها ليغلق الباب في غمضة عين ويقف قبالتها بانفاسها اللاهثة سدا منيعا بينها وبين ذلك الباب المغلق ...

همس بحشرجة قاسية " الى اين ...؟!"

ردت بارتجاف وهي تميل بعيدا عنه

" انا..... راحلة ..."

هديره الهامس الغاضب سبقته انامله التي انغرزت في ذراعيها " لم تمض نصف ساعة منذ قلت وأكدت انك باقية ..باقية "

حاولت تخليص نفسها منه وهي تهمس بغضب مكتوم " دعني..... أيهم ..."

لم تشعر ان دموعها تسيل بل لم تشعر انها تشهق بالبكاء الا عندما قالها هو بصوت رجولي مميز يفيض بالكثير من العواطف المشحونة

" لاتبكي .. لااريدك ان تبكي ابدا ... كما اني لن أدعك يا جدايل .. أنت في دمي ..! "

صرخت به رغما عنها وهي تضرب صدره بقبضتيها " انت كاذب .. كاذب .. تكذب في كل شيء .. لقد استخدمتني فقط لايذائها ... هذا كل دوري .. كل ... كل ..."

اجهشت بالبكاء فضمها قسرا لصدره يئد كل محاولاتها للافلات وهو يعتصرها بين ذراعيه هامسا باصرار " انت في دمي .. في دمي .."

لكنها ظلت تبكي بوجع وقد فقدت قدرتها على التركيز حتى لتستوعب ما حصل ..

شعرت بشفتيه تلامسان اذنها تهمسان لها

" اطلبي أي شيء سانفذه لك ... وانسي تماما فكرة الرحيل ..."

ابعدت راسها فسقطت شفتاه لرقبتها فيقبلها برقة وبنبرة مرتعشة همس

" كيف يمكن ان ترحلي ؟! انه جنون مطبق....! "

هذه المرة بكاؤها كان انثويا رقيقا بينما تستسلم لقبلاته التي تنتزع الضربات من قلبها....

لكنها أبت الاستسلام أكثر .. عقلها يحثها على التركيز ... عقلها يومض ولايتوقف عن اعطائها دفقاته ...

كفاها ارتفعا بقبضتين انحشرتا بينها وبين
صدره الملتصق بجسدها وبدفق ومضات العقل
كانت ... تدفع صدره ....

لم يكن يصدق ما يحدث له ....

يشعر ان كل ما حوله كمجرد صور .. صور
متوقفة عن التغيير ! وبنفس الوقت تبدو
كأنها تخادعه فتتسارع حتى لا يستطيع
اللحاق بتغيرها ...

انه متزلزل !

فقط متزلزل ... ولايجد ارضا غيرها يقف
عليها ...هي ... جدايل ...

كانت تقاوم قبلاته برفض قاطع فيتزلزل
اكثر من هول معاني مقاومتها تلك ... وعندما
بدأت كفاها تدفعانه لهث !

وبجنون لايصدق همس باندفاع " سأخبرك ..
سأرد عن أي شيء تريدين معرفته ..."

صراخها رج اركان الجناح الفندقي ...

جنّت وطردت كل من دق الباب عليها ...

عادت لصرخاتها المتوجعة كحيوان ذبيح
والروح ما زالت معلقة بجسده ...

فلا هو ارتاح بالموت ولا هو يحتمل هذا الألم
والذبح قاتل .. قااااااااتل لامحالة ...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

مزقت ملابسها التي عليها ... نكشت شعرها
تشده شدا وحنجرتها تتلوع باصدار الاصوات ..

لاتفتأ عيناها تظهران لها صورا من ذاكرتها ..

صورة ملامح أيهم ونظراته وهو يقبل كتف
تلك السمراء ..

الفتاة تهمه وكأن حياته فيها ...!

انه يريدها ... يريد السمراء بجنون ...

اطلقت عشتار توجعا اعمق وهي تقبض اصابعها
وترفعهما لعينيها بتشنج مجنون .. تكاد تمزق
عينيها باظافرها عسى ان توقف تكرار رؤيتها
لتلك النظرات التي حملها أيهم للسمراء ...

ليست عشقا كعشقهما وانما شيء مختلف ..

شيء اخر ...... مزقها ...!

وبماذا يفيد العشق ...؟ بل كيف تستخدمه
لاسترجاعه وما رأته في عينيه اكبر ...

تجمد كل شيء فيها وتوقف نواحها الهادر
المجنون بينما تردد افكارها على لسانها

" استرجاعه ؟! استرجاعه ؟! "

ابعدت يداها ببطء عن عينيها فتبرز زرقتهما
الوحشية وسط بركة من الاحمر القاني ...

تمتمت ببحة وانفاسها تتهدج

" أجل ... استرجاعه .. هذا الألم لن يموت
حتى استرجعه لي ... لي وحدي... انا عشتار .."

تدير وجهها بعيدا وهي تجلس على الكرسي بجانبه في السيارة بينما تسأله بنبرة تائهة باهتة " الى اين تأخذني ؟ "

يرد بنفس النبرة مع لمحة اصرار

" الى بيتنا ..."

تمتمت بلا معنى " بيتنا ....."

التفتت ناحيته اخيرا تحدق فيه وهو ينظر امامه للطريق بشرود ....

توجع القلب وسيل ذكريات هذا اليوم تتدفق ومعها تتدفق اسئلة لاتعد ولا تحصى ... اسئلة قديمة وجديدة .... فهل سيصدق في وعده ويخبرها بكل شيء ؟!!

طال تطلعها فيه حتى استدار اليها بوجهه وهو يمعن النظر فيها بعينين محمرتين ...

وجهه بدى منهكا كروحه التي تطل من تلك العينين البندقيتين ....

همس ببعض الخشونة

" اتصلي بالسيد مهيب اخبريه اننا سنقضي الوقت معا حتى لايقلق ويتصل .. اخبريه اني سأعيدك عند التاسعة .."

لم تستجب لطلبه بينما يعيد نظراته للطريق تنساب السيارة لقيادته الهادئة الشاردة في شوارع قل فيها عدد السيارات ....

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

اعاد الطلب والانهاك يتسلل لصوته

" افعلي ارجوك .. ثم اغلقي الهاتف بعدها ...

نحتاج لخلوة لايشاركنا فيها أحد ..."

اخرجت هاتفها وقلبها ينبض بتوجس مخيف

وبينما تتصل بالسيد مهيب تبلغه عن تأخرها

رأته يغلق هاتفه ..

حالما وصلا البيت العصري المميز ادخلها وهو

يفتح الاضاءات فتنير ظلمة هذا البيت وقد

قاربت الشمس على المغيب ....

تبعت خطواته ورأته يفصل الهاتف الارضي

ايضا ....

وقفت وسط صالة دافئة بروح فنية تمسها

بشكل خاص، كل شيء حولها يحمل ألوانا

مبهجة ما بين الاخضر والازرق والاصفر...

الجدران .. الاثاث ... الستائر ... كل شيء

كان مفعما بالدفء والحياة ...

هي اختارت الالوان بنفسها وهو كان يضحك

برقة ويصف اختياراتها بالطفولية المشاغبة،

لكن بدى مستمتعا وراضيا باختياراتها ...

وخلال يومين كان لها ما ارادت ليتكفل أيهم

باضافة لمساته المميزة ...

مصباحان ارضيان ضخمان ، متشابهان كتوأم

وكل واحد منهما على هيئة طائر اللقلق

تحيطه بعض عيدان الحشائش ...

لوحة ضخمة توسطت الحائط تضم أجساد طيور محلقة فوق بحر متلاطم الامواج وقد برزت تلك الاجساد الصغيرة من سطح اللوحة وكأنها طيور حقيقية بينما فتاة تقف عند الشاطئ وبثوب متطاير ترفع ذراعيها لتلك الطيور وكأنها تستنجد بها او ربما تناديها لتحملها معها ...

تحف خشبية من البلوط المقارب للون البياض محفورة باشكال متنوعة وزخارف فنية ملفته...

كل شيء كان موضوعا باحتراف في مكانه وبنفس الوقت موزعا بشكل عشوائي وكأنه طبيعي.. حي ينطق.. لاتحده حدود ولايخضع لتنظيم معروف ...

انتفضت جدايل بشدة بينما يلامسها من ذراعيها وهو يقف خلفها ليخرجها من تأملاتها البعيدة ...

دون ارادتها تحركت بحدة والتفت لتواجهه...

حدق بها طويلا قبل ان يسبل اهدابه بصمت...

اخذ يحرك ذراعيه ليخلع عنه سترته البنية ويرميها على الكرسي الاصفر القريب ، ثم فتح زرين علويين من قميصه الداكن ..

لم تحتمل الصمت أكثر فبادرت للسؤال وهي تقاوم الارتعاش

" لماذا كذبت علي وعلى والدي وعائلتي بشأن طلاقك ؟"

رفع عينيه المحمرتين لها ورد بهدوء

" لم اكذب... انا قلت لكم اني منفصل ..
وهذا هو الواقع انا لم أرها منذ عام كامل لقد
كانت في اوروبا طوال الوقت وانا حتى لم
أسمع صوتها ..."

انفاسها اخذت تتصاعد في سرعتها لتسأله
بحرقة الغيرة

" هل رأيتها قبل هذا اليوم ؟ اعني ..."

تبعثرت منها الكلمات فتاهت الحروف منها ..

عيناه ثبتتا على شفتيها المرتعشتين ليرد
بنفس النبرة " رأيتها بالامس فقط .. ذهبت
مساء للفندق الذي تنزل فيه ..."

سألته بجزع والغيرة تعمي بصيرتها

" ماذا ... فعلت معها.... هناك ؟"

ارتعد رأسه وتحجرت عيناه وهو يهمس بقساوة
مرعبة

" ضربتها ثم تمرغت منتعشا بقساوة اذلالها ! "

لم تصدق ... انها لاتصدق كيف ينطق
بكلمات مريعة كهذه ؟!

تقدمت خطوة منه تسأله المزيد مما يحطمها

" هل كنت تعلم بموعد عودتها للوطن ..؟"

فيرد بصدق " لا ..."

فتسأله والاختناق يداهمها

" هل كنت تعرف بحضورها اليوم ؟ "

ابتلع ريقه بوضوح قبل ان يقول

" كنت.... أتوقع .. اليوم .. غدا ..بعد غد .."

رفعت قبضة مرتعشة وداخلها يصرخ بينما تخرج الكلمات همسا

" هل تعمدت أيهم .. تعمدت ان تقبلني بتلك الطريقة حتى ..."

قاطعها بعنف وعيناه تتوهجان

" تقبيلك ... احتضانك ... تذوق كل ما فيك ... لاسلطان لي عليه... افعله لأني احتاج لفعله .. احتاجه لاعيش .. لاشعر اني ما زلت حيا .. هي قتلتني وانت ... تحييني ... "

هدرت فيه وعيناها تشرقان بالدموع

" لكنك كنت تخطط ! لاتنكر أيهم .. انت كنت تخطط ان تؤذيها بخبر زواجك مني .. انا الفتاة العادية .. العادية جدا ! "

بنظرات صقيعية قال

" بعينيها القاصرتين نعم ... انت فتاة عادية جدا .. و نعم أخرى ... انا خططت لأوذيها بكِ..."

اخذت تهز رأسها يمينا وشمالا وعيناها الباكيتان تجحظان بينما تهمس كمن ادرك اولى معالم ارض يقف عليها

" اذن .. لهذا كنت متعجلا للزواج ؟! لهذا أيهم كنت تخدرني لارضى بتعجلك الجنوني المتهور في ظاهره ... لكنك كنت تسير بخططك .. والمخطط كان ... كان منذ زمن .. منذ أشهر ... كما قلتها لها بنفسك .. لاشهر تخيلت وجهها عندما تعرف بزواجك من اخرى لاتجاري مستواها بينما هي ما زالت على ذمتك ..! اعترف أيهم بأن هذه هي اسبابك الحقيقية لتعجلك .."

لم يبدِ اي محاولة للاقتراب منها وهو يراها تعاني بينما تستكشف الحقائق على طريقتها الصريحة المباشرة ...

ليته يملك تلك القدرة ... ليته يستكشف اين يقبع قلبه الآن؟

ان لم يكن يستطيع مجاراتها بالوضوح فهو يستطيع منحها الصراحة والصدق ...

مهما بلغ الألم هو لن يبالي ... انه محارب .. محارب دوما...

رد اخيرا

" التعجل كان لاضمن بقائك معي ... لم أكن لأسمح بخسارتك ... اسأليني لماذا ؟ فأرد دون تردد ... لاني اريدك لي ... اريدك في حياتي لآخر نفس .."

كلماته الصادقة تهزها وتشوشها لكنها همست بوجع " وعشتار ؟! "

فاضت روحه بثورة عارمة من مشاعر مختلطة تحطم درع المحارب فيه فتضيف جدايل وقد تملكتها نزعة اصرار لايقبل التراجع

" هذه المرة لن التزم الصمت .. هذه المرة لن اتنازل وارضخ .. تتلاعب بي بين تهديد وتخدير ...هذه المرة ..."

صمتت تتوجع لاهثة ... لكنها لاتستسلم اجل ... هي ايضا محاربة .. محاربة ضارية عندما تشاء ...

وهو وعدها ... وسينفذ الوعد ...

همس وهو يختبر ألم الطعنات الغادرة من جديد " ساخبرك ..."

اقتربت منه حتى لامسته بينما تحدق في توتره الرهيب وتشنج جسده الجنوني ..

كانت ترتجف وهي تقف قبالته بانتظار هول ما سيخبرها عنه ... اجل انه مهول ... مهول كعملاق بشع يختبئ خلف صخرة صغيرة لاتداريه لكنها تواري عن بعض بشاعته فقط...

لاتعلم كيف استعادت كلمات السيدة وداد في آخر لقاء بينهما (هناك ما حصل ودحره)..

ذراعاه امتدتا فجأة فخطفتاها لصدره خطفا ..

شهقت مجفلة لكنها لم تقاوم ...

جسده يبث امواجا من الألم المكبوت لجسدها ....

اعتصرها بقوة فعضت شفتها تقاوم الـ(آه) بينما
تلف ذراعيها حول جذعه وتتشمم كتفه
هامسة بارتجاف " قلها ... قل ماذا فعلت بك ؟"

تمتم وصوته يحترق

" ليتك تخترقين الضلوع لتنتزعي ما اخفيه
خلفها وتخلصيني منه ..."

لم تعد بقادرة على التحمل أكثر ... آلامه
لاتطاق والتوجع يزداد في جسدها ...

عادت تتوسله وهي ضائعة في عواصف آلامه
التي هبّت عليها

" اخبرني أيهم .. حتى لو لم أفهم .. يكفي أن
تخبرني لاحاول الفهم .. ان أفهم لاجلك ..."

شعرت بفمه يلامس اذنها .. شفتاه جافتان
وانفاسه متسارعة حارة فأتت تلك الملامسة
كنيران قذفت من فوهة بركان ..

لم تعرف ما حصل بعدها فقط اعتصاره
لجسدها الرقيق اصبح فوق قدرتها على كتم
التوجع ومع استسلامها لاطلاق تلك الآهة
همس هو بكلمة واحدة " خانتني ..."

آهتها خرجت من الجسد والروح معا وهي
تستوعب تلك بشاعة الكلمة ....

(خانتني) ....

تدفقت الكلمات بغزارة جنونية في رأسها ،
كلمات من كل يوم في تاريخها مع أيهم
سليماني ...

كل كلمة قالها وعلّمت في دواخلها ..

اعتصاره لم يعد شيئا يذكر مع عنف ما تعتصرها به تلك الافكار لتترجم الى معان مريعة ....

فجأة ابتعد عنها بل انه دفعها خطوة للخلف !

كان ككتلة واحدة من جحيم نابض بالألم

همست جدايل وهي تحدق فيه بصدمة رهيبة

" مستحيل .. مؤكد هناك خطأ ... انها تعشقك .. لقد رأيتها كيف تنظر اليك ..

انها جنت وتحطمت لمعرفتها... بوجودي .."

رفع عينين كمن فقد البصر فيهما ولايرى ما حوله يصرخ بشكل هستيري متوحش

" هل تظنيني اظلمها ؟! هي من اخبرتني بنفسها ... حالما خرجت من من سرير ذلك الحثالة ! كان مجرد حثالة صدف وجوده وقت احتياجها الجسدي للمعاشرة ! وبينما كنت مشغولا بانقاذ مؤسستي في الوطن من الانهيار كانت زوجتي... معشوقتي منذ صباي وصباها ... تنهار في اسبانيا بين ذراعي رجل آخر اشتهاها وهي اشتهت اشتهاءه لها ..."

لاشعوريا شهقت جدايل وهي تضع يدها على فمها مفجوعة من بشاعة ما يقول ...

يا الهي .. ما كل هذا ؟! ماذا يفترض ان تقول؟ ماذا عليها ان تفعل ؟

نيران من الالم والغيرة والخوف ...

ألم لاجله وغيرة لاجلها وخوف مريع لاجلهما معا ومما ينتظرهما ....

وكأنه أدرك ما يخالجها فعاد واقترب وجنون عينيه يبهت فيتحول لذلك الجوع الذي اصبحت تألفه ....

كان ينهت وهو يميل بجبينه ليستند على جبينها .. اغلق عينيه وهو يشد قبضتيه الى جانبيه بينما يهمس

" قولي مرة اخرى انك ستبقين ... قوليها جدايل لاعرف ... لقد عريّت ألمي امامك لاجل ان تبقي .. كشفت سر رجولتي المطعونة وكرامتي المهدورة ... فقط لاجل ان تبقي ... لم افعلها مع أي مخلوق في حياتي ... فقط انت .. لاني اريدك ان تبقي ... ومستعد لفعل المزيد حتى لااخسرك ... اهمسيها بارتعاشك نحوي .. قولي (باقية) "

زفر من اعماقه مرتعشا وهو يشعر بكفيها تلامسان صدره بينما تهمس بعاطفة تفوق اي عاطفة شعرت بها يوما

" انا.... باقية ... باقية ..."

هذه المرة كان يقبلها بعاطفة سخية تذيب الصخر .. يقبلها ولايشبع من شفتيها .. يأخذ الانفاس ليعاود تقبيلها من جديد ...

خرّا جاثيين للارض على ركبتيهما وسخاء قبلاته يكتسح كل شيء ....

عادت يده للعبة العبث بقميصها فسارعت جدايل لامساك طرفي القميص بتشبث ...

تبعد شفتيها عنه لاهثة تهمس بارتعاش عاطفي مدمر

" هذا ... يكفي ... ارجوك ... أعـ..أعدني للبيت .. لاتجعلني... أندم على ... ثقتي بك.."

زفر وشفتاه اسفل عنقها مكان نبض قلبها ليهمس بضراوة

" قوليها لآخر مرة فقط ..."

فبكى صوتها وهي تهمسها مأسورة

" انا باقية .... معك ..."

عندها افلتها لينهار للخلف مستلقيا بظهره على السجادة الفاخرة الزرقاء كزرقة السماء في صباح ربيعي ....

مغمضا عينيه بينما تجلس هي بجانبه تلتقط انفاسها وتلملم شتاتها فمد يده يلامس تنورتها هامسا

" اشعر بالانهاك .. بل الاعياء .."

فتمد يدها لشعره الكثيف تلامسه وهي تقول بحنان مفرط " نم لساعة او ساعتين .. وانا باقية جوارك ..."

همهم ببضعة اصوات ثم ارتخت يده تماما فوق تنورتها الكحلية ....

تراقب انفاسه تنتظم تماما بينما ترتفع وتيرة انفاسها هي ... ارتباكا وتشتتا ...

تشعر بالتخبط فالامر أكبر مما تخيلته وهي بحاجة شديدة لمساعدة احدهم ... انها تحتاج هيفاء .. تحتاج لنصح منها ...لكن كيف ؟ كيف ستطلب نصيحة دون ان تخبرها بحقيقة الامور ....؟!!!

تقارب العاشرة عندما دخل البيت مرة اخرى ...

اوصل جدايل لبيت خالتها واطمأن لوجود فتيات السيد مهيب معها قبل ان يرحل ...

رحلة الذهاب معها ظللها صمت باهت بثقله المرير عليهما معا ...

يشعر الآن انه مستنفد من كل طاقة ...

عندما استفاق من اغفاءته على السجادة رأى وجهها المرهق امامه يطالعه بنظرات متسائلة حزينة اخترقت قلبه وشطرته شطرا ..

لكنها صمتت وهو صمت ...

تجاهلا ما لم يعد ينفع معه التجاهل ...

اوصلها بوداع هامس وعيناه معلقتان بها ثم عاد وحيدا ...دونها !

تحرك ايهم في ارجاء الصالة المبهجة وعيناه تبحثان عن أي اثر لوجود جدايل السابق فيه ..

كان فقط كطفل يبحث عن رائحة أمه ...

متى اصبحت جدايل بهذه الاهمية له ؟

متى احتلته لهذه الدرجة تلك السمراء العصفورية ...؟؟

تحرك مرة اخرى وبتلقائية اعاد ربط الهاتف الارضي فتذكر انه لم يفتح هاتفه النقال ايضا واوشك ان يفعل عندما رن الهاتف الارضي وللحظة ارتعش قلبه متوقعا انها السمراء تطمئن عليه ..

ابتسم كطفل ودون ان ينظر للرقم المتصل رفع السماعة وقبل ان ينطق باسمها هدر صوت انثوي يدغدغ بنبراته ضعف قديم فيه

"لماذا تغلق هاتفك ؟! لماذا كان هذا الرقم مقطوعا ؟"

ابتلع أيهم ريقه وامواج التشويش تسيطر على افكاره بينما يسأل بصوت أجش

" كيف حصلت على هذا الرقم عشتار ؟"

فتعود لهديرها الهستيري الانثوي

" لايهم .. لايهم كيف حصلت .. فقط اخبرني .. هل كنت معها ؟ هل عاشرتها أيهم ؟ انت تقبلها بحرارة مفرطة .. لايعقل رجل مثلك صبر عليها وهي ملك يمينك ... !"

اغمض عينيه ويكاد لايصدق ما يعيشه الآن بينما يسمعها تشهق بالبكاء وهي تقول بهمس انثوي جريح " يا الهي لااستطيع محو صورتك وانت تقبل كتفها العاري ... أنت .. أنت ... متلهف اليها "

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

سألها بالحاح صادم " هل هذا كل ما رأيته ؟!"

فتهمس بتوجع باكٍ " انت ... تريدها .."

فيعترف لها دون لحظة تفكير او تردد والدم
يجري هادرا بصخب في شرايينه

" نعم اريدها ولااستغني عن وجودها في حياتي
ولو كان فيه موتي ...! "

صرخت ونحيبها يعلو " وانا ايهم ؟! أنا .... انسَ
كل ما حصل فقط دع قلبك يرد عليّ ...
قلبك الذي امتلكتُ مجامعه يوما ... دعه هو
يرد علي ... هل استغنيت تماما عن وجودي ؟ "

حالة غريبة من الانفصال عن كل ما حصل
تجعله يشعر ان كل شيء حوله باهت فيرد
بتلكؤ مصدوم وتشتت ذاهل " لا ...لا اعلم .."

لم يمنحها فرصة لترد ... اغلق الخط من فوره
واعاد فصل الهاتف بحركات عنيفة ....

كان مشوشا والصخب يعلو ....

ضحكات جدايل تتداخل بضحكات عشتار...

الوجوه تطمس معالمها ودوار جنوني يخلط
الاحداث فتضيع كل الملامح حتى ملامحه هو
تتلاشى ... وهو وسط هذه الدوامة ليس له ارض
ثابتة الا وعد السمراء بالبقاء معه ....

وعلى الجانب الآخر من الخط تمسك عشتار
بسماعة الهاتف وهي تحدق في الفراغ بعينيها
الزرقاوين بينما ترتعش شفتاها بابتسامة
هامسة " انه يريد الفتاة .. لكني ما زلت أقبع
هناك .... في اعماقه ..."

تكتم بكاءها حتى لاتسمعه الفتاتان النائمتان في الغرفة المجاورة بينما تهمس لهيفاء عبر الهاتف

" هيفاء .. انا احتاج لعونك .. لكن .. لاستطيع ..."

خنقتها العبرة فلم تستطع اكمال كلامها بينما تهوّن عليها هيفاء بالقول الخافت

" اهدأي جدايل .. ماذا يحصل ..؟ اخبريني على مهل .. لاتتعجلي .. خذي نفسا عميقا واخبريني بالتفصيل ..."

همست بارتعاش وعقلها ينبض بالافكار المعقدة " الامر كبير .. كبير جدا .. وانا اشعر اني غير .. كفء للتعامل معه ... لاستطيع اخبارك التفاصيل .. ولااستطيع اللجوء اليه ليساعدني وهو بهذه الحالة ! ولا استطيع .. لااستطيع تركه ... انا احبه .. اعشقه .. يا الهي .. لااستطيع التنفس... "

قلق هيفاء يتضاعف بينما تسمع كلمات جدايل المشوشة فحاولت تهدأتها مرة اخرى

" حبيبتي .. جدايل .. غاليتي فقط تماسكي .. كوني قوية وتماسكي .. لاتخبريني بالتفاصيل .. لايهم .. لاترتعبي سنجد حلا .. اريدك ان تهدأي الآن ... اشربي اي عصير بارد كعصير الليمون واقرأي بعض الايات قبل النوم واتركي الامور للغد .. صدقيني ستجدينها ايسر بكثير من الصعوبة التي ترينها فيها الآن ..."

تبكي جدايل بصوت مكتوم بينما تهمس بيأس " ليت الامر كذلك .. ليت الصبح يأتيني بيقين .. انا مشتتة وخائفة ... "

سألتها هيفاء وهي تعقد حاجبيها

" مم خائفة ؟! "

ردت جدايل بصدق موجع " خائفة ان ... افقده ... او الاسوأ ... ان ... افقد نفسي ! "

زمّت هيفاء شفتيها حنقا واخذت تتحرك بقلة صبر على الكرسي الذي تجلس عليه ليتدلى جانب مبذلها ويكشف عن ساقيها لما فوق ركبتيها ... لم تتنبه لنظرات باسل المستمتعة والذي كان يتمطى على السرير يراقب بجذل ساقيها بنفس الاثارة التي يراقب فيها ملامح وجهها الفاتنة وكيف يكتنفها الغيظ والغضب ...

يحبها وهي مغتاظة هكذا وتزم شفتيها وكأنها تطلب القبل لفردهما ....

قالت هيفاء اخيرا ونبراتها تكشف عن غيظها المكبوت " جدايل انت لست بضعيفة .. لاتقولي هذه الامور .. اذهبي وافعلي ما قلته لك قبل قليل وغدا سنتكلم .."

فيأتيها صوت جدايل بتنهيدة عميقة

" حسن ..هيفاء ... سأفعل ..."

وهكذا انهيتا المكالمة على وعد الكلام في الغد ...

بشرود وضعت هيفاء الهاتف النقال على المنضدة الصغيرة امامها ...

ليأتيها صوت زوجها الأجش

" لِمَ لاتاتين قربي وتخبريني بما يحصل مع الصغيرة جدايل ... "

رمشت هيفاء قليلا وهي تتطلع اليه ثم وقفت على قدميها تتحرك ناحيته وهي تستجمع افكارها لتخبره بحجة ما " انها ... فقط "

فيقاطعها باسل وهو يتأهب باشتياق لدخولها السرير قربه " انها فقط ... منهارة في الساعة 11 مساء ... هل هو انهيار العاشقين ؟ "

خلعت مبذلها الحريري لتندس تحت الاغطية جواره فتمتد يداه لنعومة قميص نومها الحريري بينما تقول له ببعض الجدية

" لديها بعض المشاكل مع أيهم .."

ارتفعت يده فتغرف اصابعه في نعومة شعرها بينما يهمس قرب شفتيها " هذا الرجل غريب ... بل يدهشني بغرابته ! "

حدقت في عينيه الرمادتين الذكيتين تسأله بتعجب " كيف غريب ؟! "

فيرد وهو يلامس بشفتيه جانب فمها

" انا اعرفه من سنوات ..لاارى جدايل تليق به او تتوافق مع تركيبته ... انها مختلفة عنه ..

مختلفة جملة وتفصيلا عن زوجته الاولى التي
كان معروفا بعشقهما لبعض منذ صغرهما...
هل تعلمين ان عشتار كانت آية من آيات
الجمال ؟"

حالما قال الجملة الاخيرة نفرت منه عاقدة
حاجبيها وعيناها الواسعتان تلمعان بينما
تسأله بغيظ " لا ... لم أعرف ... هل رأيتها ؟"

حدق فيها لبعض الوقت قبل ان يقول بلمعة
شقاوة في عينيه " نعم .. مؤكد رأيتها ..
جمالها صارخ وغريب ... كانت تأتي احيانا
للمؤسسة فتدير الرؤوس ..."

زمّت شفتيها بتلك الحركة اللذيذة التي
يحبها قبل ان تقول له بتحدي

" هو ايضا رجل شديد الوسامة ويأسر قلوب
كل انواع النساء.."

نهشته الغيرة رغم انه يعرف يقينا انها تتحداه
وانها لاتبالي لا بأيهم ولا بغيره من الرجال
ومهما بلغت وسامتهم ...

لكنه سأل بخفة وبنبرة مبحوحة

" حتى المتزوجات ؟! "

لتشمخ بذقنها الابيض الناعم قائلة بتحد
أكبر " حتى المتزوجات ..."

رغم غيرته ابتهج !

همس وهو يلامس بطارف سبابته اعلى ساقها
المكشوف " هل تغارين ؟"

ارتعشت رغم محاولتها الظهور مسيطرة غير متأثرة ليعاود السؤال بصوت مبحوح وهو يميل بشفتيه يريد تقبيل المكان الذي لامسه

" انا أسأل ... هل تغارين ؟"

ابعدت ساقها وهي تسأله نفس سؤاله

" وهل تغار أنت ؟ "

فرفع وجهه اليها يحدق في ملامحها بينما تضيف تستفزه

" هل تغار لو عبثت ولو بمجرد النظر لرجل كأيهم سليماني ؟ ان .. اشتهيه مثلا ! "

ابتلع ريقه ولم يعد يعجبه هذا الحوار الذي يحرقه بالغيرة رغم كل شيء فهمس بنبرة خاصة

" حذاري هيفاء .. لاتستخدمي كلمات كهذه وانت تتكلمين عن أي رجل ..."

فتهتف به

" وانت حذاري من اسلوبك في التكلم عن النساء والنظر لهن ... كما تفعل احيانا مع تلك الموظفة الجديدة السمجة "

لم ينكر لكنه أكد لها " انا وفيّ لك .."

فردت والنيران تشتعل في عينيها

" لكنك لاتتوانَ عن .. امتاع عينيك بغيري..! الا تعتقد ان هذا يُدرج تحت بند .. قلة وفاء ؟! "

للحظات حدق فيها صامتا ثم قال

" فقط عندما ... تبتعدين .."

فهمت مايرمي اليه ولم تصدق انه يعترف ببساطة هكذا لتهدر فيه

" هل تهددني باسل ؟! "

وجهه قريب من وجهها يحدق في ملامحها لتستقر نظراته على شفتيها فيفكر ان فمها كبير نسبيا ! لكنه يعجبه ....

تمتم وهو يهز كتفيه بحركة سلسلة

" بل اخبرك بالامور كما هي ..."

لم تستطع السيطرة على نفسها وهي تمد يدها لتقبض على مقدمة بلوزته البيتيه تهزه بحنق وهو تتهتف به

" اذن ستخونني ببساطة اذا تشاجرت معك ؟! هكذا باسل ؟ هذه ستكون اسبابك دوما؟!؟"

بقبضته الضخمة احتوى يدها التي تمسك بخناقه بغضب انثوي اثاره بدلا من أن يغضبه وبسهولة شديدة أبعد تلك اليد المرتعشة من شدة الغضب ليرفعها لفمه يقبل باطنها ويهمس بصوت مبحوح

" لا ... المشاجرة ملح الحياة .. تعطي نكهة الشوق ونحن نسعى للمصالحة كالاطفال ! "

ثم رفع عينيه الرماديتين اليها ليضيف
بصراحة فجّة

" عندما ألجأ لدفء انوثة بعيدا عنك
سيكون هذا لانك لم تشعريني بأهميتي في
حياتك.... وأنت ما زلت بين مد وجزر في
مشاعرك نحوي ... لكني ... صابر .. "

كلمته الاخيرة قالها بصوت مبحوح بينما
ينحني ليقبل باطن كفها ثم ظاهرها بطريقة
حسية تؤثر فيها ...

عضت شفتها تحاول استعادة بعض رباطة
جأشها بل حتى بعض غضبها لكنها فشلت في
الاثنين معا ..

في داخلها تجد منطقه رغم رعونته تجده
منطقا سليما ...!

هو لم يخدعها .. هي فقط من يسيطر عليها
قلق مرضي ... قلق ان تفشل .. مرة اخرى .. هذا
القلق يمنعها بطريقة ما من ان تمنح كل ذاتها
لباسل !

كأنها .. كأنها تحمي نفسها فيما .. لو فشلت
.. فهي لن تحتمل ان ينكسر قلبها مرة اخرى..
وباسل يجعلها قلقة أكثر بضعفه الواضح
لجنس النساء ...

سألته فجأة لاهثة وهي تسحب يدها سريعا من
كفه " لماذا طلّقت زوجاتك باسل ؟"

عاد ليحدق فيها لبضع لحظات ثم استعدل بجذعه ليلتفت للخلف ويعدّل من وضعية وسادته فيجعلها مائلة ثم يريح ظهره عليها متكتفا وهو يقول بتفكه

" هل ستدرسين جانبا اخر مني ؟"

تفاجأت قليلا بما قال .. هل يعلم ؟ هل يفهم؟!

ابتسم ابتسامة صغيرة لكنها ابتسامة خلت من المرح ليضيف بعدها

" هل تظنين اني لااعرف ! اني غبي ولاادرك اسلوبك في التعامل معي كـ(زوج) "

رغم الارتباك الذي انتابها الا انها أصرت قائلة وهي تعدل من جلستها لتواجهه أكثر طاوية ساقيها بطريقة متعاكسة

" اخبرني عن اسباب الطلاق في المرات الثلاث"

عيناه تنسابان على طول تلكما الساقين قبل ان يهمس بصوت أجش

" الاولى كانت رائعة ! "

ثم رفع عينيه اليها ليكمل القصة بابتسامة عريضة شابها بعض اللامبالاة

" اختيار أمي رحمها الله .. جمال ورقة وانوثة ... كاملة الاوصاف .. الاشهر الثلاث الاولى كانت ... كيف اصفها .. امممممم شهر عسل مستمر .... لكن العسل جاء وقته لينتهي ..

ليس للاسباب التي قد تتوقعينها لكني اكتشفت انها مهووسة بفكرة انجاب الاطفال مباشرة بعد الزواج بل اعترفت لي انها توقعت الحمل منذ أول ليلة .. اقصد ليلة الزفاف !... الحمل بالنسبة لها كان أمرا حتميا لاحياة زوجية تستوي بدونه .. ولأن الحمل تأخر بضعة أشهر فقد دخلنا سويا مع عائلتينا في حالة طوارئ ..! اجرينا الفحوصات وثبت للاسف ان لديها نوع بسيط من التكيسات وبعض الضعف في المبايض والتي تحتاج لعلاج منتظم "

ارتفع حاجبا هيفاء بينما يبرم باسل شفتيه وكأن لاحيلة في الامر ليكمل بنبرة عادية اذهلتها وكأنه يتحدث عن شخص آخر لايخصه او لايهمه في شيء

" لم تستجب للعلاجات بشكل جيد فدخلنا في مرحلة جديدة ... مرحلة هستيرية ..! حاولت امتصاصها قدر المستطاع لكن حتى علاقتنا الحميمة اصبحت كارثية .. اصبحت أشعر اننا في مختبر للتلقيح وانتظر النتائج بفارغ الصبر ... وكل مرة كانت النتيجة فاشلة ... لم أبال كثيرا بالامر وكنت أهونه عليها لكنها انعزلت تماما عني وبدأت تشعر بالنقص الشديد من أي امرأة حبلى تراها ..

واصبحت تثير المشاكل والنزاعات مع الجميع

ثم زاد مستوى الهسترة لديها وهي تتهمني اني

لااساندها كما يفترض ان يفعل الزوج مع

زوجته ليتطور الامر بأن اصبحت تتهمني اني

اكذب عليها واخدعها بالاتفاق مع الطبيب

المعالج وان العيب مني انا وانها لاتشكو من

علّة !"

عبست هيفاء بينما اكمل باسل

" انا صبرت .. وكانت هي من طلبت الطلاق

بعد عامين من الزواج الكارثي بل واصرت

عليه .."

ازداد عبوس هيفاء وهي تستنبط التالي

" وانت طلقتها ..."

بسط كفيه بحركة استفزتها بينما يرد

ببساطة " مللت الهستيرية في حياتي ...!"

وقبل ان تعلق بشيء ابتسم ابتسامة واسعة وهو

يقول " الثانية كانت ممتعة ..."

هذه المرة نظراته كانت تلتهمها بشكل

غريب قبل ان يضيف بهمس وهو يسبل اهدابه

" تشبهك ... شكلا ..."

لم تعرف كيف تشعر بالضبط !

احمرت وهي تتذكر ان زواجه الثاني كان

بعد عرسها على قاسم ... وكأنما يحاكي

افكارها وهو يكمل ببحة خاصة

" تزوجتها بعد .. زواجك بقاسم ببضعة أشهر ... اخترتها بنفسي ... رأيتها صدفة في النادي ولم اقاوم شبهها بك... وهي كانت ممتعة .. ارادت ان نعيش حياتنا طولا وعرضا ... نسهر خارج البيت .. نمرح ... نرقص ... نستمتع ... وهذا اسعدني في البداية ووافقتها على تأجيل الحمل لسنة او حتى سنتين ..."

سألت بهمس وهي تطرق برأسها ارتباكا

" ثم ؟"

زفر وهو يرد " مللت منها ومن تفاهتها .."

تضايقت .. لاتعرف لم الضيق يشتد عليها كلما تمادى في حكاويه عن نسائه !

لماذا سألته ؟! تستحق كل ما يجري وسيجري لها بعد هذه المحادثة الغريبة الاطوار !

وبسبب توترها وجدت نفسها تشاكسه بالقول

" كما مللت من هستيرية الاولى ؟!"

فيستفزها وهو يرد بتلك البساطة التي تميزه

" نعم .."

رفعت وجهها اليه فوجدته سارحا ثم رفع ذراعه ليطويها خلف رأسه وهو يكمل مغامراته مع زوجته الثانية " حاولت كثيرا جعلها تغير طريقتها في الحياة الصاخبة التي ارادتها .. لكنها رفضت .. حاولت اقناعها بانجاب الاطفال وقد مر اكثر من عامين لكن .. لاحياة لمن تنادي .."

فتتمتم هيفاء بالكلمة الكريهة

" فطلقتها ؟"

ما زال سارحا وهو يرد عليها

" نعم .. بعد ثلاثة اعوام ... وانا الذي اقترحت الطلاق وهي وافقت دون تبدي اي اعتراض .. كانت هي الاخرى قد ملّت الحياة معي ! "

تنحنحت تسأله وهي تتمنى ان لايبالغ في وصف الثالثة لانها اكتفت حقا من ذكر النساء اللواتي عرفهن " والثالثة ؟"

التفت اليها بملامح ملولة " هذه من اختيار رائدة .... كانت باردة متحكمة بكل شيء حتى .. وقت خلوتنا الحميمية .."

تأفف وقد بدى متعجلا اكثر منها لانهاء الحديث فيضيف " في البداية الحياة معها كانت كنقاهة واسترخاء بالنسبة لي بعد الهرج والمرج الذي عشته مع (الثانية) .. احسست اني اعيد تنظيم حياتي مع امرأة ذات جمال رفيع المستوى وشخصية مثقفة حكيمة مؤثرة ... لكن سرعان ما اصابني الملل من كل هذا البرود والتحكم الآلي "

فتسأله بغيظ " ما حكايتك مع الملل ؟!"

فيكتفي بهز كتفيه وكأنه يقول

(ما بيدي حيلة)

فتسأله بتعجل " لماذا لم تنجبا الاطفال ؟"

فيرمقها بنظرة جانبية ذات معنى يقصدها به قبل ان يقول " يبدو ان اني لااوحي بالثقة لا للنساء ولا للاجنة في بطون النساء ولا لما خارج بطون النساء ..! "

وبختته وهي تهتف باسمه " باسل ! "

فابتسم بينما يكمل القصة

" هي طلبت ان نؤجل الانجاب لعام واحد ندرس بعضنا فيه وتطمئن لمؤهلاتي كزوج حالي واب محتمل نظرا لان لي سوابق غير مشرفة في الزواج ..."

مد كفه فجاة ليلامس ساقيها بابتسامة حارة بينما يقول بتراخ

" بعد انتهاء المرحلة الاختبارية اعلنت لي انني فشلت بنظرها فشلا ذريعا خاصة عندما اكتشفت اني تزوجت بالسر امرأتين على اوقات متفرقة قضيت مع كل واحدة بضعة اسابيع... المضحك انها لم تثر غاضبة بغيرة نسائية وانما ابدت امتعاضها لفشل التجربة ! وانهينا الامر وتطلقنا بالتراضي "

جملة واحدة علقت في عقلها ليطرد الباقي !

امسكت كفه توقفه عما يفعله بساقيها بينما تسأله بنبرة تنذر بالشر

" انت تزوجت بالسر خلال زواجك الثالث ؟! وامرأتين ؟!! "

فلم يبدُ عليه ذرة احساس بالذنب بينما يبرر ببساطة وبطريقته الفكاهية

" وكيف تريدين مني العيش مع اللوح الثلجي الذي كنت اعاشره حسب توقيت منبه الساعة؟!"

فتهتف به " تتزوج بالسر يا باسل ؟! اكاد لاصدق بساطتك في التعامل مع الامور ! وماذا عن تلكما المرأتين ؟! الا شعور لهما ؟ الم ينكسر قلب احداهما ؟ "

فيرد عليها بجدية " انا لم اخدع المرأتين .. ولم تكونا فتاتين عذراوتين بل امرأتين ناضجتين احداهما مطلقة والاخرى أرملة وكل ارتباط وانفصال كان بالاتفاق والتراضي دون وعود .. فقط تبادل ... احتياجات ... "

اخذت تهز رأسها بلا تصديق ثم فجأة سألته لاهثة " وانا ... باسل ؟ هل يمكن أن تشعر بالملل معي ؟ "

تحرك من جلسته المسترخية ليواجهها ويحتضن وجهها بين كفيه يقرب فمه منها يهمس " انت امرأة رائعة لاتُقارنين بغيرك .. وتلهفي عليك يزيد لايقل .. لكن .."

فتسأله بتوجس وهي تحدق في عينيه تريد الصدق منه " لكن ماذا ؟"

وقبل ان ينطق تسارع للقول باضطراب

" هل يقلقك كلام طبيبتي عن بعض الصعوبات بالحمل ؟ لاتقلق لقد قالت ان الامر مع قاسم كان ..."

قاطعها بحدة غاضبة وهو يعقد حاجبيه قائلا

" انت تخرقين احد الشروط .. لاتعاودي فعلها "

فتسأله وتعجب من نفسها لالحاحها في معرفة الجواب " هل تغار عليّ ؟ "

زافرا غضبه مع انفاسه بينما يطبع قبلة خفيفة على الفم الكبير الجذاب هامسا بحرارة " نعم ..."

تبتلع ريقها قبل ان يفلت سؤال أحمق من فمها

" هل تحبني ؟"

" ماما ... ماما ..."

ارتفع صوت شمس تنادي من غرفتها فابتعدت هيفاء تلقائيا وهي ترد على ابنتها

" قادمة صغيرتي ..."

كانت تتحرك لتغادر السرير .. تكاد لاتصدق غباءها وسؤالها السخيف !

شهقت وهو يسحبها من خصرها ليعيدها قربه هامسا امام وجهها المحمر وبنبرة خشنة

" احبك جدا هيفاء ... جدددداااااااا.. "

قلبها يخفق بجنون وقد صدمت من ملامحه الهائمة وهو يتلكأ بلفظ الكلمة الاخيرة وكأنه يستعذبها ...

عاد صوت شمس ينادي شبه باكٍ فتتحرك تلقائيا ليفلتها على مضض وهو يهمس بصوت مبحوح خشن " انا بانتظارك ..."

مر اسبوع ...

تتطلع للباب المغلق بسكون واعتراف داخلي.. هذا الباب المغلق لايعني شيئا امام الف باب وباب يفرقها عنه ...

منذ تلك الليلة قبل اسبوع وهو ينأى بنفسه عنها .. لم يعد يقبلها الا على خدها عندما يلتقيها صباحا او يودعها عصرا عند باب بيت خالتها ...

خلال النهار ينهمك في العمل ويتعامل معها كمساعدته الشخصية فقط !

لاتعرف كيف تفتح الموضوع معه ...

كيف تسأله عما ينتويه ...

قلبها يوجعها كلما تذكرت جمال عشتار اللاهب وتفكر انها ربما ..

تتصل به ؟!

تسعى لغفرانه .. ؟!

انقبض قلبها في صدرها وهي تتخيل الامر يحدث حقيقة !

لماذا لم يطلقها ؟ عام كامل ولم يفعل رغم خيانتها .. اذن لم لايطلقها ؟؟!!

الانتقام حصل عليه ... اذن ؟! ماذا بعد؟

همست بارتجاف داخلي

" واجهي الامر جدايل .. المرأة لها تأثير عليه..
انه غير قادر على افلاتها تماما كما هو غير
قادر على مسامحتها "

شهقت بنعومة وعيناها تتسعان باضطراب
شديد بينما تهمس لنفسها بالمزيد الموجع

" وماذا عنك أنت ؟! اي دور تلعبين في
حياته؟"

انها منهكة ... صامدة لكن منهكة ...

لاتنام الا قليلا تفكر الى متى ستصبر وتلتزم
الصمت إزاء صمته ...

تفكر احيانا ان تهرب من كل شيء ثم ينزف
قلبها لوعة فلا تملك ان تتخذ هذا القرار ...
ليس لانها وعدته فحسب ولا حتى لانها تعشقه
حتى النخاع وانما لانها لاتريد ... لاتريد
خسارته ... انها تشعر بالتملك له .. هو غذّى
ببراعة هذا التملك .. اعطاها من ذاته ما
أدمنته .. انه رجلها ... أسدها ...

انها لاتخشى مواجهة نظرات الموظفين
السخيفة بل تقابل تلك النظرات التي تستقل
بقيمتها تقابلها بالازدراء لهم واثارة غيظهم
حتى ان باسل يشجعها بخفة ظله لتتمادى
بالسخرية من بعض الفتيات اللواتي يحرقنها
بنظرات الغيرة لان أيهم سليماني اختارها هي
دونهن ....

كل هذا لاتخشاه ... ولايؤثر فيها ....

لكنها ... في هذا المكتب الخاص بها ..

عندما تجلس وحيدة فإنها (الخشية) تصبح كداء عضال يقتات على اعصابها ...

إنها تخشى النظر كلما سمعت صوت كعب عال يقترب من مكتب الادارة ..

تخشى شم عطر نسائي محدد تميزه بين عشرات العطور ...

بقول مباشر .. انها تخشى حضور تلك المرأة ..

لاتخشى المواجهة معها فجدايل اصلب من هذا

لكن .. ما يخيفها ويرعبها هي المواجهة بين أيهم و...عشتار ...

تشعر انها ستكون مختلفة عن المواجهة السابقة ..

مختلفة والاوراق اصبحت كلها مكشوفة ...!

ترى .. هل ستفعلها وتأتي للمؤسسة مرة اخرى ؟

ام ربما ستطلبه ليأتيها بنفسه لانها لن تجازف بكرامتها بالقدوم هنا مرة اخرى ...

ارتعشت يد جدايل وهي ترفعها تلامس رقبتها بينما قلبها ينعصر في صدرها جزعا ...

لاتتخيل خلوة بينه وبين عشتار الخلابة ...

لاتستطيع تحمل الفكرة ...فربما تغريه ..

تلك المرأة المميزة تريده ......

وهو ما زال .. ما زال هناك شيء يحمله ناحيتها عدا ثأر الخيانة ورغبة الانتقام وسيطرة الغضب ...

تذكرت حوارها مع هيفاء عندما شرحت لها بكلمات مقتضبة ان عشتار عادت وان المشاكل بينهما عنيفة جدا ولكنها لاتعرف كيف تتصرف..

هيفاء رغم نصحها الدائم لها ان تكون مسيطرة على اعصابها وقوية في مواجهة الموقف الا انها أكدت على ضرورة وضع النقاط على الحروف ..

ان الامر لايجب تركه تائها هكذا ...

قالت لها أمهليه بعض الوقت ليحاول حل المشاكل بنفسه ونصحتها ان لاتقحم نفسها في تلك الحلول حتى لايحملها مسؤولية اتخاذ قراراته ...

وهي اقتنعت بكلام هيفاء بل حتى شعرت ببعض الراحة فتركته .. وهي تدعو اللّه ان لايطول أكثر في عزلته هذه ...

رن هاتفها النقال فأجفلت جدايل من رنينه ...

التقطت هاتفها فابتسمت بحنين وهي ترى رقم خالتها منيرة ...

فتحت الخط وعيناها تدمعان حنينا واشتياقا فترحب بخالتها بشوق لتبتهج مع صوت ابتهاج خالتها ....

لكن بحوار متبادل مع خالتها تراجعت
ابتسامتها شيئا فشيئا ثم تنتهي المكالمة
وجدايل ساهمة لاتعرف كيف ستحل هذه
المشكلة الجديدة التي توقعتها يوما ...

اغلقت منيرة الهاتف وهي تشعر بالرضا ..

جدايل لاتبدو سعيدة مرتاحة كما توقعتها
بالضبط في هذا الزواج الذي تريد صغيرتها
الاقدام عليه ..

نظرتها لن تخيب ...

جدايل لاتنتمي لذلك الرجل ...

انه كنجم سينمائي بل حتى اكثر وقعا من
مجرد ممثل مشهور ....

انه نجم من نجوم عالم الثراء الفاحش فماذا
تفعل صغيرتها البسيطة في عالم بارد مغرور
كهذا ؟!!

" انت تبتسمين اماه ..."

كانت مداعبة ممازحة من ولدها الحبيب
بينما يأكل بيده من طبق شعبي أعدته له
بنفسها لتشده أكثر للوطن فلا يفكر للحظة
بالعودة لغربته مرة اخرى ...

وضعت الهاتف النقال جانبا بينما تتطلع
لولدها عبر الفتحة المستطيلة كشباك
ضخم يفتح المطبخ على غرفة المعيشة
الصغيرة ...

هي في المطبخ وهو في زاوية غرفة المعيشة حيث طاولة مربعة بلاستيكية يستخدمها كمائدة طعام ..

واي مقارنة بين هذه المائدة الصغيرة المخلخلة الاركان وبين مائدتها المتينة من خشب الزان والتي تسع لاثني عشر شخصا ...

قالت الام بوجه مستبشر " افكر ان المائدة الكبيرة في بيت والدك ستمتلأ قريبا "

يضحك سعد من قلبه بينما يضع لقمة جديدة في فمه فتتنهد أمه انشراحا وهي تفكر بعزم

" اجل ستمتلأ يا ابن بطني .. اولادك واولاد جدايل ..."

التفت بجسدها الذي استرد بعض حيويته برؤية فلذة كبدها وامتلاء قلبها بالامل مرة اخرى ...

اخذت تفكر باحفادها السمر .. مؤكد سيكونون سمر البشرة .. وكيف لايكونون ووالديهما يحملان نفس لون البشرة الدافئة..؟!

استرقت النظر بفخر لولدها ...

طول بعرض .. مفتول العضلات .. وسيم بملامح عربية اصيلة ...

انه يجذب النساء اليه من كل الجنسيات وقد رأت هذا بأم عينها في هذا البلد الذي يعج بكل صنوف النساء ...

اخذت تعيد الاطباق لمكانها بينما تفكر
عابسة ان عليها مراقبة هذا (الولد الشقيّ
الاسمر) لانه جارته الروسية ذات الشعر
الاحمر تأكله أكلا بنظراتها في ذهابه
وايابه وهو يبتسم لها دون ان يمنحها المزيد
بينما أمه يقتلها الغيظ وتود لو تفقأ عيني
تلك المرأة الجامدتين كجمود لون بشرتها
الابيض الثلجي ....

يحدق بجمود بالرسائل النصية على هاتفه ...

عدا الرسائل الصوتية التي كان يمسحها دون
ان يسمعها ...

(أيهم .. انا أحبك ... اعشقك حتى لكأني
مريضة بهذا العشق ولا دواء لي الا أنت)

(الخيانة ليست بالجسد أيهم .. الخيانة
بالروح .. وانا روحي توأم روحك تموت دونها ..
لااريد ان تسامحني لاجل نفسي فقط بل
لأجلك انت ايضا .. اعلم انك تتعذب
كعذابي)

(لايمكنك تجاهلي اكثر من هذا .. يجب
ان ترد على مكالماتي وتسمعني)

(انا لم اكن بوعيي .. كنت مخمورة .. اعلم
اني مجنونة وانت تعرف جنوني وعشقتني
لاجل هذا الجنون .. لكني اخطأت .. ثم
أجرمت ... فقتلت روحي باجرامي هذا)

(لايمكن ان لاتشتاق لي .. لقد رأيتها في عينيك .. ارتعاشة الشوق يا حبيبة العمر)

(لم أنم ليومين متتاليين .. تعال ألي .. اضربني كما تشاء .. حتى اقتلني هذه المرة لن اوقفك ولن اعترض .. فقط تعال .. لااطيق انك قريب لهذه الدرجة ولااستطيع حتى ان أرى وجهك)

وغيرها وغيرها ....

رسائل لاتكف عن الوصول لهاتفه ولايكف عن قراءتها مرارا وتكرار ..

جمود غريب ينتابه ..

جمود من اعماقه ...

كأن الصخب والعواصف الهائجة لم تبق ولم تذر شيئا فيه..

فاصبح كالارض الجرداء تصفر فيها الريح الخفيفة بعد مرور العاصفة الهوجاء ...

ايام قضاها معتزلا مع نفسه يفكر ويفكر ..

حتى انه جازف وعزل نفسه عن جدايل ...

ابعدها دون ان يبعدها حقا .. كان حريصا ان يبقي على اتصال معها داخل قوقعة عزلته ..

لقد اعترف لنفسه ان عشتار ما زالت تؤثر فيه رغم كل شيء .. قلبه يرتعش مع كل رسالة تصله منها .. لكن ما ان يقرأها حتى يشعر انه يغرق بجموده أكثر ...

البارحة مساء اتخذ قراره ونفذه ...

يكفي ما حدث ... يكفي ...

طرقات على الباب وأطلت بعدها سمراؤه ..

لاتنظر أليه مباشرة بينما تتمتم باعتذاراتها الواهية انها قاطعت عمله ...

صغيرته البريئة تشتاقه .. لقد حرم نفسه منها وحرمها منه ... لاجلهما معا ...

لقد حملها الكثير ويشعر بحدس غريب انه سيحملها أكثر ...

فأرضه الجرداء جائعة كوحوش البراري وعليه هي وحدها ان ترويه وتزرع تربته من جديد ...

ابتسم برقة وهو يطالع ارتباكها اللذيذ لاتعرف هل تقترب منه اكثر ام تظل واقفة مكانها ....

اليوم يشعر بشيء مختلف ...

تحركت مشاعره والعسل اللاذع في شفتيها يناديه بعد طول حرمان ...

همس وعيناه تنسابان على جسدها الملفوف بقميص اصفر حدد على استحياء معالم انوثتها وتنورة محتشمة سوداء غطت معظم ساقيها ....

لقد اصبح يعجبه هذا الاحتشام منها ..

يشعر بنوع من الغرور والرضا انها له فقط ولايملك احد ان يرى ما خلف احتشامها عداه هو ...

ناداها بصوت مبحوح

" تعالي جديلتي ..."

المفاجأة علت ملامحها الجميلة .. فأوجعه قلبه أنه اهملها لاسبوع كامل ...

لم ينتظرها لتأتي اليه بل وقف على قدميه وتحرك نحوها فاردا ذراعيه والشوق يفور في دمائه ..

احمرت وهي تنظر اليه ثم غرقت بين ذراعيه بينما شفتاه تميلان لتلك الشفتين الطفوليتين ....

بدت مترددة في تقبيله !

أصابه الضيق ففقد رقته واصبح اكثر عاطفية وحرارة حتى ذابت أخيرا تبادله نفس العاطفة فتبخر الضيق وعادت اللسعات العسلية ...

قلبه يخفق هادرا في صدره وهو يضمها اخيرا ليستقر وجهها فوق مكان القلب الخافق تحديدا ...

سمع همسها الناعم يلهث " اشتقت لك .."

فيضحك بخفة بينما يداه تمرحان بشغف فوق ظهرها وتشدانها اكثر اليه ليهمس لها ببحة رجولية " متى تعود خالتك ؟ لم أعد قادرا على الصبر أكثر يا سمراء "

تصلب خفيف اصاب جسدها ثم ابعدت نفسها قليلا عنه لترفع وجهها اليه تقول ببعض الارتباك

" خالتي ستعود خلال بضعة ايام .. لكن .."

عبس ايهم قليلا يحاول قراءة العينين الداكنتين امامه فيقول بنبرة جدية متكهنا ما تود قوله

" أبن خالتك سيعود الوطن اليس كذلك ؟"

عضت شفتها السفلى وهي تهز رأسها بنعم ...

لكنه بذكائه ادرك ان عودة ابن خالتها ليست سبب قلقها الوحيد ...!

ناورها قائلا بثبات

" سنرتب للعرس الخميس القادم ..."

رأسها العصفوري تحرك بتعبير رافض مما جعل أيهم يشعر بغضب فوري صاعق ليسألها بشكل مباشر وحاد

" ماذا تعنين بهذا الرفض ؟! لقد كنا بانتظارها لاقامة العرس "

ابتلعت ريقها قبل ان تقول بإصرار يلمع في عينيها

" لن نتزوج أيهم قبل ان نحل ... المشاكل "

اتسعت عيناه بينما يهمس بنبرة قاسية

" لايوجد أي مشاكل بيننا .. وحتى لو وجد سنحلها معا في بيتنا .. سنحلها وانت ملكي تماما "

ارادت ان ترد فعاجلها مضيفا بقسوة أشد وهو يعتصر ذراعيها باصابعها " عودة الغائب تحمل الكثير من المعاني وانت تفهمين جيدا خالتك كما افهمها أنا ... لاتحلمي انك ستبقين هناك بوجوده .."

فتحت تلك الشفتين الصغيرتين لتعاود اطباقهما لكنها زفرت بقوة لتتشجع وتقول

" لا .. أيهم .. لدينا مشاكل أكبر من مشكلة خالتي وابنها سعد ، لا يهم ان اقترب مني عشرة رجال يرغبون الزواج مني لان ايا منهم لايهمني ولن يؤثر بي ..." لتضيف بتحشرج عاطفي " انت وحدك من اعشق .. انت وحدك من يهمني وكأنك كل عائلتي ... كل دنياي .."

ارتعد جسده تأثرا بما قالت لكنه نفض رأسه يتشبث بقسوته افضل من الاستسلام لمخاوف مرضية بفقدانها ليهمس من بين اسنانه

" لاعلاقة لمشاعرك نحوي .. لن اترك اي شيء للظروف .. ابدا لن افعلها "

فتحدق فيه بعجب قبل ان تقول بثبات

" وماذا عن عشتار ؟! اخبرني ... من حقي ان اعرف ان كنت ستمنحني لقب الزوجة الثانية.. من حقي ان افهم موقعي كيف سيكون ... كما من حق والدي واهلي ان يعرفوا "

غامت عيناه قبل ان يميل بشفتيه يلامس جانب فمها ويهمس بشقاوة

" انت للاسف زوجتي الثانية فقد سبق لي الزواج "

تصلب جسدها وارادت الانسحاب منه لكنه لم يسمح لها وهو يضيف بسلاسة " لكنك مؤكد زوجتي الوحيدة حاليا ... "

همست بارتعاش " ماذا ... تقصد ...؟ اوضح ارجوك دون ... مراوغاتك المرهقة .."

رد وهو يلهث تشوقا مجنونا لها

" لقد طلقت عشتار ليلة الامس واعلان الطلاق سيصلها اليوم على اكثر تقدير ... "

يهيم بشفتيها ليهمس بنبرة متلهفة غريبة

" قلت لك أفعل أي شيء وكل شيء ... لتبقي......."

الفصل الرابع عشر

بعد بضع ساعات كانت جدايل توشك على الدخول لمكتبه مرة اخرى وهي تحمل اوراقا في يدها تراجع قراءتها لآخر مرة قبل توقيع أيهم ...

كانت تحاول التركيز بالعمل بعد الموجة العاطفية العاتية التي اغرقها فيها أيهم في مكتبه بعد طول نأي وبعاد بينهما ...

ما زالت تشعر بوجود الخطأ .. خطأ في أيهم ..

لقد فعلها وطلق عشتار ...

الا يفترض ان تفرح الآن ؟

اذن لماذا لاتفعل ؟!!

هل اصبحت موسوسة لهذه الدرجة ام ان حدسها بوجود الخطأ سيصيب مرة اخرى ؟!

ويا ليته يخيب ... !

تدعو الله بكل قوتها ان يخيب ...

ألهت عقلها بالعمل .. ليس امامها الا الانتظار للقادم ... وهذه المرة كانت تنتظر عن يقين حضور عشتار ... امرأة مثلها لن تتوان عن احداث فضيحة لو شاءت ارادتها ...

تمتمت جدايل وهي تقترب من مكتب أيهم

" أتممت عقود (....) نحتاج فقط لـ....."

هدر صوت من خلفها ... صوت تعرفه ويهاجم احلامها احيانا ....

" اريد .. مكالمتك لوحدنا ... الآآآآآآن"

تجمدت جدايل بينما ترتفع عيناها لتواجها أيهم .... لقد رأت عينيه ... رأتهما بوضوح ..

فصرخ قلبها متوجعا في صدرها ....

وقف أيهم ببطء على قدميه بينما يسبل اهدابه ويقول بهدوء

" ليس لدي الا .. ربع ساعة "

استدارت جدايل لاشعوريا تخفي أنينها ووجيعتها لتحدق في المرأة ... غريمتها !

هل عليها ان تشعر بالنقص ؟!

مؤكد عليها ان تفعل !

تبدو المرأة بقميصها الابيض البسيط وبنطال الجينز شاحبة منهكة .. محطمة مختنقة مرتعشة ... لكنها بطريقة ما جامحة فاتنة واثقة ... وجدايل تكاد تعرف سر ثقتها...

ترى .... وماذا بعد ؟! ماذا سيحدث الآن ؟

هل تستعد لقتال ضارٍ معها ؟

ام ان القتال الحقيقي مع أيهم نفسه ....؟!

تمتمت عشتار من بين شفتين مرتعشتين وهي تتجاهل جدايل تماما

" الآآآآآن ... أيهم ...."

اجفلت جدايل قليلا من احساسها بملامسة يده لذراعها ، لم تشعر بتحركه ليصل قربها هكذا !

ثم همس بعاطفة جياشة ردت بعض الاعتبار لها " اتركينا بمفردنا لو سمحتِ صغيرتي ..."

حدقت جدايل في عينيه بصمت قبل ان تلفت بكبرياء شامخ لتتحرك مدعية السيطرة والثقة... لكنها ... في داخلها ... قرارة نفسها وعمق روحها كانت تتقطع بوحشية من شدة الغيرة ...

تجاهلت عشتار هي الاخرى عندما مرت بها وبات ذلك العطر الذي تستخدمه المرأة يثير الغثيان فيها ...

تركت لها الساحة ... لكنها لن تترك لها أيهم ... ابدا لن تفعل ... لقد خانته عشتار .. حطمته.. اوجعته وهي تضربه بمقتل في عمق رجولته وعنفوانه ...

كتم اوجاعه لعام كامل قبل ان ينهار بين ذراعيها هي ... هي جدايل ... معترفا بما فعلته به (معشوقته) ...

تأوهت جدايل بوجع لتلك التسمية التي شاءت ام أبيت تخص عشتار فقط ...

غمرت وجهها بين كفيها بينما تجلس على كرسيها وحالما اغلق الباب بعنف ليعزل الاثنين بين اربعة جدران انهارت جدايل في استسلام لارتجاف جسدي منهك .....

عادت ذكرى عينيه تهاجمان مخيلتها بتقلب المشاعر فيهما فتضيع جدايل مع كل معنى....

لقد ابتسم لجدايل بحرارة ... هذا صحيح ..

دللها (متعمدا) امام تلك الـ(عشتار) الخلابة ايضا صحيح ...

لكن جدايل لم تغفل ...!

لم تغفل عن عينيه اللتين شعتا بعاطفة تأثر لايموت فقط لبضع لحظات أفلت منه تاثره وعكسته عيناه ما أن اطلت (الخلابة) من باب مكتبه ...

في المكتب يقف أيهم قبالة عشتار يحارب شياطينه بينما عيناه على الباب الذي اغلقته عشتار بنفسها للتو ...

رغم ملامحها المنهارة وهياجها المكبوت قالت بغيرة طفولية متفاقمة

" لم تكن تناديني صغيرتي ابدا ! "

اوشك ان يضحك !

وسط هذه الدوامة الرهيبة تعود عشتار لجوهرها الذي يعرفه وعايشه لسنوات طوال ... ثم تتراجع رغبته بالضحك لتوسوس له شياطينه ساخرة منه

(هذه هي نفسها عشتار التي عشقتها منذ صباك فانسَ كل شيء وكأنه لم يكن ! .. لا الخيانة ولا الغدر ولا القلب المذبوح ولا الرجولة المهدورة ... ما رأيك يا ابن سليماني؟)

وسوسة ... وسوسة ساخرة .. تتلاعب بذلك الاحساس نحو عشتار الذي لم يقتلع بجذوره كما يجب ان يحصل ...

اقتربت منه بشفتين منفرجتين تشعان اغواء طبيعيا عيناها ترسلان امواجهما الزرقاء نحوه فتذكره بضراوة بحلاوة الصبا التي تذوقها منها منذ الصبا ولسنوات طوال عانقت ريعان شبابه وعنفوان رجولته ...

همست له تلك الشفتان

" اذن فأنت تستغل قدراتها المتواضعة حتى في السكرتارية ! "

كل الاستنفارات تعالت اصواتها تحثه على الابتعاد عنها حالا لكن كبرياءه أقوى من كشف ضعفه الخائن بينما يشعر بالقوة اكثر وهو يفكر في وجود (حصنه) معه ...

جديلته السمراء ...

فقط باب صغير يفصلها عنه .. انها قريبة .. دوما ستظل قريبة ... قريبة تحوم بضيائها في ظلمات قهره وانكسار روحه وضعفه المهين لكبريائه ...

عيناه شعتا شغفا بالسمراء وهو يعاود التطلع للباب بينما يهمس بابتسامة رقيقة

" لاتهمني (قدراتها المتواضعة) كما تصفين .. انا وضعتها مساعدة شخصية ومديرة مكتبي فقط لتبقى قريبة مني ... قريبة جدا ..."

زمجرت عشتار بصوت مكتوم هائج وفي لحظة التصقت به تمسك مقدمة قميصه بكفها فتهز صدره بعنف وهو يتطلع اليها بعينين متسعتين وقلب خافق وذهن تائه !

ملامحها منهكة رغم الجموح الظاهر فيها ..

كلماته جعلتها توشك على الانهيار ...

فتهمس بوحشية ولهاث حارق وهي ما زالت تهزه

" لاتنظر اليها هكذا .. انا اتعذب بشغفك فيها .. اموت كل ليلة وانا اتخيلكما معا .. اكاد لاانام منذ اسبوع .. ثم.. ثم تطلقني..؟! تطلقني الآن يا ايهم ..؟!! "

اخذت دموعها تسيل وهو يتنفس بتلاحق سريع مدمر ، يشد قبضتيه لجانبيه يرفض الاستسلام لجنون لمسها ويرفض حتى تأثر جسده بملامسة جسدها ...

اختنقت بالبكاء وهي تعاتبه بطريقتها

" كيف تستطيع النظر .. لاخرى هكذا ؟! كيف ... بعد .. كل العشق ... انا اتعذب .. اتعذب أيهم .. سأموت من شدة العذاب ... انت .. انت تخليت عني ..! تعرف كم انا متعلقة بك

.. تعرف انك كل شيء لدي .. انت صلة رحمي التي لااعترف بغيرها صلة ... بل أنت شريان حياتي .. عدت للوطن لاني لم استطع المتابعة دونك... انا لم أكن زوجتك وحبيبتك فقط .. انت جعلتني ابنتك .."

هلوسات مشاعر محمومة لاقبل له بصدها جعلته يشعر بالدوار للحظات .. لحظات وهو يحدق بشفتيها الباكيتين ... اغتسل وجهها الفاتن بالدموع وبلل حتى تلك الشفتين ...

نفض راسه بينما يهمس بقساوة

" ابنة افسدتها دلالها فكنتُ أول من طعنتِه عشتار ... "

هدرت به بجنون صاخب وعذاب لايطاق

" وان كنتَ افسدتني دلالا فهل هذا ذنبي ؟! اجل انا مدللة متطلبة لكني عاشقة ... عاشقة لك حد الجنون... لااعشقك كرجل .. بل اكثر من رجل ... لا أمرأة مهما كانت ستحبك مثلي .. وانت لن تعشقها كما عشقتني ... "

كانت تهزه بضعف الآن وقد انهارت ببكائها المرير... جمود غريب تمكن منه يقاوم احساسا قديم العهد تملكه ..

يكره ...رؤيتها .. منهارة !

وهو لم يرها تنهار هكذا الا بموت جدها وفقدان طفلهما ... تصلب جسده يعاني تقافز مشاعره لتحني عشتار راسها حتى كاد جبينها يستريح على صدره ...

لكنها - لحسن الحظ - لم تمسه !

همست بحشرجة " لقد ... كنت ثملة ...! "

للحظة لم يستوعب وهو يهمس متسائلا بتشنج " ماذا ؟! "

رفعت وجها غاية في الفتنة يتوسل اليه الرحمة يطالبه الغفران وما هو فوق الغفران ...

ردت وهي تفقد سيطرتها على نفسها لتقترب بشفتيها من شفتيه

" لم أكن بوعيي .. شربت كأسيّ خمر وثملت .. فقدت كل وعيي .. كنت بحاجتك .. دوما أموت حاجة اليك... "

سينفجر ... سينفجر عنفا عاطفيا مدمرا ...

همس باحتراق " عشتار ..."

تجرأت اكثر وهي تشعر بارتجافه فلامست شفتيه ليختض جسده وتختض هي معه باستجابة فورية شغوفة بينما تهمس بعشق صاف لم تتصوره سيبقى بكل هذه القوة في داخلها

" للحظة تخيلته أنت .. أنت ... لم أكن الا اريدك أنت وحدك .."

اوشكت ان تنهار لتقبله بجنون كما كانت تفعل سابقا لتسترضيه عندما شعرت بقساوة اصابعه تنغرز بجنون في ذراعيها لتبعدها قسرا وهو يصرخ فيها بألم لايطاق تنضح به كل خلاياه

" لماذا ؟!! لماذا فعلت هذا بنا ؟! لماذا؟؟"

يهزها بعنف سافر ... هي تبكي بعذاب وهو يتعذب الضعفين !

لكنه شق عباءة العذاب التي تلفهما معا ليدفعها بعيدا باشمئزاز فظيع ونفور سافر..

تراجعت للخلف واوشكت ان تفقد توازنها وتسقط ارضا لكنها شمخت وهي تعيد السيطرة على استقرار جسدها ...

حدقت فيه تقرأ تعابير الاشمئزاز والنفور وحتى القرف ... ثارت انوثتها .. وتقطعت نياط قلبها ليتوحش في صدرها طالبا للثأر ممن يعشق !

همست بصوت متحشرج تنتقم منه دون تعقل او تفكير

" كم اتمنى ان أرى ملامح وجهك بعد ان تنال السمراء ! "

جمدت عيناه مما قالته لتعاجله بالمزيد والغضب والغيرة يأكلانها أكلا

" اعلم انك لم تنلها بعد .. استطيع استشعار جسدك بسهولة ... انت جائع لمعاشرة جسدية وروحية ضارية ومتطلبة ...

لذلك تريدها ... لست برجل ترضيه معاشرة جسدية عادية مع اي امرأة ... هي تثيرك بطريقة ما لذلك اخترتها ... انت تحتاجها لتثبت ايضا انك تحررت مني ... ستعاشرها لتقارنها بي .... لتقارن احساسك معي واحساسك معها ... وعندها ستعرف الفرق ... والفرق كبير أيهم ... تلك التي جعلتها ندا لي او بديلا احمقا عني لن تقدم لك شيء ... انت تعرف ان ما بيننا غير عادي ولن يتكرر ... حتى لو كان الفراق الابدي مصيرنا فاروواحنا معلقة ببعض حتى آخر نفس ... "

كان ينهت مصدوما مشوشا فشعرت ببعض الراحة لردة فعله ...

استعادت قوتها .. استعادت ثقتها بنفسها وقدرتها على استرجاعه فتهمس وهي تمسح وجهها من آثار الدموع وتتراجع للخلف

" انا راحلة أيهم .. عائدة لاسبانيا مرة اخرى لكنك وان فرقتنا البلدان والبحار ستظل أسيري كما انا اسيرتك ..مهما اجرمنا بحق بعضنا سنظل مقيدين ببعض .. وانت ستظل تشعر بالخواء وتموت فيه كما أنا بالضبط .. فقط تذكر هذا ليلة زفافك المرتقب على (الصغيرة) فكما يبدو انك تنتظر تلك الليلة لتجعلها ملكك ..لكني اقسم انك لن تغادر سريرها الا وانت غارق في الخواء البارد... "

ترى صدمته وتتوجع لافكاره التي تدركها ..
ومن غيرها تعرفه هكذا ؟!!! ورغم انها تفضل
الموت على ايلامه لكنها مضطرة .. فهي لن
تستغني عنه ... كانت تظن سيكفيها غفرانه
لكن ان .. ان يكون لامرأة اخرى فهو فوق
قدرتها .. فوق احتمالها ...لاتستطيع ...
لاتستطيع فعل هذا ..

ستسترجعه ... لكن ليس هنا .. ليس في ارض
الوطن .. حيث تلك الفتاة معه يتحصن فيها ..

وان لم يأتِ هو اليها من تلقاء نفسه.. ستفعل
المستحيل لتجعله يأتي مرغما لاسبانيا ...

امسكت مقبض الباب وقبل ان تفتحه همست

" انا لم ولن أكف يوما عن عشقك .. وتذكر
أيهم أنك تخليت عني .. تركتني وانا ليس
لدي سواك .. وداعا .... سأحجز الليلة لأعود
الى اسبانيا ..."

طالعت وقفته الجامدة وعينيه المتسعتين
بذهول لتحرك المقبض اخيرا فانفتح الباب
وغادرت شامخة....

عبرت المكتب الخارجي بذلك الشموخ
والغرور ودون ان تلقي نظرة واحدة ناحية
السمراء الجالسة على كرسي (السكرتيرة)
انها ليست سوى سكرتيرة بمؤهلات متواضعة !

تجلس على حافة الكرسي قلبها يقرع

كالطبل بينما تحدق بالباب المفتوح ...

رائحتها لازالت تملأ المكان لكنها لاتهتم ..

لاتهتم باحساس الغثيان .. لاتهتم بأي شعور

بالنقص .. يجب ان لاتهتم .. يجب ان لاتعر

هذه الامور اهتماما الآن ..

الامر جدي .. إن ارادت ايهم حقا عليها ان

تكون أقوى ..

السيدة وداد قالت لها انها تحتاج للقوة

لمواجهة ما يعانيه أيهم .. وهي .. جدايل

تملك القوة ... لن تستسلم لاحساس الانثى

الجريح فيها .. لن تضعف امام حدسها الذي

ينبئها بالكثير ...

تمتمت وهي تقف على قدميها

" المواجهة جدايل .. عليك بالمواجهة "

عندما دخلت مكتبه قشعريرة مرت بجسدها ،

يقف هناك في اقصى المكتب يوليها ظهره

بينما الشحنات تشع منه كطاقة سلبية

تكاد العين المجردة تراها !

التفت برأسه .. مجرد التفاته لينظر اليها من

فوق كتفه فتصاب بالارتياع من احمرار

عينيه!

همست أسمه فاستدار بكليته اليها .. يا الهي

.. ان هذه المرأة .. مرض .. مرض عضال !

يقف محطما ...! يعاني من الضياع ....

تشجعت جدايل لتقترب خطوتين منه قائلة

بنبرة ثابتة " ماذا قالت... بل ماذا فعلت لك

لتصبح بهذه الحالة ؟ "

رد بنبرة غريبة " لاتطيق وجودي معك على

أرض جديدة فيجن جنونها وتزلزل تلك الارض

من تحتي ! "

ابتلعت جدايل ريقها بينما توحشت نظراته

ليضيف بصوت حاد

" لاتعلم ان دخولك حياتي كان رحمة بها

قبل ان يكون رحمة بي انا ! "

تمتمت بتساؤل حذر " رحمة .... بها ؟!"

ما زال التوحش مستعرا في العينين البندقيتين

ليقول بنفس النبرة المقلقة

" كنت ساقتلها ! "

تمتمت باسمه هذه المرة " أيهم !"

ليهز راسه بلا معنى بينما يؤكد ببساطة

مرعبة " انا أعنيها .. كنت سأقتلها .."

عيناه تتسعان والنيران تتأجج فيهما ليسهب

بالتعبير عن جدية سعيه في الانتقام

" لأشهر طويلة كنت ابحث عنها بينما تجوب

اوربا طولا وعرضا .. اجد اثرا لها هنا ليذوب

الاثر في لحظة وتظهر بمكان آخر ... لكني

لم أيأس .. ولو استمر البحث لعشرات السنوات

لظللت ابحث عنها حتى أجدها و ... اقتلها بين

يدي هاتين ..."

ارتعشت يداه وهو يرفعهما امام وجهه ويحدق فيهما بنظرة مرعبة وكأنه يعيش نفس الاحساس .. نفس الرغبة المجنونة الوحشية بقتل من خانت عهده ..

كانت جدايل تتمزق لأجله .. لاتريد أن تراه هكذا بينما يضيف بنفس النبرة المخيفة

" ثأري لم يكن سيهدأ ابدا حتى افعل هذا "

ارادت صفعه ليستيقظ من أتون الجحيم فلم يسعفها عقلها الا بمهاجمته بوساوس تنهكها داخليا ولاتفصح عنها " اذن (انا) وفرتُ وسيلة انتقام لك.. ومتنفسا أكثر أمنا لها "

الصفعة أتت ثمارها ليرفع عينين مذهولتين للحظة واحدة ثم انزل كفيه ليهمس

بحشرجة " في البداية ... نعم ... كنتِ مغرية جدا لاقتلها بكِ .. اقتلها حية واراها تتلوى بالعذاب كما تلويت أنا "

ثم لانت ملامحه تماما وهو يحدق في عينيها هامسا بصدق فريد من نوعه

" كان الامر مذهلا ان استخدمك انت لهذا ... لهثت للفكرة لان الشق الآخر لها كان ان امتلكك ... حاجة مضنية شرسة مجنونة تدفعني لامتلاكك ثم اكتشفت انك في الواقع ودون ارادتي بل وفي غفلة تامة مني كنت تمتصين طاقات مظلمة يطلقها شيطان مجنون يعبث ويعربد في روحي وهو يسعى لرد ثأر الخيانة "

تحدق فيه وتعجز عن اختيار الكلمات ...

انه ما زال يتأرجح ...

ما زال يعيش متخبطا في عالمين .. أرضين !

تذكرت ملاحقته لها بين الاشجار .. اصراره على الزواج منها ... الجوع .. الجوع الرهيب الذي صدمها به ...

سمعته يهمس " انتِ جعلتها تبدو باهتة ! "

اقتربت اكثر وهي تستعيد رباطة جأشها تواجهه بالكلمة " تقصد... الخيانة ؟ "

فيفاجئها هو بالقول وهو شارد النظرات

" بل عشتار نفسها .. وكل ما يتعلق بها ... عشق الصبا والسنوات الطوال التي جمعتنا .. الخيانة التي طعنتني بها ... كل شيء ... كل شيء .. اصبح... باهتا ! "

في سرها هتفت بلوعة

(باهت لكن .. لايمحى أيهم .. لايمحى !)

لكنها كبتت غيرتها التي تمزقها بينما تترك حدسها يقودها فلم يكن لديها غيره وهي تخوض في غمار بحار ظلماء مهجورة كريهة تحمل رائحة فاسدة .. بحار لايطرقها كائن حي والا ويموت مذبوحا على شواطئها ..

سألته بشجاعة مرتعشة

" صف لي ... صف لي مذاق الخيانة أيهم ... كيف يكون ؟"

جنّت النظرات في عينيه وتوحشت مرة أخرى
وكأن ذلك الشيطان الذي تحدث عنه عاد
ليعربد فيخفي حقيقة هذا الرجل الانسانية

قال بصوت رهيب ساخر ينضح بكل ما تعبر
به عيناه " تسأليني عن المذاق ؟! أو تسأليني
حقا...؟!! "

هزّت رأسها بـ(نعم) ...

فيكمل بنفس النبرة والملامح والنظرات

" حسنا ما دمتِ مصرة .... سأصف لك مذاقه
كيف يكون وعذرا لن اسهب فبعض المذاقات
لاتحتمل كثرة الكلمات انه مذاق يبقى
عالقاً على طرف لسان الذاكرة والمدهش أنه
يتغير ويعيد تشكيل نفسه باستمرار ! يبدأ
حرّاقا ناريا يمزق الاحشاء ثم مرّاً حنظلاً
يسبب الاختناق لينتهي يا عزيزتي كعلقة !
علقة شرهة تمتص انسانيتي دون شبع او إرتواء
هل أعجبك الوصف اكثر ام أثارك
المذاق؟!!"

هل يوجد ما يعبر أكثر عما عاناه ويعانيه ؟!!

غامت عيناها وفاضت روحها عشقا وولاء له ...

اقتربت منه حتى كادت لتلامسه ، تحدق في
وجهه فتبتسم ابتسامة رقيقة حزينة معاتبة
بينما ترفع اناملها فتفرد بها ملامحه المتشنجة
وهي تمرر تلك الانامل على حاجبيه وجبينه
واسفل عينيه هامسة " لااحب ان أرى ملامحك
قاسية ساخرة بمرارة هكذا ؟"

ارخى جفنيه مستسلما للمساتها المشرقة ...

همس بصوت مبحوح

" ما هذه القوة التي فيك لتتحملي كل هذا ؟
هل هو العشق صغيرتي .. هل العشق من
يعطيك هذه القوة ؟"

اناملها تلامس لحيته وتتجرأ لملامسة شفتيه
فتضيف بحرارة قلبها النابض بحبه

" العشق يجعلني ضعيفة نحوك .. لكن ليس
هذا ما يجعلني اكون قوية لاجلك ... "

ابعدت يدها فيفتح عينيه يحدق فيها يبحث
عن الرد فتتبسم تخفي الألم لهذه المعاناة
التي تعيشها معه بينما تشرح له بعينين
صافيتين وثقة تشع من نظراتها

" لقد نشأت في بيئة تحث الفتاة على النضج
المبكر وتحمل المسؤولية والولاء لعائلتها ..
نشأت على عرف (الزوجة الاصيلة) التي تهون
على زوجها الآمه التي لايظهرها لغيرها
ولاتريد منه الا ان يرحم ضعفها ويظلل عليها
بمحبته "

ما زال يحدق يعلو وجهه الدهشة !

لكنها راضية بدهشته .. على الاقل لم يعد
لذلك التوحش القاسي المرعب ...

لم يلمسها فقط همس بتلك الدهشة

" تجعلين الامور بسيطة للغاية ..."

فترد بعفوية محببة وكأنها تحكي حكاية الجنيات " طبيعة حياتي ونشأتي تفرض علي هذا البساطة ... انها اكثر هدوءا وسلاسة وواقعية من طبيعة حياتك المبهرجة المكتظة بالكثير فتغرق في زحامها ... لانحتاج للتعقيدات لاننا نميل للبساطة .. "

ما زال لايلمسها ولايحاول الاقتراب !

مدت يدها لتمسك كفه وترفعه لمكان قلبها الخافق فيتشوش بوضوح لكنها لاتهتم .. يجب ان تكون شجاعة .. جسورة ... لاجلها هي وليس لاجله هو فقط ...

ما زالت تضع كفه على قلبها تجعله يلامس تلك النبضات لتهمس اخيرا بحشرجة العشق لاتخفيها " لاتكف عن القول لي انك ستفعل أي شيء لابقائي قربك وانا.. الآن اقول... سأفعل أي شيء لأرفع عنك هذا العبء الثقيل الذي يجثم على صدرك ويخنق حياتك "

كان مبهورا الآن ..

رغم التشوش .. رغم لمحة خوف وقلق غير مفهومين ... لكنه كان مبهورا فيحرك يده لخصرها يسحبها اليه هامسا بعنف لم تعرف اسبابه

" هل تعدين بهذا يا صغيرة ؟!"

فترد بهيام وشفتاه تميل لشفتيها

" أعدك يا أسدي ...."

بعد عشرة ايام

" جدايل ... تعالي وشاركينا العشاء فسعد لن يمد يده للطعام قبل ان تأتي "

شعرت بالانهاك !

يا الهي انها ترتعش من شدة الانهاك العصبي !

تدور في المطبخ بتوتر صامت بينما انفاس أيهم تأتيها هادرة عبر سماعة الهاتف وواضح انه سمع كلام خالتها منيرة بنبرته المرتفعة عن عمد وهي تناديها من غرفة الطعام المجاورة للمطبخ ...

استجمعت رباطة جأشها لتقول له بلطف مفتعل " أرجوك لاتغضب .. انت تعرف أنها.."

فيقاطعها بلهجة مخيفة

" انها لاتكف عن هذا .. تتعمد دعوتي على العشاء لتعرض دوما اوجه الشبه بينك وبين ابنها الغالي وكيف طباعكما متقاربة وكيف افكاركما بنفس العمق وكيف تحبان نفس النوع من الاطعمة وكيف وكيف وكيف ... هل تظنني خالتك احمق ! لقد اوشكت ان احطم المائدة فوق رأس ابنها قبل يومين .. "

عضت جدايل على شفتها السفلى عجزا ...

انه محق .. محق تماما بكل ما يقول وهي تخفي عنه اكثر من هذا !

خالتها تمارس ضغوطا لاتطاق عليها ..

لاتكف عن اظهار عيوب ارتباطها بأيهم الى حد اختلاق اسباب واهية تلمح بها لفشل هذا الارتباط ...

خالتها ايضا تلعب على وتر حساس جدا لجدايل .. (الزوجة السابقة لأيهم).. فلا تكف عن تشكيكها باحتمالية عودته لها وكيف ان تلك (الزوجة) من بيئته ومستواه الاجتماعي ...

لم تعد تحتمل .. تقسم بالله لم تعد تحتمل..

ليأتيها صوت أيهم محملا بالمزيد من الغضب بل حتى الشك والغيرة الجنونية ..

" ألا يكفي اني اراك تعودين كل يوم لتقضي باقي ساعات اليوم في نفس البيت معه دون ان اعرف ما يحصل بينكما.. اكاد أجن واصاب بهستيرية .. وفي الليل يجافيني النوم اتقلب على اشواك من نار بينما انا اتخيلك نائمة في سرير على بعد بضعة خطوات من غرفة نومه .. لماذا يجب ان اعيش هذا الجحيم ؟!!! لماذا لاتكونين في بيتي أنا حيث مكانك الصحيح ... ما معنى الاصرار على حفل الزفاف ؟! "

فترد جدايل بارتعاش الارهاق " أيهم .. انا الابنة البكرية وابي يريد عرسا فأنا اول فرحة له .. صدقني سيمر الشهر سريعا .. "

وكأن تذكيره بتأجيل الزفاف أجج الغضب أكثر فيهمس بنبرة حادة " اريد رؤيتك ..."

فتهمس بهدوء " غدا الجمعة ويمكننا .."

لكنه يقاطعها بلهجة عنيفة

" بل الآن جدايل ... استعدي ... انا قادم "

تطلع سعد باحباط ناحية امه وهي تجلس قربه على كرسي من كراسي مائدة الطعام بينما عيناها موجهتان ناحية باب غرفة الطعام تترقبان مقدم جدايل تحرك قدماها تحت المائدة بطريقة طفولية مضحكة وكأنها تمنعهما بشق الانفس من الذهاب للمطبخ فتكتفي بمد اذنها تحاول التسمع لمكالمة جدايل مع خطيبها ...

يحاول لفت انتباهها اليه فيمسك كفها قائلا بهدوء " امي ..."

فتجفل قليلا وقد كانت بقمة التركيز بعيدا عنه فتقول متسائلة " ماذا ؟! "

فيرد عليها ببعض الحزم

" لم يكن يجب ان تقولي تلك الجملة أمي ... لماذا لاتدعيها تكلم زوجها براحة ..؟ الا يكفي من هذه التلميحات ...ارجوك .."

فتعبس منيرة لتقول ببعض الحدة

" لاتقل زوجها ! انه خطيبها فقط والخطبة ممكن ان تفسخ اذا لك يتفق الطرفان "

تنهد سعد قبل ان يمسك اعصابه ويقول بصبر " امي لاتتلاعبي مع جدايل وأيهم فيكفي ما يتخلل وضعهما من توتر ملحوظ "

فتبتهج منيرة قائلة بلهجة منتصرة

" اذن تعترف انك تلاحظ مثلي لذلك التوتر غير العادي بينهما ؟ "

فيلتقط سعد ملعقته ويبدأ بتناول بعض الطعام قائلا " حداد الخالة زاهرة على امها عرقل اتمام العرس لقرابة الشهر ومؤكد الرجل متوتر لهذا .. واعتقد ان هذا يثبت انه متعلق بها ..."

عادت منيرة لعبوسها بينما تقول بلهجة ضيق

" لاارتاح له .. لااحبه .. انه غامض ونظراته نحو جدايل ... لاتعجبني .. انها مخيفة ! "

فيرد سعد ببعض الغموض وهو يواصل التهام طعامه

" بل تملكية .. ربما اكثر من الطبيعي لكنها تبقى تملكية ملفتة "

ترمش منيرة وهي تحدق في ولدها فتشعر ان منحى الكلام لايصب بشكل صحيح في المجرى الذي تريده لابنها مع جدايل ..

ان يشعر سعد بتملكية أيهم لجدايل هذا يضر سعيها ولن يحقق اهدافها ...

قالت منيرة وهي تدعي الخبرة والثقة

" سعد ... ثق بي بنيّ .. انا رأيت الكثير من صنوف البشر واستطيع ان اعرف بسهولة اذا كانوا يتلائمون ام لا ... وهذا الرجل الدخيل علينا لايلائمها ، ليس لاني اريدها لك فحسب وانما.."

يقاطعها سعد وهو يضع ملعقته جانبا وبنبرة حازمة " اذن تقوليها بصريح العبارة امي ! حسن انا ايضا اطلبها منك بصراحة شديدة .. لاتكرريها .. ارجوك امي لاتفعليها "

فتعترض منيرة ووجهها يحمر قليلا " الفتاة .."

فيعود سعد لقاطعتها وهو يقول بحزم أشد

" (الفتاة) تعشق أيهم .. وهذا واضح للعيان ولا اعرف كيف تنتظرين مني الاقتران بها مثلا اذا حصل وانفصلت عنه ؟"

فتبتئس منيرة تسأله باحباط

" لكن الا تشعر نحوها بشيء ؟ الا تعجبك ؟ اراك تضحك معها وتحب كلامها .. "

تنهد سعد بتوتر من كل هذه المحادثة بينما يقول بصراحة وصدق " انها حيوية وجميلة ولها جاذبية مؤثرة خاصة بها .. هي ذكية ولها فطنتها المميزة وتستخدمها بشكل جيد برأيي مع شخصية معقدة كأيهم سليماني " ثم يضيف بتأكيد " تفعل كل هذا لانها تحبه امي .. تعشقه وتحبه .. ومفتونة به "

فتصر منيرة على الاعتراض بالقول

" اجل هي مفتونة به وعندما يذهب توهج الافتتان ستعاني الامرين مع رجل لايتوافق معها ابدا .. انها صغيرة وبلا خبرة عاطفية على الاطلاق رغم ما تتمتع به من ذكاء وفطنة ..

يفترض ان تشعر نحوها بالمسؤولية يا ولدي كما اشعر أنا فهي ليس لديها غيرنا دعما وسندا .. والدها وزوجته المصون لم يصدقا ان يأتيهما رجل غني كأيهم سليماني خاطبا لجدايل فسارعت (المصون) لدفع الاب ليوافق دون تفكير وترو "

لم يرد سعد بينما يسمع خطوات جدايل تقترب فتلاهى بالطعام مرة اخرى بينما تطل

جدايل تقول بنبرة مرتبكة " خالتي .. ايهم يشعر ببعض الضيق .. سيأتي بعد قليل ونخرج لمكان ما .. "

سعد من شعر بالضيق !

قد تكون لأمه اهدافا معينة لكره ذلك الرجل لكنه ايضا لايرتاح له ..

ربما لانه يشعر ان أيهم يحمل فتاة نضرة كجدايل فوق احتمالها ..

سمع امه تعترض بالقول " لكن كيف تخرجان معا يا ابنتي في هذا الوقت ؟! لقد تجاوزت العاشرة ونحن نتعشى الان و ..."

قاطع سعد أمه بالقول الهادئ " دعيها امي .. انا متأكد انها لن تتأخر"

زمّت منيرة فمها بينما سارعت جدايل لتغادر الغرفة قبل ان تعترض خالتها اكثر ...

همست منيرة بغيظ شديد بينما تسمع خطوات جدايل المبتعدة ناحية غرفتها

" انه يستعبدها ! لااطيق هذا منه .. كم أود ان اقول له خذ كل هداياك الثمينة فليس لدينا ابنة لتخطبها ..."

حدق سعد في امه العابسة ليقول

" لافائدة من كل هذا الكلام والهذر .. جدايل معقود قرانها على أيهم .. والرجل سينفجر يوما بك اذا واصلت اسلوبك معه واذا فعلها معك أمي انا الآخر لن أصمت وسيحدث عراك بلا شك جدايل لوحدها الخاسرة فيه"

فترد منيرة بنفس الغيظ

" ليته يفعلها وليتك لاتصمت عندها ! وانا سأتكفل ان لاتخسر صغيرتي ابدا "

تأفف سعد وهو يترك ملعقته ويبعد كرسيه ليقف على قدميه ويقول بحدة

" اشعر احيانا انك لاتقدرين عواقب الامور كما يجب اماه ! كما انك لاتفكرين بي بشكل صحيح .. انا لم أعد شابا لطيفا غرا لتعجبني اي فتاة واقترن بها .. انا الان رجل ناضج .. وعندما اختار زوجة سأشعر نحوها بنفس التملك الذي يشعره أيهم سليماني ناحية جدايل .. "

شعر ببعض الذنب وهو يرى الاحراج على وجه امه لينحني نحوها يقبل رأسها ويضيف مخففا حدته " حتى لو كانت تعجبني جدايل امي فهي ليست لي ...."

تجلس جدايل بتوتر شديد في تلك السيارة الرياضية الحمراء التي لاتطيقها بينما يشق أيهم الطرقات بسرعة جنونية ... لم يقل كلمة واحدة منذ صعدت بجانبه .. حتى لم يرد على تحية المساء بل انطلق سريعا وكأنه يختطفها عنوة !

بدأت تشعر بالغثيان فهمست " ارجوك توقف قليلا ... بدأت أشعر بالغثيان .."

بنفس الصمت ودون ان ينظر نحوها خفف سرعته ثم اتجه ناحية الشارع الطويل المطل على النهر وهناك اوقف سيارته جانبا وحالما فعل اطلقت جدايل انفاسها ..

نظرت اليه اخيرا وقد طال صمته لدرجة مقلقة ...

في الواقع هناك الكثير من الامور المقلقة التي تحدث بينهما .. منذ رحيل عشتار لاسبانيا وهو في وضع غريب ...

اصبح يطيل النظر اليها بطريقة غامضة تحمل معانٍ عجيبة !

ساعة تراها نظرات غضب وساعة تراها احباط
ويأس وساعة تراها ... مخيفة .. وكأنه ينتظر
حدوث شيء يخشاه .. يخشاه حتى الموت ..

انها تفتقد نظرات الجوع العاطفي الذي على
قدر ما يضعفها نحوه على قدر ما يشعرها
بقوتها معه ... باهميتها له ..

حتى لو لم يقل احبك كانت تلك النظرات
تجعلها تشعر انه يحبها حقا بطريقة فريدة
وانها اكثر اهمية من مجرد امرأة في حياته ...

عادت تحدق فيه ونظراتها تتركز على شفتيه
.. تحمر خجلا لكنها تعترف .. تفتقد قبلاته
.. وهو اصبح شحيحا معها ولاتعلم السبب

تحديدا .. وما زالت تلك النظرات التي يوجهها
لها ترهقها وتتمنى لو تفك طلامسها لتفهم ...

تريد ان تسأله عن عشتار ولاتعرف كيف !

تخشى ما تخشاه ان تلك المرأة تمارس
الضغوط عن بعد وهذا هو سبب ما يحدث
وسبب تلك النظرات التي لاتفهمها ..

الغيرة تمزقها كلما فكرت ان عشتار تؤثر
فيه لكنها تتماسك قليلا وهي ترى غيرته
من سعد ... على الاقل هو ما يزال يريدها حقا
ويجن جنونه احيانا وهو يسألها عن تفاصيل ما
يحدث بينها وبين سعد .. كل ليلة يكلمها
ويسألها التفاصيل بالحاح هستيري مقلق ..

يوجعها ان تفكر ربما هو يعتقدها ستخونه

كما فعلت عشتار ...

نادته وقد طال الصمت لدرجة خانقة

" أيهم ..."

فلا يلتفت اليها ... فتتجرأ على مواجهته

بالقول وقد فاض كيلها

" أيهم ... انت غاضب ..."

عندها فقط التفت اليها برأسه .. ملامحه تعبر

عن غضب جنوني مكبوت ليهدر قائلا

" غاضب ؟!! الغضب كلمة صغيرة وتافهة

لكل ما اشعره حيال ما تفعله خالتك منيرة

عن تعمد واصرار "

ابتلعت ريقها قبل ان تقول بشجاعة

" انت غاضب لأمر آخر .."

فلا يلتقط جيدا ما تحاول ايصاله ليصرخ وهو

يمسك اعلى ذراعها باصابع قاسية

" تعرفين اي أمر .. تأجيل عرسنا كان أمرا

كارثيا ! لاعيش بين اختيارين احلاهما مر

علقم ... اما ان اتركك تعودين لبيت والدك

بعيدا عن ناظري او ارضى ببقائك في بيت

خالتك تحت سقف واحد مع ذلك

الـ(سعد).."

فترتعش شفتاها وهي تستعد للمصارحة اكثر هامسة بحشرجة

" ولا حتى لهذا السبب .. ربما كلها اسباب لغضبك الدائم.. تأجيل الزفاف .. وجود سعد .. تصرفات خالتي منيرة الطفولية لتغيظك .. لكن هناك المزيد لاتخبرني عنه .. صارحني أيهم .. قل لي ما يؤرقك .."

عاصفة عاتية هبت في عينيه البندقيتين فارتعش قلبها في صدرها ارتعابا !

ترك ساعدها فجأة ليفتح باب سيارته ويترجل منها فما كان من جدايل الا ان فعلت المثل لتلحق به ....

تقف بظهره وهو يطالع صفحة ماء النهر التي تلألأت باضواء المدينة ...

رياح الخريف الباردة جعلتها تقشعر ببعض البرودة فتحاوط نفسها بذراعيها تبث بعض الدفء لجسدها ..

لم تكن ترتدي الا فستانا رقيقا فلم تتنبه لما اختارته حقا وهي ساهمة امام خزانتها تفكر بما يحدث بينها وبين أيهم ...

لذلك التقطت فستانا صيفيا بلون اصفر جعلها تبدو كمراهقة اكثر منها امرأة ..

عادت تحدق في أسدها ...

انه مختلف جدا عنها .. بنطال انيق اسود وقميص حريري يماثله سواده ...

عطره رائع .. تعشقه .. ويجعلها تفكر بكل المواقف الحميمة بينهما فتحمر تلقائيا ..

سألته بحشرجة وهو تبعد خيالات تثير الشوق فيها " صارحني ايهم .. هل .. هل عشـ.. اقصد .. هل.. هي... تتصل بك ؟ "

رأته يتشنج بقوة فارتعدت وصدمت !

إذن فهما على اتصال !

يا الهي ....

اوشكت ان تتراجع للخلف تكاد تبحث عن قدرة تائهة منها للهروب عندما جاء صوته مفعما بالتوتر

" اجل .. هي تفعل .. تبعث لي رسائل على الدوام .. لاتكف عن ارسالها ليلا ونهارا .. وانا .. لاأكف عن قراءتها .. كأني أهوى تعذيب النفس ..! "

خنقتها العبرة ومزقتها الغيرة وهي تسأل بهمس شبه باكٍ " اذن ... انتما .. تتراسلان ؟! "

فيلتفت اليها بنظرات شرسة غير عادية هادرا

" اقول لك هي ترسل لي .. انا اقرأ فقط "

فتفقد سيطرتها على نفسها وتصرخ به

" ولماذا تقرأ ؟! هل ما زلت تريدها ؟ وان كنت تفعل ولم تعد تريدني في حياتك فلماذا كل هذا الغضب من خالتي منيرة وتلميحاتها ؟ لماذا تبدي غضبا لتأجيل زفافنا فربما هي فرصة لنا نحن الاثنين لنعيد التفكير "

شهقت بعنف وهو يمسك ساعديها بقسوة رهيبة ويشدها لصدره ليهمس قرب وجهها الشاحب المرتعش بنبرة مهددة " اياك واعادة هذا الكلام جدايل ! لقد وعدتني البقاء .. وعدتني انك ستفعلين كل شيء لازاحة هذا العبأ الثقيل عن صدري .. وانا افضل الموت على التفريط بك .. افضل ان اقتلك واقتل نفسي قبلها ...!! "

ارعبها كلامه وارعبتها نظراته ....

ماذا يجب ان تفعل الآن ؟!

عقلها لايسعفها وقلبها يخذلها ...

همس أخيرا بحشرجة نابضة بالعنف

" انت لي .. وسأقتل من يقترب منك .. ومن يحاول سلبك اياي "

ثم أخذ يتشممها بشغف دون حرج وسط الطريق الذي خلا الا من بعض السيارات العابرة...

توسلت اليه وقد شعرت انه سيتمادى وهي ستنهار " ايهم .. نحن وسط الشارع "

فيرد بصوت تقطعه العاطفة

" اذن تعالي نذهب لبيتنا .. فربما الحل كل الحل في هذا جديلتي .. عندها سنعرف الاجابات .. عندها سنواجه كل مخاوفنا ..."

لم تعد تفهم حقا ما يعنيه ... لكن ان تذهب معه كما يقترح بحرارة الآن وهو بهذه الحالة المرعبة فهو أمر بعيد عن مناله ..

حاولت ابعاده بينما تهمس " نحتاج ان نتكلم أيهم .. انا لن اظل اتخبط بين عاطفتك وافكارك التي تخفيها عني .."

رفعت وجهها اليه فتسأل بشجاعة رغم ألم الغيرة في عينيها " ماذا تكتب لك في رسائلها تجعلك بهذا الشك .. بهذا التقلب وبهذا القلق والغضب ؟ "

تتشوش نظراته فتصاب جدايل بالجزع !

ثم يقول اخيرا بنفس التشوش شابه بعض الحنين لماض قديم

" انها تريد احياء ارض بور .. تذكرني بما مضى .. تجعلني اعيش تلك الايام التي جمعتنا مذ رأيتها لاول مرة وهي بعمر الثانية عشرة ... كنت قد انتقلت للتو مع عائلتي للسكن في البيت المقابل لبيت جدها حيث كانت تعيش معه بعد وفاة والديها "

أكمل شاردا تماما فلم يعد يشعر بارتعاش الألم الذي يمزق جدايل بين يديه

" تزوجتها عندما بلغت الرابعة والعشرين .. عشنا زواجا غير تقليدي .. دللتها وحققت لها اي نزوة خطرت في بالها ... لم نكن عاديين ... اعرف هذا ... كل شيء في زواجنا كان..."

نزلت دموعها رغما عنها فتوسلته بالقول الهامس " يكفي.... اتوسل اليك ... لم أعد اريد ... ان اعرف ..."

حدق فيها أخيرا .. تغيرت نظراته واصبحت تخصها وحدها .. وكأنه انفصل في لحظة عن تلك الذكريات التي لاتكف عشتار على ما يبدو عن تذكيره بها ....

يداه اصبحتا اقل قسوة واكثر حرارة وهو ما زال يمسك بساعديها فقال بصوت رجولي

" هل تعرفين اني أتحدث عن هذا لأول مرة ! اقصد كل تاريخي مع عشتار ... اشعر انه يخرج من دمي فيلفظه جسمي بطريقة ما "

مال بوجهه وقبل اسفل عينها اليسرى فيهمس بحشرجة " انت تبكين صغيرتي ..."

شهقة ناعمة منها فيقبل عينها اليمنى مباشرة فترتعش انفاسها تأثرا ...

همست وهي ترفع كفيها لتتعلق بساعديه

" أخبرني المزيد ... انا وعدتك .. وما دام الامر يريحك فسيريحني في النهاية ..."

انفاسه تسارعت ليهمس لها بعاطفة جياشة

" كيف تفكرين .. مجرد التفكير.. في الانفصال عني ؟! انا احتاجك كالهواء الذي اتنفسه ولاحياة لي بدونك ... فقط .. اصبري علي .. احيانا اشعر أني مشوش .. وهي لاتكف عن زيادة التشوش ..."

عناد رهيب تفجر في داخل جدايل ورغبة مجنونة للقتال مباشرة مع عشتار ..

امرأة لأمرأة ...

تلك الانانية الخائنة التي لاتكف عن استغلال اي شيء لتؤثر فيه ...

نظرت اليه تتألق عيناها فتهمس بثقة

" اخبرني المزيد ....."

ذابت عيناه في تلك العينين الشجاعتين ... فتتجدد ثقته ويبعد اوهام المخاوف التي زرعتها فيه عشتار ...

قال اخيرا مسهبا بالذكريات " تأخر الحمل لثلاث سنوات لكننا لم نهتم ... وعندما حصل كان جنونا من نوع آخر ... "

غامت عيناه والذكريات الموجعة تلفظها شفتاه " تغير مزاجها واصبحت عصبية قلقة شديدة التعلق بذلك الحمل ثم ... فقدت الطفل .. لتدخل في كآبة ضارية.."

جمدت نظراته عندما أكمل " كان وقتا عصيبا لي ايضا على صعيد العمل مع الانهيار الاقتصاد العالمي وكنت ألهث لاحافظ على المؤسسة والخسارات تتوالى .. أما هي فلم تطق البقاء في البيت ولا العاصمة ولا الوطن بأجمعه فسافرت لتعيش في اسبانيا... "

توتر بشدة " كانت تطلبني على الدوام تبكي تريدني ان آتي قربها وانا .. لم استطع التواجد لاجلها دوما .. لبضعة اشهر تركتها دون ان استطيع السفر اليها ... ثم ... اتصلت بي ذات ليلة ... منهارة ... تخبرني بصلف انها ..."

وضعت جدايل يدها الصغيرة على فمه تهمس بألم لأجله " يكفي هذا ... يكفي ..."

كان ما يزال متوترا بل شعرت ان جسده عاد لتشنجه فاخذت تمرر يديها على ذراعيه هامسة برقة مداعبة

" ما رأيك ان نقضي نهار الغد معا ؟ منذ الصباح الباكر تعال وخذني لنفطر سوية ثم نقضي اليوم بأكمله في أي مكان يعجبك.."

لتضيف بمرح تخفي توترها هي

" سأكون طوع يمينك سيدي "

التمعت عيناه بشكل غريب ثم همس بغموض

" تذكري هذا غدا سمرائي ..."

زمجر عبر الهاتف " انا لم افعل شيئا هيفاء ! "

فترد عليه فصوت منخفض شع منه الغضب

" لا اريد ان ارفع صوتي وانت تعرف انك فعلت باسل فلاتنكر ... لاعرف كم تماديت مع تلك الحقيرة لكنني لن اسكت هذه المرة وادعي انك لم تتجاوز الحدود "

تنهد بضيق وقد بدأ الشعور بالاحباط ينهكه

" قلت لك هي من اوقفتني في ذلك الممر الخالي وكانت تطلب مساعدتي في طلب ترقيتها"

فتسخر هيفاء بالقول تخفي ألم غيرتها

" حقا؟! وماذا عرضت عليك كثمن لمساعدتها ؟ ان تتزوجك بالسر مثلا عندما تشعر ببعض الملل في حياتك الزوجية ؟ "

قال بصوت أجش

" أنا لن اتزوج عليك بالسر هيفاء .. لاني لااشعر بأي ملل معك .. انت تملأينني رضا بل تثيرين فيّ المزيد كلما ابديت شراسة كهذه في الغيرة عليّ "

اغاظها كلامه فترد عليه بقسوة

" انت واهم اذا كنت تظن اني اغار عليك .. انا احافظ على كرامتي .. والتزم بشروط اتفاقنا قبل الزواج .. والخيانة هو فراق ابدي بيني وبينك "

رد عليها يغيظها أكثر " بل أنت تغارين .. تقتلك الغيرة .. حبيبتي .. "

تزمجر بصوت مكتوم بينما يضحك باسل بخفة مضيفا بحشرجة عاطفية

" كل هذه الغيرة رغم اني لاأكف عن تأكيد اهميتك في حياتي .. واعترف لك صراحة بعشقي لك وتاثيرك علي قديم .. قديم يعود لعشر سنوات مضت عندما شاء القدر ان احضر عرسك .. ماذا تريدين أكثر من هذا يا شرسة ؟ كم اتمنى لو اني لم اطاوعك الليلة واتركك تبيتين عند اهلك "

ما زال الغيظ والغيرة يحركانها فتهدر فيه

" اقسم بالله يا باسل اني لن اسامحك ابدا على افعالك هذه مع النساء .. لن اصمت بعد الآن عن نظراتك التي تلاحق اي كعب عال يمر امامك ولن ...."

يقاطعها بسلاسة " لاتكوني متزمتة ! انه أشبه بمنظر جميل يسرق الانظار لااكثر .. لكن قلبي وجسدي على حد سواء معك أنت فقط ..."

اوشكت ان تصرخ عاليا فتوقظ كل افراد لكنها اكتفت بالقول " ساغلق الهاتف باسل لم أعد أتحمل صبيانيتك وتسفيهك للامور "

فيعاجلها بالسؤال " كيف ستنام شمس دون الدمى الحقيقية ؟"

الآن يثير غيظها بطريقة مختلفة !

لايعلم كم يؤثر بها اهتمامه بشمس ..

ماذا ستفعل مع هذا الرجل المراهق الذي تزوجته !

همست باحباط

" نمير خرج واشترى لها واحدة .. تصبح على خير "

فيرسل لها قبلة عبر الهاتف ويقول بصوت مبحوح " ساشتاق لثغرك .. انت مدينة لي بهذه الليلة وعليك التعويض في الغد "

تأففت بينما هو يضحك بجذل لتغلق الخط في وجهه !

صباح اليوم التالي ...

(عشقتك وعشقتني ... كان جنونا لذيذا يسري في عروقنا فتتوحد دماؤنا بفصيلة واحدة تخصنا وحدنا .. علمت ان الزفاف تأجل الا تظن ان تأجيله فيه اشارة واضحة لتعيد التفكير في كل ما جمعنا يوما ولن يجمعك مع امرأة اخرى سواي)

يطبق فكيه بقوة بينما يجلس في سيارته و يقرأ رسالتها له مرة اخرى ... هذه رسالة اليوم ارسلتها له هذا الصباح بل ارسلتها عند الفجر... وكل يوم تختار نفس التوقيت !

كأنها تصر على جعل تلك الرسائل تغريدة يومية صباحية ليبدأ يومه في تشوش وغضب.. ثم تختار آخر ساعات الليل لرسالة مسائية تحمل عبق عاطفي أشد وطءا...

ارتعشت يده من شدة التوتر بينما يمسح تلك الرسالة وبشراسة مستعرة اخذ يمسح كل الرسائل السابقة الاخرى ...

(انا وحيدة هنا ... ادفع حياتي كلها لقضاء ساعة واحدة معك ...في احضانك .. لابحث على صدرك عن ضحكات تخصني بها .. عن نظرات عشق تعلمته على يديك)

(انت تكرهني حقا أيهم ؟! افكر لو حصل لي شيء هل ستتركني ببساطة وتنسى السنوات التي جمعتنا ؟ لاأكف عن التفكير بجدي واني في أشد الحاجة اليه ...)

(الليلة لم استطع النوم ! مزقت كل ثيابي وكأني امزق نفسي معها .. اريد أن انتقم منها لاجلك .. اصبحت اعيش ألم فراقك مضاعفا فراق لقلبك وفراق لوجودك حولي)

رسائلها محيت كلها بينما يلهث متشنجا منهكا ....

يحتاج لجدايل .. يجب ان يكون مع جدايل ...

وبهدير وصخب اطلقه بسيارته اشبه بهدير روحه وصخب احتياجاته المجنونة .... انطلق .. متوجها اليها ..

هي تنتظره ..

لقد وعدته ....

وعدته البقاء ...

وعدته بفعل كل شيء لاجله ...

ارتدت بنطال جينز وقميصا وردي باهت ...

تركت شعرها على طبيعته بينما تبحث عن حذائها الصندل الخفيف ...

كانت شاردة ومتوجسة من شيء ما لاتعرف كنهه ... تشعر انها تساق لأمر ما وتخشى عدم قدرتها على التعامل معه وهي منهكة بهذه الطريقة ...

فتحت باب غرفتها على مهل حتى لاتوقظ خالتها ...

سعد الذي ينام مع امه في نفس الغرفة يخرج من السادسة صباحا ليهرول في الحي لساعتين او ربما أكثر ...

تطلعت لساعة يدها فوجدتها تشير للسابعة الا ربعا ...

حسن .. التوقيت مناسب جدا حتى تغادر دون ان تضطر لمواجهة أحد منهما ..

لقد كتبت رسالة لخالتها تعلمها بقضاء اليوم مع ايهم وستعلقها على باب البراد ..

لم تكن جدايل في مزاج للتبرير المباشر ولا محاولة المراوغة مع خالتها ...

لم تعد تحتمل الضغوط أكثر ..

الآن أيهم هو المهم ... لقد اختارته لتبقى معه ويكون لها وحدها ولن تتراجع مهما حصل ..

هو زوجها ومحنته اولى باهتمامها من مراعاة احلام خالتها منيرة التي لن تتحقق يوما مهما فعلت وخططت ...

تحركت بخطوات خفيفة تتجنب اصدار صوت، دخلت المطبخ تحمل الرسالة المقتضبة وعلقتها على باب البراد بقطعة مغناطيسية تحمل شكل زهرة وردية ...

ابتسمت جدايل عفويا وهي تفكر ان هذا المغناطيس الزهري كان هدية من خالتها عندما حضرت لاول مرة لتعيش في العاصمة معها وتكمل دراستها فيها ، اشترتها الخالة منيرة واخبرتها انه خاص بها لتعلق به اي ملاحظة او طلب تريده وتخجل من قوله وجها لوجه ..

تراجعت ابتسامة جدايل وهي تحدق بتلك الزهرة .. هذه المرة هي لاتخجل من خالتها وانما تشعر بالضغط منها ولاتستطيع مواجهتها برفض هذا الضغط ..

غادرت جدايل عتبة الباب لتنعشها رائحة الخريف فتبتسم وهي تتحرك عبر الحديقة نحو باب المرآب ، تقف خلف الباب ولايظهر الا رأسها من فوق حافته بينما تطالع الطريق بانتظار وصول ايهم الوشيك ...

تفاجأت جدايل وهي ترى من بعيد القامة الطويلة لابن خالتها بملابس رياضة رمادية تبرز عضلاته المفتولة ...

انه رياضي البنية والهيئة وملامح وجهه القوية ونظراته النفاذة بشكل طبيعي غير متعمد كل هذا يعطيه سمة رجولية خشنة تميزه ..

نظرت لساعتها فوجدتها قرابة السابعة ...

لقد عاد باكرا !

ابتلعت ريقها والقلق يتسرب اليها بينما تدعو ان يدخل سعد للبيت قبل وصول أيهم ..

بابتسامة بشوشة جذابة اقترب سعد مخففا من هرولته حتى وصل باب المرآب ففتحته جدايل على عجل ليدخل لكنه لم يفعل !

وقف جوارها ينهت بعض الشيء ليحدق فيها بتلك العينين القويتين بينما يمرر يده على شعره الذي يبالغ بتقصيره ليصبح شعره مجرد كسوة من زغب خشن رمادي ...

ابتسم لها وهو يقول غامزا

" الى اين تفرين باكرا يا ابنة خالتي ؟"

فتتورد بطريقة لذيذة وهي ترد بخجل انثوي

" أيهم .. سياتي وسنقضي اليوم ... معا "

ابتسامته اختلفت بينما يسبل اهدابه ويقول

" هل اخبرت أمي .. حتى لاتقلق عليك "

فترد وهي تكتم شعور الضيق

" نعم .. تركت لها رسالة على باب البراد لانها ما زالت نائمة "

هبة هواء الخريف اسقطت بعضا من اوراق الشجر فتحركها بشكل عشوائي نحوهما بينما يرفع سعد تلك النظرات المميزة اليها يبتسم قائلا بنبرة جدية

" اهتمي بنفسك عزيزتي واذا احتجت لأي شيء انا معك وسند لك ..."

بارتباك غريب تمكن منها حدقت فيه لتسقط ورقة واحدة فوق شعرها فيمد سعد يده عفويا يبعد الورقة البنية قائلا بنبرة رجولية

" ورقة شجر علقت بشعرك .. اسمحي لي "

انعقد لسانها بينما تحرك راسها عشوائيا فيتناثر شعرها فيبتسم سعد قائلا

" لاتتحركي يا صغيرة ! "

ضحك وهو يرمي الورقة بعيدا بينما تشكره جدايل وهي ترفع وجها متألقا بحمرة الخجل ..

للحظة غرق في عينيها لكنه سرعان ما ابعد نظراته بينما صوت عنيف لسيارة جنونية كصاحبها جعل جدايل تبهت بملامح قلقة ...

تضايق سعد من رؤية ملامحها تنقلب بهذه الطريقة !

هل يرهبها ذلك الرجل ؟!

شعر جدايل تتحرك لتتجاوز الباب ما ان توقفت السيارة الرياضية جنبهما ...

ترجل ايهم من السيارة وعيناه شرستان تحدقان في الاثنين معا !

ضيق سعد عينيه بينما يرى جدايل تقترب من ايهم وبطريقة ما تلامس صدره وكأنها تمتص شراسته !

بل انها تمتص أكثر من مشاعر الشراسة ..كل هذا لمجرد وقوفه مع جدايل ؟ وماذا لو كان رآه وهو يبعد ورقة الشجر عن شعرها ؟!!

لايعرف سعد ما همست به جدايل لأيهم فتجعله يسترخي ويده تمتد لخصرها بتملك واضح بينما هي ترتعش بابتسامتها ...

هناك ما يضايق سعد من علاقتهما لكنه لايريد التدخل خاصة ان أمه لاتعطيه المجال ليتصرف بحكمة كأبن خالة لجدايل ...

القى ايهم تحية باردة على سعد فيردها سعد بهدوء وطول بال ..

ثم أخذت جدايل تلوح له وهي تتحرك مع خطيبها ليساعدها بركوب السيارة ثم يلتف ليجلس في مقعد القيادة فتعود السيارة لهديرها الجنوني ...

لسبب مجهول ربما مجرد حدس شعر سعد
برغبة غير عادية لمنع ابنة خالته من
الذهاب !

بعد ساعات ...

" تعالي وشاركيني السباحة "

عبست جدايل برفض وهي تحدق في شقاوة
عينيه البندقيتين وشمس الصباح تزيد من
التماعهما بينما يستند بذراعيه مطويتين على
حافة حوض السباحة ...

غمز لها بينما يبتسم بعاطفية هامسا

" بامكانك خلع قميصك وبنطالك
والسباحة بملابسك .. الداخلية .."

تخضبت وجنتاها لتوبخه بالقول

" تعرف اني لن افعل "

فيدعي البراءة وهو يسألها

" لماذا لن تفعلي ؟! اذا كنت تخشين الجيران
فالبيوت هنا متباعدة وهذا الجزء من خلفية
المنزل معزولة عن كل الاعين ..."

تأففت وهي تدير وجهها بعيدا عنه بينما
ترتشف من عصيرها بغيظ فيعاود مشاكستها
بالهمس بحرارة عاطفية

" بامكانك خلع حتى ملابسك الداخلية لو
شئت "

وضعت قدح العصير بقوة على المنضدة امامها بينما تعقد حاجبيها وتقول وهي تنهت من الخجل " لاتكن قليل الحياء ايهم ! "

فيضحك ضحكة القلب التي تبهج اوتار قلبها فيحرك جسده للخلف ليسبح ببشاشة وهي تراقبه بارتعاش ...

انها سعيدة ... سعيدة جدا .. منذ الصباح عندما أتى ليقلها وهي تشعر بالاسترخاء يعود لها معه ...

عندما رآها مع سعد عند باب المرآب اصابها الهلع وهي تفكر ان كان رأى سعد يلتقط الورقة من شعرها ام لا !

وفي كل الاحوال سارعت لتتقدم منه تلامس صدره بيديها تهمس لاذنه بكل العشق الذي تكنه له " اشتقت لك .."

فيسترخي تماما لتسترخي هي معه ...

ثم يمنحها رحلة رائعة وكأنه استعاد ثبات افكاره ...

لقد اصر ان يقضيا النهار في بيتهما الجديد كما أصر على اعداد طعام الافطار لهما بنفسه ...

كان مشاكسا عاطفيا وهو يطعمها بيده ..

وعندما ارادت رفع الصحون سحبها من يدها ليوقعها في حجره و باشتياق لايقل عن اشتياقه كانت تبادله القبلات المجنونة ..

قبلات وعاطفة تزيد من ثقتها .. تزيد من احساسها بالقرب منه ...

ورغم عنف القبلات لم يتجاوز معها الحدود مما اثار استغرابها بعض الشيء لكنها شعرت بالراحة أكثر وتلاشى توترها تماما وهي تعيش معه ساعات ملكها وحدها ..

هي وحدها معه ... لاترى في عينيه الا الاشتياق ولاتحمل ابتسامته الا شقاوة قبلاته ..

" سمرائي هلا احضرت لي المنشفة لو سمحت "

فتهمس بنعم بينما تتحرك ملتقطة منشفته من على الكرسي القريب وتتحرك نحوه تمدها اليه وهو يتسلق السلم الحديدي ...

وقفت امامه تشعر بالحرج كونه لايرتدي الا كسوة السباحة والماء يقطر منه ..

تدير وجهها المحمر جانبا وهي ما زالت تمد يدها بالمنشفة ...

شعرت بالغيظ وهو لايأخذها منها فالتفتت اليه تناظره بغيظ فلمحت ابتسامته الشقية قبل تشهق بعنف وهو يسحبها اليه ويجرها معه عائدا لحوض السباحة ..

الماء وأيهم يحاوطانها من كل جانب وللحظة شعرت انها ستغرق وهي تبتلع الماء لترفعها كفان قويتان للاعلى وتخرجانها فوق الماء وهي تشهق وتسعل ...

يضحك من قلبه ويقربها لجسده يقبل عنقها
وهو ما يزال يضحك بينما اخذت جدايل
تضربه على كتفيه وتشتمه حتى !

همس اسمها بشغف " جديلتي .. جديلتي
السمراء .. كم أنت مغرية "

اخذت تدفعه وقلبها يقفز قفزا في صدرها ..

لكنه لم يبتعد بينما يحتضنها بقوة محافظا
بحركة ساقيه على بقائهما طافيين فوق
سطح الماء ...

قال لها اخيرا وهو يخفي حرارة نظراته عنها
ليحدق في شفتيها المبللتين

" قلت لك تعالي واسبحي معي .. انت من
اجبرني على فعل هذا .."

كانت مرتبكة خجلة لابعد حد وهي ترى
قميصها ملتصق بجسدها ..

قالت له وهي تبعد شعرها المبلل عن وجهها

" ارجوك أيهم .. دعني أخرج .."

فهز رأسه بالرفض قبل حتى ان تتم كلامها
لتتسع ابتسامته وهو يقول بالحاح رقيق

" لااريد الا ان نسبح معا وانت ترتدين
ملابسك كاملة فماذا هناك لتشتكي
منه؟"

عبست بطفولية ثم عاودت دفعه وهي تقول
بغيظ " حسن ساسبح لكن ابتعد عني
ولاتخنقني باعتصارك لجسدي هكذا "

يضحك مرة اخرى ليترك جسدها على حين غرة فتنزل تحت الماء لتعاود الخروج وهي تنظر اليها بغضب ...

لم يضايقها اكثر وترك لها حرية التعود على السباحة معه وعندما تآلفت... تألقت... شعت حيوية وشقاوة أنثوية ألهبته وبراءة فطرية أسرت مجامع قلبه ...

كتلة العسل اللاذع هذه ملكه ..

آآآآآآه ... ملكه ...

في اسبانيا ...

تحدق في نار الطباخ التي اشعلتها للتو لتطهو بعض الطعام ... كانت تفكر باعداد حلوى خاصة ترفع بها بعض معنوياتها لكن ما ان اشعلت تلك النار الزرقاء في العين الدائرية حتى تأججت النيران في قلبها ووقفت عشتار مسمرة قبالتها ...

تخنقها شهقة بكاء وعيناها الزرقاوان لاتحيدان بعيدا عن تلك النيران ...

انها تموت كل يوم وهي تفكر فيه بل تموت في كل ساعة ... صحيح انها تخطط وتنفذ بالفعل مخططها لاستعادته لكنها.. مرتعبة !

مرتعبة من فقدانه الى الابد ..

والغيرة تمزقها... تنشب اظافرها الوحشية في روحها وتتسلى بتمزيق احلامها التي تخشى ان تصدق انها مستحيلة ..

تتشبث بالاحلام في يقظتها لكن الكوابيس
تهاجمها في منامها فتصحو في جوف الليل
مختنقة الانفاس من تلك الكوابيس
المتكررة بفحواها .. كلها تدور حول أيهم
وهو ينادي السمراء ويركض خلفها بينما هي
عشتار عاجزة عن مناداته او اللحاق به !

سقطت دمعة تبعتها اخرى والنيران تتوهج ...

بعد ساعة... في الوطن ...

عاد اليها غضبها وحنقها بينما يضحك أيهم
على منظرها وهي تقف خارج حوض السباحة
تلتف بالمناشف الكبيرة وحائرة تفكر ماذا
سترتدي بعد تبلل ملابسها بالكامل ..

ارتدي بلوزة قطنية ثم احضر منشفة اخرى
ورغما عنها لفها حول ساقيها وبحركة واحدة
رفعها بين ذراعيه حاملا اياه لداخل المنزل ..

كانت تعترض وهي تتلوى داخل شرنقة
المناشف بينما هو يضحك ...

صعد بها درجات السلم فتراءى الخوف في
عينيها اللامعتين فسألته بصوت متحشرج

" الى اين تأخذني ؟"

فيرد وهو يميل ليقبل شفتيها بخفة

" لغرفة صغيرة مع حمام .. خذي حماما دافئا
وانا ساحضر لك فستانا اشتريته لك من فترة
وللاسف مضطر للتضحية باحلامي حول
الفستان لاني لااملك ملابس اخرى تناسبك "

رمشت وهي لاتفهم ما يعنيه فيوضح لها بشقاوة وهو يغمز " لقد اشتريته مع الفستان الذهبي لعقد القران لكني ادخرته كهدية في ليلة خاصة من ليالي شهر العسل وها أنت ستفسدين متعة مخططاتي ! "

كان يضحك باستمتاع وخلو بال فعاد بعض الاطمئنان لها لكن التوجس ... موجود ..

انزلها وسط غرفة دافئة الالوان بتدرجات البنيّ ذات سرير عريض مزخرف وخزانات بنفس الزخرفة.. وعلى يمين السرير لاحظت وجود الحمام ..

لامس خدها الرطب وعيناه تتوهجان هامسا

" انت لم تري هذه الغرفة سابقا ، أحببت جعلها كغرفة للضيوف ففرشتها مؤخرا على ذوقي ... وبما انك ضيفتي اليوم فيمكنك استخدامها.. سأحضر لك الفستان حالا يا سمرائي .."

غاب لدقائق وهي مسمّرة مكانها متشرنقة بأكوام المناشف التي ثقل وزنها وهي تمتص المياه الناضحة من ملابسها ...

عاد ليرفع حاجبيه باستغراب

" لماذا لم تدخلي الحمام حتى الآن ؟!"

فترد وعيناها على الثوب اللامع بلون الدراق

" انتظر ان تأتيني بالفستان اولا لاغلق بعدها باب الغرفة "

ابتسم وهو يضع الفستان جانبا على السرير ثم يقترب منها فتتراجع للخلف وتتعثر بذيل المنشفة التي تشد ساقيها فتسقط ارضا بينما يضحك أيهم وهو يتخصر امامها ..

قالت وهي تضرب بكفها على الارض

" اخرج من هنا ! اريد ان انزع ملابسي المبللة اكاد ارتجف من البرد "

فيبتسم ابتسامة حارة هامسا برقة

" دعيني اساعدك بخلعها .. انها ثقيلة عليك يا صغيرة "

رفعت سبابتها تهدده رغم جيشان مشاعرها نحوه " ابتعد يا ابن سليماني .. انت لاتعرف شراستي عندما اغضب ..."

فيضحك بخفة وهو يسبل اهدابه هامسا بمرح ظاهري " بل اعرف انك تضربين وتركلين وتشتمين حتى ..."

كان يمازحها لكنها ادركت بحدس انثوي شفاف انه يقاومها حتى لايتهور معها ...

غادر وهو يغمز لها قبل ان يغلق الباب خلفه فسارعت جدايل لتبعد المناشف عنها ثم تركض ناحية الباب وتغلقه بالمفتاح فتتنفس الصعداء وتتحرك ناحية الحمام باطمئنان ...

مر وقت طويل نسبيا قبل ان تنهي حمامها

وتعتصر ملابسها لتنشرها على حافة الحوض

حتى تسأل ايهم عن مكان افضل لنشرها او

ربما طريقة لتجفيفها ..

اصابها الضيق وهي تتلفت حولها في الحمام

لانها لم تجد منشفة كبيرة كما ان أيهم لم

يحضر لها واحدة نظيفة ، تنهدت وهي

تكتفي بالمنشفة الصغيرة الخاصة بتجفيف

اليد لتجفف بها جسدها وشعرها الطويل ..

خرجت من الحمام وهي تخجل من عريها

وتفكر ماذا ستفعل الآن وليس لديها حتى

ملابس داخلية ..

التقطت الفستان الذي احضره أيهم فاحمرت

وهي ترى قصره ... ارتدته على مضض شاكرة

لتصميمه الذي لايحتاج لملابس داخلية

لكنها فزعت من انكشاف كتفيها !

حدقت في صورتها في المرآة وهلعها يتصاعد

الفستان معلق على كتفيها بحمالات رفيعة

لينحدر الفستان ملاصقا لثنايا جسدها حتى

يصل لركبتيها .. لا .. ما فوق ركبتيها !

اوشكت ان تبكي جزعا وهي ترى نفسها !

الفستان مكشوف .. مكشوف جدا ..

ماذا ستفعل ؟ كيف ستخرج اليه هكذا ؟!

كيف ستقضي باقي اليوم بهذا الفستان قبل

ان تجف ملابسها ؟!

انه فستان رائع لاتنكر ... وجعلها تبدو دافئة مغرية .. لكنه مكشوف بل انه خليع في عرفها ....

نقرات على باب الغرفة اجفلتها ...

لاشعوريا شهقت وهي تضع يدها على فمها ..

يتصارع داخلها شعوران ..

شعور مرتاب بالخوف من ردة فعله..

وشعور فطري متلهف لتعرف ان كانت ستعجبه بهذا الفستان ...

ناداها من خلف الباب بمرح

" هل ستبيتين عندك جديلتي ؟! لاتقولي انك تخجلين من الظهور امامي بفستانك الجديد ..! "

لم تستطع الرد ...

" لقد اعددت الافطار يا متلاعبة لكنه دورك لتساعديني في اعداد الغداء ..."

كان هو يشاكسها مرة اخرى ليجعلها تفتح الباب ..

اقتربت وهي حافية القدمين تلهث وهي تقول له عبر الباب المغلق " لااستطيع فتح الباب .."

فيسألها بجدية واهتمام صادق

" هل هناك مشكلة حبيبتي ؟ هل المفتاح علق ؟ "

انتفضت روحها لينتفض جسدها في استجابة قوية .....!

لايعرف ماذا فعل بها ... لقد ناداها.. حبيبتي !

ترقرقت عيناها بالدموع وذاب قلبها ذوبانا وهي تمد يدها المرتعشة لتفتح الباب تواربه فقط وتطل بعين واحدة دامعة تنظر اليه بصمت ..

ارتفع حاجباه دهشة ليحاول ان يدفع الباب برفق وهو يقول بقلق " ماذا هناك ؟ هل آذيت نفسك ؟ هل وقعتِ في الحمام ؟"

لم تدعه يفتح الباب أكثر بينما اخذت تهز راسها نفيا ليسألها بقلق مضاعف

" دعيني ادخل جدايل .. ماذا هناك ؟ دعيني اساعدك لاتخجلي مني ... "

همست وعيناها معلقة بعينيه القلقتين

" انت... أنت ناديتني .. حبيبتـ..ي ..."

هذه المرة اتسعت عيناه ذهولا ..

وكأنه لم يدرك ما قاله لسانه !

بينما تلك الصغيرة السمراء تتدارى بكل جسدها ومعظم وجهها خلف الباب تمنح بعين واحدة دامعة معينا لاينضب من جدولها الرقراق ...

اخذ يدفع الباب بضراوة عاطفية يهمس بصوت مبحوح " دعيني ادخل ... الآن ... "

تملكها الارتعاش وهي ترى ضراوته في الوصول اليها .. كان اقوى منها وهو يدفع الباب ليدخل وهي تتراجع للخلف ...

انفاسه باتت خشنة وهو يحدق فيها من اعلى

رأسها بشعرها الرطب ووجهها المحمر ..

شفتاها مرتعشتان وعيناها المتسعتان تفيضان

عشقا وتأثرا به ... يقترب خطوة لاهثا وعيناه

تمران بنظرات حارة على جيدها ... كتفيها

المكشوفين .. حناياها الانثوية في هذا

الثوب الذي حلم يوما ان يراها تلبس مثله ...

فقد اتزانه والجوع الرهيب يغزوه...

يستعمره باحتياجات لاتطيق انتظارا ...

يريد ان يشعر بانسانيته ...معها هي ...

لايعقل .. لايعقل انها لن تمنحه ما يريد ...

انها هي ... مؤكد هي ...

هي جدايل التي ستخبره ...

التفت ذراعاه حول جسدها في عنف عاطفي

مدمر بينما تختض هي ضائعة تحمل نحوه

جوعا من نوع آخر ... جوع لقلبه ....

سقط فستانها أرضا وقد جن جنون أيهم من

شدة الشوق اليها .....

الفصل الخامس عشر

ركضت في هستيرية مفجوعة ناحية الحمام
وصوت همساتها المولولة تسابق خطواتها
المتعثرة المنهارة ... دخلت بانفاس متقطعة
لتغلق الباب بالمفتاح ثم تنهار بركبتيها على
الرخام البارد وعيناها جاحظتان من الصدمة
بينما ما زالت تهمس بولولة غير مفهومة حتى
لاذنيها .....

عارية .. مشعثة الشعر بتشابك مجنون
مدموغة الجسد كما مدموغة الروح...

صوت خطواته تقترب من الحمام وانفاسه
اللاهثة تسابق ندائه لها " جدايل ...جدايل "

تنود براسها يمينا ويسارا وما زالت الصدمة
تمنع استجابتها لذلك النداء ...

فتأتيها توسلاته وهو يطرق الباب عليها هامسا
بتحشرج عاطفي

" افتحي الباب ... اتوسل اليك افتحي الباب ...
جدايل ... انت زوجتي .. لم يحصل ....خطأ ..."

عندها هاج رأسها في حركته المجنونة
لتخرج من صدمتها على صراخ هستيري

" ارحل ... ارررررررررررحل .. اتركني وحدي .."

يناديها بلوعة ونبرته محملة بالذنب

" جدايل ... أنا ..."

تقاطعه بهستيرية أشد وقد تشققت حنجرتها بعويل مكلوم " لا تنطق باسمي .. ارحل ... ارررررررررررررررحل ... "

ضربات خفيفة من كفه على باب الحمام وكأنه يعبر بعشوائية عن عجزه ليهمس بحشرجة " لااستطيع تركك هكذا .. يجب ان نتكلم .. "

تهب كمجنونة لتبدأ هي بضربات هستيرية على الباب من ناحيتها وكأنها توجه الضربات له مباشرة بينما تصرخ

" انت بلا رحمة .. بلا قلب .. اترك الغرفة حالا .. اريد ان اظل وحدي ... لااريد .. لااريد ان اسمع منك شيئا ... "

غرق وجهها بالدموع لتنهار على ركبتيها مرة أخرى تسند خدها المبلل للباب ليتحول غضبها لتوسل يشق القلب

" فقط اتركني وحدي .. اتوسل اليك .. لو كنت امثل لك أي شيء .. أي قيمة .. فقط اتركني وحدي .. فقط لاتُسمعني صوتك الآن ..."

مرت لحظات وهي بهذا الانهيار لتسمع اخيرا حركته في الغرفة ثم صوت الباب يغلق فخرت بوجهها للارض تنام على جنبها وتسحب ساقيها اليها بوضع الجنين ثم تستسلم لبكاء مرير....

مر الوقت ولاتعرف كم مر ...

لكن جمود اصابها من كثرة النواح وكأنه افرغها من اي شعور ...

لتنهض اخيرا وتغتسل بنفس الجمود ثم تخرج مترنحة واول ما فعلته ذهبت لباب الغرفة واغلقته بالمفتاح ...

لم تنظر للسرير الذي يحمل اثار الصخب العاطفي المجنون فقط تسحب احدى اغطيته وتلفه حول جسدها المنهك ...

ارخت ساقيها لتجلس ارضا على السجادة الوثيرة البنية كقطعة شوكلاته .. تحدق في ذلك اللون وتمرر يدها تتحسس ملمس السجادة وعقلها فارغ تماما ....

فجأة طرق على الباب جعلها ترتعد وهي ترفع وجهها تحدق ناحيته بشحوب ...

ناداها وهي لاترد ...

ولو كانت في وعيها لادركت من نبرته انه غير طبيعي ويرتجف من اخمص قدميه لقمة رأسه ..

عاد يناديها بارتجاف " جدايل ....جدايل "

تشد الغطاء حولها اكثر بينما هو يستمر بالنداء ...

صرخت بتشنج " ماذا تريد ؟ "

فيأتيها صوته المرتجف

" افتحي الباب يجب ان نتكلم .."

فترد عليه بقساوة " لن افتح الباب وسأظل هنا حتى تجف ملابسي و ....."

فيقاطعها وقد بدا منهارا بطريقة غريبة

" افتحي الباب ارجوك .. حصل امر خطير طارئ يخص ... يخصني..... ويجب ان اسافر في الحال .. طائرتي ستقلع بعد ساعة .."

لم ترد ....

فيأتيها صوته متألما " جدايل افتحي .. اريد ان أراك قبل ان ارحل .. لاتجعليني اسافر هكذا دون ان اطمئن عليك ... "

تضرب بقبضتيها على الارض وتهدر فيه

" لا .. لن تراني .. اذهب .. لااريد ان اراك "

فيزفر بقوة قبل ان يهمس بارتعاش

" آسف صغيـ..."

تصرخ فيه وهي تهب على قدميها

" اخرس .. فقط اخرس وارحل ..."

ثم تقترب بهستيرية من الباب وتضربها بقبضتها وهي تكرر بدموع مستفيضة

" لااريدك .. اخرس وارحل عني .. لااريد سماع صوتك ابدا ... ابدا ...."

بدى مشتتا حائرا محطما وهو يقول

" لن أتأخر ... سأ...."

قاطعتها بركلة من قدمها على الباب وهي تصرخ مرة اخرى

" اذهب .. لااطيق المزيد .. اليس في قلبك رحمة ؟! لااريد ان اسمع شيئا "

اصوات اشبه ببوق سيارة وارتفع رنين هاتفه النقال ليقول اخيرا " أتت سيارة الاجرة التي ستقلني للمطار.. وسيارة اجرة اخرى تنتظرك متى ما اردت المغادرة .. دفعت له ليوم كامل هو رهن تصرفك ... هناك ... مجففة الملابس في الاسفل... في غرفة الغسيل .. خذي كل الوقت حتى ترتاحي وتستعدي للمغادرة ... الحارس الامني عند البوابة هو من سيتكفل باغلاق كل شيء فلا تتعبي نفسك..."

شعرت بالدوار فلم تعد تقو على الصراخ ولا الانهيار فالتزمت الصمت بينما تسمعه يقول بتحشرج " الى اللقاء .. لااعلم متى بالضبط سأعود ... لكني سأتصل بك ..."

غادرت خطواته بعيدا عن مسامعها ومع كل خطوة تشعر ان روحها تغادرها فتداهمها رياح قارصة البرودة جعلتها تختض بصقيع داخلي ..

مرت ساعة قبل ان تستعيد ادراكها الكامل وان عليها ان تغادر هذا البيت بأقرب وقت ...

وضعت ملابسها بماكنة التجفيف ثم سارت بخطوات بليدة متلحفة بنفس الغطاء تبحث بين الغرف عسى ان تجد مشطا تفك به شباك شعرها قبل ان تعود لبيت خالتها ..

لم تجد مشطا الا في غرفته ...

وقفت وسط تلك الغرفة دون ان تجذبها روعتها .... يفترض ان تكون غرفتهما معا بعد الزواج ....

لكن كل ما شعرت به هو الألم المبرح وعطره في المكان يجلدها بالسياط ..

اغمضت عينيها علّها تطفئ بعض الألم ...

لكن الألم يشتد ورائحة عطره تذكرها برائحة جلده التي تذوقتها .. وكيف لا وقد اصبحت امرأته!

اختضت جدايل وهي تتذكر همساتها المتوسلة عندما اسقط فستانها أرضا وجن جنونه ليكسر كل الحدود بينهما ...

(لا .. ايهم ...لا ... لاأيهم ...لا ...)

بضعة حروف تشكلت على لسانها وتسربت من بين شفتيها بهمس مخزٍ .. فلا جسدها صدقها ولا أيهم اخذ بها !

كان شرهاً..!

شرهاً لينالها بطريقته المستعبدة ...

مهووساً ليترك اثره على كل شبر منها .. روحا وجسدا ... لم يترك لها شيء !

لقد اقتات عليها بشراهة ولم يلفظ حتى بقاياها على امل ان تلملمها يوما ..!

لم يبق منها شيء ... لاشيء على الاطلاق ..

لقد... ابتلعها ...!

ذلك البئر الذي شاء سوء حظها ان تمر به
يوما فيثير فضولها لتمد رأسها ببراءة وتنظر
لعمقه ...

نظرت ... فعشقت ... ثم اختل توزانها بالكامل
لتسقط فيه... واستسلمت لهذا التهاوي البطيء
حتى ادركت نهاية البئر المظلمة التي
ابتلعتها تخفي ما كانت تخشى جدايل حدوثه
دوما ...

تحطمها على قاعه القاسي كحجر الصوان ...

دمعة واحدة سالت كانت كمسك الختام
لواحة مترعة بدموع الألم والندم ....

ارتدت ملابسها وكانت تستعد للمغادرة وهي ما
زالت مترنحة من هول ما حصل ...

بضع خطوات عندما رن الهاتف الارضي !

ارتبكت وتجمدت مكانها وكانت تتوقعه
أيهم وقد اتصل بها مرارا وتكرار على هاتفها
النقال دون ان ترد ...

لكنه توقف منذ نصف ساعة فلماذا يتصل
الآن ...

الرنين استمر واستمر وهي مسمرة مكانها
لاتجد قوة لتخطو ولو خطوة واحدة ...

انتهى الرنين فجاء صوت ايهم الترحيبي
لاستقبال الرسائل الصوتية فارتعشت رغما
عنها وهي تتذكر همساته قبل ان يمتلكها ..

صوت صفارة نشاز قوي ليأتيها آخر صوت
توقعت ان تسمعه الآن تحديدا

لقد كانت ... عشتار !

لوقت ممتد وكأنه بلا نهاية ولمرات لاتحصى
كانت جدايل تعيد سماع الرسالة الصوتية
وهي جامدة النظرات محطمة الى قاعها ..

صوت عشتار باك متألم وهي تهمس بصوت
متقطع غريب يفيض عشقا واحتياجا

(اين أنت؟ .. هاتفك مغلق ... كم... اتمنى ان
تكون الان على متن الطائرة التي ستحملك
الي ... انا اتألم... بشدة أيهم ... لاتتأخر في
الحضور .. انت .. كل ما لدي... في.. هذه
الدنيا ...)

بعد ثلاثة ايام ...

كان سعد يكبت غيظه بشق الانفس فأمه
كالعادة لاتعطيه المجال ليتصرف بما فيه
مصلحة جدايل ...

الفتاة منهارة بجمود تام منذ ثلاثة ايام وامه
لاتفعل الا الولولة عليها والدعاء بالشر على
أيهم وكلما أتصل الرجل بالهاتف تصرخ فيه
وتتوعده على حال (ابنتها) كما تصفها ...

وهو قد اتصل عشرات المرات وأمه لم تقصر ..
فساعة تصرخ فيه وساعة لاترد وساعة تغلق
الخط بوجهه !

وها هو سعد يقف بجانبها بينما أمه تكلم أيهم بطريقتها المستفزة تقول له ببرود انها لاتسمح له بالوصول لجدايل ...

والحق يقال جدايل ايضا لاتستجيب ولاتبدي اي ردة فعل لمعرفتها بمكالمتها المستمرة يسأل عنها .... بل بدى مجنونا ليكلمها لكن أمه لاتجيد التصرف وتزيد الطين بلّة !

اما سعد فيشعر بالعجز وهو يخشى التدخل بنفسه فربما سيكون الامر بتأثير عكسي سلبي مع شخصية كأيهم ووضع مربك غامض كوضع هذا الرجل مع ابنة خالته جدايل ....

بدأت موجة الصراخ لأمه تزداد بحدتها عن المعتاد فتكهن سعد ان ما يخشاه بدأ في الحصول وان أيهم فقد اعصابه معها ...

عندها قرر سعد أن يكفي !

مد يده ناحية أمه وهو يقول بعبوس صارم

" امي اعطني السماعة لو سمحت "

كانت منيرة على وشك الرفض لكن عندما رأت عبوسه تفاءلت خيرا ان ينهي ابنها الامر مع هذا الرجل الكريه ...

التقط سماعة الهاتف ليضعها على اذنه بينما يسمع هدير أيهم وهو ما زال يوجه كلامه لأمه

" سيدة منيرة لقد انتهى صبري تماما معك ولايحق لك منع جدايل عني "

قال سعد بنبرة موزونة " معك سعد الان ...
هلا افهمتنا بهدوء ماذا يحصل لابنتنا معك؟"

جاء صوت أيهم يغلي " لو سمحت اعطني
جدايل ... اريد مكالمتها "

فيرد سعد بهدوء كاتما غضبه " يبدو انك
لاتفهم الصورة بشكل صحيح .. جدايل
لاتغادر غرفتها منذ ثلاثة ايام تعتكف
هناك وترفض الكلام مع ايا منا .. حتى
اضطررنا للكذب على والدها بأنها مصابة
بالتهاب الحلق ولاتستطيع الرد على
مكالماته... نفعل هذا ونحن انفسنا ندور في
حلقة مفرغة من التكهن والقلق لما اصاب
جدايل وحالها الغريب ..."

صوت انفاس أيهم كانت تصل سعد بوضوح ..
الرجل يعاني ويبدو منهكا بشكل واضح
لكن مصلحة جدايل أهم من أي تعاطف
محتمل ... فاضاف سعد بحزم

" انا انتظر تفسيرا ... "

هدر فيه ايهم وقد فقد اعصابه

" ومن أنت لتطلب ؟"

فيرد سعد بتصلب " انا ابن خالة خطيبتك
ومسؤول عنها هنا ..."

فيصراخ به ايهم" انا هو الوحيد المسؤول
وجدايل زوجتي وليست خطيبتي .."

امسك سعد نفسه حتى لايفقد اعصابه
فيكفي ان الرجل فاقد وتحت ضغط واضح

قال سعد بنبرة متزنة لاتخلو من الاتهام

" حسنا بما انك المسؤول وهي زوجتك فهلا
اخبرتنا كيف خرجت بصحبتك صباح
الجمعة مشرقة مبتهجة لتعود الينا عند
المغرب بمفردها وبسيارة اجرة تترنح تحطما
بينما تكتفي بالقول انك اضطررت للسفر ...
ومنذ ثلاث ايام وهي حبيسة جدران غرفتها
تنازع كعصفور ضعيف بينما تطعمها امي بشق
الانفس حتى لاتنهار جسديا على الاقل .. انها
ترفض استقبال حتى صديقتها الوحيدة هيفاء
وترفض الكلام مع امي وترفض تلقي
مكالماتك انت ايضا ... لقد اخفينا الامر عن
والدها حتى الآن منعا لأن يكبر الموضوع
اكثر ونحن لانفهم حقيقة ما حصل ..."

بدى صوت أيهم مثخنا بالجراح وهو يعترف
بهمس خشن " انا .. اخطأت بحقها ..."

تطابق فكا سعد واعتصر السماعة في يده
وود لو يرى وجه أيهم امامه الآن فياخذ ثأر
جدايل منه ...

وكم يخشى ان الخطأ كبير ولايمكن
اصلاحه ....

تحامل سعد على نفسه ليقول بنبرة جافة

" اذن سيد أيهم يفترض ان تأتي بنفسك بدلا
من هذه المكالمات غير المجدية "

عندها دهش سعد وهو يلتقط ارتعاشا في نبرة صوت ايهم وهو يقول " شخص.... مسؤول مني.... تعرض لحادث وهو ما زال في المستشفى بحالة شبه حرجة تحتاج للمراقبة .. لذلك سافرت على وجه السرعة يوم الجمعة قبل أن احل.... الاشكال مع جدايل .. انا مضطر للبقاء .. لاسبوع آخر ..و ربما... أكثر ..."

تمتم سعد " شافاه اللّه ..."

ثم اضاف بجدية " حسن ... ابنتنا في بيتها وهي عزيزة مصانة وانصحك ان لاتتأخر كثيرا فالموضوع سيكبر ولن يصغر ... "

ثم القى وداعا واغلق الخط ...

هدرت منيرة في ابنها بغيظ شديد

" لماذا لم تقل له ان يتركها ؟! فليفسخ عقد الزواج التعيس هذا ويريحنا منه ومن الهموم التي يحملها لصغيرتي المسكينة "

رد سعد بصراخ غاضب وعينيه القويتي الهيئة بطبيعتهما تزداد قوة

" امي الا تدركين حقا ما تفعلين ؟"

تفاجأت الام من ردة فعل ابنها ...؟!

دوما كان هكذا .. يصمت يصمت ثم ينفجر!

تقبضت يده وهو يرفعها في توتر امامه يخفض صوته الغاضب متعمدا حتى لاتسمعه جدايل فينتفض بالقول

" يكفي امي يكفي ... ابنتنا بحاجة لدعمنا وليس لنضغط عليها اكثر .. الا تشعرين بمعاناتها ؟ انها محطمة ... ! وانت كل ما تفكرين به ان تترك أيهم لاتزوجها أنا ! اي منطق فجّ هذا ؟!! "

دافعت الام عن نفسها وقد احمرت وجنتاها تحاول اقناع نفسها قبل اقناع ولدها

" لست هكذا يا سعد ! انا حقا اهتم لاجل جدايل انها ابنتي .. ربيبتي .. حتى لو لم تتزوجها انت فأنا ساظل غير مرتاحة لارتباطها بذلك الرجل ، وانظر ماذا فعل بها ونحن نتخبط في الظلمات .. لاتلمني ان كنت اراك اولى ان تتزوجها لتعتني كما تفعل الآن... "

تشنج جسده بمزيد من الغضب المكبوت ليقول بنفس النبرة المنخفضة الغاضبة

" سأقولها مرة واحدة امي .. اذا اعدت التلميح ولو من بعيد لموضوع فسخ زواج جدايل وارتباطها بي فانا سأعود من حيث أتيت "

فتضرب منيرة على صدرها جزعا تهمس باسمه عتبا والتياعا " سعد ! "

لكنه لم يرضخ لامومتها فقد فاق الامر كل الحدود ليقول بنبرة معتدلة الآن

" عذرا اماه .. الامر اصبح لايطاق والفتاة ستضيع منا ان لم نسندها وندعمها ..."

ثم تحرك مبتعدا وهو يقول " سأدخل اليها وأكلمها بمفردي ..."

طرق باب غرفتها قبل ان يقول بصوت واضح النبرات " جدايل هذا أنا سعد اود التكلم معك ..."

شعر بحركة خفيفة قبل ان يأتي صوتها الباهت تأذن له بالدخول ....

انتظر بضع لحظات أخر قبل ان يفتح الباب ..

كانت المرة الاولى التي يراها او ينظر اليها بشكل مباشر منذ عودتها المنهارة يوم الجمعة ...

لم يكن في البيت طوال الوقت فلديه ترتيبات يعدها تمهيدا لعمل قد يفتتحه في المستقبل ...

لكن خلال تواجده هنا كان يكتفي السؤال عنها من امه ويلمحها احيانا عبر الباب المفتوح لغرفتها بينما امه تجلس قربها على السرير تتحايل لاطعامها بيدها ...

فيكتفي بأن يغض الطرف وتتفاعل في داخله مشاعر الغضب ....

فيصمت ...

رآها الآن بوضوح بجسدها النحيل الغارق بين اغطيتها .. بدت أكثر نحولا.. باهته الملامح مرهقة النظرات ... مُعذِبة للقلب كطفلة شريدة ...

سحب كرسيا ليجلس عليه تاركا مسافه متر واحد بينه وبينها ...

يريدها ان تسمعه بوضوح لانها تحتاج ان تستفيق من حالتها هذه ...

ربما يطمع ان تثق به لتخبره بما حصل لكن اليقين مترسخ فيه.. انها لن تفعل !

ليس لعدم الثقة ولكن لهول ما حصل وتبدو جدايل غير قادرة عن الافصاح لأي مخلوق ..

حدق برأسها المطرق بينما تجمع شعرها بقوة للخلف برباط مطاطي ، اشفق على راسها المسكين من هذا الشد ووجهها بدا اكثر نحولا وشحوبا ...

قال سعد اخيرا وقد طال الصمت

" عزيزتي .. أيهم اتصل قبل قليل .. كلمته بنفسي هذه المرة .. "

لاحظ تشنجها الشديد وتعكرت صفحة وجهها بقساوة غريبة !

توتر سعد وهو يلتقط ذبذباتها المحيرة تلك...

توقعها ستظهر حزنا .. شجنا من نوع ما ...

اكمل سعد " الرجل يتصل عشرات المرات يريد فقط ان يسمع صوتك "

راسها يرتجف بالرفض القاسي لكنها لاتتكلم ايضا ...

فقال سعد يوضح الامور على لسان أيهم

" أود ان انقل لك بعض ما قاله فربما تجهلينه.. لقد أوضح ان شخص ما مسؤول منه تعرض لحادث وهو في المستشفى الآن حالته شبه حرجة وتحتاج للمراقبة "

اخيرا حصل منها على ردة فعل مختلفة وهي ترفع وجهها النحيل اليه تحدق فيه بعينيها الجميلتين ...

صحيح ان نظراتها متوترة لكن لاقسوة فيها ..

ادرك انها تنتظر المزيد فاضاف " قال أيضا انه مضطر للبقاء لاسبوع ربما او اكثر حتى تستقر الحالة ويطمئن "

صوتها خرج ببحة اقرب لبحة المرض وهي تهمس بالسؤال " من هو الشخص ؟"

للحظة احتار من سؤالها !

لم يفهم بالضبط ما ترمي اليه هذه الفتاة ..

لكنه رد بالحقيقة " لااعرف .. لم يقل .."

غامت عيناها باحساس غريب مفعم بالألم قبل ان تعود لتطرق برأسها بينما تهمهم بما لم يستطع سعد تفسيره

" وإن كان .. وإن كان"

عقد سعد حاجبيه ليناديها بحزم

" جدايل .. انظري الي .."

اطاعته باستسلام غير مريح

فقال سعد يحثها بصلابة

" حالك هذا منتهى الضعف ! مهما كان ما حصل بينك وبين أيهم لايفترض ان تنهاري بسببه لهذه الدرجة .. نعم قد تحتاجين ان تستعيدي توازنك اذا كان الخلاف كبيرا لكن اراك لاتحاولين فقط تستسلمين بشكل ميؤوس منه "

عيناها دمعتا وهي تتحشرج بالكلام

" اشعر اني ضعيفة .. اشعر اني لااستحق .."

ارتفع حاجبا سعد دهشة بينما يسألها باستغراب شديد " ما الذي لاتستحقينه ؟!!"

وبدلا من ان ترد تعض شفتيها وتسيل دموعها بعجز لينظر اليها هو ايضا بعجز عن فهمها ..

تمالك نفسه وقال " لن اضغط عليك لكنك تحتاجين للخروج ... وجودك حبيسة بين اربعة جدران يجعلك تعيشين ما يؤلمك بطريقة مضخمة غير حقيقية ..."

ثم وقف على قدميه ليقول بعزم " ارتدي ملابسك .. سآخذك مع أمي في نزهة "

حاولت فتح فمها لترفض فعاجلها بالقول وهو يتحرك فعليا " لاتتأخري عزيزتي .. انا سأنتظر في الخارج "

تركها وخرج مغلقا باب غرفتها خلفه ...

بعد بضعة ايام ...

دخل سعد البيت متذمرا من عطل سيارته مرة اخرى ، لقد اشتراها مستعملة لكنها تحتاج لتبديل بعض الاجزاء ...

تأفف وهو يفتح باب البيت ويلقي مفتاحه فوق البراد وحالما التفت أتاه صوت امه قلقا

" الحمد لله انك رجعت يا سعد كنت على وشك الاتصال بك .."

التفت سعد لأمه وعيناه على الساعة الجدارية التي تشير للسابعة مساء فيتساءل بدهشة

" لم كل هذا القلق امي ؟! انها السابعة فقط لم اتأخر .. لقد قلت لك ربما سأقضي اليوم كله بالخارج "

تفرك امه كفيها ببعض ووجها شاحب ونظراتها زائغة بينما تتمتم " جدايل "

عقد سعد حاجبيه متسائلا " ما بها جدايل ؟"

فترد بحشرجة القلق " خرجت منذ الظهيرة قالت تريد قضاء بعض الامور البسيطة ولن تتأخر لكنها لم تعد حتى الآن .. وانت تعرف هي تغلق هاتفها منذ اسبوع ولاتستخدمه ..."

فرد سعد يحاول طمأنتها " لاتقلقي امي ربما ذهبت لصديقتها هيفاء ... اليوم جمعة وربما ارادت التسرية عن نفسها "

فتهز منيرة راسها سلبا وهي تقول " لقد اتصلت بهيفاء ولم ترها ابدا منذ الجمعة الفائتة المشؤومة "

تملك سعد بعض القلق وعفويا عيناه عادتا للساعة الجدارية ليجدها السابعة وعشر دقائق ...

لم يعرف كيف يتصرف ليطمئن ..

فخطر في باله خاطر فقال

" الا يمكن انها ذهبت لتزور والدها ؟"

دمعت عينا أمه فجأة لتقول بتاثر " لاأظن .. اليوم أتصل ليسأل عنها فرفضت مكالمته ووجهها الصغير يشحب بالكامل فاضطررت ان اكذب على الرجل وادعي انها خرجت لتبتاع بعض الملابس مع صديقتها هيفاء ... آآه يا سعد لااعرف ماذا حصل للفتاة المسكينة .. لماذا لاتكلم والدها ؟ لماذا تبدو كمن كمن ...."

تلعثمت منيرة بينما يضيق سعد عينيه يسألها بتوجس خطر " كمن ماذا أمي ؟! "

فتتحاشى منيرة نظرات ابنها لتهمس

" اقصد انها ربما لاتريد اقلاق والدها باخباره عن وجود مشكلة مع أبيهم .. فـ.. تتجنب مكالمته وتجعلني ادّعي عطل هاتفها النقال حتى لاتضطر للتحدث معه والكذب عليه ..."

لم يقتنع سعد بتفسير أمه لكنه الآن يفكر في جداول نفسها ...

عاد لينظر للساعة وهو يتمتم بحيرة

" اين ذهبت يا ترى ؟! واين يفترض ان نبحث؟"

ثم سألها فجأة " هل كلمت أيهم ؟! اقصد ربما ردت عليه هذه المرة وانت لم تتنبهي لها "

الضيق والقلق تحولا لكره طفح على ملامح منيرة لتقول بشراسة " انها لاتطيق ان تسمعني ارد عليه فكيف تريدها ان تكلمه ؟!! كل يوم وسيادته يتصل ليلا ونهارا مدعيا رغبته الحارقة لسماع صوتها ولكنها ما ان تعرف انه هو على الخط حتى تسارع لدخول غرفتها واغلاق الباب وهي ترتعش كسعفة ! "

زفر سعد وهو يمرر يده فوق رأسه الحليق وافكاره تتشتت ....

عند النهر تقف هناك ..

الهواء ببرودة منعشة يتلاعب بشعرها ويداعب خديها ...

هنا وقفت معه ... هنا اخبرها عن رسائل عشتار.. وهنا اتفقت معه على قضاء يوم الجمعة معه..

رجفة اعترتها فلفت ذراعيها حولها ...

منذ ساعات تجوب الشوارع هائمة على وجهها ، كل التماسك الذي حصلت عليه بالايام السابقة اثبت هشاشته ..

بمجرد ان اتصل والدها اليوم وردت عليه الخالة منيرة حتى حطمها الشعور بالذنب ..

حطمها الشعور انها .. انها قذرة .. فرطت

بنفسها وخانت ثقة والدها بها وجلبت له العار!

لم تشعر الا وهي تنسحب بعيدا عن خالتها

لتدخل غرفتها وتغلق الباب بالمفتاح ثم

بصوت مكتوم اخذت تلطم على راسها

بهستيرية وكأنها تعاقب نفسها على فعلتها

التي لاتغتفر ...

تحبس البكاء في صدرها فلا تمنح نفسها

حتى هذه الراحة ...

ثم انهارت على ارضية الغرفة والصداع يشل اي

تفكير آخر ...

ولم تحتمل البقاء اكثر ...

سارعت لتبديل ملابسها والخروج مدعية

لخالتها حاجتها لقضاء بعض الامور ..

هربت للشارع .. هربت لوجوه لاتعرفها

ولاتشعرها بالخزي والعار ولا تثقل عليها بشعور

الذنب ...

لفت ولفت ثم عادت لجهة النهر ... تواجه

بداية الذنب .. كيف خططت له الشياطين

وجهزت له الاجواء ....

فجأة أخذت جدايل تهز رأسها وتستغفر اللّه ثم

ترفع وجهها للسماء التي اظلمت تناشد ربما

بصمت

" اغفر لي ربي .. اغفر لي اني خنت ثقة ابي وعائلتي .. لم يكن الامر بيدي .. لم استطع ايقافه .. كل شيء كان اقوى مني .. هو اقوى وحبي له اقوى .. حاجتي له اقوى .. وحاجته الي اقوى .. لادفع الثمن غاليا من راحة نفسي وسكينتي .. ربما لم ارتكب معصية تغضبك لكني اخطات بحق ابي وبحق نفسي.. لم احافظ على طهارتي كأي بنت تحلم بليلة الزفاف فترفع راس والدها بعفافها وهو يزفها لزوجها امام كل الناس ..."

اخذت جدايل تجهش بالبكاء ولم تشعر الا بيد حانية تربت على كتفها وصوت امرأة حنون تواسيها بالقول

" هوني عليك يا ابنتي واذكري اللّه .. هل فيكِ شيء ؟ هل تحتاجين لمساعدة في شيء؟"

التفتت جدايل محرجة وهي تمسح وجهها بينما المرأة الغريبة تتطلع اليها بحنو ..

رسمت جدايل ابتسامة باهتة تجامل بها المرأة بينما تقول لها " لا خالة .. انا بخير لاتقلقي .. كنت متضايقة من احوال الدنيا معي لاغير .. سأعود لبيتي حالا ... "

فتبتسم لها المرأة ثم تدعو لها بالراحة بينما تواصل طريقها وعينا جدايل تراقبانها ببعض التشتت ..

امرأة تبدو في اواخر الستينات ، بدينة قصيرة القامة تحمل اكياس البقالة وهي تنهت ... احبت جدايل جلباب المرأة الطويل الرمادي واحبت اكثر حجابها المورد بوريدات صغيرة..

لحظة.. لحظتين ... والتمعت عينا جدايل ثم.. سكن عينيها بعض الرضا ....

دخل سعد مشرعا الباب دون ان يغلقه ، قلقه يغذي غضبه بينما تولول امه حالما رأته بمفرده يدخل عبر باب البيت

" لم تجدها اليس كذلك ؟! يا ويلي .. يا حسرة قلبي عليك يا صغيرتي .. مؤكد فعلت بنفسها شيئا .. يا ويلي .. يا خراب البيوت "

نهرها سعد وقد فقد اعصابه

" توقفي عن الولولة اماه ! ما زال الوقت مبكرا لم تبلغ التاسعة بعد ... ربما تجلس في مكان هادئ او حتى ذهبت لجامع تنشد راحة النفس فيه .."

فجأة جحظت عينا منيرة لتتغرغر بالدموع وهي تبتسم فتنبه سعد ان نظرات امه لم تعد موجهة اليه وانما لما خلفه ليتنبه اخيرا لظل نحيل فيستدير ليرى جدايل تقف باسمة بوجه متورد و بهيئة مختلفة ...

للحظة لم يستوعب سعد مصدر التغيير بينما الفتاة ترفع ذراعيها تشير لاكياس الملابس التي تحملها بينما تقول ببشاشة اشتاق لها منذ اسبوع " اشتريت الكثير من الملابس "

وقبل ان يعبر سعد عن شيء هرولت امه لتحتضنها وتبارك لها !

لم يفهم المباركة حتى سمع كلمة حجاب !

عندها فقط عرف مصدر التغيير ..

جدايل ترتدي حجابا موردا وفستانا ذو كمين طويلين يبدو جديدا باللون الوردي الباهت ويصل بطوله حتى كاحليها ...

بعد ايام أخر ....

تتنهد وهي تجوب الشوارع بغير هدف محدد ...

لقد تعبت من التنقل من شركة لاخرى ومن مكتب هندسي لآخر يخص الحاسوب ...ترسم ابتسامة الثقة وتبرز امكانياتها المتواضعة ..

كلها محاولات مستميته للحصول على عمل جديد دون نجاح يذكر .. لكنها لن تيأس .. تنبهت ان الخط ما زال مفتوحا مع هيفاء بينما صديقتها الوحيدة توبخها بحنق

"ما معنى ما تفعلينه ؟! لماذا تبحثين عن عمل جديد ؟ وماذا سيحصل عندما يعود أيهم ؟

صدقيني اخر مرة كلمني فيها كان على وشك الانفجار من تجاهلك له وانا عجزت عن تهدئته لاني انا نفسي لم أعد افهمك وانت اصبحت غامضة وترفضين الافصاح... جدايل الرجل لايبدو بخير ... اطلاقا لايبدو بخير ... لذلك اقول لك لاتضغطي عليه اكثر حتى لاينفجر ... "

ردت جدايل ببرود ظاهري يخفي حرارة الجرح الذي ما زال ينزف

" فلينفجر كما يريد .. انا لم أعد اريده .."

هتفت بها هيفاء معنفة " جدايل ! هل جننت ؟ هل الارتباط لعبة اطفال تنهيها امام اول خلاف؟! "

فترتعش شفتا جدايل وهي تقف على الرصيف منتصف الطريق التجاري بينما تتكلم بصوت منخفض " ارجوك هيفاء اذا كنت صديقة حقيقية لي فكوني معي لا ضدي "

فتتنهد هيفاء والحيرة تتملكها فتقول برقة لصديقتها الصغيرة " لكن يجب ان افهم اولا ما جرى يا جدايل لاحدد ايهما بمصلحتك ان أوافقك الرأي ام اخالفك وفي كلتيّ الحالتين فأنا سأكون معك "

تطلعت حولها دون تركيز بينما الناس يتحركون حولها بشكل عشوائي ذهابا وايابا قالت اخيرا وهي تتماسك

" احتاج ان.. ان ابتعد عنه .. حدث الكثير الذي لااستطيع نطقه لاني سأنهار ان فعلت ... وانا لااريد الانهيار الآن .. يكفي ما عانيته في تلك الايام العصيبة بعد تركه لي وسفره اليها ..."

التقطت هيفاء اشارتها المنفلته سريعا فقالت بارتياب " سفره اليها ؟! من تقصدين ؟ "

همست جدايل في سرها بتوجع لايطاق

" يا الهي .. الاسبيل لقتل الغيرة العمياء هذه ؟! الا يوجد سم يقتلها في صدري ...؟!"

ابتلعت جدايل ريقها لتتهرب من الاجابة قائلة بصلابة " اذا اتصل بك أيهم مرة اخرى قولي له انك لاتملكين فعل شيء لاني اتخذت القرار .. وعند عودته سنتباحث ..."

تافقت هيفاء وهي تتمتم بغيظ

" عنيدة ورأسك حجر ! "

عينا جدايل وقعتا على لوحة كبيرة معلقة عند بوابة عمارة متوسطة الحال ...لاتعلم لماذا اجتذبتها بشكل خاص ... ربما لانها تحب الاسم ..

(شركة الشاهين للحاسوب)

تفاءلت خيرا وسريعا قالت لهيفاء

" هيفاء .. مضطرة ان اغلق الخط .. هذه شركة حاسوب امامي سأجرب حظي فيها "

فردت هيفاء بلطف " بالتوفيق حبيبتي ..."

فأكدت عليها جدايل " اياك ان تعطي رقم هاتفي الجديد لأيهم .. اياك هيفاء .. ساخاصمك واشتري آخر لن اعطيه لك ابدا "

فتطمئنها هيفاء بالقول " لاتقلقي ... لن افعل"

ما ان اغلقت هيفاء الخط والتفتت بوجهها في الممر حتى رأت باسل امامها ...

ابتسمت له لكنه لم يرد الابتسام !

تفاجأت به فعقدت حاجبيها قليلا وهي تسأله

" ماذا هناك يا باسل ؟"

قال وهو يحدق بشرود في هاتفها الذي ما زال في يدها " من كنت تكلمين ؟"

ردت ببساطة " انها جدايل ... المجنونة تبحث عن عمل في مكان آخر .. وايهم لن..."

قاطعها وهو يمسك ذراعها ليجرها ناحية الجدار القريب وفي مكان خفي عن الأعين قائلا " هناك أمر اريد مكالمتك فيه منذ .. يومين ..."

كتمت هيفاء ردة فعلها .. لم تظهر احساسها انه لم يكن على طبيعته منذ يومين تحديدا لكنها لم تستطع معرفة السبب ...

لم تسأله وتعترف تشعر بالذنب وانها غبية لانها لاتسأل !

شيء ما ما زال يعزلها عنه .. لم يكن بسبب عينيه الزائغتين على النساء تحديدا .. لكنه باعترافه الصريح بضعفه نحو النساء واحساسه بالملل مع زوجاته جعلته تتشوش وترتبك ..

تشعر انها فقدت حكمتها في التعامل معه ..

ربما لهذا لم تسأل ..

تخشى ان يقول ان السبب منها ..

وتخشى الأسوأ انه ربما يشعر بالملل معها ..

الشيء الوحيد الذي يطمئنها انه ما زال منجذبا متعلقا بها .. لياليهما مستمرة على نفس الحرارة .. حتى خلال هذين اليومين لكن في النهار يبدو سارحا ومترددا !

سألته اخيرا وقلبها ينبض توجسا في صدرها

" ماذا هناك باسل ؟"

فيرد عليها وعيناه الرماديتان تلمعان عزما

" هل تعلمين لم كانت شمس متضايقة وغاضبة قبل يومين ؟ "

استغربت هيفاء من تركيزه على احدى نوبات العناد لصغيرتها ، وتذكرت قبل يومين خلال طريق العودة للبيت عصرا ان شمس كانت صامتة عابسة الوجه .. حاول باسل اضحاكها لم تستجب وحاولت هيفاء ملاطفتها ايضا لم تستجب !

واخيرا عندما وصلوا البيت رفضت ان تأخذ حماما وبدأت تنكش شعرها بيديها الصغيريتن في بادرة غريبة للتمرد والعصيان !

ارادت هيفاء ان تتصرف معها بحزم لكن باسل تدخل وطلب منها ان تتركه معها ولاتضيق الخناق عليها الآن ...

وفعلت كما قال وانشغلت بأمور البيت حتى عادت لهما لتجد المشهد المكرر ...

باسل ينام في حجر صغيرتها على الاريكة بينما صغيرتها نفسها تميل بجسدها لتتوسد ذراع الاريكة وتغفو مثله بينما يدها الصغيرة في شعره ...

ثم مضت الامور على طبيعتها بالامس وبدت شمس اكثر انشراحا وباسل اكثر صمتا ...

عادت لباسل تنظر اليه بقلق وقد تلاعبت بها الظنون ، لاتعلم لم سيطرت عليها الوساوس وهي تفكر ببيت جيران عائلتها الجدد حيث امها تسمح لشمس بالذهاب للعب مع ابنتهم سارة التي تماثلها سنا ...

هل هناك من فعل شيئا مريبا لصغيرتها ؟!!

سألت باسل بقلق متفاقم لسواد افكارها

" هل هناك من ضايقها ؟ من فعل امرا لم يعجبها ؟ ربما والد سارة ...."

قاطعها باسل قائلا

" ليس والد سارة بل سارة نفسها ..."

زفرت هيفاء براحة بينما تسأله بابتسامة

" ماذا فعلت سارة ؟ هل قالت لها ان دمياتها لسن حقيقيات ؟"

لم يبتسم باسل وقد بدا متوترا لتعبس هيفاء وهي تنتظر رده فقال اخيرا

" سارة عيّرتها انها لاتملك أبا ..."

شهقت هيفاء وهي تضع يدها على فمها فتصلب وجه باسل قبل ان يضيف " شمس اخبرتها ان لديها ابا وان اسمه .... "

صمت وهيفاء تحدق في عينيه بوجل ليكمل وهو يسبل اهدابه " اسمه العم باسل ..."

رغما عنها ارتعشت ولم تشعر انها ترنحت الا عندما اسندها باسل هامسا بخشونة " اهدأي .. انها صغيرة ولاتعرف تعقيدات العلاقات "

تحشرج صوت هيفاء وهي تكتم دمعاتها بشق الانفس " وهل هذا سبب غضبها ؟"

فرد بضيق " لا .. ليس كاملا .. فما حدث ان تلك الصغيرة المزعجة سارة تملك لسانا طويلا فقد ردت عليها ضاحكة بسخرية ان ما دامت تناديه (العم باسل) فهو ليس اباها وان اباها الحقيقي تركها... "

زفر باسل مضيفا " يبدو ان الصغيرة سمعت احاديث كبار فلايعقل ان تفكر او تتكهن بكل هذا لتخبره لشمس "

ارتجفت نبرة هيفاء وهي تسأله

" وماذا قلت لها ؟ كيف استطعت تهدئتها "

حدق في عينيها ليقول بصوت مبحوح

" اخبرتها انها .. تستطيع مناداتي (بابا) لكن علينا الاستئذان منك اولا "

للحظة لم تستوعب ما قاله فأعاد الكلام بصيغة اخرى وتركيز اكبر وكأن الامر يخصه اكثر مما يخص شمس

" انا اريدها ان تناديني بابا واطلب اذنك بوضوح لأكون أبا لها هيفاء .. اريدك ان تتخلي عن شرطك ذاك بأن لاتدخل في امور شمس .. اريدك ان تسمحي لي بأخذ هذا الدور في حياتها واعدك لن أقرب الخمر ابدا لأجلها وسأكون نعم الاب لها .. ونحن لن نخدعها وسنخبرها عندما تكبر بأن والدها الحقيقي اضطر للسفر بعيدا وأن ...."

لم تسمع تتمة الكلام وهي ترمي نفسها عليه تحتضنه بقوة الى درجة صدمته !

تمتم ساخرا برقة ويده تلتف حول ظهرها

" لحسن الحظ هذا المكان ليس فيه كاميرا.."

فهمست بحشرجة عاطفية

" عدني اولا انك لن تصاب معي بالملل "

فيرد يناكفها وهو ما يزال متوترا

" لااضمن لك هذا !"

فتضربه بقبضتها على صدره وتقول

" اذن عدني انك لو شعرت ستخبرني مباشرة في وجهي .. وانك .. وانك .." ترددت وعضت شفتها السفلى وقد فاضت عيناها غيرة فكان دوره ليهمس وعيناه تحدقان بتلكما الشفتين

" عديني ان تتخلي عن شرطك بخصوص شمس وانا اعدك لن اتزوج عليك ابدا بالسر... ربما في العلن فقط قد افعلها ..."

ابتسمت رغما عنها وهي تعرف اسلوبه الفكه المستفز لكنها لم تيأس لتضع النقاط على الحروف قائلة

" شمس تناديك بابا .. وانت لاتستبدل ام شمس بأي امرأة اخرى مهما مللت "

اصابعه الغليظ تحفر ظهرها بينما يهمس بصوت مبحوح " هذا يستدعي احتفالا خاصا الليلة لنوقع العقد الجديد "

بعد اسبوع ....

اسبانيا وقت غروب الشمس

ادخلها أيهم للشقة وهي يسندها بحذر ، ذراعاها مضمدتان بالكامل حتى المعصمين وآثار حروق تظهر خفيفة على رقبتها لكنها تكاد تختفي ... ويعلم ان هناك المزيد على كتفها الايمن تحديدا ...

ساعدها لتدخل غرفة النوم ثم ساعدها لتستلقي في السرير ...

اخرج ادويتها ووضعها جنبها على المنضدة الجانبية قرب رأسها ثم خرج من الغرفة للمطبخ واحضر بعض الماء ووضعه بجانب الادوية ...

حدق فيها وهي مستلقية جانبا وتسبل رموشها....

كانت منهكة نفسيا وجسديا .. حروقها لم تكن خطيرة جدا .. فقط مقلقة ... وتتركز على ذراعيها حيث علقت نار الطباخ بالطرفين المتدليين لكمي قميصها ... لتلتهب النار سريعا فتركض دون وعيها للحمام وهي تصرخ بهستيرية وتقف تحت الماء ...

اخبره الاطباء ان الاسعاف نقلها بوقت قياسي للمستشفى وكانت العلاجات المتوفرة لحالتها جيدة جدا لكن المشكلة كانت تكمن فيها هي ... انها ترفض العلاج وبنفس الوقت مصابة بهستيرية اليأس رعبا من التشوه ...

الطبيب قالها بعظمة لسانه لم يشهد حالة متناقضة كحالتها ...

أيهم ايضا عاش رعبا لايوصف خلال الاسبوعين الاخيرين .. فقد اخذت عشتار تتماثل للشفاء ببطء في الاسبوع الاول لكن حدثت انتكاسة وتقيحات لبعض الاماكن في ذراعيها حيث الحروق الاشد ... وجسدها لم يستجب للعلاجات ...

لايصدق ما حدث له خلال هذه الاسابيع الثلاثة الماضية ...

ما حصل مع جدايل ثم المكالمة الهاتفية التي وردته من مستشفى بمدريد تخبره ان زوجته تعرضت للحريق في مطبخها وان حالتها تستدعي القلق وهي تكاد ترفض العلاج بشكل هستيري طالبة حضوره ...

كانوا يستطيعون اجبارها على العلاج لكن المشكلة في نفسيتها التي ترفض فهي تحتاج للدعم وليس هناك غيره من تريد الدعم منه.. فلم يكن بيده الا ان يخبرهم انه قادم حالا ...

كابوس .. كابوس لايطاق ...

قضى كابوسه بعيدا عن جدايل وقد جن يريد الوصول اليها ولايعرف كيف ...

انها غاضبة .. غاضبة بشكل مريع ...

لم يشعر الا بصوت عشتار يقاطع افكاره وهي تناديه بهمس مرتجف بينما ترفع اليه عينيها الزرقاوين المتوسلتين

" ارجوك ابق معي .. انا اشعر بالخوف "

تردد للحظة ثم خلع سترته رماها بعيدا وجلس جوراها على السرير فتشبثت بقميصه كطفلة فتنهد أيهم والارهاق العصبي يحطمه ليقول بلطف يحاول بث الطمأنينة فيها

" ما الذي يخيفك عشتار ..؟ ان كنت قلقة
على اثار الحروق فخلال بضعة اشهر ستختفي
تماما وتعود بشرتك كما كانت .."

ترفع رأسها لتضعه على صدره تغمر وجهها
بقميصه بينما تتشنج وهي تهمس برعب واضح
" هل تظن ان اللّه يعاقبني ؟"

تشنج هو الآخر ... وتمتم في سره

" ليس الآن .. ارجوك عشتار ليس الآن .."

لم تنتظر رده لترفع وجها فاتنا اليه يحمل
سيماء العذاب وهي تتحشرج بالقول الأليم

" لن ترد اليس كذلك ؟ ربما لانك تريد لي
عقابا كهذا ! "

مد ذراعه ليلتقط الدواء وهو يقول بهدوء

" خذي المسكن ونامي عشتار .."

اخذت الدواء منه وساعدها لتشرب الماء واراد
ان يترك لها السرير عندما عادت تتشبث به
ولم يستطع ابعادها ...

نظرت اليه بنفس الألم والدموع تقهر زرقة
عينيها فتعود لما كانت تقوله

" لكن اللّه يعلم اني لم ارتكب خطيئتي وانا
بوعيي فليعاقبني على شرب الخمر لكن تلك
الخطيئة ... لا .. هو يعلم بما جرى .. وهو
يفهم ... لكن لا أنت ولاغيرك سيفهم ..."

يتطلع اليها بصمت بينما اخذت تجهش بالبكاء فقال وهو يسبل اهدابه ويربت على كفها الظاهر من الضماد

" توقفي عن البكاء .. يجب ان ترتاحي "

لا تتركه وهي تشهق بالبكاء قائلة بوجع واحتياج وقهر

" جدي .. كان سيفهم ايضا .. انا افتقده .. كان دعمي... وسندي... وقوتي قبل ان يسلمني اليك .."

كلماتها كانت تقطع قلبه رغما عنه وهي تشهق مع كل كلمة لتضيف المزيد وهي تتهمه " وانت .. انت تخليت عني لاني اخطأت بحقك.. وستتركني وحدي في هذه الحياة.."

ما زالت تشهق بضعف لم يره منها ابدا ..

رآها منهارة لكن ان تصبح ضعيفة هكذا لا ..

اسابيع وهي بهذا الضعف تتشبث به مرتعبة من مصير حروقها...

لكن الان ضعفها مختلف .. تبدو محطمة تائهة خائفة .. خائفة جدا ...

لم يستطع الا ان يقول بصدق

" انت مسؤولة مني مهما حصل يا عشتار ..."

شهقاتها تسارعت وهي ترفع وجهها تلصق شفتيها برقبته وبشبه هستيرية تردد بمشاعر محمومة

" اجل أيهم .. لاتتخل عني .. ارجوك .. ابق قربي دائما .. انا خائفة .. خائفة ان اخسر المزيد .. خائفة من الوحدة الرهيبة التي اعيشها واشعر اني .. لن انال الراحة والسعادة من جديد.. "

حاول ان يبعدها دون ان يؤذي ذراعيها المحروقين بينما قلبه ينبض تاثرا فيردد بهمس مرتبك " اهدأي .. عشتار ..."

لكنها اخذت تقبل رقبته ولحيته وهي تتوسل بشغف " ضمني اليك ارجوك .. ارجوك .. قل لي انك لن تتخل عني .. اخبرني انني جميلة دوما بنظرك "

يداها اخذت تفتح ازرار قميصه فيحاول امساك كفها وهو يهدر بانفاسه قبل كلماته

" ماذا تفعلين ؟! عشتار ... توقفي .. "

فتردد بهيام وعشق " احبك ... أعشقك "

همس اسمها بتحشرج " عشتار ..."

رفعت وجهها لتقابل وجهه شفتاها تلامسان شفتيه بينما تهمس بعاطفة نارية استيقظت في أوجها " كتمت كل الشوق اليك لعام كامل اعاقب نفسي على ما فعلته .. لكني الآن احتاجك أيهم .. اشتاقكك .. جلدك .. نبضات قلبك .. قبلات شفتيك..."

لم يشعر الا بيديها على صدره مباشر بعد ان
فكت ازرار قميصه تلامس قلادته وهي مازالت
تستعذب ملامسة شفتيه التي نطقتا

" عشتاااار ...."

يقف في شرفة جناحه بالفندق وظلمة السماء
تعاكسها اضواء مبهرة على الارض ...

الهواء يتلاعب بقميصه ويحرك بعض خصل
شعره القصير ...

عيناه تائهتان في ملكوت بعيد عما حوله...

يعيش حوارا من نوع خاص مع النفس ...

فيتساءل ....

ماهذا الذي تفعله بنفسك يا ابن سليماني ؟

شعر بانهاك جسدي غريب وكأنه استيقظ
للتو من غيبوبة اجبارية طويلة الامد ملأتها
الكوابيس الخانقة والاحلام الدموية
المرعبة !

ماذا بعد كل هذا يا أيهم ؟!

من غدوت حقا ؟

الى اين وصلت ؟

ما هذا الذي حصل في حياتك وكيف
استمريت فيه ؟!!

غامت عيناه فهمس بصوت أجش رجولي

" ليتكَ معي الآن .. فقط لألمسك ...."

اخرج هاتفه من جيبه واتصل برقم محدد وبعد عدة اسئلة من الطرف الاخر وبضعة خيارات متاحة حدد الموعد قائلا

" نعم مناسب جدا .. الليلة ولأكون صباح الغد في الوطن ..."

يقف باهر جوارها باسما بصبر وهو يعدل نظارته الطبية بينما تنحني جدايل قرب مكتب الاستقبال تلتقط بعض الاوراق التي نثرتها امامها وتعيد ترتيبها لتعطيها لباهر حتى يتم طباعتها ...

تنفست الصعداء وقد اكملت التنسيق كما طلبه السيد شاهين بالضبط ... حقيقة كانت سمارا من ألحت على هذا التنسيق والسيد شاهين رضخ لها ببساطة ...

ابتسمت براحة بال وهي تسلم الاوراق لباهر فتمنحه ابتسامة اوسع لامعنى لها ...

منذ اسبوع وهي تعمل معهم وتشعر انها تعرفهم طوال حياتها .. انهم دافئون ودودون كعائلة واحدة ... جعلوها جميعا تشعر بسرعة التآلف والانتماء للمكان ...

راتبها قليل نسبيا لكنها مرتاحة وتشعر باستعادة قوتها لمواجهة المستقبل ...

لكنها لن تفكر .. لن تفكر في المستقبل الآن ... كل شيء في اوانه ... فلتعش هذه الراحة الوقتية والتوازن الفكري والنفسي ..

التفتت وباهر يلوح لها شاكرا فترد له تلويحه بابتهاج بينما تستدير عفويا مع سماعها لخطوات تقترب من باب الشركة ...

ريح عطره سبقته وبعثرت ابتسامتها شظايا جارحة تشقق جروحها من جديد ...

بدا مبهوتا للحظة وهو يحدق فيها بينما هي لاتستوعب وجوده !

هل هذا ... هو حقا ؟!

لقد ... قصر شعره قليلا وشذب لحيته بعض الشيء .. بدى كما رأته لأول مرة ... لا .. ليس تماما .. فوجهه الان شاحب واكثر نحولا .. الارهاق الشديد واضح على ملامحه ...

اقترب هامسا بضراوة وعيناه تأكلانها أكلا

" ماذا تفعلين هنا ؟!لماذا تركت المؤسسة ؟"

انفاسه لاهثة وهو يقترب جدا ليقف امامها مباشرة جسده يلامس جسدها بخفة فتنتقل عفويا اشواقه عبر هذا التماس !

ابتعدت خطوة ترفض اشواقه .. تعقد حاجبيها وقبضة وهمية من فعل عقلها تنجدها وهي تعتصر قلبها الراجف في صدرها فتثبته بينما تسأل ببرود ظاهري

" كيف وصلت هنا...؟"

بررودها أثاره ولم يكن في وضع يتحمل المزيد امسك ساعدها بتشبث عنيف يسألها بعينين مشتعلتين " اجيبي عن سؤالي اولا ... ماذا تفعلين هنا ؟!!"

فتنتزع ذراعها والقبضة تعتصر قلبها اكثر فترد بشموخ " أنا .. أعمل ..."

زمّ شفتيه وعيناه في عينيها ليعاود امساك ذراعها يسحبها معه وهو يقول بصوت أجش

" لن نتناقش في هذا المكان .. اجمعي كل ما يخصك هنا وهيا بنا ..."

تقاومه لكنه لايفلتها فيرتفع صوتها بصراخ غاضب " لن اغادر ايهم ... انا باقية هنا ..لن تجبرني على فعل شيء لااريده ..."

فيسحبها بقوة لترتطم بصدره وتشهق رغما عنها بينما يهمس قرب وجهها

" بل سأجبرك .. وستاتين معي الآن حالا .. شئت أم ابيتِ "

صوت رجولي جاء من جهة المكتب الرئيسي

" لااعتقد يا هذا ان هناك من سيغادر المكان رغما عنه .."

التفت أيهم بوجهه لذلك الرجل الضخم ويبدو انه من نفس عمره فيسأله عاقد الجبين

" من انت ؟!"

اقترب الرجل بخطى واثقة وهو يرفع حاجبيه بتهكم بينما يلاحظ أيهم حركة من خلف الرجل ليظهر رجل اخر ضئيل نسبيا وامرأة حمراء الشعر عابسة تحمل طفلة بعمر الاشهر حمراء الشعر مثلها لتبادر الصهباء للسؤال

" ماذا هناك شاهين"

ادرك أيهم ان شاهين هو (الضخم) من نظرات الصهباء اليه لكن شاهين لايلتفت اليها وهو يرد على أيهم بابتسامة مستفزة

"سألتني من انا ؟... انا فقط صاحب المكان الذي يطلب منك وبكل أدب - حاليا فقط- المغادرة فورا وبمفردك ..."

اقترب شاهين ليقف قبالة أيهم الذي لم يفلت ذراع جدايل رغم كل محاولاتها ...

اقتربت الصهباء ايضا وهي تقول بحزم امومي مضحك " شاهين .. لاتتهور ... "

فيرد عليها شاهين وما زالت عيناه في عيني أيهم يتحداه " لاتتدخلي سمارا ..."

نظر أيهم لعيني جدايل الغاضبتين ووجنتيها المحمرتين حرجاً فتمتم وهو يحدق فيها

" انها زوجتي ..."

علق شاهين بفكاهة ساخرة وهو يتكتف

" حمدا للّه .. للحظة تصورتها جاريتك ! "

ذهل أيهم من تعبيره والغضب يتفاقم في اعماقه عندما رآى جدايل كيف تتطلع لشاهين بارتباك وخجل بينما تتمتم باعتذار رقيق " اسفة سيد شاهين .."

ما زال شاهين لايبعد نظراته عن أيهم وكأنه يخبره (حاول استغفالي بأي حركة مفاجئة وسترى العجب !)

لكنه يرد اعتذار جدايل وهو ينظر لايهم من فوق لتحت " لاتأسفي ولاتناديني (سيد) يا صغيرة .. لقد تركت هذا اللقب لمن يستعبدهم الغرور والخيلاء الفارغ "

جحظت عينا ايهم ليفلت جدايل ويمسك في خناق شاهين هادرا به بعنف

" تجرأ ونادها (صغيرة) مرة اخرى و سأقطع لسانك "

ما أن افلت جدايل ليمسك شاهين حتى تحرك شاهين برشاقة ليفصله عنها بجسده الضخم ! ادرك أيهم في لمحة سريعة ان شاهين تعمد استفزازه بكلمة (صغيرة) حتى يفلت جدايل..

تركه ايهم وعيناه تتحركان بضراوة من خلف شاهين تبحثان عنها تلك المتلاعبة التي سارعت للهروب ليقول بشراسة ما أن وجدتها عيناه تقف قرب الصهباء

" اما فيما يخص جدايل فلا تحلم اني سأخرج قبل ان آخذها معي .. انها زوجتي ..."

فيرد شاهين وبدا اكثر تحفزا للقتال الآن

" ما دامت جدايل لاتريد المغادرة فاخراجك لها عنوة سيكون على جثتي !"

رمقه أيهم بهدوء ثم يبتسم ببساطة فيسأل متهكما " هل تتصور انك ستتفوق علي بضخامتك يا هذا ؟ "

فيبتسم شاهين ابتسامة شرسة بينما يبدأ بطي كمي قميصه قائلا بنيّة قتال واضحة

" احب ان اجرب كل شيء ..."

اشرست ملامح أيهم هو الاخر ليخلع سترته الخفيفة يرميها أرضا وقبل ان يبدأ القتال ارتفع صوت الصهباء وهي تتأفأف

" يا الهي ليس مرة اخرى ..! لحظة لو سمحتم يوجد اطفال بريئين هنا ..."

ثم تلتفت بطفلتها ناحية الرجل الضئيل الذي يقف مشدوها مما يحصل لتضيف بنفس الحزم

" امسك فرح يا باهر وخذها للغرفة الاخرى لااريدها ان تشهد عنف رجلين ناضجين يبدوان كطفلين يتعاركان على دجاجة منتوفة الريش !"

صوت خطوات تبعه صوت انثوي جديد جاء من اقصى المكتب صدم أيهم وهو يهمس أسمه بعجب " ايهم ؟!!"

نظر أيهم لتلك الخمرية الفاتنة فيردد بعجب هو الآخر " شهرزاد ؟!"

الفصل السادس عشر

اسبانيا...

اغلقت سماعة الهاتف مع الفندق بعد أن تأكدت من سفر أيهم ...

اذن .. لقد عاد للوطن ... عاد للسمراء ...

تحركت بخطى مثقلة في ارجاء الشقة ، تموج على غير هدى ودون اي اتزان ذهني ...

وجدت نفسها تقف عند زاوية شباك في اقصى غرفة الجلوس تحدق بملامح فاترة ... تراقب الصباح دون ان تبصر نوره !

فتحت الشباك تحاول ان تجد طريقا تبصره يوصلها لنور الشمس فتتخبط دون ان تجده !
تصل اذنيها زقزقة العصافير فلا تدرك ابتهاج انغامها لتترجمها كمعزوفة نشاز خارج سرب الموسيقى ..

تلاحق بعينيها تطاير اوراق الشجر فتتساءل بجزع ذاهل.. لِمَ الهواء يتجنب المرور قرب خديها ..؟!

لماذا تشعر هكذا ؟!! لماذا ؟!

وكأنها تراقب ما يجري حولها بادراك عقلي شبه مغيب ! وكأنها تنظر للاشياء بتجرد من انفصل عنها واصبح خارج نطاقها ..

انها .. لم تعد تشعر انها من هذا العالم .. !

آآآآه ... وكيف ستعتبره عالما حيّا تنتمي اليه
وقد خلا من أيهم ...

التفتت بقوة تحدق في زوايا الشقة بشراهة ..
ثم اخذت خطاها تتحرك باحتياج لاهث
ناحية غرفتها فتتسمر عيناها هناك على
السرير المبعثر الاغطية...

البارحة فقط كان هنا معها ..

البارحة كانت تتمرغ بهوى عشقه تبثه
هيامها عبر كل كلمة ولمسة وقبلة ....

شهقت عشتار بتوجع قاتل وقد عادت
ذكرياتها تفيض بمجريات ليلة الامس ...

عادت لتعيش ما جمعها معه على سريرها
فيرتعش جسدها استجابة غريزية تتذكر
احتراقها وقد فقدت قدرتها على الصبر لتنهل
من عشقه ....

وكيف كانت تستطيع الصبر اكثر وقد فاق
شوقها له كل حدود التعقل ..

لقد اشتاااااااقت .. فاودعت أيهم كل حمم
براكين الشوق المتفجرة في جسدها وروحها
الذكريات .. آآآآه من الذكريات ....

" كتمت كل الشوق اليك لعام كامل
اعاقب نفسي على ما فعلته .. لكني الآن
احتاجك أيهم .. اشتاقكك .. جلدك ..
نبضات قلبك .. قبلات شفتيك..."

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

لم يشعر الا بيديها على صدره مباشر بعد ان فكّت ازرار قميصه تلامس قلادته وهي مازالت تستعذب ملامسة شفتيه التي نطقتا

" عشتاااار..."

يحاول ابعادها بدفع كتفيها لكنها تلتصق به بكل جسدها تهمس باسمه .. تناديه بذلك الجسد الذي تملكه و تدرك قدرة فتنته فتهدر شغفا كمحاربة همجية ترفض حتى ان يبدي غريمها اي مقاومة

" ثأرُكَ .....لايهدأ ! كما الذي في قلبي لايهدأ ! كلانا ابتلينا بالثورات .....!!!......"

ذراعاها ارتفعتا لتحاوطا رأسه في خضم دوامات الشغف المنطلقة منها ...

تحدق في وجهه .. في عينيه .. في شفتيه.. تبحث بضراوة عن صدى لمشاعرها المتفجرة فتختنق دون ان تواجه السبب !

لكنها لاتستسلم وشفتاها تعيثان في شفتيه بمزيد من العبث هامسة بارتعاش مغو

" اخبرني يا مليكي ... هل ما زالت ضحكتكَ كما تركتها .. ؟ مخبأة في دُرج مخفيّ من قلبك .. لاتعرف امرأة غيري كيف الوصول اليها .... "

صوته انساب بنبرته الرجولية الواثقة

" بل هي تعرف ... اصبحت وحدها من تعرف .."

تجمدت مصعوقة ثم رفعت نظراتها ببطء قاتل لعينيه البندقيتين ...

تحدق فيه وهي تختض من الداخل كما الخارج ..!

لاتصدق ... لاتصدق ....

لم يحاول ابعادها مرة اخرى وهو يبادلها النظر بصمت ، ذراعاها ما زالتا تحاوطان رأسه وعيناها ما زالتا في عينيه ...

همست بنبرة من هو على شفير الموت

" لقد ... عاشرتها ! "

للحظة ارتعش توهج في عينيه فأنّ قلبها باحتضار وتجمدت اوصال روحها ...

جحظت عيناها وسط وجهها وهي تردد بصدمة الفقد.. فقده هو ... " لقد .. عاشرتها واعطيتها روحك .. استطيع الاحساس بك .. انت شبع !

لا .. لست شبعا .. انت جائع لكن فقط اليها ... جائع لما اشبعتَ روحك فيه مرة وتريده مئات المرات الأخر .. انت .. انت جائع مجنون لتنالها من جديد .. مرارا و....تكرارا ... "

بدى أيهم مع كل كلمة وكأنه يعيش الاحساس ذاته مرة اخرى .. احساس لايفارق روحه قبل جسده ..

احساسه مع السمراء ....

وهي عشتار بنفسها من تصف ذلك الاحساس بدقة ...!

الفتاة السمراء .. احتلته !

متى نالها ؟!!! متى ؟

لم يتم الزفاف بعد فكيف حصل هذا ؟

لقد كانت واثقة بغرور انه لن يحصل قبل الزفاف .. كيف استهانت بتلك الفتاة هكذا!؟! كيف ؟!

تصورت ان الامور تحت سيطرتها ولن تمنح الفتاة فرصة لتحتله بالكامل ...

بدموع القهر ودون وعيها اخذت تهز رأسه بين ذراعيها المتشبثتين ترفض ما تعرف انها لم تعد تملك ان ترفضه " أيهم ... لست انت من تعشق فتاة كتلك ! لايمكن ان تقنعني ان أيهم سليماني الذي عرفته لسنوات طوال يعشق فتاة بتلك المواصفات "

عندها فقط دفعها أيهم بقوة من كتفيها فارتدت عشتار للخلف تحدق فيه وهو يغادر السرير ثم يلتفت اليها .. قميصه مفتوح .. شعره مشعث .. ملامح وجهه تفيض وسامة غير تقليدية .. جسده مغرٍ رجولي محطم لأي امرأة فما حال امرأة عاشقة مثلها .. امرأة ملكته .. امسكت عشق قلبه بيديها يوما ما ..

بل بقبضة يد واحدة...

اخذ يزرر قميصه من الاسفل وهو يقول بهدوء

" هذا صحيح .. ايهم الذي عرفته ربما ما كان سيلتفت للحظة نحو تلك الفتاة .. لكن هذا (أيهم الذي عرفته) انت عشتار.."

لم يكمل تزرير القميص بينما يرفع وجهه اليها بملامح باتت غامضة وواضحة بنفس الوقت ...

واضحة انه لم يعد بمشاعره معها وغامضة
لانه بات غريبا بتفاصيله الاخرى عنها !

قال وهو يشمخ بذقنه

" فاتك أيهم الذي صنعته خيانتك عشتار ..
انت لاتعرفينه .. لاتعرفينه على الاطلاق .. "

ثم ابتسامة صغيرة دافئة جدا ... خاصة جدا
شجية عاطفية جدا جدا ... تلوى قلبها وهي
تعرف مصدر هذه الابتسامة قبل ان ينطقها

" الصغيرة السمراء وحدها من امسكت بالنار
التي كانت تشتعل في (ايهم الذي اصبح) ..
هي وحدها من قاومت ألسنة اللهب حتى وتلك
النيران تتشبث ببراءتها لتحرقها .. "

تعبير غريب كسا ملامحه اقرب لشعور بالذنب
وهو يضيف بتحشرج

" لقد اطفأتني ... هي وحدها من اطفأتني !
أطفأت النيران وأحيت الانسانية في عمق
روحي كما لم تحيَ من قبل .. انسانيتي كانت
تحتضر وعلقات خيانتك تواصل امتصاصها
بشراهة ! لقد أخذتُ وقتا طويلا لأشفى
واعترف اني عذبت الصغيرة معي رغما عني ،
حتى أني فقدت سيطرتي وابتلعتها في هياج
عاطفي منفلت متخبط بين جنباتي المشتعلة
وظننت للحظة مرعبة لم استطع ايقافها..
ظننت .. اني احرقت الصغيرة في داخلي!
لكن ما حصل كان يفوق حدود التصور او
الخيال .."

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

اخذت عشتار تهز رأسها يمينا وشمالا وهي تردد بجزع وتحطم كامل

" لايمكن ... مستحيل ..! "

لكنه كان بعيدا عنها الآن .. غارقا في احساس فريد ليضيف المزيد

" لقد ولدت من جديد ومن رحم روحها المميزة القوية ... ولدت (أيهما) آخر .. فلم اعد اعرف بعدها من منا ابتلع الآخر ؟!! بل ... من منا كان يحتضن الاخر بين جنباته ... لكن ... هل يهم حقا ان اعرف ؟؟ يكفي اننا كنا معا .. انا وهي فقط ... وحدنا ... في ذلك الاحتضان والتعاشق الفريد"

كانت شفتاه ترتعشان فأدركت عشتار وهي تكاد تتلاشى انه يتذكر مع كل كلمة لحظاته مع تلك السمراء ....

غامت عيناه وكسا الغموض الكامل ملامحه فاصبحت عصيّة عليها وهو يقول بثبات

" المهم الآن يا عشتار ان ما بيننا انتهى كرماد رمادي باهت أتت عليه رياح عطرة فنثرته بعبث طفولي ليتلاشى وكأنه لم يكن جمرا متقدا يوما ..."

تهز راسها بطريقة اكثر هستيرية وكأنها تنازع الموت فتهب من سريرها تقف على قدميها تكاد تناطحه لتهدر فيه ودموعها تسيل

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

" تقول انك احرقتها ؟!!! احرقت محبوبتك السمراء الغالية ؟؟ وماذا عني انا ؟ لقد احرقت نفسي فعليا لاجلك ... كدت اخسر حياتي لاستعيدك .. لكني لم أخف .. بل جازفت .. جازفت مدفوعة بعشقك .."

للحظة ظهر عدم الاستيعاب على وجهه ثم شيئا فشيئا اتسعت عيناه بالمعرفة والادراك فحدق فيها مبهوتا يتمتم

" ايتها الغبية ! ايتها الغبية ..."

فتصرخ فيه بهستيرية

" نعم غبية .. اعترف اني غبية .. لقد اوشكت ان اموت حرقا بسببك "

امسك كتفيها يهزها بغضب مجنون يصرخ فيها في المقابل وقد فقد سيطرته على كل شيء " ايتها الغبية المجنونة ! الاتكفين عن افعالك الرعناء هذه ؟ ألم تكتفي من كل ما صنعت في حياتك لتصلي الى حد اهدارها بموت محقق ؟! .. ايتها الغبية .. انت تعيدين رعونتك واستهتارك مرة اخرى... تماما كما ذهبت ذلك اليوم لتشربي الخمر مع رجل حثالة تعرفين انه يريدك .. كنت تريدين منه ان يفعل القليل فقط .. فقط القليل لتهرعي الي وتقولي

(انظر ايهم.. اوشكت ان اخونك لانك تتركني وحدي !)

فقط لتجبريني على تنفيذ رغباتك
بالكيفية التي تقررينها انتِ .. اردتِ مني
القدوم اليك ضاربا بعرض الحائط كل
المسؤوليات الجسام على ظهري ..ليس
المؤسسة التي بنيتها بكدي وتعبي فحسب ...
بل معي كل الاشخاص الذي يعتمدون على
وقوف تلك المؤسسة ليعيشوا هم وعائلاتهم
.. لم تهتمي لشيء الا انت ... لم تريدي مني الا
التفرغ لتدللك السافر وانانيتك المفرطة ..
لكنك اخطأت التقدير فاحترقتِ بالكامل
في نار الخيانة والآن اعدت الكرّة وبنار
اخطر! اردت بعض الحروق البسيطة لتتصلي
تبكي وتترجين مقدمي اليك لكن الامر
افلت منك ولولا رحمة الله لكنت احترقت
بالكامل مرة اخرى وهذه المرة الاحتراق كان
سينهي حياتك او الاسوأ ان تعيشي مشوهة
بشكل دائم لما بقي من عمرك .. "

اخذت تضربه بقبضتيها على صدره تبكي
بهستيريتها المتصاعدة وتصرخ

" لاني اعشق افعل هذا .. لماذا لم تعد
تفهمني؟!! لماذا لم تعد كما أنت ؟!!"

افلت كتفيها وتركها تضرب على صدره وهو
يتطلع اليها بنظرات باهتة تنبع من اعماقه ..

هدأت ضرباتها وتراخت قبضتاها على صدره
بينما جسدها ما زال ينشج بالبكاء ...

فجأة تيقظ جسدها متأهبا .. حركت يدها والتقطت القلادة المتدلية على صدره لترفعها عاليا امامه وهي ترفع عينين متحديتين منتصرتين تفيضان بالدموع فتبتسم بنفس الانتصار الاجوف قائلة بحشرجة

" ما زلتَ ترتدي تلك القلادة ! الا يعني هذا الكثير ؟ الست في داخلك من ترفض إفلاتي؟ اليست هذه القلادة من رحلتنا المجنونة لجنوب افريقيا ؟ الا تجعلك القلادة ترتعش وانت تتذكرنا معا .. جسد ملتحم بجسد في تلك الادغال الوحشية .."

برود زحف لملامحه بينما ينزل بنظراته قليلا لتلك القلادة التي تمسكها عشتار بارتعاش في يدها فيسألها بصوت أجوف " هل تذكرين كيف حصلت على هذه القلادة ؟"

تشوشت وتاه الانتصار منها فتمتمت بغير ثقة

" لقد .. اشتريناها .. اجل اشتريناها من امرأة .. ما ..امرأة افريقية ... "

شعرته يبتعد أكثر عنها وللحظة لمحة خذلان مرت في عينيه فيسألها فجأة سؤال مغاير تماما

" هل تذكرين صديقي معتز يا عشتار ؟؟"

انسابت القلادة باستسلام أخرق مرتعش من بين اصابعها فتهمس بضياع " معتز ؟! أجل ... اظن ذلك .. معك في الجامعة .. ام في الثانوية؟"

تصلبت ملامحه ليسألها بقسوة

" وأين هو الآن ؟ لقد تزوج صحيح ؟ "

فتشحب لاسباب لاتستطيع تحديدها بينما ترد بتعلثم وهي تبتعد خطوة عنه

" اجل .. تزوج .. انه ما زال .. في البلد كما أظن .. ألم نحضر عرسه أو ..."

أجفلها بعنف وهو يصرخ فيها بهدير كزئير اسد وحشي

" معتز لم يتزوج ابدا .. بل مات في ريعان الشباب بشكل مفاجئ .. واعتكفت انا لشهر كامل بعيدا حتى عنك حزنا عليه وانت .. ماذا فعلت انت ؟ لاشيء ...! لم تحاولي حتى الاقتراب في تلك الفترة ... "

يا الهي لِمَ لاتتذكر هذا ؟! انها لاتتذكر معتز ولا تذكر انه اعتكف حزنا عليه !

اضاف أيهم المزيد وبنفس الهدير الوحشي

" القلادة يا عشتار لم نشترها .. كانت هدية من امرأة عجوز انقذت حفيدها من الغرق فاعطتها لي وقالت انها الاغلى لديها تعبر عن عشق زوجها الراحل لها ..."

خطوة اخرى تتراجع بها عشتار للخلف فلم تشعر الا وهي ترتطم بحافة السرير لتسقط جالسة عليه يشرف فوقها خيال أيهم المرعب..

ليضيف المزيد والمزيد " سراديب الماضي
تحوي الكثير حيث الحوادث التي أمرتها
لاشعوريا ان تبقى مخبأة هناك دون ان أريد
الوقوف عندها .. لكني فتحتها اخيرا وهالني
عِظَم ما انبشه فيها ! انتِ لم تعرفيني جيدا
عشتار .. لم تعرفي أي انسان انا .. فقط اردت
الرجل المجنون الذي يعشقك وعشقته في
المقابل لتمارسا معا طقوس عشق خاصة .. "

اخذ يضرب بقبضته على صدره وهو يكمل
بحرقة غريبة

" لكن هذا القلب النابض في صدري ليس قلب
رجل عاشق فقط ... انه قلب انسان بقوته
وضعفه .. وجدايل هي من جعلتني أفهم هذا ..
دفعتني لافتح تلك السراديب المهجورة
فأكتشف الكثير مما تغاضيت عن التمعن
فيه ... لقد .. لقد .. منحتني الصغيرة كل
شيء .. كل ما يخطر في بالك وما لايخطر
ولن يخطر يوما .. فعلتْ هذا بشجاعة امرأة
عنيدة أصيلة .. و عاطفة عاشقة متيمة
مجازفة ... وبراءة طفلة محبوبة شقيّة ... "

كان وجهه شاحبا وشفتاه ترتعشان بتأثر بالغ
.. تاهت نظراته في كل اتجاه وكأنه يبحث
عن شيء ما حوله ولايجده ...!

شعرت عشتار بالخرس بعد كل ما قاله .. بل
شعرت لأول مرة انها النهاية المفجعة حقا !

خرساء تصلها تمتمات معشوقها التي لم تعد
تعرف تفسيرها كما السابق .. بل كما ظنت
انها تعرف التفسير في السابق ...

" ماذا فعلت بحياتي ؟! كيف فعلت كل هذا ؟
بل كيف اضعت كل هذا ؟! كم انا غبي .. "

وهكذا راقبته عشتار بعجز كامل كيف
يغادرها وهو يكمل تزرير قميصه وتمتماته
المتكررة تصلها حتى تلاشت تماما وهو يفتح
باب شقتها ويغادر .....

" آآآآآآآآآآآآآآآآه ايهم.."

تتأوه عشتار فالمحاربة في داخلها مثخنة
بالجراح و.... تحتضر!

وايهم تركها مسجاة على ارض معركة
انتهت.. انتهت بخسارتها لاتقو حتى على لعق
جروحها البليغة النازفة ...

ليلة الامس كانت المجازفة الكبرى وقد
ظنتها لوهلة مجازفة مضمونة العواقب!

ثلاث اسابيع قضاها معها في المستشفى اعطاها
الامل .. الكثير من الامل .. رغم الالآم كانت
تشعر بوجوده القوي الحاني فتتجلد وتقاوم به
و...لاجله ... لاجل ان تسترجعه !

لكنها اخطأت التقدير ...

اخطأت في تقدير تأثير تلك الفتاة فيه ..
اخطأت في تقدير قوتها ...

واولى الخسارات هو ان لاتقدر قوة خصمك!

خرّت على ركبتيها تنهار في بكاء خاص ..

بكاء تعزي روحها بفقيدها الاغلى..

وسيبقى الاغلى على الاطلاق ...

في الوطن ...

عيناه لاتبتعدان عن جدايل .. التوق يقتله

ببطء وتفنن غريب ! وهي تقسو عليه بالبعاد

جسدا والجفاء روحا ..

انها لاتنظر اليه حتى .. تحيد بوجهها العابس

بعيدا بينما تتكتف تمردا وبرودا ....

وهو يتعذب .. يتعذب .. ببضعة امتار ..

عشراااااات السنتيمرات ... تفصله عنها ....

سمع صوت شهرزاد الرخيم وهي تتكلم

" شاهين لو سمحت هل يمكننا استخدام

مكتبك .."

التفت أيهم مرغما لذلك الضخم تمزقه الغيرة

تمزيقا وهو يفكر بجدايل ... صغيرته هو مع

هذا الضخم ولاسبوووع كامل ...

لم يسمع تمتمة القبول من شاهين فعيناه عادتا

لسبب عذابه والتياع قلبه وعطش روحه الذي

سيوصم به ليكون ابديا الا ان تعطفت عليه

الصغيرة السمراء ...

همس باسمها دون ان يشعر " جدايل ..."

لقد سمعته..لكنها لم ترد ولم تتأثر بلوعته..

جاءه مرة اخرى صوت شهرزاد مع لمسة خفيفة من يدها على ذراعه

" تعال معي ايهم .. ارجوك "

يحرك رأسه ليتركها تقوده وعيناه الجائعتان تلاحقان طيف جديلته الهاربة لاخر الممر ...!

باهر ما زال مشدوها وهو يحمل الصغيرة فرح وقد التمعت عينا الطفلة الصغيرتان الخضراوتان بفضول محبب تحدق في الوجوه وتطلق اصواتها المنمنمة ليتمتم باهر في غباء

" هذا الرجل قريب شهرزاد ام زوج جدايل ام .. خطيبها فقط ؟! "

اما شاهين فأخذ يتأفف ضاربا كفا بكف ليقول وهو ينظر لباهر المشدوه " لم يكن ينقصني الا ان ألتقي بـ(سيد عظيم) آخر ! ألن تنقرض هذه الفصيلة من البشر ؟!"

علا صوت سمارا من جانبه موبخا ساخرا بغيظ

" عندما تنقرض فصيلتك ايها الاهوج المندفع كالثور ! وبدلا من افعالك غير الحضارية دع الامر لشهرزاد لتتصرف به بطريقتها ولاتُخزنا معها ، والافضل لك ان تتصل بزوجتك فتلك العنيدة الاخرى اذا فاجأها المخاض لن تتوانى عن الذهاب بمفردها للمستشفى بل ولن تخبرنا الا والطفل في حجرها!"

ارتفع حاجبا شاهين دهشة وهو يسألها متذمرا

" لِم كل هذا الغضب مني ؟! و ماذا فعلت أنا ؟! هل كان يفترض ان اتركه يسحب الفتاة وراءه كالنعجة ؟!! "

زمجرت سمارا بذلك الصوت الذي تطلقه كلما اثار احدهم غيظها ثم التفتت لباهر وهي توصيه بحزم ونبرة امومية مهددة

" فرح مسؤولة منك .. لاتتركها ابدا فهي فتاة شقيّة ..."

يهز باهر رأسه بينما توجه سمارا انذار جماعيا للرجلين " ساذهب لجدايل الآن .. لدينا كلام نساء لااريد لاي منكما الاقتراب من المطبخ وعندما يعود حامد افهماه ان لايقترب ايضا "

ابتعدت خطوات سمارا لنهاية الممر حيث المطبخ بينما يرمش باهر بعينيه مستدركا وهو يهزهز الصغيرة فرح بخفة وعفوية هامسا لشاهين

" جدايل ترتدي حلقة الزواج في بنصرها الايمن يا شاهين اذن فهي ما زالت مخطوبة فقط ! ربما يقصد انه عقد قرانهما ..."

رد شاهين بتفكير وعيناه على باب مكتبه الخاص الذي اغلقته شهرزاد بعد دخولها مع ذلك الرجل " سواء كانت خطيبته ام زوجته أو حتى ابنته فلا يهم .. الفتاة لم تكن تريد الخروج معه ولن تخرج الا برضاها ومشيئتها .."

ثم نظر شاهين لساعة يده فيخرج هاتفه النقال ويتصل بهديل بينما عيناه على باب مكتبه يراقب انفتاحه في اية لحظة ...

تطلعت شهرزاد ببعض الدهشة لأيهم سليماني.. عيناه لم تكفا عن النظر ناحية الباب المغلق.. لم يستطع حتى الجلوس على الكرسي وقد بدا قلقا بشكل ملفت ...

قالت اخيرا وهي تقترب منه بحيرة

" أيهم اهدأ .. ما الذي يقلقك هكذا ؟ "

فيرد بقلق متفاقم وهو يشير ناحية الباب

" الا نستطيع الاطمئنان عليها اولا ؟ ربما .."

قاطعته بابتسامة رقيقة قائلة " ربما ستخرج جدايل وتتركك ؟! لاتقلق .. ما دامت سمارا موجودة فلن يحدث هذا .."

عبس ايهم قليلا وهو يسأل بتوجس

" تقصدين حمراء الشعر ؟"

ضحكت شهرزاد ببشاشة وهي تحذره بالقول

" اياك ان تقول كلمة (حمراء) امامها فستغضب وانت مؤكد لاتريد رؤية سمارا غاضبة "

تاه تركيزه منه ليتشتت نحو الباب المغلق مرة اخرى فتصاب شهرزاد بمزيد من الحيرة والدهشة !

انها لاتصدق رؤية أيهم سليماني بهذا الحال مع امرأة أخرى غير عشتار !

لم تستطع شهرزاد الا الاستغراق في احداث الماضي حيث عاشت مأساتها الخاصة مع زوجها وحبيب عمرها هيثم ...

تلك المأساة من البرود واللامبالاة من زوجها التي تكللت بالخيانة وانتهت بوقوع الطلاق بينهما ...

ربما الطلاق كان افضل شيء حصل لها في حياتها!

هو من اطلقها وجعلها تغرد وتطلق عنان نفسها وتستعيد زوجها الذي ما عشقت غيره ليكون كما تريد هي وبشروطها هي ....

عادت لتحدق في ايهم سليماني وتتعجب من تصاريف الحياة وتقلباتها !

لقد رأته لآخر مرة قبل قرابة العامين عندما حضرت والدة هيثم في زيارة سريعة للبلد لتعود لابنتها في كندا مرة اخرى ...

اقام هيثم حفلة احتفاء بمقدم امه حضرته ابنة خاله عشتار ومؤكد زوجها...

ايهم سليماني..

وهي شهرزاد قضت الحفل تراقبهما بغيرة لم تستطع السيطرة عليها بينما ترى ايهم كيف يهتم عشتار ويدللها بطريقة رجولية حيوية مبهرة ... الثنائي علاقتهما كانت خاصة .. خاصة جدا ...

لازالت تذكر كيف ظلت طوال الليل تنظر لوجه هيثم النائم جوارها تتمنى ان توقظه لتسأله لماذا لاينعمان بنفس العلاقة الفريدة التي تجمع ايهم وعشتار ...؟! ما الذي ينقصها لكي تفتقد اهتمام زوجها ؟!

ثم حصل انهيار الاقتصاد العالمي وانشغل عنها هيثم اكثر واكثر ولأشهر بينما شهرزاد راحت تتخبط مع الدجالين !

وانقطع التواصل مع عشتار تماما خاصة انهم لم يكونوا مقربين من بعض ، حتى انهم لم يعلموا الا لاحقا بأن عشتار كانت حامل وفقدت جنينها ثم سافرت بعيدا ، ليأتي خبر طلاق ايهم وعشتار الصادم المفجع ..

لكن الآن ..

صدمة اخرى .. اكثر وقعا من الاولى !

أيهم سليماني يعشق من جديد .. امرأة اخرى .. بل فتاة صغيرة سمراء بسيطة تختلف جملة وتفصيلا عن عشتار ...

لاتصدق ... حقا لاتصدق تلك النظرات في عينيه ....

انه لايطيق الثبات في مكانه.. فقط يرغب بالتواصل مع فتاته الغاضبة عليه كما يبدو ..

تكلم ايهم مقاطعا استغراق شهرزاد معبرا بنزق وقلة صبر عما فكرت به للتو

" شهرزاد اعتذر منك .. انا شديد الارهاق .. لم أنم كالبشر منذ اسابيع وقد عدت صباح اليوم فقط ولا اريد الا ... زوجتي... جدايل .. هناك اشكال بيننا وهي .. غاضبة مني .. "

تمتمت شهرزاد " لم اعرف انك تزوجت بعد .."

تحرك فعليا ناحية الباب وهو يرد بنفس النبرة

" سيكون زفافنا خلال ايام.."

ثم وقف عند الباب المغلق مطرقا برأسه ويده ترتفع ببطء متوتر لمقبض الباب لكنه لايتجرأ حتى على لمسه !

اقتربت شهرزاد منه وقد رق قلبها لحالته غير المعتادة منه .. ليس هذا أيهم سليماني الذي تعرفه .. حالته الجديدة لم تستوعبها حتى اللحظة !

همس بصوت خشن متحشرج وهو على نفس الوقفة قرب الباب

" هلا ناديتها انتِ.... من فضلك ؟ "

قالت بلطف شديد " اجلس لو سمحت أيهم .. سأذهب اليها بعد دقائق .. دع سمارا تهدئها قليلا بطريقتها .. صدقني دوما تفلح سمارا في تقريع البالغين ليحسنوا التصرف !"

تقبضت يده بينما يهمس بتشنج

" اخشى ان صديقتك لن تفلح هذه المرة ! "

اردت اشغاله قليلا فهمست بحنان بالغ

" هل تعلم اني رزقت بصبيّ ؟"

جذبت اهتمامه اخيرا فالتفت اليها بوجهه المنهك يبتسم بحرارة وتلمع عيناه وهو يقول

" مبارك عزيزتي .. اسف اننا انقطعنا عن بعض كل هذه الفترة .. لكن ..."

انقطعت كلماته وبدى كمن لايعرف ما يقول فتغاضت شهرزاد عن الاحراج بينما تقول بفخر

" اسميته.. صقر ....."

ارتفع حاجبا ايهم بدهشة حقيقية وهو يحدق برقة انوثتها وهشاشة تكوينها الجسدي والتي تذكره نوعا ما برقة جدايل وهشاشة عظامها الصغيرة ....

اشتعل قلبه يذكر جمال سمرائه وهي بين ذراعيه فيسبل اهدابه يسأل بصوت مبحوح محاولا اخفاء مشاعره التي تأججت مرة اخرى ناحية جدايل " تقولين أسميته ؟! لااصدق انك من اخترت اسما قويا كصقر ! لو قلت انه خيار هيثم لتفهمت لكن أن خيارك انت .. صعب ..! "

ضحكت شهرزاد بخفة ثم ردت بنبرة اثارت اهتمامه " كلنا نتغير أيهم .. بطريقة او بأخرى تفاجئنا الحياة بمنحنا فرصة لاتنتظرنا كثيرا .. فرصة قد تكون مؤلمة لكنها ذهبية بل لاتقدر بكنوز الارض ..

فرصة لنغير ولو البعض من طباعنا بما يجعلنا أقوى او .. ربما اكثر انسانية ... المهم ان نتغير للافضل ونطوي صفحات ماض بغيض جعلنا نخسر الكثير من ذاتنا ..."

حدق ايهم في وجه شهرزاد بعجب ...

رأى فيها ملامح جديدة ... لم يتغير جمالها الخمري .. بالعكس زادت فتنتها .. لكن ما تغير هو روحها ... نظراتها ...

بدت قوية غامضة بعض الشيء على غير طبيعتها الهشة الواضحة التي يعرفها ..

كلامها بدى وكأنها تتحدث عنه هو لكنه واثق انها تتحدث عن تجربتها الشخصية ...

ترى هل صدق حدسه قبل سنوات ان هيثم الجراح سيجرح في العمق هذه الهشة الفاتنة؟!

ابتسمت له شهرزاد لتقول فجأة

" ساذهب وأرى جدايل اين تختبئ ؟"

فيبتعد ايهم عفويا عن الباب سامحا لشهرزاد بالمرور وهو يهمس بثقة

" انها لاتختبئ .. انها غاضبة ولاتريد رؤيتي "

اتسعت ابتسامة شهرزاد وهي تهمس له تطمئنه

" لاتقلق .. ستكون الامور بخير .."

ثم فتحت الباب وغادرت بينما أيهم يعاوده شعور القلق...

قلق يقبض على قلبه ويعتصره ...

همس بحشرجة يعيد ما قاله لجدايل مرات عديدة من قبل عندما كان يمازحها ليثير غيظها " اغضبي صغيرتي كما تشائين .. اضربيني اركليني اشتميني ... لكن ظلي بقربي ..."

تخصرت سمارا عاقدة الحاجبين بينما تكتشف عناد هذه الفتاة العابسة امامها!

وهي من كانت تظن ان اختها هديل لايوجد مثيل لها في العناد وها هي تكتشف ان صغيرة الهيئة والتكوين هذه تفوق اختها بمراحل !

عادت جدايل لتردد بملامح مصممة

" لن يجبرني على الذهاب معه الآن .. سأغادر المكتب عندما اشاء وبمفردي واقرر الكلام معه في الوقت الذي أحدده انا وحدي ..لن يجبرني على شيء "

زمجرت سمارا وهو تعنفها " ما هذا العناد يا فتاة؟! الرجلان كادا ان يتبارزا بالسيوف قبل قليل ولولا شهرزاد لتبارزا بكل ما تصل اليه ايديهما الغليظة وانت ما زلت على نفس المقولة الاثرية (لن يجبرني على شيء)؟!!!"

طرق خفيف على باب المطبخ لتفتح الباب وتطل شهرزاد وهي تبتسم ببشاشة قائلة

" ما اخبار عروسنا الغاضبة ؟"

ازداد عبوس سمارا بينما التقطت شهرزاد تلك الارتعاشة الخاطفة التي مرت في جسد جدايل..

قالت شهرزاد بحنو وهي تقترب من جدايل

" ايهم يريد التكلم معك فقط عزيزتي ، اذا كان هناك اشكال فاسمعي له "

تشنج جسد جدايل فبدت لشهرزاد انها تعاني من السيطرة على غضب متراكم ..

قالت سمارا بنبرة ثابتة توجه كلامها لجدايل

" تقولين لن يجبرك على شيء هذا حسن لكن جدي طريقة للتعامل وتحفظ لك خياراتك التي ترتضيها معه .. المهم ان تواجهي الآن لا ان ترفضي هكذا ... تصرفي بنضج يا فتاة ولاتخيبي نظرتي فيك .. اخرجي اليه وازأري في وجهه لو شئت فالرجال احيانا يحتاجون لسماع بعض الزئير من نسائهم .."

كتمت شهرزاد ضحكتها بينما تشفق على جدايل من قلبها ... لاتعرف لماذا تذكرها بجزء منها .. ربما تذكرها بحالها في وقت ما رغم ان الفتاة لاتشبهها حقا ...

ربتت شهرزاد على كتف الفتاة المتشنجة هامسة " ربما لم تكوني مستعدة للمواجهة اليوم اليس كذلك ؟! لذلك ترفضينها .. تريدين الامور ان تكون تحت سيطرتك فقد تعبتِ لانها تفلت منك على الدوام ! "

ارتفع رأس جدايل بقوة وحدقت في وجه شهرزاد مبهوتة فعلمت شهرزاد عندها انها اصابت الهدف فأكملت بجدية وهدوء

"لابأس .. حتى لو لم تكوني مستعدة فاخلقي الاستعداد وكوني المبادرة لفرض شروطك وجعل الخيارات كلها منوطة بموافقتك ..."

تراخت ملامح جدايل قليلا قبل ان تسأل

" هل انت .. قريبته حقا ؟ "

فردت شهرزاد بمراوغة حتى لاتثير سيرة عشتار الآن " نعم .. ليس تماما .. زوجي هو قريبه وليس أنا ..."

هدأت ملامح جدايل تماما وبدت كمن يفكر بعمق لتضيف شهرزاد بصدق واهتمام

" اخرجي اليه .. ترفقي به .. يبدو شديد الارهاق بل مستنفد القوى .. ومع هذا لايريد الا ان يكون معك..."

بعد عشر دقائق غادرت جدايل مع أيهم المكتب في صمت تام ، حتى شاهين راقب خروجهما بصمت حذر بعد بضع كلماته قالتها له شهرزاد بخفوت...

جدايل كانت تتقدمه باعتداد شامخ يخفي كم هائل من مشاعرها المحتدمة نحوه ..

نزلت السلالم وهو ما زال خلفها فتشعر بانفاسه تلاحقها و عند وصولهما للطابق الاول شعرته يقترب اكثر ثم وكأنه مال اكثر نحوها... حتى انها شعرت انه يتشممها ...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

أرعشتها الفكرة ثم ماتت في مهدها سريعا !

انها لم تعد تفهم تعقيداته هذه وقد تعبت

وانهكت من اللحاق بتفسيرها هنا وهناك ...

لم تعد تريد الاستمرار هكذا .. ولن تستمر !

عندما خرجا للشارع اخذت تتلفت يمينا

وشمالا بحثا عن احدى سياراته التي يتناوب

على استخدامها ليأتيها همسه الأجش

" تلك السيارة الذهبية هناك ..."

تقدمت وهي تتطلع للسيارة الفارهة وقد بدت

مشعة تحت اشعة الشمس بلونها الذهبي الرائع

فتمنح احساسا بالدفء وقد فُتحَت اولى ابواب

الشتاء...

فتح باب السيارة لها وقد تعمد الاقتراب

بجسده ليضيق من المساحة الفارغة التي

تركها لها لتمر وتصعد لمقعدها ..

لامست جسده مرغمة دون ان تتطلع له فيهمس

بحرارة " تبدين اكثر نحولا ..."

ترفع عينيها اليه بنظرة باردة فتكتفي

بالصمت وهي تجلس على الكرسي ...

سمعته يتنهد وهو يغلق الباب ثم يلتف حول

سيارته ليجلس في مقعده ...

دقائق مرت بنفس الصمت المتوتر قبل ان

يسألها بنبرة ناعمة

" أين تفضلين الذهاب ؟"

ردت بنفس البرود وهي تتطلع للامام

" اي مقهى منعزل سيكون مناسبا للتحدث ووضع النقاط على الحروف ...."

عيناه مالتا لتمعنا النظر في هيئتها وهو يتمتم بجذل " أممممم النقاط على الحروف ..."

يحدق في جانب وجهها وقد تغطى جزء منه بحافة الحجاب المورد الذي ترتديه فيسألها بتحشرج " متى ارتديتِ الحجاب ؟"

فترد بجفاء " قبل اسبوعين ..."

ليسأل بهمس وعيناه متعلقتان بتلك الشفتين الطفوليتين " لماذا ؟"

ترد بنفس النبرة مع لمحة تمرد " انا حرة .."

فيقول بصوت مبحوح ويده تمتد ليدها

" لست حرة تماما .. فأنتِ .. زوجتي ..."

حالما مس يدها ابعدتها بحدة اوجعته في الصميم بينما تلتفت اليه لتهدر بغضب مكبوت " لاتلمسني أيهم .. لاتلمسني ..."

رغم غضبها .. رغم جفائها .. شراستها ونأيها الصارم لنفسها عنه .. مع كل هذا لايستطيع وقف توقه اليها في هذه اللحظة ...

لايستطيع حتى السيطرة على سيل الذكريات الذي يغذي هذا التوق ويجعله اكثر احتراقا.. وهل يمكن ان ينسى كيف امتلكها ... ؟!

رغم خطأ توقيت ما حصل الا انه لايستطيع وصمه بالخطأ بكليته ....

وكيف يعتبره خطأ وكل جزء من سمرائه

انحفر حفرا فيه.. سد شواغر روحه بالكامل..

لقد عرفها كأقرب اليه من انفاسه ..شرايينه..

انها هناك تجري بدم جديد اجتاح كل

خلاياه فيحييها وكأنها ما كانت حية قبلا...

لقد عرف كل ما حلم ان يعرفه منها ...

عرف جلدها وما تحت جلدها ....

وأدمن الاثنين معا ... ومن أول مرة ....

ركن سيارته امام مقهى مطل على النهر

فترجلت جدايل قبل ان يطفئ المحرك و دون

ان تطلع اليه فتنهد متلوعا من غضبها عليه

ليترجل هو الآخر خلال لحظات ويلحق بها ...

انه مرهق لابعد حد لكنه مستعد ليركض

خلفها مئات الاميال ...

ما زال يلاحق خطواتها النافرة منه بينما يحدق

في هيئتها من الخلف ...

طقمها الازرق جميل لكنه كرهه!

سترة محكمة وتنورة طويلة ، والقطعتان

تحجبانها بالكامل بشكل مغيظ ومزعج ..

طقم سخيف جعله يشعر بانعزالها عنه ..

كم يتمنى لو اخذها لمكان اكثر انعزالا

حتى تخلع حجابها ويراها ....

كم هو مشتاق لأن يراها ...

انه ما زال لم يستوعب تماما انها تحجبت ..

لكن عقله منهك فلايسعفه الآن ليفكر بموضوع الحجاب هذا ويركز على اهم اولوياته معها ، فلديه ما هو اكثر اهمية بكثير ويحتاج للحلول مع هذه الصغيرة العنيدة...

رآها اختارت مكانا منعزلا في اقصى المقهى وفي الهواء الطلق ..

حسنا .. الجزء الجيد ان المقهى فارغ تماما في هذه الساعة من النهار ... الجزء السيء انه لن يستطيع التقرب منها واحتواء غضبها ...

جلست على الكرسي البعيد قبل ان يصل هو للطاولة ثم ادارت وجهها جانبا تحدق في مياه النهر ...

اقترب النادل مع جلوسه فطلبا القهوة ليتحرك النادل ملبيا الطلب بينما عادت جدايل لانعزالها ونظراتها المتباعدة ...

ناداها اخيرا بصوته المتعب " جدايل ..."

قالت ببعض التلكؤ وهي ما زالت تحدق في الماء " لقد اتخذت قرارا .. ويجب ان تعرفه من اول حديثنا .. انا قررت.. اني .. لن استمر معك.. "

اتسعت عيناه بصدمة وقفز قلبه بنبضة مدوية في صدره بينما يتمتم بخشونة

" ماذا قلتِ؟!"

التفتت اليه ببطء وبملامح عجيبة كانت تواجهه بالقول " فقط دعنا نتمم هذه المهزلة ونقيم العرس ، لا لشيء وانما لأحفظ كرامة ابي وماء وجهه امام الناس ؟"

احضر النادل طلبهما من فنجاني قهوة ثم غادر ليكبت أيهم هلعه وجنون غضبه فيكلمها بلين ظاهري

" أ كلُّ هذا الغضب لأني .. عجّلت الامور بيننا؟! أم لأني ضعفت ولم استطع التوقف .. ؟ هل تشعرين اني خنت ثقتك جدايل ؟ أم ربما غضبك لاني اضطررت للسفر قبل ان نتكلم في الامر ؟ "

واجهته بعينيها المجروحتين المحترقتين بالغضب " أنتَ لم تدخر جهدك لتشعرني كم انا رخيصة ...؟"

أراد لمس يدها المرتعشة غضبا لكنه أدرك خطأ حركة كهذه الآن فاكتفى بالهمس

" لاتقولي هذا جدايل ...تعرفين يقينا انه غير صحيح ... "

ضربت بيدها على الطاولة لتهدر منفجرة بكل ما يعتمل فيها " بل سأقوله .. وسأصرخ به وبالمزيد الذي أكتمه .. لم أعد اتحمل ... تقول ضعف ؟! تتكلم عن الضعف ؟!! اذن دعني اكلمك عن ضعفي انا ! ذلك الضعف القاتل الذي ادفع ثمنه غاليا الآن ..

اجل انا ضعفت .. وليس ذلك اليوم فحسب بل وقبلها ... ومنذ أشهر طويلة ضعفت وبكل غباء امامك .. احببتك وعشقتك وأردت ان اعطيك السعادة على طبق قلبي الذي لم يعرف... الحب... قبلك ... "

تقطعت كلماتها وتحشرج صوتها ألما وهي تفيض بالمزيد مما يقتلها " ذلك اليوم ناديتني حبيبتي فانهرت لأصل قمة غبائي معك ولكَ ان تتخيل كم انا مثيرة للشفقة لانهياري من مجرد كلمة عابرة خرجت منك عفويا ودون ان تشعرها حتى .."

ناداها بحنان لتهدأ قليلا "جدايل .."

لكنها واصلت انفجارها بينما عيناها تلمعان بدموع لم تهطل " ضعفت امامك نعم اعترف .. كنت متعطشة لأشعر اني املك قلبك .. تصرفت بغباء بينما استسلمت لامتصاصك الاستعبادي لي .. جعلتني أشعر اني مصدر طاقة امتصصته أنت لاخر قطرة فقط لتستعيد نفسك .. وحالما فعلت واخذت كل شيء تركتني وذهبت اليها ... تركتني لذلي وعاري اني خنت ثقة ابي بي .. تركتني لرعبي وانا افكر بمصيري وماذا ينتظرني ... عشرات الصور المؤلمة المدمرة جمعتك مع عشتار في خيالي لأتلوى كمدا وقهرا ..

عشرات أخر اراك فيها محرجا مرتبكا شاعرا بالذنب نحوي بينما تقدم لي اعتذارات ومبررات واهنة لتتخلى عني وتنهي مهزلة زواجنا قبل ان تبتدأ ..."

كان منهكا ذهنيا لكن عقله لم يستطع التوقف عن ملاحقة ما تقول وليحاول تفسيره!

اخذ يحرك رأسه بذهول بينما يسألها بوجه شاحب

" من أين لك هذه الافكار والشكوك البشعة ؟! ماذا فعلت لأجعلك تشعرين هكذا!؟ هل لأني تركتك مرغما ذلك اليوم ؟! لكني توسلت رؤيتك قبل سفري الاضطراري ثم قضيت الاسابيع لم أكلّ ولم أملْ من الاتصال صباحا ومساء عسى ان ترضي وتكلميني .. لم اكن أنام الا مجبرا حين ينهار جسدا اعياء ... "

يده ارتعشت وهو يحركها على الطاولة ليضيف بنفس التتشت والذهول

" هل حقا تتصورين ان امتلكك كزوجة لي ثم .. اتركك ببساطة ؟!! اعترف ان توقيت سفري المفاجئ كان خاطئا جدا لنا نحن الاثنين ... لكن هذا لايعني ...."

قاطعته بنبرة حادة بينما عيناها ثائرتان وانفاسها صاخبة " طوال هذه الاسابيع كنت معها ايهم اليس كذلك؟ .. مع .. مع ... معشوقتك ... عشتار ...

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

هي سبب سفرك الاضطراري المهم الذي

تركتني لاجله اتلوى بخزيي .. بالآمي ..

بمخاوفي التي حطمتني وقلبي .. قلبي الذي

تمزق اشلاء واشلاء ..."

تجمد ايهم وقد أدرك الآن سبب غضبها

الحقيقي لا ليس الغضب فحسب انها تشعر

بالخوف ...بالخسارة ... بانعدام الثقة !

لكن ... كيف علمت ؟! لقد كان حريصا

جدا ان لاتعلم .. حتى انه اخفى وجهة سفره

عن الجميع حتى لاتشك بسبب ذهابه

لاسبانيا حيث عشتار ...

سألها بهدوء ظاهري " كيف علمتِ ؟"

دموعها هطلت وملامحها تعبر عن استنزافها

لتتمتم بنبرة مجروحة وعيناها في عينيه

" تلك الجمعة وقبل لحظات من خروجي

أتتكَ على الهاتف ... رسالة صوتية ... منها ...

تطالبك بعدم التأخر ... تبكي حاجتها

اليك وتشكو شوقها لرؤيتك ... تتمنى ان

تكون على متن الطائرة التي تحملك اليها ...

رسالة شاء سوء حظي او ربما حسن حظي ان

اسمعها ليكتمل حطامي وأفيق من احلامي

المضحكة ..."

انحنى للامام رافعا يده يريد مسح دموعها

فتباعدت بشراسة واخذت تمسح دموعها

بيدها...

همس بألم " اذن هذا ما كان يغضبك لتلك الدرجة حتى انك امتنعت عني ورفضت ان تردي على مكالماتي بينما انا احترق عاجزا هناك "

صرخت به وقد استعادت سيطرتها على نفسها مرة اخرى " تحترق ؟!!! انت وقح حقا لتستهين لهذه الدرجة باسباب سفرك الحقيقية .."

وجهه ازداد شحوبا فهمس بنبرة غريبة

" هل تلمحين بحصول شيء بيني وبين عشتار؟"

فترد بتنهيدة ألم وعينين شاردتين تفيضان يأسا " ولم لايحصل ؟! انت ما زلت تحبها وانا وصلتُ لقناعة حطمتني انك لن تتوقف عن حبها طيلة حياتك .."

فجأة وقف على قدميه وقد شع جسده توترا بينما يخرج حافظة نقوده ليرمي بضعة اوراق نقدية ثم يتمتم بهمس خشن

" تعالي لنخرج من هنا .. لم أعد اطيق المكان.. "

لم ترفض وقد شعرت انها مختنقة رغم الهواء المنعش حولها ....

جلسا في السيارة صامتين مرة اخرى ...

ثم شغل المحرك وانطلق ...

مرت نصف ساعة وهو يلف في الشوارع معها دون ان ينطق بشيء وهي لم تكن في حال يؤهلها لتقول المزيد ...

لقد قالت الكثير وقد استنفد معظم قواها ما قالته ... تحتاج لهدنة مع النفس الثائرة المتألمة ...

اوقف السيارة اخيرا في مكان منعزل ..

ارجع رأسه للخلف مستندا لظهر كرسيه مغمضا عينيه ثم همس بنبرة مرهقة

" دعيني أشرح الامر كما حصل تلك الجمعة .. عصر ذلك اليوم وبعد ما ... حصل بيننا .. انتِ اصريت على أن أتركك بمفردك .. كنتِ في حالة رفض هستيرية لي .. أردتُ ان تهدئي قليلا لنتكلم .. لذلك تركتك وخرجت من الغرفة .. ابدلت ملابسي وظللت أحوم حول باب غرفتك يقتلني الشعور بالذنب .. يقتلني الشعور انك ربما لن تتسامحي معي لما فعلت ... ثم وردني اتصال هاتفي ... كان من مستشفى بمدريد يخبرني ان عشتار بحالة حرجة وقد تعرضت لحادث حريق في شقتها وهي ترفض تلقي العلاج بشكل قاطع رغم كل الآمها الا اذا وعدوا بالاتصال بي وضمنوا لها مجيئي .. اخبروني انها مرعوبة حتى الموت وتبدو على حافة الانهيار العصبي ... كما اخبروني بوضوح ان حالتها خطرة وقد تصبح أخطر وتهدد حياتها "

تشنجت قليلا قبل ان تلتفت نحوه تحدق برأسه المرتخي على ظهر مقعده فتسأله بقلب خافق متوجس " هل هي .. من اخبرتَ عنها سعد ؟ هل عشتار كانت حقا في المستشفى ؟"

فتح عينيه والتفت قليلا بوجهه اليها يحدق في عينيها الجميلتين فيهمس بتعب

" نعم ... لقد التهبت النار باطراف كميّ قميصها لتحرق كل ذراعيها واجزاء اخرى من جسدها ..."

ارتبكت جدايل ... لاتعرف لم ارتبكت مما قاله ... بل شعرت بالتشوش ايضا ..

صحيح هي شكّت انها عشتار من كانت في حالة حرجة بالمستشفى لكن لاتعرف لِمَ لم تتقبل الامر ...!

ما زال ينظر نحوها بينما يتحدث بتباطؤ يفرضه عليه ارهاقه المتفاقم

" لثلاثة اسابيع كانت تعاني مع حروقها وحصلت بعض الانتكاسات في العلاج وكان الامر مريعا فلا تطلبي مني سرد التفاصيل الآن ... اتوسل اليك ... "

اخذت تهز رأسها وعقلها يدور في افكار متداخلة وقلقة ...

ابتسم بمشاكسة رقيقة وهو يهمس " عدت لطبيعتك الاولى وهذا الحوار السريّ بين أنتِ و.... أنتِ ! "

تمتمت وهي تتطلع اليه بتمعن

" هل هذا كل شيء ؟"

تلاشت ابتسامته ثم أخذ يهز رأسه نفيا ...

عيناه المجهدتان نصف مغلقتين لكنه يجاهد ليحافظ على قوة ذهنه بينما يرى صدرها يعلو ويهبط بتسارع ...

لم تحتج لتسأله لانه قرر مصارحتها بما حصل قائلا " لا ليس كل شيء .. البارحة مع مغيب الشمس اخرجتها من المستشفى واوصلتها لشقتها ..."

دمعت عيناها وارتعش جسدها وهي تسأله بارتجاف

" هل .. حصل شيء بينكما ؟ اخبرني الآن .."

خفق قلبه رعبا ! هل ستصدقه ؟!

هز رأسه نفيا مرة اخرى وهو يهمس " لا .. لم يحصل شيء رغم انها .. حاولت ... ليلة الامس فقط... "

دمعتها سالت وهي تسأل بهمس مخنوق وعينين متسعتين وسط وجهه الصغير

" حا...ولت ليلة... الامس ؟!"

هذه المرة هزة رأسه كانت ايجابا !

شهقة ناعمة منها وشك مدمر فاض من عينيها المتسعتين ...

اوجعه قلبه فوق ما كان يتصور .. يتوجع لاجلها .. يود لو يقتلع الآمها ويزرعها في صدره هو ...

لم يشعر الا وهو يقول " انا لم أعد احبها كما توهمك شكوككك الصغيرة يا صغيرة ... "

همست بنشيج متقطع " كا...ذب.."

عاتبتها عيناه وهو يهمس بألم لألمها

" حذاري يا صغيرة انهما تهمتين تلقينهما جزافا على كاهلي المرهق ... فلو كذبت أكون عندها قد خنتك ايضا ..."

شهقت بلوعة وهي تقول بحشرجة قوية " انا لااتهمك بالخيانة .. انها تبقى .. زوجتك "

فيصحح لها برقة ويده تمتد لخدها

" بل طليقتي ..."

تبعد يده بعنف تصرخ به ببكاء طفولي

" وتستطيع ردها .."

ليعلق متنهدا " سواء استطيع او لا .. أنا لم افعل ... ولن افعل ... طيلة حياتي ..."

اخذت تبكي وتبكي بينما تشهق الكلمات مع بكائها الهستيري المكلوم " لااستطيع ان اصدق هذا الذي تقوله .. لايمكن .. لقد كنتَ لآخر لحظة مشتتا متأثرا بها وبرسائلها كنت تريد الاحتماء بي من ماضيكما معا ..

لكنك كنت .. بمفردك معها .. هناك بعيدا.. هي وجمالها الصارخ وتاثيرها الطاغي عليك .. لو عدت اليها .. لو عدت اليها لن تكون خيانة .. انها زوجتك.. معشوقتك .."

لم يعد يحتمل كل هذا تحرك بجسده يميل نحوها ورغم مقاومتها لذراعيه حاوط جسدها رغما عنها يهزها لتستفيق من هستيريتها بينما يهدر بكلمات من صميم قلبه ووجدانه

" انها لم تعد معشوقتي منذ خانت عهدي .. ولو استسلمت لها ليلة الامس فسأعتبرها خيانة ... خيانة لك .. خيانة لقلبك الغالي .. الاكثر غلاء عندي من الدنيا بأسرها .. آآه من قلبك هذا جدايل .. وما يعطيه حين يحب ويعشق ..."

هفت صوته مع هفوت صوت نشيجها الباكي ليهمس من عمق رجولته هذه المرة

" ربما لو لم تكوني موجودة في حياتي لكنت ضعفت ليلة الامس .. ربما كنت ساستسلم لأشباح عاطفة قوية حملتها نحو عشتار ولسنوات طوال مضت .. ولو حصل واستسلمت يا جدايل لكنت احتقرت نفسي بعدها ألف مرة... ثم لن تودي لحظة الضعف هذه لشيء..! ستبقى مجرد لحظة تغرقني بمزيد من العار والاشمئزاز ، لم أكن ساستطيع مسامحتها..لم أكن سأستطيع ان ابدأ معها من جديد..قولي عني اني لاسامح .. اني قاس .. انت لست انساني .. او حتى اتهميني اني لم اعشق عشتار يوما لاملك فضيلة الغفران كما يفترض ان نفعل مع من نحب.. قولي ما شئت .. لكن هذا أنا ... ولا استطيع ان أكون بروح أخرى .. لاأسامح ولااستطيع ان انسى اساءة كهذه كادت ان تحطمني بالكامل ..

انا المجنون حين أعشق من القلب.. والهادر حين أغضب .. والمنتقم ببدائية حين أُجرح ... لذلك اقولها لك ... بوجودك في حياتي او عدمه لم أكن سأعود اليها... مطلقا ... عشتار .. لم تعد لي .. لم تعد تكملني ... ما حدث كان مهولا مرعبا .. غيرنا نحن الاثنين .. انا وهي ... "

قبضتاها متكورتان على صدره تقاومان... تمنعانه الاقتراب منها اكثر بينما تهز راسها وكأنها لم تصدق ما قاله لتهمس ببكائها المتواصل

" لاتنكر ايهم .. انها دوما ستظل الانسب لك مني لتكملك ... الكل يقولها لي بعينيه ان لم يكن بلسانه .. الكل يراني لااناسبك ولاتتناسبني وربما هم محقين وارتباطنا خطأ فادح من البداية ..."

يهدر غاضبا بجنون

" فليذهب الجميع الى الجحيم .. انهم لن يفهموا ولو بعد الف سنة .. لن يفهموا ان روحينا تلاقيا خارج الزمن .. خارج العوالم ... كيف تصدقين اننا غير متناسبين باللّه عليك ؟!! كيف .. كيف .. وانا اشعر بكل هذا الذي اشعره معك ... تقولين اني امتصصت طاقتك يوم امتلكتك؟! وانت ماذا فعلتِ بي ؟!! لقد امتصصتني في المقابل .. بسوادي ونيراني .. كلانا تشرب واندمج ببعض ..."

قلبه ينبض بعنف في صدره بينما تشهق هي ببكائها بين ذراعيه .. يود لو يحتضنها عنوة يجبرها لتكون حيث مكان قلبه النابض لاجلها لكنه يتعذب ولايفعلها .. لايريد ان يفعل المزيد مما قد يثقل عليها .. يؤذيها ..

يكفي ما فعل .. يكفي انه جرها جرا لعواصفه الشيطانية السوداء .. هذه العصفورة الصغيرة .. هذه الفراشة التي حملت النور بين كفيها الصغيرين تتوه في ظلماته التي خلفتها عشتار بخيانتها ...

همس بحشرجة عاطفية

" سامحيني حبيبتي .. سامحيني لاني آذيتك مُذ عرفتني .. وآذيتك أكثر .. ذلك اليوم.. قبل سفري .. اقسم بالله ما كنت افكر للحظة بفعلها قبل ليلة الزفاف رغم كل توقي اليك .. كنت اعلم كم هو مهم بالنسبة لك .. لكني اعترف اني كنت اريد دفعك لتقنعي والدك بتعجيل الزفاف .. اخذتك تلك الجمعة لبيتنا لنعيش يوما خاصا وفريدا يقربنا اكثر واكثر .. كنت عامدا متعمدا لفعل هذا .. أردت ان استغل عاطفتك وأشتتك عن التفكير بأي معوقات تعطل زفافنا ... كنت احتاجك فوق الوصف يا سمراء وانت تعرفين هذا .. لكن .. أفلت الامر مني وقد ظننتُ بغرور انه سيبقى تحت سيطرتي .. أفلت ... ولم استطع التوقف .. "

تأوه بقوة وهو يميل بوجهه ليتشممها هامسا ببحة عاطفية " في تلك اللحظات كان الشعور بك بكليتك بين يدي انفجاريا جدايل .. روحك .. جسدك ... كينونتك الانثوية العصفورية .. شخصك ... شعرك ... ملمس جلدك... رائحتك ... آآآآآآآآه من رائحة جلدك الدافئ وما فعلت بي ... "

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يحدق فيها .. ما زالت مقاومة ... باكية... ولايعلم هل تسمعه ام لا لكنه انفجر ولم يعد يطيق أكثر كبت ما يشعره فاضاف بعاطفة متقدة

" حرارة قلبك وانا املكك لاتضاهى .. لاتوصف .. هذا القلب الدافئ كنت أراه دوما بوصلتي ليوصلني للخلاص ثم ادركت لحظتها انه.. قِبْلتي ...! أجل هو قِبلتي .. هو كل ما اريد .. وقد كنت غبيا وانا أتوه عما اشعر به ... وكم اتعبتك بغبائي هذا صغيرتي ..."

لم يصبر اكثر ليميل يريد شفتيها لكنها انزلت وجهها للاسفل واخذت تدفعه بكل قوتها تهدر فيه

" صغيرتك شاخت على يديك ! "

ارخى جبينه على جبينها وما زالت تدفع صدره بقبضتيها وتستخدم ذراعيها لتترك بين جسديهما مسافة تمنعه ضمها اليه بالكامل والشعور بها ...

تنهد جزعا منهكا وقد ادرك انها تحتاج للوقت لتصدق .. لتؤمن من جديد ...

وهو عليه ان يتعذب بالمزيد... ومن جديد ...

وكأنما تؤكد ما يفكر به فترفع وجهها لتقول بارتعاش رغم نبرة العناد والتصميم

" ما زلت غير مطمئنة أيهم .. لااريد اقوالا عاطفية لم أعد اؤمن بمصداقيتها .. اريد افعالا .. وحاليا كل ما اريده هو اتمام الزفاف لأجل ابي فقط .. وبعدها سأقرر .. هل اشعر حقا بالاطمئنان معك ام .. نفترق... "

أفلتت نفسها ببطء منه فتركها مرغما وعاد لكرسيه ليتخذ نفس وضعيته الاولى مسترخيا برأسه لظهر كرسيه بينما يتمتم بتراخ " عرسنا خلال يومين .... سأكلم .. والدك .. الليلة ... "

صمتت فصمت ...

أدارات وجهها جانبا وهي تلتقط انفاسها تشعر بارتعاش جسدها انهاكا من هذه المواجهة معه ...

أخذت تمسح وجهها من آثار الددموع وتعدل حجابها ثم صدمت وتجمدت حركة اصابعها على الحجاب بينما تسمع صوت .... شخيره !

تأففت هيفاء وهي تحدق بشاشة هاتفها النقال الذي يرن بينما يسأل باسل وعيناه امامه على الطريق " هل هذه جدايل التي تتصل ؟ "

فترد هيفاء وهي تترك الهاتف يرن في حجرها " لا بل امي ..."

عبس باسل متسائلا " لم لاتردين عليها ..؟"

فتتنهد قائلة وهي تلتفت ناحية شمس التي غفت على المقعد الخلفي للسيارة

" لانها تحاصرني بشكل لايطاق .."

زفر باسل بضيق قائلا بنوع من التساؤل

" موضوع الانجاب مرة اخرى ؟"

فترد هيفاء وهي تفك رباط شعرها " نعم .... "

اخذت تملس على شعرها بينما باسل يرمقها بنظرات جذلى وهي تتابع الكلام حانقة على امها لاهية عن نظرات زوجها المغرمة

" ماذا تريد اكثر من استسلامي التام لرغبتها التي اصبحت مرضية بجعلي حاملا ؟! لقد أكدت علي موعد الطبيبة القادم لثلاث مرات هذا اليوم ! وها هي تتصل هاتفيا فقط لتوصيني بالتحضر وكأننا نحضر لامتحان العمر ! "

قال باسل بصوت أجش وهو يعاود النظر للطريق

" فقط لو تطيعيني وتتركي الامر برمته .. وانا مستعد ان أكلمها لو شئت .. سأخبرها اني لااريد مزيدا من الاطفال ... "

تركت شعرها لتلتفت اليه تبتسم بعاطفة باتت تملأ قلبها نحوه .. يقول (لااريد المزيد)! أنه عفويا يعتبر شمس طفلته ...

قالت أخيرا وعيناها تتمليان بجانب وجهه

" امي لن تصدقك ولو حلفت لها على كتاب الله ! كما اني اشتري راحة نفسي بانصياعي لرغبتها وهي لاتؤثر علي حقا الا بالحاحها المزعج احيانا .."

عندها التفت يتطلع اليها هامسا بتفهم

" بل تؤثر ... و انت قلقة اكثر منها تتمنين حصوله في اقرب وقت .."

ارتبكت قليلا وهي تغض بصرها قائلة

" ليس .. لهذه الدرجة باسل ..."

مد كفّه الغليظ بوقاحة ليلامس ركبتيها اسفل تنورتها هامسا بنبرة مبحوحة

" احبك عندما تنكرين ...."

فتبعد يده محمرة الخدين توبخه برقة

" وانا لااحبك عندما تصبح صريحا اكثر مما يجب ...."

يضحك بخفة بينما يقول ببساطته المحببة

" الحياة لاتحتمل تعقيدات غير مجدية "

فجأة سألها دون مقدمات

" ألم تتصل بك جدايل اليوم ؟"

عقدت هيفاء حاجبيها لتسأله بدهشة

" مابالك تسأل عن جدايل اليوم ؟"

كان ينظر للامام لكنه يبتسم !

يبتسم ابتسامة مشاكسة ذات معان خفية ..

سألته هيفاء بريبة

" لماذا هذه الابتسامة الخبيثة ؟!"

فيرد متفكها " هل تعلمين ان أيهم سليماني وصل ارض الوطن صباح اليوم ؟"

ارتفع حاجبا هيفاء تهمس بقلق " حقا ؟!..."

فيرد وهو يلتفت بوجهه اليها غامزا

" نعم ... حقا ..."

سألته وريبتها فيه تزداد " وكيف عرفت أنت يا باسل ؟! لم اسمع انه حضر للمؤسسة.."

فيحرك حاجبيه صعودا ونزولا يغيظها قائلا

" لانه اتصل بي شخصيا عبر الهاتف .."

عندها ادركت ما حدث ! فزمجرت باسمه

" باسل ....! "

فيضحك من قلبه لتوبخه هيفاء باحباط

" لاتضحك هكذا ! لقد اخبرته عن مكان عمل جدايل الجديد اليس كذلك ؟! "

فيقول بجدية مؤكدا بشكل ضمني ما تكهنت به

" انه زوجها ولافائدة من اختبائها عنه اكثر من هذا .. عليها ان تترك طرقها الملتوية للتهرب من مواجهته ... اقصر طريق بين نقطتين خط مستقيم "

فدافعت هيفاء عن جدايل قائلة

" انها لاتتهرب باسل .. انا لااعرف ماذا حصل بينهما لكني اوقن انه كبير وهي فقط احتاجت لفترة حتى تلتقط انفاسها بعيدا عنه.. "

فيضيف باسل بدهاء من يعرف النساء

" ولتعاقبه ايضا ... "

فتتعجب هيفاء تسأله " كيف عرفت ؟؟"

رد ببساطة " مجرد حدس ...! تلك الفتاة ليست بالهينة ابدا ... مخادعة بطريقتها البريئة اللذيذة "

لم يعجبها كلامه فاستهجنت بعبوس

" جدايل مخادعة ؟!!! انها طفلة ! "

لكن باسل رد بواقعية

" ليست طفلة وانت تعرفين .. كما اني قلت (مخادعة بطريقتها البريئة اللذيذة) .. هي ليست خبيثة وانما تصبح لئيمة منتقمة متلاعبة عندما تشاء..."

علا رنين هاتفها النقال مرة اخرى فاطلقت هيفاء تأففا عاليا هذه المرة ليقول باسل بنزق

" ردي عليها هيفاء .. واذا كنت لاتريدين دعيني انا ارد بنفسي .. لقد بدأت توترني ! "

اشارت له ان يهدأ بينما تلتقط هاتفها من حجرها وترد على امها بنبرة تخفي حنقها وضجرها من حديث متوقع مكرر ...

استمع باسل للحوار من جانب هيفاء فقط " نعم .. امي .. ما زلنا في الطريق نوشك ان نصل .."

ثم شعر بتغير لغة جسدها لتوتر شديد ثم تشنج عصبي واضح وهي تهمس باختناق واضح " من ؟! "

سأل باسل بتوجس " ماذا هناك هيفاء ؟ "

فمنحته نظرة غريبة !

بدت .. مشوشة وخائفة بينما ترد على امها بشكل مقتضب اثار قلقه وارتيابه أكثر

" متى امي ؟ الآن حالا ؟ ... أجل حسن ... نعم .. افهم .. لابأس ... لن أفعل امي .. ارجوك .."

اغلقت الخط بينما يرى جسدها يرتعد رغم كل محاولاتها للسيطرة عليه !

سأل بحزم وهو يلاحظ شحوب وجهها المتزايد

" ماذا هناك هيفاء ؟ "

فترد بنبرة غريبة " لاشيء .. "

كانا قد وصلا المبنى حيث شقتهما فعقد باسل حاجبيه بقوة بينما يعبر قائلا وهو يركن السيارة

" كيف لاشيء ؟!! انت ترتعدين ووجهك شاحب شحوب الموتى ! "

اطفأ السيارة ليحدق في عينيها الواسعتين المشوشتين فتهمس له بنبرة متوسلة وهي تشير برأسها ناحية شمس التي استيقظت من نومها " ساخبرك فيما بعد ..."

دخلا الشقة بصمت متوتر بينما كانت شمس تستعيد حيويتها بعد قيلولتها القصيرة في السيارة لتركض تسابقهما وامها تناديها قائلة " شمس اغسلي وجهك ويديك حبيبتي "

اغلق باسل باب الشقة ببعض الحدة ليلحق بزوجته ويمسك ساعدها بحزم متحركا بها ناحية غرفتهما ليختلي بها هناك بعيدا عن مسامع الصغيرة شمس فيسأل زوجته دون مراوغة " ماذا يحصل ؟"

تبتلع ريقها بصعوبة تحاول استعادة رباطة جأشها فتحاول تهدئته بالقول " دعنا اولا ..."

لكنه يقاطعها بنظرات غاضبة لاتحتمل مزيدا من الصبر فيسأل وهو يشدد على كل كلمة " ماذا .. يحصل... هيفاء ؟!"

فلا تجد الا المصارحة بالقول المرتبك

" انه ... قا...قاسم ..."

اختض قلب باسل في صدره ولايعرف لماذا !

ثم سأل بصوت أجش " ما به قاسم ؟"

رأى الخوف يطل من عينيها بينما تهمس بتشنج خانق " حالما اخذنا شمس وغادرنا كان قاسم يدق الجرس على بيت عائلتي .."

ضاقت انفاسه وغلت الدماء في عروقه وهو يهدر بالسؤال الصريح المباشر " ماذا يريد ؟"

عندها شعر بها تترنح وعيناها تدمعان والخوف الذي كان يطل منهما تحول لرعب واضح بينما تهمس وهي تتعلق بساعديه

" يقول .. يقول انه يريد ... ش...مس "

كان مصعوقا !

وهي الاخرى كانت تعيش صدمة متأخرة !

ما زالا يحدق احدهما في الآخر عندما رن جرس الباب وقبل ان يدركا ما يحصل سمعا خطوات راكضة لقدمين صغيرتين بينما شمس تنادي بثقة

" انا سأفتح الباب ...ماما "

فتصرخ هيفاء لاشعوريا

" لا .. شمس .. لاتفتحي ..."

وبينما تتعثر هيفاء بخطواتها كان باسل يسابق الريح يريد الوصول للصغيرة قبل ان تفتح الباب ...

تقارب الشمس على المغيب بينما تتحرك جدايل ذهابا وايابا على الرصيف ولاتبعد سيارة أيهم عنها الا ببضع امتار ..

كانت تكلم سعد بتوتر عبر هاتفها النقال ...

" اجل سعد .. اعرف .. سنأتي حالا ما ان يستيقظ من النوم .. لم استطع ايقاظه .. انه يشخر بقوة ووجهه شاحب .. حسن .. لن اتأخر .. اعدك ... الى اللقاء ..."

اغلقت الهاتف بتنهيدة عميقة فيجفلها صوت أيهم الرجولي الأجش " انا لا اشخر في العادة"

التفتت بقوة تواجهه بهمس اسمه عفويا

" أيهم ..."

قميصه الداكن مجعد حتى بنطاله الصحراوي كان مجعدا للغاية .. شعره مشعث ومبعثر بفوضوية ..

وجهه الوسيم استرد بعض لونه لكن الارهاق ما زال يرسم ملامحه فيعبر عن حاجته الماسة لمزيد من النوم المريح خاصة مع الاحمرار الشديد لبياض عينيه ...

ابتسم لها بطريقة جعلتها تحمر رغما عنها بينما يردد بنبرة غريبة

" ابن الخالة العضلي سعد من جهة .. والضخم شاهين من جهة اخرى .. هل تخبئين مزيدا من الرجال الاقوياء لابعادي عنك ؟ "

ارتبكت رغما عنها فقالت ببعض التوتر

" لا ليس هكذا .. سعد يعتبرني مسؤولة منه والسيد شاهين ..."

قاطعها بملامح توحي بالهدوء الذي يسبق العاصفة " انت مسؤولة مني وحدي .. انت صغيرتي... انا وحدي ... "

تقبضت يداها وتوترت اكثر رفضا لاسلوبه التملكي هذا...

تملك من جانب واحد فقط .. جانبه هو ! وماذا عنها هي الا يحق لها ان تحظى بالمثل ؟!

الا يحق لها ان تملكه بنفس الطريقة ؟

قالت بصلابة وحاجبين معقودين بعناد

" ما زال هناك المزيد لنقوله أيهم .."

فيرد وعيناه البندقيتان تتوهجان

" وما زال هناك المزيد لتعرفيه ..."

فتسأل بتوجس بريء " ماذا بعد ؟"

فيقترب هامسا بصوت مبحوح

" تعالي قربي ... وسأخبرك ..."

الفصل السابع عشر

فيقترب هامسا بصوت مبحوح

" تعالي قربي ... وسأخبرك ..."

تراجعت خطوة للخلف وما زال حاجباها معقودين وتعبر بعناد أكبر

" لاتقترب ... قل ما تريد دون ان تقترب "

يتقدم خطوة وهو يبتسم بمشاكسة لتتلألأ عيناه البندقيتان بشمس المغيب فتثبّت جدايل قدميها في تحد وتشمخ بوجهها لتجابهه بالقول " تجرأ وحاول لمسي أيهم وستجدني أصرخ وسط الشارع وأقول انك تتحرش بي "

انفجر ضاحكا من قلبه ورأسه يتراجع للخلف بصدى ضحكاته فيخفق قلبها بقوة حتى كاد يحطم اضلاعها و يشق صدرها...

اسبلت اهدابها تخفي مشاعرها الخائنة عنه لكنها لم تسيطر على نفسها تماما فتشابكت يداها في توتر ... بل في مقاومة ... ترفض بشراسة أي تأثر به ..

لاتريد الضعف .. لاتريده على الاقل الآن ..

حتى تفهم .. حتى تتأكد ...

لا .. انها لاتريد ان تضعف ابدا .. ابدااا...

لفحت انفاسه الدافئة خدها فأدركت انه يقف قبالتها تماما ، حذاؤه البني الانيق يقابل حذاءها الاسود البسيط ...

انفاسه اختلطت بكلماته الهامسة

" قبل ان اخبرك .. فقط اخبريني أنتِ أولا ..
لِمَ أرتديتِ الحجاب حقا ؟ هل .. شعرت بالذنب
صغيرتي ؟ هل آذيتك لهذه الدرجة لأجعلك
تشعرين بارتكاب خطأ معي ..؟"

هذه المرة يداها كانتا تتشنجان بتوتر أشد ..
انه لايعلم كم كانت محنتها عظيمة ولم
يكن رفيقها بهذه المحنة الا اللّه سبحانه ...

تمتمت بشفتين متوترين وهي ترفع وجهها اليه
" ليس لشعور ذنب.. رغم اني غرقت بهذا
الشعور القاتل لكنه ..لم يكن السبب ..."

عيناه تحومان باشتياق عذب على ملامحها
فيهمس " اذن ما السبب جديلتي السمراء "

ردت بنبرة مؤثرة " كنت بحاجة للسكينة ..
سكينة تجعلني اخرج من تلك الدوامات
المرعبة التي غرقت فيها .. استسلامي لك وما
حصل بيننا .. سفرك لـ...ها ... ارتعابي مما
ينتظرني .. خوفي على أبي وأني .. سأكسره لو
حصل و ... تركتني ..."

ذابت ملامحه بمشاعر فياضة فيهمس بعتب
رقيق " لهذه الدرجة لم امنحك الثقة بي
صغيرتي ؟!!"

هزّت رأسها بلا معنى .. وكأنها تنفض عنها
تلك المشاعر التي كادت تحطمها يوما ...

تمتمت وهي تسبل اهدابها مرة اخرى

" هذه المحنة علمتني ان أثق بربي فقط .. هو من منحني السكينة .. عندما ارتديت الحجاب .. كنت اريد قربه .. اريد ارضاءه.. وهو اغدق علي واعطاني مزيدا من القوة .. "

صوت جاء بنبرة مبحوحة هامسا

" تملكين الكثير يا صغيرة .. تفهمين خلاصة الحياة بتلك الروح الصافية .. كم أنا محظوظ بك .. "

ارتبكت من كلماته فرفعت يديها عفويا تعدل من حجابها دون ان يحتاج حقا للتعديل ..

تلمح نظراته التي تشاكسها بالتحديق في تفاصيلها كما تلمح ابتسامته التي لاتفارق وجهه ...

تنحنحت وهي تقول بنبرة جدية " اخبرني بما اردت قوله لأن لدي ما اقوله ايضا"

صوته كان رقيقا مداعبا مستفزا عابثا متلكئا عن تعمد وهو يقول

" لقد ... نسيت ! امممم... بماذا أردت ان تخبرها يا أيهم ؟؟ بماذا أردت ان تخبرها ....؟ سأحاول شحذ ذاكرتي .. هل اردت اخبارك ان تفاصيلك الصغيرة لم تتوقف عن تعذيبي بلوعة البعاد عنك طوال الاسابيع الثلاثة التي مضت ... ؟؟ "

علا ضجيج قلبها وتجمدت اطرافها فأغمضت عينيها بقوة بينما تسمعه بنفس النبرة يضيف

" أو ربما اردت اخبارك ان قساوتك عليّ رغم استحقاقي لها الا انها لاتُحتمل .. قلبي يرتعش لرؤياك امامي فلا أمد ذراعي لاضمك لصدري اعتصرك عصرا علّ الشوق يهدأ ... آآه من الشوق عصفورتي .. هل جربته ؟ هل أكتويتِ بناره مثلي ؟! "

قاومت اظهار ارتعاشة تسري بجسدها بينما تشعر بانفاسه تتسارع وهي تلفح وجهها ليقول المزيد و بهمس أجش يفيض عاطفة

" كيف تكونين قطعة من قلبي ولا تشعرين بما يعانيه هذا القلب ؟!! "

تشنجت قبضتاها الى جانبي جسدها بينما تشدد من اغماض عينيها وتنتفض روحها لكل كلمة يهمس بها ...

" آآه منكِ ... الا تفتحين تلك العينين لتري بهما شفتي تنطقان بعشقك ...؟ فقط افتحيهما صغيرتي .. اريد رؤيتهما .. الايكفي انك تتباعدين عني وتحتجبين مني بروحك ودفئك.. الا أحظى حتى بنظرة ؟ "

تنهد بحسرة ولوعة بينما تهز رأسها بعنف رافض ليرتجف جسدها كارتجاف نبراتها وهي ترد عليه بإصرار

" سعد ينتظرنا في البيت .. دعنا نذهب اليه.."

ساد الصمت للحظات ثم سأل أيهم بنبرة متوترة

" هل تحتمين بسعد مني أنا يا جدايل؟!"

فترد وهي تفتح عينيها اخيرا تواجهه

" انا لااحتمي بأحد ... سعد هو ابن خالتي وعائلتي ومن حقه ان يخاف عليّ .. انه هو من وقف بجانبي تلك الاسابيع التي تخليت عني فيها ..."

أمسك ساعدها بقوة ليقول بغيظ شديد مفاجئ " هيا جدايل .. هناك رجلان قادمان باتجاهنا .. دعينا نتحرك من هذا المكان .. أكاد أجن وانا لااستطيع الانفراد بك لاكلمك كما اشاء..."

بوجه محمر مرتبك خلصت ذراعها من قبضته ثم عجّلت خطواتها تسبقه للسيارة بينما خيال الرجلين يمر بها ...

عيناه كانتا تقدحان شررا وهو ينطلق بالسيارة ليقود في الشوارع بسرعة جنونية بينما جسد جدايل يشع توترا دون ان تنطق بكلمة فقط مالت جانبا وسحبت حزام الامان لتربطه بصمت وحالما سمع صوت اغلاقها لحزام الامان هدأ من سرعة السيارة وهو يزفر بقوة ثم قال بنبرة معتذرة رغم تشجنه

" أنا آسف .. اهدأي ولا تتوتري لن اقود برعونة تؤذيك .. "

ابيضت مفاصل يديه وهما تشدان على المقود ليضيف بهمس متوتر " انا فقط لااحتمل .. لااحتمل انك تتباعدين بهذه الطريقة .. اعتبي عليّ ... اصرخي في وجهي واشتميني... اضربيني كما يطيب لك ان تفعلي عندما اغضبك .. لكن هذا الاحتجاب يقتلني .. لاتبتعدي هكذا .. لاتبتعدي عني جدايل ... لاتشعريني انك تلجئين لغيري .. انت لاتحتاجين لغيري جدايل .. كما لااحتاج لغيرك .. "

ردت وهي تلتفت جانبا تحدق من نافذتها

" انت جعلتني احتاج لغيرك أيهم .. أنت جعلتني أشعر بالضعف واني غير قادرة على حماية نفسي كما يجب .. "

شعرت بكفه فوق يدها فلم تبالي بابعادها هذه المرة بل اضافت بحشرجة مختنقة

" الألم كان كبيرا جدا أيهم .. نار الغيرة وانا افكر بك .. معها .. لازالت تتأجج في داخلي حتى هذه اللحظة ، رغم اني اصدق لم يحصل شيء بينكما ... لكني سأظل أدور في نفس الحلقة التي تضج بالاسئلة المستنزفة .. ماذا لو اتصلت عشتار بك مستنجدة مرة أخرى؟ هل ستهرع اليها تاركا اياي اعيش نفس الجحيم ؟ انا لست هكذا .. لاأملك ان اكون متفهمة بهذه الطريقة مهما قلت انها وحيدة او مسؤولة منك بحكم العشرة او اي سبب آخر... لست بامرأة تطيق غيرة وشكوك كهذه .. انها تؤلم .. تؤلم بعمق أيهم .. وألمها لايهدأ ابدا ..

قد يهفت .. قد ينحسر لكنه يظل موجودا ليتأجج عند أقل شك وتساؤل ..."

فيعتصر كفها الصغير هامسا بلهفة " لن أدع مجالا للشك يؤرقك .. سأطفئ بيدي نار اي غيرة تؤلمك .. اقسم باللّه سأفعل .. اقسم باللّه انتِ وحدك من في قلبي .. حبيبتي الصغيرة التي اضاءت روحي بوهجها الفتان ... "

تلألأت دمعة في مقلتيها لم يرها أيهم بينما تصر هي على الاشاحة بوجهها بعيدا عنه لتهمس بألم " لاتقل .. هذه الكلمة..."

فهم مقصدها واي كلمة تعني لكنه أصر وهو يسحب يدها عنوة لشفتيه يقبل ظاهرها وباطنها بعاطفة متقدة هامسا بحرارة

" كيف تمنعين عن قلبي قولها ؟ ألاتشعرين بهذا الحب الذي احتلني جدايل ؟ انت بين ضلوعي وفي شراييني .. صغيرة عصفورة أفقد صوابي امامها .. لم اشعر يوما بكل هذا الضعف العجيب والذوبان الحار نحو كائن صغير عنيد فاتن مثلك .. كل شيء فيك عجيب ويذيب حتى عظامي .. "

تخفي شهقات بكائها بينما تسحب يدها من قبلاته وتضمها لصدرها فتغمض عينيها وتشيح بكل جسدها بعيدا عنه ....

رغم احباطه ألا انه لم ييأس ...

الحل في اقامة الزفاف .. وعندما تصبح في بيته سيجعلها تطمئن ...

يا الهي يجب ان تطمئن ...

يريدها في حضنه راضية .. مبتهجة ... متخمة بالعاطفة ..غارقة بغرور انثى تملك قلب رجل متيم بها ... تملكه بالكامل ...

وقف باسل مسمرا على بعد بضع خطوات بينما يرى شمس تقف عند الباب ترفع رأسها لذلك الرجل تحدق فيه ليبادلها الرجل تحديقا وقد اتسعت عيناه بمشاعر مختلطة !

تسارعت انفاس باسل بينما يسمع صوت شمس تسأل بعفويتها " من أنت ؟! "

فتضج النيران في قلبه بل وكل جسده وهو يرى الرجل ينزل بجسده ليستند للارض على ركبة واحدة وبابتسامة مرتعشة يرد عليها بما يشبه التساؤل

" انت شمس .. اليس كذلك ؟ "

في لحظة واحدة حصل تحرك من الثلاثة معا..

قاسم اراد امساك جسدها الصغير بين كفيه..

باسل تحرك كالثور الهائج الذي رأى قماشا احمرا ....

وشمس ! شمس ابتعدت للخلف برفض قاطع لبادرة الرجل ثم التفتت لترى باسل فتركض اليه في خطوات لاهثة اسرع من خطواته الثائرة نحوها ...

وفي لحظة كان باسل يتلقفها بين ذراعيه ليرفعها لصدره فتتشبث به شمس تطوق عنقه بذراعيها الاثنتين وتخبئ وجهها في تجويف رقبته تناديه " بابا .. بابا " ...

صوت هيفاء وهي تهمس من خلفه باختناق (قاسم !) أيقظ باسل من استغراقه الرهيب في مشاعر عاصفة نحو طفلته ...

ابتلع ريقه واستعاد رباطة جأشه وبنظرات نيرانية التفت لهيفاء فيوشك ان يصرخ بها لتعود للغرفة مرة أخرى لكنه يكبت غيرته المتفجرة ويلتفت نحو ذلك الرجل ذو الشعر الكستنائي المجعد ووجه كوجه شمس في ملامحه وتعابيره ...

ملامح قاسم مبهوته وهو يحدق فيهم جميعا بينما يعاود ببطء الوقوف على قدميه لكنه لم يبدِ اي محاولة ليتجاوز عتبة الباب...

تمتم اخيرا " السلام عليكم ..."

فيرد باسل ببرود وهو يتحرك نحوه بثقة يربت على ظهر شمس بعفوية

" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... "

وقف الرجلان امام بعض دون ان يبادر احدهما لمصافحة الآخر ...

التفت قاسم ناحية هيفاء التي تقف مسمرة عن بعد بوجه شاحب مرتعب مصدوم فيقول لها بنبرة خاصة " مرحبا هيفاء ..."

عندها افلتت اعصاب باسل ليزمجر بنبرة مخيفة " كلمني أنا قاسم وعيناك اعدهما الي والا .. فقأتهما لك ..."

اسبل قاسم اهدابه وهو يطرق قليلا برأسها ليقول بنبرة هادئة " عفوا .. أعلم ان الوضع مربك قليلا ... بيننا .."

قال باسل من بين اسنانه وعيناه لاتفارقان قاسم بينما يوجه كلامه لهيفاء " تعالي وخذي شمس وادخلا الغرفة لاتغادراها ابدا..."

ما زالت هيفاء تقف مكانها في حالة صدمة فيلتفت اليها باسل يهدر بغضب مكبوت

" تعالي وخذي شمس يا هيفاء .."

ارتعدت هيفاء لتغادرها بعض صدمتها وبخطوات متعثرة تتحرك نحو زوجها لتحاول سحب ابنتها من على صدره فتتشبث به شمس وهي تقول باعتراض طفولي رقيق

" اريد بابا .. اريد البقاء مع بابا .. "

يرفع قاسم راسه مبهوتا مرة اخرى وهو يرى الطفلة كيف ترفض حتى امها وتريد باسل ثم تتسع عيناه بصدمة بينما يرى كيف يميل باسل بفمه قرب اذنها هامسا برقة تذيب أعتى مقاومة " سآخذك لنشتري دمية حقيقية جديدة لذلك يجب ان تغيري ملابسك صغيرتي .. "

تبتهج الطفلة وتطبع القبلات على خديه ثم ترمي جسدها الصغير على امها تهلل باحتفال

" اريد ارتداء فستاني الاحمر ذو الشرائط "

فتهز هيفاء رأسها تبتسم لابنتها ابتسامة مرتعشة بينما تضمها لصدرها تتشممها بانفعال..

يراقبهم قاسم جميعا بعجز ليعود ويطرق برأسه تتآكله المشاعر وتهتز اعماقه هزّا ...

اختفت هيفاء في الداخل فقال باسل عندها

وبنبرة شديدة البرود " يمكنك الدخول ..."

جلسا في غرفة استقبال الضيوف ليكون قاسم هو المبادر للكلام فيقول

" لقد عدت للوطن ولم أكن أعرف ان .. هيفاء....."

قاطعه باسل بنفس البرود " والآن عرفت ..."

فيرد قاسم وقد استعاد هدوءه " لاانكر اني تفاجأت .. حتى العام الماضي علمت انها .."

يقاطعه باسل مرة اخرى وبنبرة شرسة

" لااريد سماع تتبعك لاخبارها ..."

تنهد قاسم وهو يرد " باسل ارجوك .. الوضع مربك ولايحتاج لمزيد من التوتر .."

قال باسل وملامحه تزداد شراسة " مربك لك انت فقط .. بالنسبة لي الامور واضحة .. وضوح الشمس ! .. هيفاء زوجتي وابنتها ابنتي ... اما انت مجرد الاب البايلوجي للصغيرة "

توتر قاسم أكثر وهو يعقد حاجبيه ويواجه باسل بالقول

" انا لي حقوق على .. شمس .. انا .."

فيهب باسل في لحظة خارقة ليمسك بمقدمة قميصه هامسا من بين اسنانه بنبرة مهددة تفيض عنفا

" حقوقك يا هذا خسرتها طواعية وبملء ارادتك يوم تخليت عن امها ولم تسأل عن الطفلة مُذ كانت جنينا حتى اضحت تقارب الاربع سنوات .. ترى ماذا سيكون رأي اي محكمة بـ(أب مثالي) مثلك..؟ ولو قررت المجازفة والتقدم بطلب الحضانة فاقسم لك اني ساواجهك بكل ما لدي .. حتى لو اضطررت لبيع كل ما أملك .. لبيع الملابس التي عليّ ... سأفعلها ... دون ان أدعك تأخذ شمس منا .."

دفعه باسل ليعود لوضعه الاول بينما قاسم تتسارع انفاسه بمشاعره المضطربة ..

ما زال لايستوعب ... تلك الصور التي رآها قبل قليل ... هيفاء .. في بيت باسل .. زوجته .. وابنتهما شمس تلتجأ لصدر باسل وتناديه بابا !

لقد تأخر .. تاخر كثيرا بقرار استرجاع هيفاء .... عائلته ...

نظر لباسل فيشعر كيف تشع منه شحنات العنف والتهديد ...

قال قاسم اخيرا وببعض التماسك

" أمي مريضة طريحة الفراش في المستشفى .. انها .. تشعر بالذنب ناحية هيفاء وشمس .. تشعر انها ظلمت هيفاء يوم تسببت بطردها من البيت ثم طلاقنا فيما بعد ..."

فيبتسم باسل باستهزاء قاس

" اذن انت لم تتذكر ابنتك مرة اخرى الا بإيعاز من والدتك ! كم أنت مثير للشفقة .."

تشنج قاسم فيقول بغضب

" لاتتجاوز باسل وتذكر اني في بيتك .."

فلا يبالي باسل ليقول بنفس القسوة

" لو كنت تحترم صاحب هذا البيت كنت اتصلت اولا بي تستأذن القدوم ..."

فتح قاسم فمه ليبرر فسبقه باسل ليضيف

" لاتقل انك لاتملك رقم هاتفي .. بما انك حصلت على عنواني مؤكد لديك رقم هاتفي... "

يمرر قاسم اصابعه في شعره بينما يقول ببعض الحرج " انا اعتذر .. معك حق .. حقيقة الموضوع كله جاء صدفة وبشكل متلاحق اربكني .. لقد وصلت قبل يومين فقط لافاجئ من صديق لي يعرف بقرابتنا انك تزوجت هيفاء .. ثم .. ثم تشوشت ... لم أعرف هل يفترض بي الذهاب لبيت عائلة هيفاء ام ...."

فيقاطعه باسل بالقول

" فتدبرت الامرين معا .. حصلت على عنواني ورقم هاتفي ثم ذهبت لبيت عائلتها تطلب شمس بصفاقة ! ومؤكد حماتي بارتباكها المعتاد اخبرتك اننا غادرنا للتو فلم تحتمل لتلحق بنا مباشرة الى هنا ! "

ملامح قاسم عبرت بوضوح ان هذا فعلا ما حصل ...

وقف باسل فجأة على قدميه قائلا بلهجة قاطعة " انت غير مرحب بك هنا .. ولااظنك حقيقة تريد ابنتك وانما هو مجرد ارضاء لوالدتك التي تذكرت من ظلمتهم الآن .. عد اليها قاسم واخبرها ان هيفاء وشمس بألف خير ولاتحتاجان لشعورها المتأخر جدا بالذنب ..."

وقف قاسم هو الآخر ليقول بإصرار " بل اريد شمس .. اريدها ان تسافر معي ...! "

لم يشعر قاسم الا ولكمة على وجهه طرحته للخلف ليقع على الاريكة ثم يميل اليه باسل بعنف ضارٍ يعاود امساكه من قميصه بقبضة واحدة بينما ترتفع قبضته الاخرى في استعداد للكمة جديدة هادرا بغضب مجنون

" حاول ان تقتلني قبلها لانك لن تأخذ طفلتي مني وانا حي ارزق ..."

وبينما يستقبل قاسم لكمة ثانية كان يقول

" فقط اسمعني ... الامر ليس ....آآآآآآآه ..."

تجلس هيفاء على ركبتيها بينما يداها ترتعشان وهما تلبسان ابنتها فستانها الاحمر كما طلبت .. تكاد دموعها تضيق بحبسها الاجباري لكنها تقاوم بضراوة ..

تتمتم في سرها بجملة واحدة " باسل لن يدعه يأخذها .. باسل لن يدعه يأخذها ..."

غرفة شمس بعيدة فلم تكن تسمع ما يحصل في غرفة استقبال الضيوف .. ولم تكن تعرف هل هذا من حسن حظها ام سوئه ...!

في كل الاحوال لم يكن امام هيفاء الا الدعاء بقلب أم مرتعب ...

" يا له من فستان كقطعة سكاكر الفراولة التي تحبينها ... الا يمكنني ان اقضم قضمتين فقط ؟! "

قفزت شمس من بين ذراعي امها التي كانت تحاوطانها لتهرع ضاحكة ناحية باسل الذي بدى مبتسما فلم يظهر امام الصغيرة اي مشاعر غير الابتهاج ...

بترنح ونظرات لامعة بالدموع وقفت هيفاء على قدميها بينما تحدق في زوجها الذي رفع شمس الى صدره يعضعض في ذراعيها الصغيرتين وكأنه يأكلهما بينما شمس تضحك وتضحك ...

اخيرا انزل شمس أرضا وهو يقول لها

" اذهبي وافتحي التلفاز انه موعد الرسوم المتحركة الذي تحبينه وحالما تنتهي الحلقة سنخرج لنشتري ما وعدتك به "

ركضت شمس بخلو بال فتحركت هيفاء عفويا لتركض خلفها عندما امسكها باسل من ذراعها هامسا وهو يضمها لصدره

" اهدأي حبيبتي .. لقد ذهب .."

ما أن قالها حتى أخذ جسد هيفاء يرتجف لتجهش اخيرا في البكاء تلف ذراعيها حول جذع باسل تتشبث في انهيار بسترته من الخلف بينما يعتصرها باسل وهو يهدئها

" ششششششششش لاتخافي .. لن يحصل شيء .. لاتخافي ... انا تصرفت .. "

لكن هيفاء اخذت تشهق وتتكلم بنبرة مكبوتة حتى لاتسمع شمس

" لكن .. هل ذهب حقا ولن يعود ؟ سيترك شمس لنا اليس كذلك ؟ لن .. يأخذها .. باسل .. باسل .. سأموت ان اخذها .. مني .. سأموت باسل.. "

زجرها بالقول الخافت

" لاتتفوهي بالحماقات .. لا احد سيأخذ شمس منك .. قلت لك تصرفت .. ثقي بي ... "

ثم اخذ يقبل خديها المبللين بالدموع .. ثم شفتيها .. عينيها وهو يواصل القول بلهفة محمومة " لااحد سيأخذك مني هيفاء .. ولا احد سيأخذ شمس منا ... اعدك .. اعدك بروحي حبيبتي ..."

أخذ يقبلها بهيام مشتعل لتبادله نفس الهيام ونفس الاشتعال واوشكا ان يفقدا السيطرة على مشاعرهما عندما همست هيفاء بخجل وهي تبعد وجهها عنه مرمى قبلاته

" ليس .. الآن .. باسل .. ف .. شمس .."

امسك وجهها بين كفيه يعاود تقبيلها بجنون هامسا بصوت مبحوح

" سنذهب لغرفتنا ونقفل الباب .."

برعشة البكاء والضحك قالت وهي تحاول تخليص نفسها منه " باسل توقف .. ماذا ستقول .. لها .. اذا ...آآآآآآآآآ .."

تأوهت شاهقة وهو يرفعها بين ذراعيه ليتحرك مغادرا غرفة شمس بخطوات متعجلة ناحية غرفتهما وهيفاء ما زالت تتوسله بهمس رقيق " لا باسل .. ارجوك ليس الآن ..."

لكنه دخل واغلق الباب بالمفتاح ليتحرك نحو السرير ويرميها عليه ثم اخذ يخلع سترته ويقول بحشرجة عاطفية لاهثة

" لن استطيع الانتظار لليل .. احتاج اليك الآن .. انا كفيل بشمس اذا طرقت الباب علينا "

استسلمت له هيفاء وهي تستشعر توتره المختلط بعاطفته التي تأججت في اقصاها ..

وبإندفاع عاطفي متأجج مماثل كانت تمنحه كل ما يريد و.... اكثر ....

رآها كيف انسحبت من غرفة استقبال الضيوف وهي تحمل الصينية الفارغة بعد ان قدمت الشاي له ولسعد ...

كان يقاوم ضيقه بشق الانفس لكنه قرر تحمل تبعات ما حصل بالكامل ودون اعتراض..

لقد اخطأ في حق جدايل وعليه تحمل كل العقاب الذي تنوي تلك الصغيرة انزاله به ..

كان يرتشف بصمت من الفنجان بينما يحمد اللّه ان الخالة منيرة تمارس عقابا له هي الاخرى بتجاهله ولم تسلم عليه حتى ...

وهذا من حسن حظه ..

لم يكن يستطيع تحمل تلك المرأة الآن لتمارس اساليبها المستفزة معه ...

قال سعد بهدوء

" اذا سمحت لي أود لو ندخل في صلب الموضوع .. اتمنى لو نتكلم رجلا لرجل حول جدايل .. ونتذكر كلانا ان مصلحتها وسعادتها هي الهدف الاساسي من هذا الحوار.."

اسبل ايهم اهدابه وأطرق قليلا وهو يضع الفنجان على الطاولة الصغيرة امامه بينما يسمع سعد يضيف بنبرة هادئة تفيض ثقة

" انا لن العب دور الحامي بالطريقة التي قد تتوجسها مني وتعتبرني لايحق لي بها كونها .. زوجتك انت .. لكن سأحاول لفت نظرك لبضعة أمور قد تكون فاتتك ..."

رفع أيهم رأسه يحدق في وجه سعد بتحليل سريع ذكي ، هذا الرجل فيه شيء ما مريح لكن غامض وخاص .. يحيره احيانا ويستشعر اهتماما منه بجدايل يفوق اي اخوة اعتبارية .. ربما هو نوع من الاعجاب بشخصها لكن أيهم مع هذا يثق ان سعد يبحث عن مصلحة جدايل حقا ويؤثر سعادتها على أي شيء آخر ..

اضاف سعد بنفس النبرة " جدايل فتاة شجاعة وقوية .. ذكية وعنيدة لاتتنازل .. كل هذا اكتشفته سريعا منذ عودتي للوطن بتلقائيتها الشديدة ووضوح شخصيتها ..."

ضيّق ايهم عينيه وهو يحدق في الرجل بصبر ليكمل سعد " رغم هذا اتمنى منك ان تقدر انها من بيئة مختلفة عن بيئتك ..."

عندها فقط قال أيهم بنبرة حيادية تخفي الكثير من اشتعال مشاعره ومخاوفه على حد السواء " هل ستقول انها لاتناسبني الآن ؟!"

ابتسامة جانبية من سعد لاتعبر عن شيء واضح قبل ان يقول بتأن

" ما اقوله وما اراه في هذا الصدد لم يعد مهما لان جدايل فعليا مرتبطة بك وتنويان اقامة الزفاف خلال بضعة ايام .."

أكد أيهم بتعمد " بل خلال يومين لااكثر ... الخميس القادم.. "

لم يرف جفنا سعد وهو يبتسم ابتسامة جذابة ليقول ببساطة ونبرة مزاح

" مبارك لكما .... لحسن الحظ لم تختارا يوم الجمعة حيث سيصادف عرس صديق قديم لي من ايام الجامعة ... "

لم يعلق ايهم بشيء .. كان ينتظر الاهم من هذه الجلسة .. لحسن الحظ انه نام نومة عميقة في السيارة فاستعاد صفاء ذهنه و حدة ذكائه ....

تراجعت ابتسامة سعد قليلا وهو يقول بتركيز على كل كلمة " فقط راعها أكثر وتذكر حداثة سنها دوما .. تفهم اختلافها عما اعتدته في بيئتك ولاتحملها فوق طاقتها وهي تسعى بكل جهدها لتكون في المستوى المطلوب .. حاول تفهم الضغوط التي تواجهها من كل جانب .. انا لااعرف طبيعة المشكلة التي حصلت بينكما ولن أطلب معرفتها لكن الذي انا متأكد منه انها كانت وما زالت ترزح تحت ضغوط هائلة وحتى قبل حصول تلك المشكلة قبل سفرك الاخير... "

يعترف ايهم انه تفاجأ بمسار الحديث ، لقد تصور ان سعد سيتطرق فقط لما حدث قبل سفره لاسبانيا لكن ان يدير الحديث لنقطة أخرى تماما لم يفكر بها بهذه الطريقة من قبل .. فلم يخطر بباله ...

لم يفكر ان جدايل تعاني حقا من الاختلاف بين بيئتيهما الاجتماعية ، لقد تطرقت لهذا بشكل عابر عندما تحدثا في السيارة ولم يظنها جدية حقا عندما قالت ان الاخرين يرونهما غير متناسبين ..

ربما لانه لايرى اي مشكلة في هذا الاختلاف بل العكس يراه ممتعا احيانا بالنسبة له بل حتى مثيرا فتجذبه اكثر اليها والى مفاهيمها ومعتقداتها ...

أضاف سعد بنبرة قوية فاجأت ايهم

" انها ما زالت شابة صغيرة ولاتستحق حمل كل هذه الاعباء مبكرا هكذا ... خلال اسابيع غيابك كانت تقاتل بشراسة في معركة داخلية مبهمة بالنسبة لي .. انا حاولت جهدي اسنادها ودفعها لتشغل نفسها بعمل جديد بعد رفضها القاطع العودة للعمل في مؤسستك "

واجهه ايهم بنظرات تحاول ان تنفذ لاعماق الرجل لكن سعد ارخى جفنيه مضيفا بنبرة حيادية

" كما اخبرتك آنفا انا لن اتدخل في مشاكلكما لاني اشعر ان جدايل لاتريد من أحد التدخل في عمقها وحقيقة انا فخور بها لذلك .. لكن .. هذا لايعني ان اتخلى عنها اذا احتاجتني وطلبت مساعدتي.."

سأل ايهم وهو يغلي من الداخل

" هل تقصد انها طلبت مساعدتك ..؟ "

فواجهه سعد بتلك الملامح الخشنة القوية الرجولية قائلا بصلابة " ليس بشكل محدد .. لكن نعم .. طلبتها .. وفي اي وقت آخر ستطلبها سألبي دون تردد ..."

عضلة ارتعشت في خد أيهم وهو يبذل كل طاقته ليكتم انفعالاته .. هذا الـ(سعد) يشكل خطرا دون حتى أن يبذل مجهودا ليفعل.. يجب ان يبعد جدايل .. يجب ان يجعلها تلجأ اليه هو .. هو وحده ...

اضاف سعد المزيد وبنبرة واضحة

" انت جعلتها تشعر بطريقة ما انك تخليت عنها وهي احتاجت لمن يطمئنها .. انها صغيرة وتخاف .. احيانا أرى في عينيها ارتباكا وعدم ثقة من بضع جملا تسمعها من اي شخص يوحي لها ان توافقكما كزوجين ليس ممكنا .. لاتنس ان صغر سنها يجعل خبرتها في الحياة قليلة فلا تؤهلها لان تملك الثقة المطلقة باحكامها في القرارات التي تتخذها لكنها سريعة التعلم وما عليك الا ان تعلمها كيف تثق أكثر ... "

شرد ايهم .. في شريط ذكرياته مع جدايل .. منذ أول لقاء بينهما .. انتقلت المشاهد تباعا وبتباطؤ لينظر اليها بشكل مختلف ...

لقد كان غارقا في نفسه بانانية مفرطة معها.. جعلها تتحمل صفعاته الهستيرية لخيانة عشتار .. كيف لها ان تثق حقا بعد كل ما حصل ..؟!

انه يستغل عاطفتها ليبقيها قربه ..

لكنها لاتحتاج للعاطفة فقط ...

انه لايريدها حبيبة فقط بل زوجة ايضا ...

وهو أكثر من غيره يدرك ان العاطفة لاتبني حياة زوجية صحيحة ...

لقد اخطأ مرة مع عشتار .. وكاد يخسر نفسه لولا ان الحظ كان بجانبه ليجد السمراء في طريقه ..

هي انقذته ...

وقد جاء دوره لينقذها من مخاوفها ..

مخاوفها لاتخص عشتار فقط .. فجدايل لاتتصرف بالعاطفة وحدها ..

انها فتاة تفكر على الدوام .. لديها فضول لكل ما حولها .. مثابرة مقدامة جريئة واحيانا متهورة مجازفة بغباء... لكنها تبقى مميزة وتحب التعلم ..

كما وصفها سعد بالضبط ....

بعد نصف ساعة وفي ظلمة المساء كان أيهم يودعها قرب باب المرآب ...

تقف امامه تشيح بنظراتها بعيدا بينما هو يهمس لها بعتب عاطفي رقيق

" لماذا لم تجلسي معنا ؟ كنت اريد الانفراد بك قليلا .. ألم تشتاقي لي سمرائي ؟"

تمتمت وهي تسبل اهدابها وتعدل من حجابها في حركة اصبحت مألوفة له " أردت ان .. تتكلما براحة .. دون التقيد بوجودي "

فيمد سبابته يلامس خدها هامسا " كان بامكانك بعدها الجلوس معي وحدي .. على الاقل حتى تخلعي حجابك واراك بشعرك الدافئ ..."

ابتلعت ريقها وهي ترد بحزم " لن تراني حتى يوم الزفاف فأرح نفسك ..."

يتنهد ثم يضحك بخفوت قائلا " حسن .. كما تشائين ... علي ان اتذكر دوما ان غضبك احيانا صعب ومخاصمتك تصبح قاسية "

لم ترد بشيء فيتحرك قائلا بنبرة مبحوحة

" سأشتاق لك أكثر واكثر حتى الزفاف .. غدا قد أتأخر عليك لاني احتاج لتنظيم بعض الامور العالقة في المؤسسة والاتفاق مع احدى الشركات الخاصة لاقامة العرس في بيتنا ...و... هناك المزيد لاوصي بشرائه .."

ايضا لم ترد وبينما تغلق باب المرآب خلفه شهقت وهو يميل فجأة نحوه من فوق حافة الباب الحديدي ليطبع قبلة حارة سريعة على شفتيها هامسا برقة

" تصبحين على خير جديلتي .."

أولاها ظهره وهو يتوجه لسيارته راقبته بقلب خافق مشتاق وهو يركب في مقعده ثم يلوح لها دون ان ينظر نحوها لينطلق بسرعته المجنونة ...

ارتفعت يدها تلامس شفتيها فتسيل دمعة وهي تهمس بارتعاش " ليتك تمنحني ما أريد .. ليتك تريحني أيهم .. ليتك تعلم كم أشتاق لك رغم كل شيء ورغم كل ما حدث ..."

" ماذا تقصد باسل ؟! أنت قلت .. انك حللت الموضوع ..."

كان صوت هيفاء يرتعش والرعب يشل اطرافها بينما تحدق في باسل بعجز وهي تنطق بالكلمات بشق الانفس...

مد باسل كفه الكبير ليحاوط جانب وجهها قائلا بنبرة هادئة

" ثقي بي حبيبتي .. هو يريد أمه ان ترى شمس لاغير .. سأسافر بنفسي مع شمس ترى جدتها ولن نغيب الا ليلة واحدة ثم نعود ادراجنا للوطن ..."

اخذت دموع هيفاء تجري على خديها وفقدت كل قدرة على التفكير بينما يسيطر عليها هلعها وهي تتوسله بالقول

" لا باسل لا .. لاتفعل هذا .. انه يكذب .. انها مكيدة ليأخذ شمس مني ..اتوسل اليك .. لاتفعل هذا ..."

ما زال يحاوط جانب وجهها ويمسح بابهامه دموعها قائلا

" ليست مكيدة .. لقد اتصلت بالمستشفى التي قال ان أمه فيها وتحدثت بنفسي مع الطبيب .. حالتها غير مستقرة ووضعها قلق .. "

أخذت هيفاء تهز رأسها برفض وهي تعاود كلماتها المرتبكة

" سيستغل مرض امه .. وربما قد أعد العدة ولديه أمر قضائي هناك "

هذه المرة امسك وجهها بين كفيه الاثنين ليقول بنبرة قوية ثابته

" اسمعيني هيفاء .. هو والدها وتلك جدتها .. ولو فعلنا هذا نثبت حسن نوايانا وحكمة تصرفنا فيما لو فكر برفع دعوة قضائية لضم شمس لحضانته .. "

سألته بارتعاش البكاء

" كيف تعرف انه لم يرفع قضية فعلا ؟"

فتتوتر يده حول وجهها ليقول بصوت أجش

" لقد كان عائدا للوطن يتصورك ما زلت بانتظاره .. لقد عاد على أمل ان يستعيدكما معا .. انت وشمس ..."

تجمدت عينا هيفاء بصدمة بينما عينا باسل الرمادتين تقرآن ردة فعلها وتحللانها ...

همس بنبرة وحشية لم تسمعها منه هيفاء من قبل " إنه محظوظ لانه والد شمس لكنت دفنته حيّا .. لكن دمه الذي يجري في عروق ابنتي هو ما وقف حائلا دون ان افعلها .."

تمتمت هيفاء بتوتر وهي تجلو ذهنها من أثر الصدمة " حتى لو لم أكن ..."

فيقاطعها باسل بنبرة اوجعت قلبها بينما يشدد من ضغط اصابعه على رأسها

" لاداعي للكلام هيفاء .. المهم انك زوجتي الآن .. وشمس هي ابنتي أنا .."

ثم فجأة حرر راسها ليبتعد خطوة للخلف بينما يضيف " هو عائد صباح الغد وأنا سأحجز على طائرة الجمعة لنلحق به .."

فتسأله بقلق

" يمكنني أن أذهب معكما اليس كذلك؟"

فيرد وعيناه في عينيها " اذا شئت هذا ويريحك ... نعم .. سنسافر معا.."

صباح اليوم التالي

وقعت الاوراق من يدها للمرة الثالثة ، كلما طرفت عيناها نحوه وهو يقف في نهاية الممر مع شهرزاد يحدث هذا ..

لاتستطيع كتم احساسها المفعم بالغيرة ! منذ حضوره قبل نصف ساعة وهو ينتحي جانبا بشهرزاد يتكلمان بهمس جاد ..

تكاد تختنق من شدة الغيرة ..

هل يتعمد فعل هذا ؟!

الا يفترض ان يوجه كل كلامه لها وحدها ؟ الا يفترض ان يدللها حتى تسامحه وترضى عنه ؟ اليست هي عروسه ؟ اليس زفافهما في الغد ؟!

توترت اصابعها حول الاوراق في يدها فتتطلع اليه بوقفته الانيقة مع شهرزاد ..

الاثنان يمتلكان نفس الوقفة الخاصة الراقية .. نفس الاناقة .. نفس الجمال الجسدي المتكامل والهيئة الملفته ...

انهما من نفس البيئة والمستوى ....

التفت اليها فجأة فتسمرت عيناه عليها .. نظراته تتوهج لاجلها فيرفعها في لحظة من قمة الاحساس بالضعف وقلة الشأن الى قمة الزهو الانثوي وكأن لاامرأة يراها في الكون غيرها...

ابتسامته شعّت وبدت ملامحه بتعابير عاطفية ملتهبة ... لم تشعر الا والاوراق تسقط من يدها مرة .. رابعة !

انحنت تلتقطها بوجه محمر وهي تعض شفتيها بينما تقترب منها سمارا لتساعدها وهي تؤنبها بهمس " يا فتاة تمالكي نفسك .. اعلم انه وسيم ساحر بطريقة لعينة وغير عادلة ونظراته تلك التي تذيب قلب الحجر الصوان لاتفارقكك منذ وصل لكن مع هذا تمالكي نفسك وادعي اللامبالاة ..."

كزّت جدايل على اسنانها بينما تسمع صوت الخطوات القادمة نحوها فترفع عينيها مرة اخرى لتجده يقف قربها تماما هو وشهرزاد ...

وقفت على قدميها وهي تجمع الاوراق كيفما اتفق بينما تسمعه يقول بصوت مبحوح

" اريد مكالمتك على انفراد..."

تعقد حاجبيها بغضب فيضيف برقة وهو يبتسم تلك الابتسامة الفاتنة

" لو سمحت صغيرتي .."

احمرت جدايل للفظة التدليل منه امام سمارا وشهرزاد لتنقذها سمارا بالقول

" خذيه للمطبخ عزيزتي واعدي لكما فنجانيّ قهوة .."

فيأتيهم صوت شاهين الذي أطل من باب مكتبه بهيئة فوضوية وشعر مشعث

" هل لي بواحد انا ايضا ؟"

تقترب منه سمارا بخطوات نارية حانقة تقول من بين اسنانها " عد لمكتبك شاهين انا سأعد لك فنجانا بنفسي فيما بعد .."

ارتفع حاجبا شاهين مدعيا البراءة بينما تتحرك جدايل بخطوات محرجة متعجلة يتبعها ايهم بخطوات متمهلة متراخية ...

يحرك شاهين حاجبيه بإغاظة هامسا لسمارا " انتظر فنجان قهوتي خلال ربع ساعة .. فلا تدعيه ينفرد بالفتاة أكثر والا ذهبت بنفسي لاعدادها ..."

زمجرت سمارا بصوت مغتاظ بينما يعاود شاهين دخول مكتبه وهو يضحك عاليا ...

ضحكت شهرزاد هي الاخرى بينما تقترب من سمارا تسألها " اين فرح اليوم ؟! "

فترد سمارا " أم اقبال تحسنت كثيرا وزالت عنها الآم الظهر لذلك وافقت على استقبال الشقية الحمراء "

لتسأل سمارا بدورها " كيف هو صقر ؟ "

تضحك شهرزاد برقة ثم تقول بفخر الام

" انه يحبو كالفئران التي تبحث عن الجبن في زوايا البيت ..."

سرحت سمارا ناحية نهاية الممر حيث المطبخ الذي اغلق بابه قبل لحظات لتقول ببعض الغيظ " هذا الرجل المدعو أيهم سليماني ساحر .. كان الله في عون جدايل الصغيرة ... الامر ليس في وسامته المفرطة فقط ولكن فيه شيء جذاب غريب .. في نظراته .. في ابتسامته .. خاصة عندما يوجهها ناحية جدايل ... بطريقة موجعة لقلب اي انثى ! "

تبسمت شهرزاد لتقول " أيهم سليماني اذاب قلب العشرات مّذ كان مراهقا في السادسة عشرة لكنه لم يلتفت لاحداهن .. ليس غرورا بل لأن قلبه لم يذب عشقا الا لأمرأة واحدة "

عقدت سمارا حاجبيها قائلة بتوجس

" لماذا اشعر انك لاتقصدين جدايل .."

فترد شهرزاد بنبرة مترددة

" نعم .. ليست جدايل ... لقد كانت عشتار .."

ازداد عبوس سمارا وهي تتساءل

" عشتار !؟ من عشتار هذه ؟ "

فتصمت شهرزاد للحظة قبل ان تسرح بنظراتها في تفكير لتقول بعدها " انها ابنة خال هيثم ... وزوجة أيهم السابقة ... "

امتلأت عينا سمارا فضولا واستغرابا وقبل ان تلقي بمزيد من الاسئلة اضافت شهرزاد

" جدايل تعرف عنها لكن لاتخبريها ان هيثم قريب عشتار .. دعي أيهم يفعلها ..."

زفر أيهم نفسا محترقا بينما يلاحق بنظراته المشتاقة هيئتها الهادئة النائية عنه ..

يراقب يديها الصغيرتين وهما تعدان القهوة فيبتلع ريقه متذكرا تلك اليدين تدفعان صدره بحركات خرقاء تارة وتلامسانه بارتباك عاطفي بريء يملك القلب امتلاكا تارة اخرى ...

عيناه كرهتا طقمها الرمادي لهذا اليوم وبشدة ... انه اسوأ من الطقم الازرق ليوم الامس ! هل تتعمد فعل هذا ؟!

ربما تظن انها تطفئ رغبته فيها كأنثى .. هي بريئة ولا تعلم انه يذكر تفاصيل ما تحت ملابسها السخيفة هذه ..

يذكر كل شيء ...

انفاسه ثقلت بردة فعل جسدية تلقائية ..

انها لينة جدا .. جسدها صغير ولين .. عظامها رقيقة ... مستفزة !

حسن .. الصغيرة المتلاعبة ستطيل العقاب .. لابأس ... غدا الزفاف ..

استدارت نحوه لاتنظر اليه مباشرة وعن تعمد قاس بينما تمد يدها بالفنجان نحوه هامسة

" تفضل قهوتك .."

بدلا من ان يمسك الفنجان امسك يدها فرفعت عينيها اليه دون لمحة ارتباك لتقول بهدوء " اترك يدي لو سمحت .."

لكنه لم يفعل وبدى مشاغبا بنظراته وهو يقول " ليس قبل ان احظى بقبلة .. قبلة حقيقية متبادلة ... "

زمّت شفتيها وقبل ان تنطق برد ناري كان يأخذ الفنجان بيده الاخرى ويضعه جانبا وبنفس الوقت يسحبها عنوة ويلف ذراعيه حول جذعها فتهمس من بين اسنانها وهي تدفع ذراعيه دون نجاح يذكر " اخجل من نفسك أيهم .. في اية لحظة قد يأتي احدهم .."

يميل اليها هامسا عبر الحجاب وقرب اذنها بحشرجة ممازحا اياها بعاطفة فياضة " لماذا لاتنظرين اليّ ببعض العاطفة ؟ فقط القليل منها ... القليل جدا ارضى به ... آآآآآه منك .. هل توجد عروس قاسية هكذا ؟ "

يتحرك بشفتيه قليلا ليقبل جانب خدها فترتعش رغما عنها لكن تواصل دفع ذراعيه وهي تهدر فيه بنبرة خافتة " أيهم ابتعد .. ابتعد .. الا تكف عن قلة حيائك هذا ؟! "

يضحك بخفة ويميل أكثر ليقبل زاوية فمها هامسا بصوت أجش امام ذلك الفم

" يا له من فم يثير الاشتياق ..."

كان يوشك على تقبيل شفتيها عندما مالت فجأة بوجهها جانبا وصدمته وهي تعض خده !

تأوه متوجعا ليبتعد قليلا يعقد حاجبيه يحدق في شراسة عينيها وتلفح وجهه انفاسها الهادرة...

تراخت ملامحه ثم شيئا فشيئا اخذ يضحك لتتعالى ضحكاته تملأ قلبه بالمتعة ...

تركها تفلت بينما يرفع يده يلامس خده وهو يبتسم بشرارات الاستمتاع قائلا

" اذن نضيف للقائمة انك (تعضين) ! "

تحركت للخلف تتكتف بوجه عابس غاضب وهي تقول

" اشرب قهوتك واذهب لمؤسستك "

لكنه يتجاهل طردها المؤدب له ليداعبها بالقول " ألن تتحضري لحفل الزفاف في الغد ؟ لم أرَ عروسا لامبالية مثلك .."

عيناها تقدحان شررا بينما تقول بهدير غاضب

" هل هذا ما كنت تحدث به شهرزاد كل هذا الوقت ؟!!"

همس ببحة رضا " تغارين ؟!"

تزم شفتيها قبل ان تقول بوجه محمر وتعابير حازمة " لا .. لكني اريد ان اعرف .. اعرف كل شيء .. هي قالت ان زوجها قريبك .. كنت مشوشة بحضورك المفاجئ بالامس لكن ليلا فكرت انك لا اقارب لك غير عمتك ذو المكنسة !"

عيناه في عينيها بينما يقول ببساطة

" زوجها قريب ...عشتار وليس قريبي انا..."

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يحافظ على تماسك هيئته المتباسطة .. لكنه في الداخل يتمزق تمزقا من تلك النظرة الجريحة في عينيها الحبيبتين ...

تمتمت بانفاس ثقيلة

" يا الهي .. ليس هنا ايضا ..."

فيقترب منها هامسا

" اذا كان يضايقك وجودك مع شهرزاد بعد معرفة صلة القرابة هذه فعودي للعمل معي .."

تبتعد خطوة للخلف وهي ترد بقوة

" لا أيهم .. لن اغادر شركة شاهين .."

اشتعلت نار الغيرة الوحشية في عينيه ليقول محذرا بحشرجة " (السيد) شاهين صغيرتي .. فلا ترفعي الكلفة بينكما "

فتشمخ بذقنها الصغير تتحداه بالقول

" ولماذا ترفعها انت مع شهرزاد ..؟ أراك تقف معها وتحدثها بأريحية مفرطة ... "

أسبل اهدابه وهو يضع يديه في جيبي بنطاله ليقول بتحذير من نوع آخر

" لا تجعليها واحدة بواحدة .. الزواج لايستقيم بهذه الطريقة .."

ثم رفع نظراته اليها والنيران ما زالت تتأجج فيهما بضراوة ليقول بنبرة غريبة :

" انت لاتعترفين بغيرتك.... انا اعترف بغيرتي عليك .. غيرتي عليك تفعل بي ما لايفعله اي شعور آخر .. هل تعلمين اني ليلة الامس عجزت عن النوم فغادرت البيت بعد منتصف البيت ولم أشعر كيف قدت السيارة حتى بيت خالتك لأقف هناك احاول السيطرة على نفسي وقد اوشكت ان احطم كل الابواب حتى أصل اليك وانتزعك بعيدا .."

للحظة ارتبكت جدايل لتسأله بعجب " لم كل هذا .. أبسبب سعد ؟ انه كأخ لي ..."

صوته كان ثابت النبرات لكنه لم يستطع اخفاء ما يدور في عقله من افكار مقلقة

" انه ليس اخاك ... ابن خالتك هذا شخصية خطيرة على الاناث .. اخطر بكثير من شاهين الضخم "

رمشت جدايل وهي تتساءل " ماذا تقصد ؟"

هزّ كتفيه وهو يرد بنبرة لا معنى لها وكأنه يحدث نفسه

" لن اخبرك ... فما لاتدركينه افضل .."

رآها كيف احتارت اكثر فرسم ابتسامة على شفتيه ليقول برقة وشقاوة " لاتحتاري ولاتفكري ... ما يهم ان الغد اضحى قريبا .. قريبا جدا "

رغم الابتسامة منه الا انه كان يحدق فيها بتمعن مقلق ...

نادته جدايل " ايهم ..."

فيرد بسلاسة " نعم ..."

راقب الخدين يتضرجان بالحمرة القانية بينما تعض شفتها السفلى قبل ان تقول بحرج

" يجب ان تعرف ان العرس في الغد لاجل .."

فأكمل لها " ابيك ..."

فاضافت والحمرة ما زالت تتوهج على خديها

" انا ... احتاج للوقت ..."

فيرد بابتسامة ذائبة " اعلم ..."

ابتلعت ريقها قبل ان تحاول التماسك لتقول

" لاتحاول ان ..."

يقاطعها قائلا برقة " لقد اوصيت بشراء ملابس لك .. لكل المناسبات .. جهاز عروس كما يليق بك صغيرتي .. اعلم ان النسوة ممن سيحضرن العرس في الغد سيرغبن برؤية كل شيء ... "

كان يتجاهل ببساطة ما تلمح اليه لكنها لم تيأس وهي تجد صعوبة بالكلام عن هذا الموضوع تحديدا لتقول بإصرار

" أيهم ... انا جادة في موضوع الـ .."

يعود لمقاطعتها مضيفا " ملابس للخروج تلائم المحجبات واخرى للبيت "

تضرب بقدمها الارض وهي تعترض بغيظ قائلة

" الا تسمعني أيهم ؟! "

يغمز بعينه بينما تبتسم شفتاه بطريقة عاطفية هامسا " وملابس حريرية وشفافة ....لغرفة النوم فقط ..."

زفرت بقوة وهي تشيح بوجهها بعيدا فيأتيها صوته رقيقا متفهما بشكل عجيب

" اتركي الامور لطبيعتها .. "

تتمتم بصدق دون ان تنظر اليه

" لااستطيع ..."

فيرد بهدوء غريب

" اذن عليك التعلم ... انت خير تلميذة وانا سأكون استاذك الوحيد ..."

ليلة الخميس ....

تتعلق برقبة والدها تبكي في احضانه فبدت كأي عروس تعاني من لحظة الانفصال الرسمي عن عائلتها لتكون في عصمة رجل هو زوجها وعائلتها الجديدة ...

يقف أيهم قربها هادئا بينما يرى دموع التأثر في عيني النسوة البسيطات من حوله ...

حتى الخالة منيرة رقم النظرات الحاقدة التي رمقته بها طوال الحفل الا انها في هذه اللحظة انخرطت بالبكاء ولم تكف عن ذكر والدة جدايل المتوفاة وكيف كانت ستكون فخورة بابنتها الغالية ...

سعد هنأه وهنأ جدايل باسلوب اقرب للتحفظ وكأنه يؤكد على موقفه بأنه سيدعم جدايل ضد أيهم اذا اثبت الاخير انه لايستحقها ...

حسن .. الصبر الصبر يا أيهم ..

جدايل تستحق هذا الصبر ... ويكفي انها الآن اصبحت في بيتك .. بيتها هي ...

بيتكما معا ...

التفت والد جدايل نحوه ببدلته الرمادية البسيطة .. يخلع نظارته ويمسح دموعه ليوصي ايهم بالقول المتحشرج

" هذه الصغيرة امانة في عنقك .. انها اغلى ما تركت لي زوجتي الاولى رحمها الله .. لها مكانة خاصة فأكرمها لانها تستحق .."

يطمئنه أيهم بكل ما يستطيع بينما عيناه على عروسه التي تلقفتها خالتها منيرة مرة اخرى في موجة بكاء جديدة ...

توالت التبريكات من هيفاء وباسل والصغيرة شمس المبتهجة بالاجواء ثم سمارا وزوجها الذي يحمل طفلتهما الصهباء وشاهين مع زوجته التي تبدو على وشك الولادة .. واخيرا شهرزاد التي حضرت بمفردها واشارت له برأسها تطمئنه فارتاح من ناحية معينة ...

" مباركٌ بنيّ ..."

التفت أيهم بابتسامة خاصة قائلا

" شكرا لك سيدة وداد ... اسعدني جدا حضورك... "

فتمد يدها عفويا ليده تربت عليها بحنانها المعتاد معه قائلة

" لم أكن سأفوت حدثا رائعا في حياتك كهذا الحدث ..."

عيناه حادتا ناحية جدايل فرآها تضحك بارتعاش بينما سمارا تهمس لها شيئا في اذنها ..

فيقول بصوت أجش

" نعم .. انها رائعة ... سمراء صغيرة الحجم .. كبيرة القلب .. متدفقة في العطاء .. لئيمة قاسية في العقاب .. جبارة في العناد والغضب.."

تضحك السيدة ضحكة رائقة بينما يسبل أيهم اهدابه وهو يضحك بخفة ..

رحل الجميع وهدأ البيت بعد موجة صخب لانظير لها .. اناس كثيرون حضروا وعجّ البيت بالاطفال من كل الاعمار ..

لايعلم كم حاجة كُسرت في البيت ولم يهتم ..

العرس تم على أكمل وجه ..

كما يحبه اهل جدايل ويفخرون به ...

وهو لم يهتم الا باسعادها وجعلها تفخر امام والدها واهلها واهل بلدتها ...

ها هو يقف امام باب غرفتهما ... او ما يفترض انها غرفتهما لكنها حاليا ولأجل غير مسمى غرفة جدايل فقط ..

يقف هو من جهة وتقف هي من جهة اخرى والباب موارب بينهما تتطلع اليه بعين واحدة تماما كذلك اليوم الذي امتلكها فيه في لحظة هياج عاطفي منفلت ..

اما الليلة فالامر مختلف ...

قال لها مبتسما وهو يرخي ربطة عنقه

" هل اعجب النسوة بجهازك يا عروس ؟"

عيناها او عينها الوحيدة الظاهرة له ارتبكت النظرات فيها وهي تطالع حركة يده التي ترخي ربطة العنق .. فخرج صوتها مرتبكا متوجسا " نعم ..جدا ... شكرا لك .."

فيطيل وقوفهما مشاكسة منه وهو يسألها

" وخالتك ؟ "

فترد ويدها تتحرك على حافة الباب وكأنها تتعجل اغلاقه " لم تقل شيئا ..."

تنهد وهو يطالعها بهيئة العروس الغارقة فيها من اسفل فستانها الابيض المنفوش صعودا لخصرها الرقيق الذي حدده قماش الفستان الملتصق به ثم كتفيها اللتين غطتهما سترة حريرية بيضاء ملائمة لفستان العرس

واخيرا تاجها المبهر المستقر بشموخ فوق حجابها الحريري الابيض الذي احاط بوجهها العصفوري واخفى شعرها بالكامل ...

عيناه استقرتا على وجهها ..

تلكما الشفتان اللامعتان بلون ذهبي وعيناها اللتان برز جمالهما بإتقان رسم الكحل حولهما كما برز تقوس رموشهما القاتل ...

همس بشوق " هل يمكنني رؤيتك بفستان العرس دون ... الحجاب .."

هزّت راسها بـ(لا) قبل ان تقول " انا مرهقة ايهم .. اريد النوم ..."

تنحنح وهو يسأل " هل تحتاجين لشيء ؟ "

فترد وهو تحدق فيه " لا شكرا .."

يحدقان ببعض للحظات طالت ...

يرفع أيهم اصبعيه السبابة والوسطى يمدهما نحوها فيمررهما بخفة و رقة فوق انفها لينزلهما فوق شفتيها ثم يعود باصبعيه نحو شفتيه هو يلامسهما كما فعل مع شفتيها هامسا ببحة وعينين لامعتين بالعشق

" تصبحين على خير يا سمراء ..."

كانت ترتعش تأثرا بحركته العاطفية لكن إصرارها اقوى من اي مشاعر لتغلق الباب بينهما وقبل ان تغلقها بالمفتاح سمعته يقول بصوت أجش عبر الباب المغلق " لاتغلقيه بالمفتاح اعدك لن اقترب الليلة من هذا الباب ... نامي قريرة العين حبيبتي ..."

تجوب شوارع مدريد هائمة على وجهها .. النيران تلتهم روحها .. كما التهمت النيران ذراعيها ...

تجهش بالبكاء فلا تبالي بنظرات الناس من حولها .. ولا حتى ترد على اسئلة البعض ان كانت بخير ... تشهق كطفلة تائهة بين وجوه غريبة لاتعرفها ولاتعرف مصابها .. لاتعرف خسائرها .. لاتعرف وحدتها القاتلة ...

لماذا هي هكذا ؟! لماذا تخسر ؟ لماذا هذا التجويف الهائل في روحها يكبر ويكبر ويكبر ...

الى اين تذهب وهذه النيران تنهشها ؟

الى من تشكو وتطلب السند ؟؟!

صديقتها سابرينا الوحيدة التي تستطيع اللجوء اليها لكنها لاتستطيع الذهاب اليها ..

ليس بعد ان علمت انها تعيش قصة حب جديدة مع شاب اسباني ...

لاتعلم هل هي الغيرة منها ام انها ببساطة تشعر بالنقص ...

يا الهي...

يا له من شعور مدمر انك تبحث في الوجوه حولك عن دفء المعرفة ... عن عمق المحبة ... عن ارتباط روحي .. او حتى عقلي .. لكن لاتجد الا نظرات مبهمة لاتشعر بك ولاتمثل لصاحبها اي اهمية ....

وقفت وسط الرصيف وقد تعالت شهقاتها فتناديه .. تناجيه.. ولاتملك الا مناجاته هو وسط الغرباء .. هو معشوقها .. كل عائلتها .. كل صلة لها بالحياة

" ايهم ... يا ايهم .... اليوم ستكون لها .. ملكها .. اليوم زفافك على عروس غيري .. آآآآه يا معشوقي .. آآآآآآه من خسارتك التي كانت ضربتها قاصمة لما تبقى مني... كيف اوهمت نفسي يوما اني اصبحت قوية لاعترف بخسارتك .. ان نفكر بخسارة اغلى من نحب شيء .. وان نواجه واقع هذه الخسارة شيء آخر...."

رن هاتفها النقال فشعرت بالذهول من بصيص امل غبي انه هو .. هو سمع مناجاتها فهب اليها كما يفعل دوما ...

بقلب متعطش ويد مرتجفة اخرجت الهاتف من جيب سترتها ففتحت الخط حتى دون ان ترى المتصل أتاها اسمها بصوت نسائي مألوف

" عشتار ... حبيبتي "

لم تستوعب فعاودت المرأة مناداتها " عشتار ... هل انت معي على الخط ؟ انا عمتك ..."

تمتمت عشتار وصخب المشاعر يشتت تركيزها " عمتي ؟! "

فترد عمتها بحبور " اجل حبيبتي ..."

عندها لم تشعر الا بانهيارها في بكاء اشد واقسى بينما تسمع صوت عمتها يهدئها وهي تقول بحزم " لاتبكي عزيزتي ... اياك والبكاء ... كوني قوية حتى اصل اليك .. انا غدا مساء سأكون عندك في اسبانيا ..."

لاتعلم لماذا تخنقها الحاجة للبكاء بأسى هكذا .. الا يفترض ان ترتاح بعد ان رفعت رأس والدها عاليا ..؟!

تنظر بحزن لصورتها الرائعة المبهرة عبر المرآة الضخمة الانيقة ذات الاطار البيضوي المزخرف لمنضدة الزينة ...

تمتمت تحدث نفسها " انت تعلمين لماذا تشعرين بالحزن جدايل ... انت كأي فتاة .. احلامك عن ليلة العرس يجب ان تكون خاصة ... عذبة ورقيقة وبذكرى تبقى لآخر العمر ... وها أنت في ليلة زفافك على رجل تعشقينه فلاتشعرين الا ببعض الراحة وتنفستِ الصعداء بعد تثبيت زواجك علنا امام كل الناس .. لكن في عمق قلبك ما زلت تتألمين .. ما زلت تخافين .. ليس من عشتار فقط .. انما من أيهم نفسه .. فماذا ينتظرك معه ؟ هل حقا يحبك ؟ ام انه يشعر بالمسؤولية عنك بعد ما حصل بينكما ؟ هل سيأتي اليوم الذي قد يعود فيها لعشتار ؟ اذا كان قاومها مرة فهل سيستطيع مرة اخرى ؟

هل ستتحملين في كل مرة تستنجد به ليهرع اليها ويتركك تعيشين الرعب نفسه مرارا وتكرارا .. وماذا لو اكتشف ان تاثير الاختلاف بينكما اكبر مما كان يظن .. ماذا لو ندم ؟ لو شعر انه تورط في خياره معك..!! "

اطلقت نفسا من اعماق صدرها ثم ببطء اخذت تخلع سترتها البيضاء لتضعها بعناية على الكرسي الصغير الخاص بمنضدة الزينة فبرز ذراعاها الاسمران النحيلان فرفعتهما للاعلى فوق راسها لتنتزع تاجها ثم تفك حجاب الشعر الحريري وبعد ان انتهت وضعت كل شيء على منضدة الزينة واخذت تفرد شعرها وتخلصه من الدبابيس ...

استدارت بجسدها وفستانها يهفهف حولها لتخلع حذائها وتتحرك حافية القدمين ناحية السرير الضخم ...

استلقت بظهرها فوق الفرشة المطرزة التركية المنشأ ... فرشة كريمية بلون اثاث الغرفة مخرمة بنقوش الزهور وحبات لؤلؤ ابيض وزهري ..

كانت تشعر بالانهاك .. وكأنها كانت تركض لاميال واميال .. وها هي تجد محطة تطمئن اليها قليلا فتلتقط انفاسها فيها لتواصل بعدها المشوار عسى ان تجد محطتها الثابتة وتستقر فيها ..

غفت وشعرها متناثر حولها فغرقت في احلام بعيدة .. احلام بوجه امها تبتسم لها وتضفر لها شعرها عند الجدول خلف البيت ...

هربت من يدي امها التي اخذت تناديها بنبرة تأنيب لكن جدايل تضحك بشقاوة وضفيرتها تنحل ليتطاير شعرها في كل مكان ....

ثم فجأة حل الظلام .. اصبح كل شيء حالكا حولها ... شعرت بملامسة لذراعيها جعلتها تجفل وتعقد حاجبيها في نومها وبينما وعيها يفرض عليها تواجده تدريجيا شعرت بملامسة اخرى أكثر خشونة على جانبي خصرها فترمش بعينيها بينما تشعر بانطباق شفاه فوق شفتيها ...!

لاشعوريا رفعت يدها لتضرب امامها فتلامس خشونة لحيته بينما تسمع ضحكاته وهمسه الخشن " حتى وانت نائمة تقاومين ... تتعاركين وتخربشين ... "

فتحت عينيها على وسعهما وفي نفس الوقت كانت يداه تسحبانها ليقلبها فوق جسده وها هي فوقه تماما وجهه قبالة وجهها وشعرها منتشر حول وجهيهما معا كستائر رقيقة .. تحدق في عينيه المرهقتين المشاغبتين وتعابيره الذي ضجت بالشوق ليهمس بحرارة

" احبك... جديلتي " فتطبق شفتاه الدافئتان على فمها وذراعاه حول ظهرها ورأسها .. تعتصرانها .. تلصقانها به التصاقا ...

الفصل الثامن عشر والاخير

ضاعت بين كلمة الحب من فمه ولوعة الاشتياق لقبلاته ..

وقبلاته هذه المرة مختلفة .. آآآه جدا مختلفة .... ليست حتى مشابهة لتلك المرة التي امتلكها فيها في لحظة ضعف متبادل ...

فتحت عينيها بقوة لتلك الذكرى فتصحو من غفوة الاستسلام للعشق على علقم المشاعر التي عاشتها وحيدة ببعده عنها ...

اخذت تحرك ذراعيها دون فائدة .. تتلوى بجسدها الصغير فيكبله أيهم أكثر بذراعيه القويتين فتعجز عن تخليص نفسها بينما فمه ما زال يغزو فمها لكنها لم تيأس لتقاوم بشراسة اكبر ...

ضاق ذرعا بعنادها ليقلبها على ظهرها فتصبح تحته بينما تفلت شفتيها المتورمتين منه وبانفاس لاهثة تقول

" لا ... ايهم .. توقف .. لقد وعدتني .."

يلهث هو الآخر لكن الاستمتاع يطفح من ملامحه فيقبل عنقها ووجهها وهو يهمس بانفاسه المتلاحقة

" فقط بضع قبلات لن تضر بالوعد .. وقد نصل لنتيجة نهائية تطفئ نارنا نحن الاثنين جديلتي ... "

لم تخضع أيضا .. تمكن منها عنادها الاصيل... اخذت تحاول زحزحة جسدها يمينا وشمالا دون نجاح وهو يحتجزها بجسده ويضحك بين قبلاته النهمة لها ...

فستان زفافها المنفوش لايساعد ايضا فأصابها الاحباط والغيظ فلم تجد بدا الا ان تكلمه ... هدأت قليلا لتهمس بنبرة مبحوحة

" لقد وعدتني انك لن تقرب باب غرفتي .."

فيرد بعاطفة متدفقة تكاد تفلت منه

" انها غرفتنا معا وانا وعدتك لن اقرب الباب الليلة ونحن الآن ... قرابة الفجر يا سمراء .. لم أنم ولا لدقيقة واحدة .. حتى ملابسي لم اغيرها ... مثلك تماما .. كلانا كان ينتظر الآخر صغيرتي .. يدرك ان الليلة هي كل شيء .. كل شيء ... "

اغمضت عينيها .. لاتريد رؤية المزيد من شوقه اليها والذي تعكسه عيناه البندقيتان باحتراق متأجج ...

انها تضعف .. تعترف بهذا الشوق .. لم تعد تستطيع انكاره .. جسدها يستجيب .. كما فعل اول مرة بينهما ...

لكن هي من اختلفت هذه المرة ..

هي من اختلفت .....

يده امتدت لتفتح الفستان من الخلف ... سالت الدموع من عينيها فلامست تلك الدموع شفتيه اللتين كانتا تغرقانها بالقبل ...

يده على ظهرها تجمدت ليهمس قرب بشرة خدها الدافئة

" لماذا الدموع صغيرتي ؟ سأكون رقيقا أعدك... "

تفتح عينيها فتحدق في عينيه المتسائلتين ليتحشرج صوتها بالبكاء وهي ترد عليه "لاتفعل ... هذا ...ليس الآن .. ارجوك أيهم .. سأكره نفسي ان ضعفت واستسلمت لك .."

للحظات طالت يبادلها هذا التحديق ..

وكأنهما يختبران بعض ... كأنهما يبحثان عن بعض ولو بطريقة تفكير مختلفة ...

هو يبحث عن معشوقته التي وهبته كل شيء فيريد ان يهبها كل شيء ايضا ...

وهي تبحث عن قلبه .. تبحث عن ملكية هذا القلب ... ولن تمنحه ما يريد حتى تجد تلك الملكية وموقعة باسمها وحدها ....

خلبت لبّه بتلك النظرات التي تتوسلانه ان لايفعل !

تمالك نفسه ليتمتم بشقاوة ولمعة عينيه فاض العشق منهما

" هل تصدقينني لو قلت أني أتيت لغرفتك فقط كي أراك دون حجاب ؟ لم أكن سأقلق منامك ابدا ..."

تنهيدة صغيرة خرجت من صدرها وعبرت شفتيها وهي ترد عليه بغيظ رقيق

" انت كاذب ..."

يضحك وهو يميل ليغمر وجهه في عنقها ثم همس " اعترف ... انا .. كاذب ..."

قلبها يخفق في صدرها بينما تشعر بشفتيه تلامسان بشرتها برقة فتتماسك قائلة

" اذهب لغرفتك .. ايها الكاذب .."

يتنهد فتلفحها حرارة انفاسه ليقول بحشرجة

" هل تعلمين انك لم تقولي لي (احبك) منذ زمن طويل ؟ "

ترتعش وتعض شفتها السفلى لكن العناد داء مزمن فيها فترد بثبات " لن أقولها ..."

يرفع راسه فيقابل وجهه وجهها ليقول بتحدٍ

" (انا احبك) .. قوليها لي جدايل وسأتركك في الحال تنعمين بنوم هادئ بمفردك على هذا السرير .."

زاد عنادها بل تملكها استمتاع لما يغمرها به هذا العناد من الرضا فتهمس باصرار " لا ..."

يعبس قائلا " لاتكوني عنيدة .."

تهز راسها يمينا وشمالا وتكرر الرفض

" لن اقولها .."

فيهددها بالقول " تعرفين اني اكثر عنادا منك ولن يزحزحني شيء الا ان حققت ما اريد .. وأستطيع ان أظل اقبلك بالقوة حتى تقوليها .. وربما سأضعف في احدى المرات وأفقد السيطرة لأنالك كلك بالقوة ايضا.."

ثم يبتسم بطريقة اقلقتها قبل ان يقول بنبرة مبحوحة " ام ربما هذا ما تسعين اليه جديلتي؟ هل تريدين دفعي لفعل هذا ؟"

ارتبكت لاتحرى جوابا يوقفه دون ان تتنازل..

وكانت تعرف انه سيفعلها لو قرر....

لم يكن لديها خيار آخر..

عقدت حاجبيها بغضب لتقولها بنبرة تفيض شراسة " احبك .. هل ارتحت الان ؟ "

مطّ شفتيه وهو يقول بغير رضا

" لو كنتِ شتمتني لكان افضل من كلمة الحب هذه ! "

أخذت تتلوى بينما ما زال يحتجزها لتقول له من بين اسنانها

" انت طلبت الكلمة ... اربعة حروف .. وانا اعطيتك اياها ... فلا تبدأ التلاعب .."

زفر بينما لايجد صعوبة في وئد مقاومة جسدها الصغير ليقول بصوت أجش

" آخر طلب ..."

حدقت به وهي تتأفف ليطلب بهمس " قبلة .. فقط قبلة ... قبلة من قلبك جديلتي .. وبعدها ساتركك .. اقسم باللّه سأفعل .. " حدقت في عينيه لتسأله بجدية

" وتخرج من الغرفة تماما ؟ "

فيرد محبطا " سأخرج .. "

فتؤكد بالقول " ولن تعاود الاعيبك ؟"

يبتسم بشقاوة قائلا

" لن .. أعاود ... حتى تطلبين اللعب ..."

فترد بثقة " لن اطلب .."

فيسألها بهمس مبحوح " إذن ؟ ..أين قبلتي ؟"

فترتعش شفتاها قبل ان تهمس

" تعال وخذها ...."

يا الهي هذه ليست قبلة ! تلك الصغيرة العنيدة الا تشعر بتمازج روحيهما بقبلة من القلب كهذه ؟! ماذا تريد اثباتا أكثر من هذا على عمق مشاعره نحوها ؟ على الاقل يفترض ان تطمئن انها وحدها من تملك قلبه ...

كان هو من ابتعد ...

يعرف انه لن يحتمل أكثر ... كما يعرف انه لو أفلت الامر منه مرة اخرى فلن تكون جدايل سعيدة .... وهو يريدها سعيدة ...

ابتعد عنها شاعرا بدوار العاطفة يكتسح اتزانه ...

ليغادر السرير بصمت تاركا اياها تسترجع ذاتها هي الاخرى ...

سار نحو باب الغرفة مترنحا من جرعة عشق لاتوصف ارتواها من شفتيها ...لا بل من قلبها..

انها ... قبلة ... من القلب ...

بعد ساعات...

كانت جدايل غارقة في نوم غريب .. خال من الاحلام .. لكنه نوم يفيض لذة ...

تلك القبلة فعلت بها الاعاجيب ...

جعلتها تطفو فوق كل شيء ...

طرق متكرر على الباب جعلها تخرج ببطء من لذة النوم ....

ثم جاء صوته يناديها عبر الباب " جديلتي ... ألم تستيقظي بعد ؟ انها الثانية عشرة ظهرا ووالدك اتصل مرتين .. وانا كنت ملتزما ولم ادخل لغرفتك مرة اخرى ... "

فتحت جدايل عينيها على وسعهما لتحمر بشدة لذكر والدها فترد عليه بخجل " اذا اتصل مرة اخرى .. اخبره اني... اني ... في الحمام .."

لكنها تتراجع سريعا وهي تهبُّ من السرير لتدرك بعجز انها ما زالت بفستان الزفاف المنفوش فتقول بارتباك مضاعف

" لا ... لا .. لاتقل اني ... في الحمام .."

تسمع ضحكاته من خلف الباب قبل ان يقول

" سأقول له .. لاتقلق عماه .. انت احسنت تربية ابنتك فقد تصرفت كأي فتاة شريفة عفيفة ونامت بمفردها في غرفة منفصلة عن عريسها ..."

يتملكها الغيظ من سخريته المداعبة فتتحرك نحو الباب والفستان يعرقل حركتها وقد بدى بوضع غريب على جسدها لكنها لاتبالي فتذهب وتفتح الباب لتقابل هيئته الوسيمة وتقول من بين اسنانها

" اياك ان تتمازح مع والدي في امور كهذه .. انا اعرفك .. تفعلها وتتكلم هكذا دون حياء ..لكن والدي لن يتقبل مزاح كهذا .."

عيناه انسابتا من قمة شعرها المشعث ووجهها الملطخ ببعض اثار مساحيق التجميل ثم فستانها الذي بدى في حالة بائسة مزرية .. ويبدو انه ما زال مفتوحا من الخلف منذ ان فتحه هو بنفسه فجر اليوم ...

غامت عيناه ليقول برقة مشاكسة

" كم سيسعدني لو أخذت لك صورة الآن وارسلتها لوالدك ... تبدين كعروس عاشت ليلة صاخبة .. صاخبة جدا .. لاتمت للبراءة بصلة ... "

احمر وجهها اكثر بينما تحني رأسها للاسفل لتطالع هيئة فستانها ثم ترفع نظراتها اليه فتقارن مع هيئة ملابسه الرائعة ...

بنطال كتاني ازرق بلون البحر قصير حتى الركبتين وفوقه قميص ابيض محلول الازرار حتى وسط صدره فتظهر قلادته الجلدية بوضوح ...

وذلك العطر الرائع الذي يفوح منه يجعلها تشعر انها دخلت في مكان خطأ !

عبست ...

لا .... ليس المكان الخطأ ..

سيرى هذا المتأنق الوسيم الجذاب ...

حدقت في عينيه المستمتعتين وهو يقول لها

" متى سينتهي الحوار السريّ صغيرتي ؟؟ هوني عليك انا اراك رائعة هكذا .. مفعمة بالعاطفة ... ولامانع ان تأتي كما أنت هكذا وتشاركيني طعاما خفيفا اعددته بنفسي عند حوض السباحة ..."

ردت وهي تكز على اسنانها

" سأذهب لآخذ حماما والحق بك في الاسفل خلال عشر دقائق ... "

ثم تبتعد خطوة للخلف وتغلق الباب بعنف غاضب ..

لكنها تعاود فتحه مرة اخرى خلال لحظة وترفع سبابتها اليه تحذره بالقول وهي تعقد حاجبيها

" واذا اتصل ابي قل له فقط ..اني في الحمام.."

ثم تعاود اغلاق الباب وتستند اليه بظهرها وهي تسمع صوت ضحكات أيهم تتعالى ...

وقبل ان تتحرك بغيظ سمعته يهمس عبر الباب المغلق وبنبرة عاطفية

" صباحك مشاغب صغيرتي العروس .."

تكلم والدها عبر الهاتف النقال بينما تعلو وجنتيها السمراوين اللذيذتين حمرة خفر محبب ...

يلتقط أيهم بضع حبات من الزيتون المحشو بالفلفل الاحمر ويلقيها في فمه ليمضغها ببطء بينما يمعن النظر في اختيارها من الملابس ...

الصغيرة ما زالت تنتقم !

ويا ويل قلب ابن سليماني متى سينتهي هذا الانتقام...

بنطال جينز وبلوزة بلون الورد ..

بلوزة جميلة لكنها ... محتشمة ..

محتشمة جدا ..

حسن .. رغم لذّة هيئتها الا انه كان يُمني نفسه انها سترتدي احدى الاثواب الخريفية الرقيقة المفتوحة التي اختارها لها بنفسه لترتديها في البيت..

لكنه احبط برؤيتها عندما خرجت اليه قرب حوض السباحة حيث اعدّ وجبة غداء خفيفة لهما بعد ان فاتهما وقت الافطار ...

لم يكن ينقص الا ان ترتدي الحجاب !

أنهت مكالمتها وقد بدت مشعة بالراحة ...

رآها تلتقط حبّة زيتون وبشرود كانت تضعها بين شفتيها ثم تقضم الحبة نصفين !

ابتلع ريقه وهو يقاوم تأثير حركتها العفوية هذه ليقول ببحة خاصة

" انت تحبين الزيتون مثلي ..."

تضحك والريح الخفيفة تتلاعب بخصل شعرها الطويل ثم تقول بشقاوة طفلة

" كنت أغضب امي على الدوام لاني كنت اسرق من الزيتون الذي تعده بطريقتها في برطمانات خاصة .. لم أكن اصبر حتى انتهاء المدة المفترضة لاعداده .. "

ثم ترمش بعينيها بطريقة ساحرة وتهز كتفيها النحيلين وهي تقول بابتسامة جذابة

" أحب الزيتون بجنون .. ليس بيدي اني لااقاومه هكذا.. "

هو من لم يقاوم ليميل ناحيتها يطبع قبلة على شفتيها هامسا بعاطفة

" كرهت الزيتون لانك تحبينه بجنون ولاتقاومينه... لماذا لاتتعاملين مع كل من تحبين بهذه الطريقة ؟! "

احمرت وهي تطرق برأسها وشعرها تتلاعب به الريح في كل اتجاه كما تتلاعب الصغيرة بمشاعره في كل اتجاه ايضا ...

تنحنح قبل ان يقول بصوت أجش

" بما انك رفضت ان نسافر في هذه الفترة لأي مكان وبما أنك الآن بمزاج طفلة شقيّة فما رأيك ان نلعب لهذا اليوم ؟"

رفعت وجها عابسا له وبارتياب سألته

" ماذا تقصد باللعب ؟"

يضحك ثم يغمزها قائلا " لاتسيئي الظن يا قطعة قلبي .. كنت اقصد فقط ... ان نذهب لمدينة الملاهي ؟"

في بلد آخر ...

صباحا ...

صوته كان غريبا ككل تصرفاته خلال اليومين الماضيين " ادخلي هيفاء مع شمس .. أنا سأنتظركما هنا .."

حدقت هيفاء في عيني زوجها الرماديتين .. تفاجأت انه لن يدخل معهما !

لولا انها تعرفه لقالت انه ربما يراعي والدة قاسم فلا يحرجها بظهوره كزوج لطليقة ابنها...

لكن باسل ليس هكذا .. ولايبالي بأحد ..

امعنت النظر اليه بينما شمس تمسك يدها وتتحرك بتململ حاملة دميتها ..

فكرت هيفاء ان باسل يبدو مرهقا .. رغم انه رحلتهما لم تكن طويلة لحسن الحظ ساعتان ونصف بالطائرة هي مدة الرحلة بين الوطن وهذا البلد ...

لكنه لاينام بشكل جيد .. فهل هو قلق من أي تصرف مفاجئ قد يقدم عليه قاسم ؟

" هيا ماما .. اريد الرحيل من هنا ..."

احنت وجهها لابنتها وهي تبتسم لها قائلة لها بصبر " سنرحل قريبا حبيبتي .. هيا بنا ندخل ونسلم على .. على جدتك ..."

ابتسمت شمس وهي تسأل بعقلية طفلة " هل سافرت جدتي قبلنا ؟ وتنتظرنا هنا؟"

فتنحني هيفاء لتحمل طفلتها مع دميتها التي لم تفارقها طوال الرحلة وتهمس لها بعبرة مخنوقة " لا صغيرتي .. لقد شرح لك بابا باسل .. هل نسيتِ ؟ انها جدتك الثانية .. هي مريضة وارادت رؤيتك .."

صمتت شمس لتعقد حاجبيها بطريقة خاصة تشبه طريقة باسل عندما يفكر في شيء ..

دمعت عينا هيفاء وخفق قلبها تأثرا لتأثر صغيرتها بباسل .. شمس معجبة به وسعيدة كونه الرجل الذي تناديه بابا ..

بعزم رسمت هيفاء ملامح هادئة على وجهها .. بينما تطرق باب الغرفة لتدخل وهي عازمة ان تكون قوية لتحافظ على ابنتها وزوجها .. زوجها الذي استحق ان يكون والد ابنتها بجدارة ...

اغلقت باب الغرفة خلفها بينما تلمح باسل بجسده المتوتر يستدير ليبتعد بخطواته ..

التفتت لمن ينتظر قدومهما في هذه الغرفة البيضاء ...

كان قاسم يسقي أمه بعض الماء ليضع القدح جانبا وهو يرمي بنظراته ناحية ابنته ومن كانت زوجته يوما .. بل كانت اول حب في حياته ...

انزلت هيفاء شمس للارض وهي تلقي تحية هادئة فتردها ام قاسم بنبرة فرح ...

رأتها هيفاء بعين مشفقة ...

لقد كبرت المرأة كثيرا بسبب مرضها ..

بدت شديدة النحول مجعدة الوجه شاحبة البشرة .. لم تعد هي نفسها من كانت تذيقها مرّ العذاب وتهينها بمناسبة وبغير مناسبة !

لم تعد المرأة التي قتلتها الغيرة من كنّتها فلم تدخر جهدا لتفريقها عن قاسم وبأبشع الطرق واكثرها خسّة ودناءة ...

تمتمت شمس بتوجس متسائل " جدتي ...؟ "

فتمد المرأة ذراعيها النحيلين نحو حفيدتها تناديها بعينين فاضت منهما الدموع ..

دموع الذنب ..

دموع الندم بعد فوات الاوان..

" يا روح جدتك .. تعالي الي .. تعالي يا ابنة الغالي .. تعالي لاشمك .."

ترددت شمس وهي ترفع وجهها الصغير لأمها وكأنها تطلب اجابة منها لما يجب ان تفعل فتبتسم هيفاء لتتحرك بصغيرتها ثم ترفعها بنفسها وتضعها على السرير قرب الجدة المستلقية بضعف وهي تقول بلطف ظاهري

" انها جدتك الثانية صغيرتي .. قبليها وتمني لها الشفاء "

تضمها الجدة اليها تتشممها وتقبلها ودموعها تجري مدرارا على خديها بينما قاسم يقف على قدميه متوترا ليتحرك ويقف قرب الشباك المجاور له ..

تحركت هيفاء هي الاخرى لتجلس بعيدا على كرسي موضوع في جانب الغرفة قرب شباك آخر ...

تستمع لصوت أم قاسم الواهن وهي تسأل حفيدتها " احكي لي يا روح جدتك .. هل تذهبين للمدرسة ؟ "

فتبتسم شمس باشراق وهي ترد بفخر " نعم .. انا اذهب لمدرسة جدتي .. جدتي الاولى ..."

مسحة ألم مرت على صفحة أم قاسم لكنها تسارع لاخفائها وتبتسم لوجه حفيدتها الذي يشبه وجه وحيدها قاسم فتسألها المزيد والمزيد ...

مرّ الوقت وهيفاء تنقل نظراتها ما بين الباب المغلق وبين ساعة يدها التي تشير لمرور ما يقارب الساعة وبين صغيرتها التي اندمجت بالثرثرة مع جدتها ...

ثم شعرت بالتوتر بينما ترى خطوات قاسم تقترب منها ، لكنها لم تنظر نحوه حتى وجه لها الكلام فيسألها بنبرة حملت شجنا ونوعا من العتب !

" لم اظن انك .. ستتزوجين .. هيفاء .. "

توترت أكثر لكنها رفعت اليه وجهها وتعابيرها تحمل الغضب لجرأته ولولا انها لاتريد اثارة المشاكل والمرأة امامها مريضة

هكذا لكانت اخبرته رأيها بشخصه الضعيف ووقاحته بهذا العتب المبطن ..

ليتمتم قاسم ببحة خاصة تعرفها عندما يكون عاطفيا " انا... لم استطع .. حتى امي لم تستطع دفعي لافعلها ..."

أدارات هيفاء وجهها جانبا وتوترها يتصاعد .. عيناها استقرتا على الباب المغلق وكم تتمنى ان يتصرف باسل بطريقة هوجاء فيقتحم الغرفة ويسحبها هي وشمس خارجها !

تنهد قاسم وهو يبتعد مرة اخرى .. عيناه تناظران ابنته التي لايجرؤ حتى على القول لها انه والدها الحقيقي .. والدها الوحيد ...

لكن .. هل هو حقا والدها ؟!

يسمع أمه تسأل الصغيرة وهي تشير لدميتها القطنية " ومن هذه ؟ "

فترد الصغيرة بفخر محبب " انها زمردة .. احدى دمياتي الحقيقيات .. "

فينخلع قلب قاسم لرؤية امه تضحك .. لم يرها تضحك منذ اصابها المرض ...

ثم تسعل امه قليلا قبل ان ترد ببشاشة

" والدك ايضا كان لديه شخوص حقيقيون يراهم هو فقط ويكلمهم طوال الوقت "

فتعبس شمس وهي تقول

" بابا باسل لم يخبرني عن هذا "

ترتعش الجدة فتسارع للقول بلهفة

" لا ... انه ... ليس ... "

فتهب هيفاء على قدميها تقاطع الحوار بالقول الحازم " هيا شمس .. جدتك مرهقة ويجب ان ندعها تنام الآن .."

اقتربت هيفاء من صغيرتها لتحملها بينما تناديها أم قاسم ببؤس " هيفاء ..."

توترت هيفاء وهي تتسمر مكانها بينما تضيف ام قاسم بنبرة شبه باكية " سامحيني يا ابنتي .. لقد ارتكبت .. بحقك وحق.. قاسم وحق صغيرتكما غلطة شنيعة .."

فترد هيفاء بهدوء دون ان تنظر للمرأة

" سامحك الله خالتي .."

ارادت المغادرة فتسألها أم قاسم بالحاح

" هل تزوجت باسل حقا ؟ "

عندها رفعت هيفاء وجهها اليها لتقول بثبات

" نعم ..."

ثم نقلت نظراتها بين قاسم المتشنج وبين امه التي حملت ملامحها كل تعابير الندم لتقول هيفاء دون اشفاق " عن اذنكما .. زوجي ينتظرني بالخارج منذ فترة طويلة ...

ثم تضيف بأدب وهي توجه كلامها لأم قاسم

" عافاك الله خالتي .. "

لتتحرك هيفاء مع ابنتها فتغادر الغرفة بهدوء وحالما اغلقت الباب خلفها تمتمت ام قاسم لولدها وبصوت فاض البكاء منه

" سامحني بني ... سامحني ..."

عاد قاسم ليقف قرب الشباك شاعرا بعجزه وقلة حيلته .. شاعرا بضعفه .. شاعرا بخزيه ..

هل كان عليه ان يكون ضعيفا هكذا امام أمه ؟ يعلم الآن وعن يقين انه رجل ضعيف ..

وهو يستحق ان يسمع كلمة (بابا) تخرج من فم شمس لكن .. ليس له وانما لرجل آخر ...

لقد اتفق مع باسل انه من اجل مصلحة الطفلة سيتركها لتكبر قليلا وتتعرف على وجود والدها الذي انجبها ... ولم يكن بيد قاسم فعل شيء غير الرضوخ لهذا ...

وماذا بيده ان يفعل ؟ يأخذ الطفلة من احضان امها ؟ انها لاتعرفه حتى .. هو ايضا لايعرفها ولايعرف كيف يربيها ...

امه على فراش المرض ولايعلم الا اللّه ان كانت ستقوم معافاة ام تذهب لمثواها الاخير..

توتر وهو يسمع نشيج أمه ليقترب منها يجلس بجانبها وهو يواسيها بالقول " لاتبكي اماه .. الصغيرة بخير .. وربما سأحضرها لك ليلا لترينها مرة اخرى قبل سفرهم في الغد ..."

فترد أمه بألم " ولكن انت لست بخير يا ولدي.. قلبي يؤلمني لاني حرمتك من ابنتك هكذا "

فيقبل قاسم رأسها ويهون عليها بالقول " انه ليس خطأك امي .. انا اتحمل المسؤولية .. كان يجب ان أجيد التوفيق بينك وبين زوجتي ... لكني لم ارضِكما معا..."

ترفع يدها الضعيفة لوجهه تقول بحسرة " لا يا ولدي .. انت ارضيتني انا .. لكني لم أحسن ارضاءك ولم أحسن التصرف مع زوجتك .. سامحني بني .. سامحني ..."

يقبل باطن يدها وهو يهمس بعبرة البكاء

" لاتبكي اماه .. لاتبكي .. ولاتقلقي علي .. انا ايضا سأتزوج وانجب لك مزيدا من الاحفاد يقرّون عينيك "

فتمسح دموعها تخفي ألمها بينما ترخي جفنيها ارهاقا من كل هذه المشاعر الثقيلة...

وجدته يتحرك بقلق ذهابا وايابا امام باب الغرفة وحالما رآها كانت ملامحه تنبئ عن انفجار وشيك ...

تمتم بنبرة حادة وكلمات مختصرة وهو يأخذ شمس من بين ذراعيها " هيا هيفاء ..."

عند بوابة المستشفى رأت سيارة أجرة بانتظارهم فصعدت للمقعد الخلفي وهي تتنفس الصعداء بينما يجلس باسل جنبها من الناحية الاخرى ويضع شمس وسطهما ...

طلب من السائق ان يتوجه مباشرة للمطار !

اندهشت هيفاء فسألته " سنذهب للمطار ؟! "

يرد وهو يتطلع عبر نافذته بشرود " نعم .."

فتسأله بحيرة " وحقائبنا ..؟ "

فيرد وهو ما زال لايلتفت اليها

" احضرتها .. انها في صندوق السيارة "

تتسع عيناها بالمفأجاة فتسأل بغباء

" هل احضرتها ؟ متى فعلت هذا ؟ "

رد وهو يلتفت اليها اخيرا

" عندما دخلتما الغرفة ... استغليت قرب المسافة بين الفندق والمستشفى لاذهب واحضر كل اغراضنا .."

ترتبك من نظراته المبهمة فتسأل بقلق

" لكن حجزنا في الغد .."

فيرد وهو يعاود الالتفات للنافذة

" قدمته .."

ليضيف بنبرة شرسة

" لن نبيت ليلة واحدة في هذا البلد .."

الوطن ...

في مدينة الملاهي وفي ظلمة لعبة نفق الرعب تشبثت بقميصه وقلبها يخفق خوفا بينما هو يضحك ويشدد من احتضانها ..

كيف سمحت له باقناعها لتدخل هنا ؟

لم تفعلها ابدا من قبل ..

دوما كانت تعاند زميلاتها بالمدرسة فيركبنها دونها بينما هي تكتفي بشراء غزل البنات والتهامه لحين خروجهن ..

اخذت تتشنج وتلك الاصوات القبيحة ترتفع معلنة عن مفاجأة مرعبة جديدة !

ما هي المتعة بحق اللّه في ارعاب النفس هكذا ؟!!

صرخت ورأس قبيح بشع يخرج من الحائط ليميل نحوها خاطفا انفاسها ...

ثم عاد الظلام الدامس وصوت العربة الثقيل يتلاعب باعصابها ..

همس أيهم قرب اذنها برقة " أفكر جديا بقضاء ليلتنا هنا ؟ لا اروع من ليونة جسدك وهي تذوب على صدري "

رفعت وجهها بحنق لوجه فلم تلمح الا تلك العينين البندقيتين وهما تلمعان فهمست بعتب

" انت تتسلى على حسابي ... هل هذا مفهومك عن امتاع عروس في شهر العسل ؟!"

كانت غلطة سخيفة منها ...!

لم تشعر الا ويده تحتوي وجهها ثم همسه المبحوح قرب شفتيها

" بل هذا هو بعض مفهومي... "

صخب الخفقات علا فوق رعب المكان .. حرارة العواطف التي غمرتهما معا كان جنونيا وسط عزلتهما المظلمة ...

يداه جنّتا في سعيهما للوصول تحت بلوزتها يكاد يفقد نفسه وهي تتعلق به هكذا ..

لكنها حالما شعرت بتلك اليدين الجريئتين على بشرتها حتى عاد اليها وعيها وادراكها بمكان وجودهما ..

اخذت تتخبط مقاومة بين ذراعيه بينما تهمس بهلع " توقف أيهم .. سنصل نهاية النفق .. ويرانا الناس ... توقف ... ارجوك ..."

كلماتها جعلته يستعيد وعيه هو الآخر فابتعد مرغما لكنها فجأة اخذت تضربه على صدره وهي تصرخ به " انت لاتطاق ! لقد وقع دبوس حجابي وضاع ..."

ومع ضوء الوصول لنهاية النفق كان أيهم صامتا بابتسامة ذائبة ينظر اليها باستمتاع عاطفي بينما تخفي مشاعرها المضطربة تحت قناع عابس من الغضب الانثوي اللذيذ ...

مساء في حفل عرس ....

بابتسامة مرحة ساخرة قال رافد وهو يشير بحركات مرحة بحاجبيه ناحية العريس

" إذن عماد كان الاول من بين مجموعتنا الذي يكسر طوق العزوبية العنيد "

يضحك سعد بخفة بينما يكتفي ياسر بابتسامة صغيرة باهتة لا معنى لها ...

الثلاثة كانوا يقفون جنب بعض في احدى زوايا قاعة العرس ببدلات كحلية انيقة ...

وبينما رافد يتابع الفتيات الجميلات بعينيه وهن مزهوات بفساتين سهرة من كل نوع ولون كان سعد هادئا رزيناً رغم ان عينيه حادتا مرتين او ثلاث ناحية اكثر من فتاة اما ياسر فعلى غير طبيعته بدا متوترا غير آبه بما حوله شاردا بافكاره المبهمة !

" انظرا... انظرا .. من أتت هناك ... جميلة قسم ادارة الاعمال ... سهر ذات عيون القطة.."

التفت سعد عفويا بينما يضيف رافد بعينين لامعتين بشقاوة

" ولعمري ازدادت جمالا بنضوجها .. والشعر الطويل يليق بها اكثر من القصير.."

بابتسامة عريضة استقبل رافد اقتراب سهر منهم وقد كانوا على معرفة ببعض بينما سعد يلفت نظره توتر ياسر وتلك الملامح الغريبة لوجهه وهو يتطلع لسهر !

دوما ياسر كان يثير حيرته بتقلب مزاجه الغريب ..

ربما توتر نشأته العائلية غير المستقرة ساهمت في هذا لكن ياسر ايضا يتمتع بمزاج خشن فكاهي ساخر متأصل فيه...

التفت سعد بينما سهر تقف قربهم تلقي تحية مشعة كفستانها

" مرحبا يا شباب ادارة الاعمال ... مضت سنوات لم نر بعضنا .. "

ثم ضحكت بنعومة بينما بينما يلقي رافد تحية ترحيب حار ليتبعه سعد بابتسامة لطيفة واخيرا ياسر اسبل اهدابه ليلقي تحية عابرة تكاد تكون تمتمة غير مفهومة ...

تطلع سعد بفضول اليها وهي تضاحك رافد بينما يتكلمان عن ايام الجامعة ..

لقد كانت تصغرهم بعامين لكنهم في قسم صغير نسبيا وكل المراحل ترتبط بعلاقات وثيقة الى حد ما ...

بعيني رجل اخذ سعد يناظرها ..

ما زالت نحيلة رشيقة انيقة بشكل انثوي يميزها .. فستانها مذهل لا ءمها الى حد كبير..

فستان بخطوط مستعرضة متماوجة كامواج البحر تدرجت بلمعة متوهجة بين الفضي الى الابيض ..

وشاح فضي لامع لفته حول رأسها ويجمع شعرها البني الطويل للخلف فتغطي خصلاته المتماوجة ظهرها بالكامل ..

ثم توهجت عيناه اعجابا بتلك القلادة الفضية التي استقرت على صدرها .. لا ليست قلادة عادية .. انها أشبه بتميمة !

سألها سعد بفضول " من اين لك هذه القلادة الغريبة ؟ شكلها مميز وغريب "

رافد الآخر أخذ يتطلع بفضول للقلادة بينما لم يشعر أحد بياسر الذي رفع رأسه بحدة نارية..

امتلأ وجه سهر بابتسامة خلابة وهي تلامس التميمة وتقول " هل اعجبتك يا سعد ؟ انها هدية أتتني قبل ايام ..."

صوت ساخر صدر عن ياسر وهو يقول باستخفاف واضح " امممممم هدية ..."

نظرت سهر ببعض الدهشة لياسر تستغرب نبرته ليعاجلها رافد بالسؤال المرح " وكيف حالك انت ؟ سمعت انك انهيت الماجستير "

فترد سهر وهي تهز كتفيها باناقة " نعم الحمد لله .. وانوي التقديم للدكتوراه .."

فيقول رافد ضاحكا

" حقيقة لم اتخيلك من النوع الذي يسعى لتحصيل مراتب علمية .."

ارتعشت ابتسامة سهر لتسأل بلباقة

" وماذا عنك انت ؟ "

بابتسامة عريضة فخورة ينحني رافد جانبا لياسر يحاوط كتفي صديقه بذراعه قائلا

" انا اكتفيت من الدراسة لاربع سنوات في الجامعة بعدها عملت لبعض الوقت في امور متفرقة غير جادة حتى عاد صديقي هذا الى الوطن لنتشارك بفتح مطعم جيد في حي راق قبل عام تقريبا .. والحمد لله هو مطعم يزدهر يوما بعد يوم .."

بسلاسة أبعد ياسر ذراع صديقه عن كتفيه بينما لايرفع نظراته لاحد ومكتفيا بالصمت!

تبرع سعد قائلا " قبل ان تسأليني انا عدت مؤخرا للوطن بعد ان عملت لسنوات في بلد عربي استثماري واحضر حاليا لافتتاح مكتب صرافة "

تبسمت سهر وهي تقول بلطف

" وفقكم اللّه جميعا ..."

ثم اضافت بعينين لامعتين وهي تتطلع لعماد الجالس قرب عروسه

" عروس عماد جميلة جدا ..."

فيعلق رافد " لقد كان الاول من مجموعتنا الذي يتزوج هل تعلمين ؟! ما زلنا نحن الثلاثة رافعين شعار (عزّاب حتى ترضى بنا عروس)..."

فتضحك سهر يشاركها سعد بينما ياسر يرفع عينيه ليرمقها بنظرات لاهبة لتستقر تلك النظرات على تلك التميمة التي كان هو مهديها السريّ ...!

سأل سعد بعفوية " وانت كيف حالك وحال زوجك ؟ لم أحضر عرسكما للاسف كنت قد سافرت .. لقد نسيت اسمه .. أكان سامر الهاشمي ؟"

تفاجأ سعد من انقلاب تعابير سهر بينما يشعر بلكزة خفيفة في ذراعه من كوع رافد !

ليتكلم ياسر مصححا وهو يحدق في سهر

" بل... اسامة الهاشمي .. "

احمر وجه سهر وهي تنظر لعيني ياسر بارتباك وحرج لكنه لم يرحمها ليضيف بسخرية لاذعة " وهما لم يتمما زواجهما ... لقد تركها ليتزوج بأخرى ... و سمعت ان من تزوجها كانت امرأة مطلقة... تقارب الثلاثين.. بينما سهر كانت لم تتجاوز الثانية والعشرين.. في ذلك الوقت طبعا ... ملفت هذا أليس كذلك ؟ خاصة انها لم تتزوج حتى الآن ! "

تصلبت ملامح سعد وهو يرمق ياسر بنظرة خلطت الدهشة بالغضب بينما رافد كان مصدوما من اسلوب ياسر في احراج سهر بل حتى اهانتها بهذه الطريقة غير المبررة ...!

لتفاجئهم سهر انها اول من استعاد رباطة جأشه فتقول " اصبحت خشونة طباعك هي الملفته ياسر وبشكل سلبي تماما لايليق بنضجك كرجل عانق الثلاثين .. فيما مضى كنت ممتعا بخشونتك الان اصبحت ... منفرا .. "

ثم التفتت ناحية سعد ورافد ورغم شحوب وجهها قالت بذقن مرفوع " عن اذنكما .. سررت برؤيتكما بعد هذه السنوات ..."

تمتم سعد باعتذار لكنها اكتفت بمنحه ابتسامة هادئة ... ثم تحركت مبتعدة بينما سعد يغلي في اعماقه ليقول بنبرة حادة

" لماذا تصرفت بهذه الطريقة الدنيئة ياسر ؟ "

فيرد ياسر وقناع من البرود يتلبس ملامحه

" انا حر سعد .. افعل ما اشاء .. ولم أكذب في شيء فقط رويت ما حصل دون تنميق .."

لكن سعد امسك ساعد ياسر بقسوة ليسأله بضيق " لماذا تفعل هذا ؟! انت تعمدت اذلالها امامنا دون سبب .. اهنتها واحرجتني انا ايضا وقد تسببتُ لها دون قصد بهذا الموقف السخيف .. "

ابعد ياسر اصابع سعد المتصلبة حول ساعده ليقول بملامح باهتة غريبة " عن اذنكما ..."

ثم فاجأهم وهو يتحرك مبتعدا ليغادر القاعة بأكملها !

بحاجبين معقودين سأل سعد بعجب متزايد

" ما به ؟! لماذا يتصرف هكذا ؟! "

أجاب رافد بتردد

" ربما هو متوتر بسبب اخته جودا .. لقد اثارت مشكلة جديدة بالامس "

للحظة شعر سعد بالتوهان فيسأل بعجب

" اخته جودا ؟! هل ياسر لديه أخت ؟ متى حصل هذا ؟ ألم يتوفى والداه بحادث عندما كان في الثامنة عشرة ؟ عرفناه في الجامعة وهو يعيش وحده مع عمته ولم يكن له اخ او اخت "

ضرب رافد بباطن كفه على جبينه مستدركا قائلا " آآآآآ تذكرت انت سافرت قبل ظهور موضوع جودا .. حتى ياسر كان مسافرا خارج الوطن .. كان الامر مفاجئا للجميع وهي تظهر بشكل فجائي من العدم ! كل ما علمته انها اخته من زوجة ثانية لابيه..."

سأل سعد باهتمام " غريب فعلا ... كم عمرها؟ هل هي صغيرة مراهقة ؟"

فيرد رافد متنهدا " ليتها كانت مراهقة لكنا تفهمنا مشاكلها .. ! هي الان في الثانية والعشرين لكن عندما حضرت كانت مراهقة صعبة المراس في السادسة عشرة .."

ما زال سعد يشعر بالانزعاج ...

رغم تعاطفه مع ياسر لكن لم يكن له الحق بالموقف الذي فعله مع سهر ..

تأفف سعد وهو يسأل " متى عاد ياسر للوطن ؟ "

عينا رافد عادتا لتتبع جميلات الحفل بينما يرد بلا تركيز

" قبل عامين لا اكثر .. عمته ارسلت في طلبه بسبب مشاكل اخته ، الفتاة تخفق في دراستها الجامعية بشكل مريع عدا مشاكلها الاخرى التي لاتنتهي .. "

فيسأله سعد بجدية

" هل كنتَ تعلم بوجودها ؟ اقصد .. هل حدثك ياسر عنها يوما او حتى اخبرك عن زواج آخر لابيه ؟ "

هزّ رافد كتفيه بلا اهتمام ليقول " لا ... لم اسمعه يتحدث عن اخت له ابدا ولم يكلمني يوما عن والديه .. انت تعرف ياسر .. كتوم بشكل خاص فيما يتعلق بعائلته .. ولولا تواجدنا بمكان عمل واحد لما علمت بمشاكل اخته .. فكل يوم يرده اتصال بمشكلة جديدة فيهرع لتداركها .. لكنه لايعبر بشيء .. يلتزم الصمت دوما..."

تمتم سعد بتفكير وعيناه على سهر التي كانت تتنقل بين صديقاتها القديمات

" ياسر دوما كتوم بكل ما يخص مشاعره .."

رنّ هاتف سعد النقال فأخرجه من جيب سترته الكحلية ليرى اسم جاره السيد مهيب ..

أبتعد سعد مستئذنا من رافد ليغادر قاعة الاحتفال وهو يشعر ببعض القلق على امه الوحيدة في البيت فيفتح الخط ويقول

" مرحبا سيد مهيب .. "

فتتسع عينا سعد ليتمتم وهو يتحرك بخطوات متسارعة

" انا قادم حالا .."

مع ظلمة الليل دخلا شقتهما بصمت...

تحرك باسل حاملا شمس النائمة على كتفه متوجها بها ناحية غرفتها بينما هيفاء تتحرك بخطوات متثاقلة في إثرهما وهي تطالع زوجها بقلق ...

صمته يخفي وراءه امرا لامحالة ...

لم يكلمها ابدا طوال الرحلة الا للضرورة ..
بينما اختص شمس بدعاباته وتدليله ...

تنهدت وهي تدخل غرفتهما ..

رمت حقيبتها على اقرب كرسي ثم خلعت حذائها متوجهة ناحية الخزانة ...

وما ان فتحتها حتى ابتسمت .. عيناها تلمعان بلمعة قميص النوم الذهبي الجديد الذي اشترته مؤخرا ...

دوما تحب مفاجأته بهذه الطريقة ...

وهو سيد من يحب المفاجآت من هذا النوع..

التقطت قميص النوم وبتصميم التقطت حذاء بكعب عال وبلون ذهبي مناسب ثم تحركت ناحية الحمام ...

اخذت وقتها وهي تهتم بنفسها لاجله ...

وعندما خرجت كانت تفيض ثقة بانوثتها ..

شعرت ببعض الخيبة عندما رأته مضطجعا في السرير ويوليها ظهره !

أملت ان العطور المغوية المنبعثة منها تصل لانفه الحساس فتجذبه لكن .. لاشيء !

لم يتحرك حتى ...

لكنها لم تيأس ...

تهادت بكعبها العالي وصوت خطواتها الموسيقية يسبقها اليه ..

ابتسمت وهي تراقب ظهره يتشنج..

وقفت وسط الغرفة لتناديه بنبرة انثوية

" باسل ..."

بتردد واضح التفت ببطء نحوها وهو يقول بصوت أجش " نعم ..."

تركت له حرية المرور بنظراته الجائعة على قميص النوم القصير باجزاء شبه شفافة منه تكشف عن جسدها باغراء شديد ...

رغم هذه النظرات الجائعة في العينين الرمادتين الا ان فمه توتر مما جعلها تعبس قليلا بقلق ...

اصابها الاحباط عندما لم ينطق بشيء !

لكنها لم تتنازل فتحركت نحوه لتجلس قربه على السرير وتضع ساقا فوق ساق فتبتسم هيفاء برضا عندما تتحرك يده الغليظة لتلامس ساقيها حتى كعب حذائها ..

انه لايقاوم فعل هذا رغم انها لاحظت بوضوح كيف تزايد توتره...

مدت يدها تلامس خده وتهمس بعاطفة نابعة من قلبها " اشتقت اليك ..."

زمجر بقوة وهو يسحبها اليه ورغم عنف قبلته الا انها لم تعترض كما تفعل بدلال احيانا ..

ابعدها قليلا عنه يلامس جسدها بجنون بينما يهذر بالقول " احتاج لمزيد من الاشتياق .. "

تحيط وجهه بين كفيها وترفعه اليها تسأله بقلق لم تعد تستطيع اخفاءه " ماذا فعلت لأوترك هكذا ناحيتي ؟ اخبرني فقط .. وانا سأصالحك .."

يداه توقفتا عن تلك الملامسة العاطفية لجسدها فينظر اليها .. في عمق عينيها ليسأل بشكل مباشر

" لو عاد بك الزمن هيفاء .. لو عاد بك الزمن للوقت الذي تقدمتُ لخطبتك .. وجاء ..قاسم .. يريد استعادتك مع شمس .. هل كنت .. ستفضلينه علي ؟ "

تفاجأت من سؤاله .. لم تتصوره يفكر بالامر هكذا ...

هزّها قليلا وهو يطالبها بالرد " قولي هيفاء .. اريد اجابة صادقة .."

همست وعيناها في عينيه

" هذا يعتمد .. فلو عدت لذلك الوقت وانا بقلب هيفاء الآن .. لما نظرت لقاسم كزوج ابدا .... حتى لاجل شمس لم أكن سأفعلها ..."

كانت انفاسه تتسارع واصابعه تنغرز عميقا في لحمها لتميل اليه تلامس شفتيه بشفتيها فتهمس بالمزيد

" بقلب هيفاء الآن .. لم أكن سأرضى بأي رجل..... "

تميل لاذنه تداعبه برقة وكفاها يتشبثان بكتفيه بينما تستمتع بتأثيرها الواضح عليه

ولاتعرف كيف هبطت دمعة على خدها بينما تهمس لاذنه

" فقلب هيفاء الآن ملك لباسل .. باسل ولارجل غير باسل .. يا حبيب قلب هيفاء انت "

لم تشعر الا و باسل يقلبها على السرير هامسا بعنف عاطفي " كنت سأمزق قلبك بيدي لو قلت كلاما مختلفا عن هذا ؟"

تضحك هيفاء من قلبها بينما تستسلم لجنونه..

على باب الغرفة يقفان نفس وقفة ليلة الامس.. هي من جهة وأيهم من الجهة الاخرى والباب موارب بينهما ...

لكن جدايل بدت اقل توترا بكثير وابتسامتها شقيّة طفولية مشاكسة وهي تقول برقة مصطنعة " تصبح على خير .."

مال أيهم نحوها هامسا بعذاب " دعيني أدخل .. دعيني أنم قربك فقط ..."

كانت تعرف انه يكذب .. ولو سمحت له بمجرد الدخول فانه لن يصبر لينال ما يريد ..

يكفي ما فعله في لعبة نفق الرعب ..

هزت رأسها بـ(لا) قبل ان تطبق الباب وتغلقه بالمفتاح ...

صباح اليوم التالي

يطعمها بيده فيلامس شفتيها بتعمد بطارف سبابته وعيناه تلمعان مع وهج شمس الصباح ...

اليوم هي عروس بامتياز ....

لقد ارتدت فستانا خريفيا رائعا بتدرجات الاصفر والبرتقالي ...

بدت شهية لدرجة لاتطاق ...

تعاتبه بالقول الخجول

" توقف عن النظر الي هكذا "

عض شفته السفلى وهو يحترق من الشوق اليها فهمس

" هل نذهب لمدينة الملاهي مرة أخرى؟"

فتهمس بغيظ رقيق " في احلامك ان اذهب هناك وندخل نفق الرعب المظلم "

يضحك من قلبه وهو يقول بمشاكسة " علي ان افكر بمكان جديد اكثر ظلمة وعزلة لاخذك اليه "

تضحك رغما عنها ثم تهبط عيناها نحو هاتفها النقال في حجرها فتلامسه بيدها وتتلاعب به ببعض الشرود ...

سألها وهو يرتشف من قهوته

" هل تنتظرين مكالمة من أحد ؟"

ترفع عينيها اليه وتقول ببعض الحزن

" خالتي منيرة .. لم تتصل بي منذ..الزفاف .. "

فيرد ايهم بهدوء " ربما تتركك لتأخذي راحتك في شهر العسل ..."

فتهز جدايل راسها وتقول " ليس من شيمها .. انا بدأت اقلق عليها حقا ... قد لاتتصل بالامس وهي تعاند نفسها لكن ليس اليوم ايضا ... "

ليقول ايهم برقة " انها الحادية عشرة فقط حبيبتي .. ما زلنا في أول اليوم "

بنظرات خائبة ردت

" لكنها تستيقظ مع الفجر ... "

عندها قال أيهم يشجعها

" اذن اتصلي بها .. ماذا تنتظرين ؟"

تنهدت جدايل باحباط وهي تتطلع لهاتفها قائلة " كنت اتمنى ان .. تتصل هي بي .. تمنيت هذا منذ الامس .. بل حلمت أنها ستتجاوز مشاعرها نحو زواجي منك وانها ستفكر ان تفعل ما كانت أمي ستفعله لو بقيت على قيد الحياة .. ان .. ان تبادر منذ الصباح الباكر لاحضار افطار العروسين "

مدّ أيهم يده لخدها يلامسه بشغف قائلا برقة " ما دمتُ أنا معك سأعمل المستحيل لاعوضك عن أي شيء تفتقدينه .."

ارخت اهدابها وهي تشعر ببعض التحسن لكلماته الدافئة ليضيف بحنان

" اتصلي بها أنت يا قطعة قلبي الاثيرة ... ستفرحينها بشكل مؤكد ... "

ارتفعت معنوياتها أكثر بينما ترفع الهاتف لتتصل بينما سحب أيهم يده من خدها ليعاود ارتشاف ما بقي من قهوته ...

يراقب اناملها القلقة وهي تعزف معزوفتها الصامتة على ذراع كرسيها ...

وضع الفنجان جانبا وبعينين مراقبتين تخفيان الكثير كان يطالع جدايل بتدقيق عاطفي...

حنايا جسدها الرقيقة تشوش تركيزه ...

لايعلم الى متى يستطيع الكبت ...

انه يحاول جهده أخذ الامور بروية معها لكنها عنيدة جدا .. لليلة ثانية لايقربها ولايعلم حقا هل سيستطيع الصمود لليلة ثالثة ؟

طاقته نضبت حقا وهو يدعي هذه السيطرة الواهنة والقدرة على التحكم ...

انه مشتاق اليها فوق الوصف .. وهذا الجوع ينهشه ليتركه مسجى بجراحه على ارض الحرمان الجافة القاسية ....

حسن .. الامر يحتاج ان يدفعها بارادتها نحوه ..

اذا لم يبثها مشاعره كاملة لن يصل اليها ..

رآها تتأفف وهي تعاود الاتصال ...

فمها الصغير عندما تتأفف يصبح كحبتي فاكهة استوائية طازجة وشهية ....

ابتلع ريقه وهو يمرر نظراته على عنقها الحساس الدافئ ... يعلم جيدا كم هو دافئ ..

لا ... لن يصبر أكثر ويماشيها برغبتها الطفولية (ان يصبر عليها أكثر)...

الليلة .. الليلة سيأخذها لمكان فاخر رومانسي ..

سيسهران بمفردهما ويدللها كأميرة ..

الليلة سيدخلها لعالمه هو .. كما دخل هو عالمها واحبه .. عليها ان تدخل عالمه وتحبه..

التمازج ضروري بين العالمين ...

رغما عنه توتر جسده حالما نطقت جدايل

" مرحبا سعد .. كيف حالك .. كنت اتصل بالبيت ولم ترد علي عمتي ؟ "

تنبهت حواسه مع شحوب بشرتها وهي تهمس

" ماذا ؟! متى حدث هذا ؟ ليلة الامس ؟"

سأل ايهم " ماذا هناك ؟"

فرفعت جدايل عينيها الوجلتين اليه هامسة بقلق " خالتي منيرة .. ليلة الامس تعثرت ووقعت على وجهها لتلوي كاحلها بقوة ؟ "

بعد عشرة ايام ...

عصرا ...

تجالس خالتها منيرة في الحديقة..

تدللها بالحلوى التي اشترتها لها من محل قريب على ناصية الشارع ، تعرف جيدا كم تحبها لذلك ابتاعتها خصيصا لتبهجها وتقلل من كآبتها بسبب اصابة قدمها اليمنى ...

فتستجيب الخالة منيرة وتبتسم بحبور ورضا لتتمادى أكثر في تدللها على ربيبتها وابنة أختها فتطلب منها شراء المزيد في الغد ...

ما زالت الخالة منيرة لاتتحرك الا على الكرسي المدولب ..

والاسبوع القادم موعد أخذ الاشعة المقطعية للكشف على الكاحل وتقرير موعد فك الجبيرة عنه ...

سرحت جدايل قليلا وهي تفكر بغضب أيهم ..

لم يكلمها صباح اليوم ...

وقد تشاجرا بعنف ليلة الامس على الهاتف ...

كانت المرة الاولى التي يفقد اعصابه بهذه الطريقة معها منذ زفافهما ...

حسن .. تعترف انها تمادت بإصرارها على البقاء في بيت خالتها حتى موعد اخذ الاشعة لكنه تمادى ايضا بغضبه غير المبرر ...

عضت جدايل شفتها السفلى ببعض الشعور الصغير بالذنب ... فالخالة منيرة لم تعد حالتها مقلقة كما في بداية اصابتها عندما كان تنتابها الحمى والآم مما جعل جدايل تقرر البقاء معها ورعايتها بنفسها ...

الآن هي تستطيع التحرك براحة على كرسيها وحتى عادت لتعد طعام الغداء بنفسها ...

لكن جدايل هي من تمادت لتتخذ من خالتها حجة ... حجة لتبقى أكثر هنا وتنتقم من أيهم مثيرة جنونه !

تطلعت جدايل ناحية سعد الذي تمدد على ارضية المرآب وتحت سيارته يحاول تبديل الزيت للمحرك بنفسه .. لايظهر منه الا نهاية ساقيه بالبنطال الجينز القديم وقدماه الكبيرتان الحافيتان ...

ابتسمت جدايل بلؤم رغما عنها وهي تفكر ان أيهم معذور ... معذور حقا ...

الغيرة تفعل أكثر من هذا ! وهي خير من تشرح احساس الغيرة الذي ذاقت مرارته واكتوت بناره ...

فليكتو بنارها هو ايضا ..

بل ليكتو أكثر واكثر ...

كتمت رغبتها بالضحك عاليا بشق الانفس ..

لقد اكتشفت في نفسها ان طعم الانتقام حلو احيانا ..

وخالتها منيرة كانت خير مساعد لها ...

أكثر جزء يجعلها مبتهجة بانتقامها الصغير هذا ان أيهم لم ينلها ابدا ...

وهذا ما يغذي غضبه عليها مذ قررت البقاء مع خالتها لرعايتها متحججة ان سعد مشغول جدا بمكتب الصرافة الذي يجدده ويشتري ما يلزم له ...

كل يوم يأتي لزيارتها في بيت خالتها فتتصرف معه بلطف مبالغ يثير غيظه لكنه صبور .. صبور جدا ... وواضح انه يرخي لها الحبل وهو مدرك لافعالها الانتقامية ..

وكأنه يقول لها دون كلمات .. افعلي المزيد واخرجي كل غضبك مني ...

صوت صدر من ناحية السيارة ثم صوت شتيمة اطلقها سعد جعل جدايل تجفل وتخرج من افكارها حول ايهم وغضبه...

صرخت الخالة منيرة عفويا وهي تريد تحريك الكرسي المدولب

" بنيّ .. سعد بنيّ ... هل اصابك الاذى ؟!"

تتحرك جدايل عفويا نحوه بينما تطمئنان بسماع صوت سعد يضحك ويقول

" فقط غرقت بالزيت الاسود ! "

تشهق الخالة منيرة وهي تضرب على صدرها بينما تهرول جدايل لتبحث عن تلك الخرق التي يستخدمها سعد لتنظيف يديه عندما يصلح في سيارته الدائمة العطل ..

وجدت اثنتين مرميتين على الارض فتلتقطهما بينما يخرج سعد جسده من تحت السيارة ..

لوهلة ارتعبت جدايل من منظره !

أخذ يقف على قدميه بينما الزيت الاسود أغرق وجهه وغطى ملامحه بكثافة وقد اخذ يسيل على صدره العاري وذراعيه العضليين كما أغرق الزيت كفيه ليقطر منهما على ارض المرآب...

سألته بهلع وهي تتسمر مكانها

" يا الهي سعد هل انت بخير ؟ ماذا حصل ؟"

فيرد يطمئنها " لاتقلقي .. انه مجرد زيت انسكب بغزارة فوق وجهي عندما كنت احاول فتح الخزان الخاص به ..."

ثم شوح بيده وعيناه شبه مغمضتين يحثها قائلا " تعالي جدايل رجاء... امسحي لي وجهي اولا لأرى ما حولي ... "

تقترب منه سريعا وتبدأ بمسح وجهه بقوة مبالغ فيها فيضحك سعد قائلا

" رفقا بوجهي يا ابنة خالتي ستسلخين الجلد مع الزيت "

فتضحك ببشاشة وهي تعتذر لتتجمد اوصالها بينما تسمع صوت ايهم قادما من عند باب المرآب وهو يلقي تحية تحمل شحنات مكبوتة متفجرة

" مساء الخير "

وقعت الخرق من يدها وهي تتلعثم برد التحية لزوجها الغاضب بينما كان سعد هادئا تماما وهو ينحني برشاقة ليلتقط الخرقة من الارض يمسح كفيه وهو يرد التحية بابتسامة صغيرة " مساء الخير أيهم ... تفضل بالدخول لكن انتبه من بقع الزيت في المرآب ..."

قال أيهم بنبرة مخيفة في تماسكها وعيناه في عيني جدايل المرتبكة

" مضطر للمغادرة اعذرني سعد .. أتيت فقط لآخذ جدايل ... اعتقد ان الخالة منيرة اضحت بألف خير ولم تعد بحاجتها ..."

تتطلع لوجه أيهم ذو التعابير الجنونية فيحمر خداها حرجا بينما كلماتها تتعثر

" أيهم... لكن ... أنا ...."

فيقاطعها أيهم بنبرة آمرة وعيناه تشتعلان

" احضري كل اغراضك جدايل ... ستعودين للبيت معي ... الليلة ... بل حالا "

عندها ارتفع صوت الخالة منيرة حانقا من الحديقة وهي تقول

" دعها لتبيت الليلة ايضا .. انا احتاجها ..."

تقبضت يدا أيهم بتشنج واضح .. كان ما زال عند باب المرآب .. يقاوم نوازع بدائية خارج السيطرة تتملكه بجنون ...

لينقذ الموقف تدخل سعد وهو يقول بنفس الهدوء الظاهري الذي يخفي دواخله باستمرار

" معك حق أيهم .."

ثم التفت لجدايل فيضيف بلطف يختصها به

" افعلي ما يطلبه زوجك عزيزتي ... طال بقاؤك هنا .. وأمي .. تحسنت كثيرا .. فلا تلقي بالا لتدللها .. انا كفيل به.."

انعقد لسان جدايل الطويل في العادة واحمرت بشدة بينما تطرق برأسها تعض شفتيها وايهم ما زال يمنع انفجاره كقنبلة موقوتة طال انتظارها لتنفجر ..

نادتها الخالة منيرة بنبرة مستفزة بتمسكنها وادعاء الضعف

" جدايل .. صغيرتي .."

فتحسم جدايل أمرها لتتحرك وهي تقول للخالة " لاتقلقي خالتي سأزورك كل يوم واقضي النهار معك حتى عودة سعد .. اجازتي من العمل لم تنتهِ بعد .. انت تعرفين .. انها .. انها اجازة .. الزوا..ج ..."

شعرت بالخجل من نفسها .. حقا شعرت ان الانتقام الذي كانت تتلذذ به قبل قليل اصبح الآن كالاشواك الصغيرة تنغزها نغزا ...

سارعت بخطاها لتلملم حاجياتها .. لاتريد ان تتطور الامور اكثر وقد بلغت قدرة أيهم على الاحتمال اقصاها ...

غادرا بصمت متوتر بعد وداع سريع للخالة منيرة وسعد ...

وفي السيارة الرباعية كان أيهم يقود بجنون مطبق !

كان هو اول من انفجر صارخا فيها لترد له الصراخ ويتعالى صراخهما معا حتى ارتجت نوافذ السيارة بتراشق الكلمات المدوية ..

عندما وصلا البيت سارعت جدايل للنزول تغلي كغليانه ..

لحق بها وامسك ذراعها يمنعها الصعود على الدرج ...

سحبها اليه فارتطمت بصدره ورفعت عينيها العاصفتين لعينيه ...

النظرات المجنونة غضبا تحولت لنظرات من نوع آخر ... لاتقل جنونا ..

همس وهو يهزها بانفاس لاهثة

" لماذا تفعلين هذا بي ؟ ماذا يجب ان امنحك لتكفي عن تعذيبي ومعاقبتي ؟ كيف .. كيف تلامسين سعد هكذا ؟! وهو نصف عارٍ يا جدايل ؟! "

خفق قلبها لأجله ... انها تحبه .. تعشقه تذوب عشقا به كله .. لكنها تعانده .. تثير جنونه تنتقم من قلبه الذي آلمها .. آلمها جدا ..

اخذت تحاول تخليص نفسها منه وهي تقول بغضب أخف وطأه

" لم أكن الامسه ! الا تخجل من قول هذا الكلام لي ؟! لقد انفتح فوق رأسه خزان الزيت وكنت .."

يقاطعها وهو يلثم فمها هامسا بحرارة شوق مستعر " الامر ليس سعد .. انه انت .. اللعنة جدايل .. لماذا توقفين حياتنا هكذا ؟! انا احبك .. احبك ... اتشبث بك كالغريق وانت تتباعدين .. لاتفعلين سوى التباعد وتحطيم طاقتي على الصبر ...قولي لي ماذا تريدين أكثر لترضي ... ؟ لتعود جديلتي بكل مشاعرها التي ملكت قلبي .."

ارتفع رنين الهاتف الارضي فأجفلت جدايل وهي تهمس بارتعاش " لا بد انها خالتي منيرة قلقة عليّ .. هاتفي النقال انتهى شحنه .."

تصلبت ملامحه بقسوة بينما تفلت منه جدايل ناحية الهاتف الارضي القريب لترفع السماعة سريعا وتقول عفويا

" انا بخير خالتي .. وصلنا البيت "

لكن ... لم يأتها رد ... !

عقدت جدايل حاجبيها بينما تتسمع لصوت الانفاس اللاهثة ...

لسبب ما ربما مجرد حدس ..

خفق قلبها بعنف ...!

عيناها اتسعتا وهي توجه نظراتهما لأيهم ..

ذابت قساوة ايهم وهو يرى ردة فعلها ليقترب منها قائلا بقلق " ماذا حصل الآن ؟"

فيكون الرد عبر الهاتف وصوت تميزه جدايل بين عشرات الاصوات بانوثته الخاصة

" اريد ان أكلم ايهم .. لو سمحتِ ..."

بيد مرتعشة مدت السماعة ناحية أيهم تهمس بنبرة قاتلة " انها عشتار ... تريدك ..."

لتضيف بهمس أخرق محطم

" كالعادة .. تريدك .."

تصلب فكاه وهو يلتقط السماعة من يدها المرتعشة واوشكت ان تبتعد عندما امسك ذراعها بقسوة يثبت جسدها في مكانه وبيده الاخرى ضغط على زر مكبر الصوت ووضع السماعة مكانها ثم قال بهدوء

" مرحبا عشتار ..."

يأتي صوت عشتار محملا بنبرة جرح ما زال لم يبرأ " مرحبا ... ايهم .."

سأل عشتار بشكل مباشر وعيناه في عيني جدايل المشتعلتين بالغيرة " لماذا تتصلين ؟"

للحظة صمتت عشتار لترد بعدها " لم أرد الاتصال ببيتك ... لكني اتصلت مرتين بهاتفك النقال .. وانت لم ترد ..."

فيقسو أيهم بينما تتسع عينا جدايل من حدة نبراته " عدم ردي يا عشتار فيه اجابة واضحة لك ... اني لااريد الرد عليك .."

شهقة ناعمة أفلتت من عشتار تفيض مشاعر متدفقة منفلتة لتقول باختناق

" اذن الامر صحيح ... أنت تخليت عني تماما ! لم أكن مخطئة في تفكيري .. انت من اعطيت عمتي رقم هاتفي وعنواني في اسبانيا... انت كشفت سر مكاني ووسيلة الاتصال بي .. هي أنكرت وراوغت في اخباري عن هوية من اعطاها العنوان لكني .. بمجرد ان اتصلت شهرزاد زوجة هيثم صباح اليوم تخبرني انهم قادمون لزيارتي بعد اسبوعين علمت .. علمت انه.. أنت... انت وراء تحركهم هذا نحوي .. "

كان جسد جدايل يرتعش وهي تعيش تجربة جديدة من الألم .. لكن هذه المرة المشاعر كانت مختلطة وغير واضحة ...

انها تتألم ولا تتألم ... !

قال أيهم ويده تتمسك بذراع جدايل أكثر دون ان يفلت عينيها من عينيه

" نعم انا فعلت عشتار .. تحتاجين للخروج من دائرتي بشكل نهائي .. تحتاجين للاقتراب من عائلتك ... من صلة رحمك الحقيقية .. جدك اخطأ بشدة يوم ابعدك عن اهل والدك وجعل التواصل بينكم شبه سطحي... وانا اخطأت ايضا اني رضيت بواقع الحال وربما شجعتك عليه دون قصد "

صرخت عشتار بهستيرية طفولية مفاجئة لكنها مألوفة لشخصها " هل تقول انك دفعت بعمتي اليّ لاجلي ؟؟ لا ايهم لم تفعله لاجلي .. بل لاجلك انت .. حتى تتخلص من مسؤوليتي الى الابد ..."

شعرت جدايل بالدوار من هذه الدوامة الخانقة

(ماذا بعد يا أيهم؟؟) قالتها بعينيها لعينيه...

فردّ ايهم بهدوء وعيناه البندقيتان تلمعان بتوهج ذات معانٍ أربكت جدايل

" لا .. لم افعله لاجلي .. و لا لاجلك انت تحديدا ... انت مستفيدة نعم .. لكني لم أفعله لاجلك.."

في نفس اللحظة ادركت المرأتان الامر !

عشتار عبر خط هاتف وهي على بعد الآف الكيلومترات وجدايل وهي على بعد بضع سنتيمترات ....

لتقولها عشتار بنشيج متألم على فقدان الرابط الاخير " انت .. انت فعلته ..فقط لاجلها هي ! "

ثم تضيف بتقطع لاهث

" هي تطلب.. وانت تنفذ ...! "

ترنحت جدايل قليلا فيسحبها أيهم اليه يلف ذراعه حول جسدها الصغير قائلا قرب جبينها الدافئ بحشرجة عاطفية تأسر القلب

" هي لم تطلب ... هي تتألم بصمت فقط .. و انا هو المسؤول عن هذا الألم ... وقد وعدت نفسي ان امحوه .. حتى لو كلفني حياتي .. لا أطيق رؤيتها تتألم لانها مُذ عرفتني لم تطق ابدا رؤيتي أتالم ... زرعت بي هذا الاحساس المتفرد اننا في جسديّ بعضنا البعض .. نشعر بكل اختلاجة .. نتشارك الألم.. حتى لو لم نفهم السبب.."

يشدد من احتضانها وجسده يستجيب تلقائيا لشوقه العاصف اليها لكنه لاينسى أخرى كانت في يوم ما تملك التأثير الوحيد عليه ليقول بنبرة غريبة بدت مشفقة رغم لمحة قساوة رآها ضرورية لتفيق

" هل هذا يكفيكِ عشتار ؟ أما آن الأوان لتحرري نفسك من الاوهام ؟"

تسأله بنبرة ميتة باهته " هل .. تحبها ...؟ "

يرتجف جسد الصغيرة الملاصق لجسده فيرد يذكر عشتار بموقف مضى " سألتني قبلا هذا السؤال .. هل تذكرين ؟ عندما رأيتك للمرة الاولى بعد عودتك للوطن ..."

فترد عشتار وكأنها تعيش تلك اللحظات

" وانت قلت اكتشفي ذلك بنفسك .."

بدأت جدايل تقاوم لتنفض جسده عن جسدها لكنه لايسمح لها وهو يسأل عشتار بألحاح عبر الخط المفتوح

" هل اكتشفته عشتار ؟"

لترد عشتار بعد لحظة صمت وبنبرة جعلت جدايل تقشعر " نعم ... انت .. تحبها ..."

ثم اضافت عشتار بنفس النبرة " انا... انتهيت من حياتك ... وانت لن تمنحني حتى .. رابطا معك... تحت اي مسمى... لاجلها هي ..."

انسلخت جدايل عنه بالقوة تحاوط نفسها بذراعيها وهي تحدق فيه بعينين تائهتين بل مرتعبتين من التصديق ...

بينما ايهم يقول لعشتار بثبات " عيشي حياتك عشتار .. انها لاتتوقف عند انسان مهما بلغ تعلقنا به ... "

لحظات صمت مرت على الثلاثة ..

ايهم وجدايل غارقين ببعض ...

وعشتار في بلد آخر غارقة في نفسها ...!

لتكون هي اول من يقطع الصمت قائلة بصمود يثير الاعجاب " انا اتصلت لأخبرك ... شكرا لكل شيء .. "

لم يرد بشيء ... فقط عيناه على من تهمه الآن أكثر من الحياة نفسها .. عيناه على جدايل ... صغيرته ... هديته الغالية لروحه وقلبه ..

فيأتي صوت عشتار بالمزيد " انت لن تكون بأفضل مني أيهم .. سأجد نفسي يوما ... وسأحررها من هذا الألم الفظيع ... آخر طلب أطلبه منك ... فقط .. فقط حاول يوما ... ان تسامحني .... حاول ان تراني كأنسانة أخطأت بحق نفسها قبل ان تخطئ بحقك أنت .. وندمت أشد الندم على خطئها هذا وقد دفعت ثمنه غاليا .. غاليا جدا أيهم .. "

تحركت شفتا ايهم بالقول الثابت الهادئ

" وداعا عشتار ..."

ليأتي وداع عشتار مخنوقا رغم صموده وشموخه " وداعا ..."

لم تشعر جدايل كيف كانت تركض على درجات السلم ... فقط تركض وتركض ..

ولاتعرف لماذا حقا تفعل هذا ...

في داخلها طاقات مشاعر تتفجر ...

تخيفها ... و تقاومها ..

تقاومها باسلوب دفاعي عن النفس .. فبعد كل الالآم صعب ان تصدق ببساطة هكذا ....

دخلت غرفتها لكن قبل ان تغلق الباب كان ايهم يدخل في إثرها ...

بدا هو الآخر لاهث الانفاس فعلمت انه كان يركض خلفها وهي لاتسمع صوت خطواته ...

سألها بصوت مبحوح وهي تتراجع للخلف

" لماذا هربت ؟ لأنك اصبحت تعرفين اليس كذلك ؟ ما زلت صغيرة وتخافين .. لكنك في قرارة نفسك اصبحت تؤمنين ان قلبي ملكك وحدك.. "

فترد بارتعاش وهي تراه يخلع سترته ويرميها ارضا " أخرج ... ايهم .. اريد البقاء بمفردي "

يتمتم بدهشة رقيقة " أخرج ؟! هذا محال ..."

ثم يضحك بارتعاش ليضيف تساؤلات يرد عليها بنفسه " من يقلقك ؟ مشاعري نحو عشتار ؟ عشتار التي عشقتها يوما رحلت الى غير رجعة ورحل معها ذلك الـ(ايهم) ... ليولد أيهما جديدا على يديك .. ملكك أنت فقط ... يخيفك مع هذا اقترابها مني ؟

انا انهيت كل صلة معها ومن أي نوع فقط لاجلك .. أم تقلقك صدق مشاعري نحوك أنتِ يا سمراء ؟ عندها سأقول انت تخدعين نفسك جدايل وعن سابق تصميم .. ربما تحمينها من الألم برفض التصديق .. سأتفهم هذا ... لكنك بفطنتك وحدسك مؤكد اصبحت توقنين .. فلا احد .. لااحد على الاطلاق عرفني مثلك ... انتِ الوحيدة التي عرفتني من مكامن ضعفي .. الأشد ضعفا على الاطلاق ... "

قلب جدايل يخفق بجنون لكنها تلهث بالقول الهامس " ارجوك فقط ... دعني الليلة .. احتاج لاستوعب أكثر ..."

يبتسم بتوحش عاطفي بينما تراه يفتح ازرار قميصه قائلا بحشرجة " لا مزيد من الرفض جديلتي .. انا مستعد للوصول معك لآخر نقطة تقلقك .. لكن احتاج اليك كرجل .. كرجل عاشق ..."

يخلع عنه قميصه ويرميه ارضا كما فعل بسترته قبل لحظات بينما يهمس بصوت مبحوح " آن الأوان يا صغيرة ... لقد لعبنا بما فيه الكفاية .."

ثم اضاف بنبرة رجولية ارعشتها " انا أريد امتلاكك ... سنبدأ الحكاية من جديد .. عروس بليلة الزفاف والعريس احترق تماما ليصل اليها .. بكل السبل الممكنة يريد الوصول اليها ... لقلبها .. وروحها .. "

يمد يده للخلف ويغلق الباب بالمفتاح بينما ترتعب جدايل اكثر لتهمس بتوسل رقيق وهو يقترب منها بهدير الأسد المهاجم

" لا أيهم ....احتاج لـ.. آآآه ..."

هالها كيف نزع عنها حجابها بحركة سريعة خشنة ليخدشها الدبوس في جانب خدها فتهمس بتألم وهي تلامس ذلك الخد بانفعال

" لقد خدشت خدي ..."

امسكها من اعلى ذراعيها وبدلا من ان يضمها لصدرها كما توقعت كان يميل بوجهه جانبا يلثم بشفتيه اثر الخدش فتسأله بتوهان وخدر عاطفي " ما ...ماذا ... تفعل ؟!"

فيهمس بحرارة " أسترضي جرحك..."

يده تعبث بسترتها الرمادية التي طالما كرهها فيضيف بعنف عاطفي " قولي نعم وسأمزق هذا الطقم الكريه وبعدها سأقضي الليل استرضي كل خدش في جسدك"

تخضبت بالحمرة وهي تحاول منع يده من فتح سترتها هامسة بلهاث " توقف .. لاتتكلم معي بهذا الشكل "

فيرد ضاحكا بحشرجة " يجب ان تتعودي على حميمية الحديث بين رجل وزوجته ..."

يغيظها بضحكته فترفع عينيها اليه تسأله بشراسة " وماذا عن همجية الزوج ؟! هل علي ان أتعود عليها ...؟ "

ثم تخدعه بحركة مفاجئة لتفلت باعجوبة من بين ذراعيه وفي لحظة تخلع حذاءها وتركض في الغرفة هربا منه بينما هو يضحك ويحاصرها هنا وهناك ...

صعدت فوق السرير بخفة حيوان صغير فيلحقها لتركض هابطة بقفزة مضحكة ...

لم يتوقف عن ضحكه وهو يقول بنبرة تستفزها أكثر " تعالي أرنبتي المذعورة .. واعدك سآكلك على مهل .."

كزّت على اسنانها وهي تقول " سنرى كيف ستلتهمني يا ابن سليماني "

تعالت ضحكاته وهو يواصل ملاحقته الممتعة لها ..

راوغته وتمكنت اخيرا من دخول الحمام واغلاق الباب بالمفتاح لتلهث وهي تصرخ به عبر الباب " أذهب لغرفتك .. لن أخرج ابدا من هذا الحمام حتى تغادر..."

لهاثه يصلها عبر الباب هامسا برقة

" افتحي الباب جديلتي ..لن أكسر الباب بل سأنتظرك ان تفتحيه بنفسك كأي صغيرة لذيذة مطيعة .. "

فتزمجر بالقول " لن أفعل ..."

فيتظاهر بنبرة توسل اكثر رقة

" لاتكوني قاسية يا صغيرة .. "

فتصر بالقول وتكرره بغيظ

" لن افعل .. لن افعل .. لن افعل "

عندها قال بمشاكسة " حسن كما تشائين ..
انا سأظل قابعا هنا امام الباب ولن أتحرك ...."

فترد عليه بثقة زائفة " افعل ما يحلو لك !
انا نَفَسي طويل في الانتظار ..."

فيرد بمداعبة عذبة

" وانا نَفَسي أطول يا سمراء "

لم يتوقف عن التلاعب بها وباعصابها ...

مرة يغني باعلى صوته وهو يتجول في انحاء
الغرفة ... ومرة يهدد بالعبث باغراضها او رمي
ما لايعجبه من ملابسها لسلة المهملات ..

ومرة يبثها كلمات اللوعة والاشتياق ويحاول
ان يحنن قلبها ..

ومرة يحكي لها حكاوي من طفولته فتنصت
بحنان يضعفها ثم يصل بحكاويه لمغامراته
المجنونة في انحاء العالم ..

ثم عاد وحكى لها عن والديه .. عن قسوتهما
عليه ... ان أمه لم تحتضنه يوما وأباه لم
يمتدحه على عمل قام به ...

حكى لها الكثير والكثير مما انهكها
أكثر واكثر ....

اخيرا صمت ....

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

كان قد مر ما يقارب الساعتين بعد كل هذه
الحكاوي والمشاكسات وقد وصل انهاك
جدايل اقصاه من هذا الحبس بين اربعة
جدارن متلألئة ببياضها ...

اغمضت عينيها فداهمتها ذكرى عينيه
عندما كان يحدق فيها وهو يكلم عشتار
على الهاتف ...

كان بكليته معها هي لا مع عشتار ...

بدى وكأنه يكلمها وحدها رغم انه كان
فعليا يكلم عشتار .....!

لم ترتبك نظراته ولا للحظة ..

بل شعّت ثقة ...

لم تشعر به يتخبط بمشاعره بينها وبين عشتار
ولا حتى برعشة صوت تفضحه ...

كان لها وحدها بينما الاخرى تتوسله الابقاء
على صلة واهية تتشبث بها معه ...

فتحت جدايل عينيها وهي تتنهد ...

همست لنفسها " أيهم لك جدايل .. أسدك
أنتِ .. ألم تطلبيها دوما وتتمنيها ؟ ها قد تحقق
الامر لكنه محق فيما قاله ... انتِ ما زلتِ
تخشين تصديقها ..."

باستسلام مرهق فتحت الباب لتجده امامها
جالسا على الارض مستندا بظهره لجانب
السرير ...

عاري الصدر مشعث الشعر مبتهج الملامح ....

تمتمت وهي تنظر اليه بلوم وعتب

" انا تعبت ..."

فيهب من جلسته هامسا بعذوبة

" انا لم ولن اتعب ابدا .."

استسلمت ليديه وهما تفكان عقدة شعرها وتفردانه على كتفيها برقة جعلتها تغمض عينيها ثم أخذت تلك اليدان تعبثان بملابسها قطعة قطعة فتسيل دمعاتها تأثرا ويرتعش جسدها اشتياقا ...

حملها للسرير وهو يهمس لاذنها الصغيرة بعاطفة متدفقة

" رفقا بي وانت تمنحينني نفسك يا سمراء .. فـ(أيْهمكِ) قد يموت عشقا بين ذراعيك وهو يتلقى سخاء هذا العطاء .. "

الخاتمة

منتصف احدى الليالي ...

حافي القدمين هبط درجات السلم بخفة ..

عيناه تبحثان في ارجاء البيت المظلم ليلتقط اخيرا ضوءا قادما من ناحية المطبخ ....

ابتسم بشقاوة وهو يتحرك بخطوات غير مسموعة ..

عند باب المطبخ توقف .. يحدق فيها من الخلف بمنامتها الحريرية بلون الدراق ... منامة قصيرة جدا ومن قطعتين ..

شعرها اصبح أكثر طولا ويصل لما تحت ظهرها ويكاد يعانق حافة منامتها من الاسفل.. ساقاها النحيلتان انتهت بقدمين حافيتين ... مثله ...

التمعت عيناه باستمتاع وهو يراقب تراقص اصابع قدميها على ارضية المطبخ وكأنها تعزف على لوح بيانو ..

اذن فمواهب سمرائه في الرقص لاتقتصر على اصابع اليدين بل طالت اصابع القدمين ايضا .. تذكرها قبل أشهر طويلة عندما سحبها من قسم الارشيف فارضا عليها بـ(دناءة) ان تعمل في مكتبه ..

فتجلس على تلك الاريكة امام ناظريه

طوال النهار بملابسها المحتشمة واصابع يديها

تؤدي رقصتها الخاصة على لوحة التحكم

للحاسوب..

انها تفعل هذا دائما عند استغراقها بالتفكير

في عمل ما عليها انجازه...

وها هي اليوم تقف في مطبخ بيته بعد

منتصف الليل ... حافية القدمين لا ترتدي الا

منامة حريرية لاتمت للاحتشام بصلة ..

منهمكة تماما بما تفعل ...

عقد حاجبيه بتفكير متسلٍ ثم خمن ماذا

تفعل...

لا بد انها تحضر لرحلة الغد ....

فغدا سيذهبان لزيارة عائلتها في البلدة

ويبيتان ليلتين هناك وبعدها سيعودان

العاصمة لينطلقا مباشرة بطائرة منتصف الليل

نحو اوروبا.. وسيبدآن بفرنسا ..

انها رحلة شهر العسل التي تأجلت كثيرا

بسبب عنادها ...

وهو يحب عنادها .. يستمتع به وتجعله في

حالة تحفز دائم ...

بخفة وسرعة اقترب منها وحاوط خصرها

بشكل فجائي لتشهق بقوة ويرتد جسدها

بعنف للخلف ويرتطم بصدره ..

وبينما تشتمه بلهجتها الممطوطة كان هو يضحك غامرا وجهه في عنقها يلامس كتفيها العاريين ..

زفرت بقوة وقد هدأ انفعالها فيمد يده تحت منامتها وهو يقبل عنقها لتهدر فيه وهي تبعد تلك اليد المتسللة

" انت مجرد مراهق مزعج مشاكس "

فيرد هامسا بصوت أجش

" وانتِ سليطة اللسان ... هل لي بقبلة ؟ "

عاندته وهي تصر على ابعاد يده وتقول

" ابتعد أيهم ... لدي عمل أنهيه .."

عيناه ارتفعتا قليلا لينظر الى (عملها) المهم ..

فرآى ثلاثة برطمانات زجاجية شفافة ..

كانت دون غطاء وحبات الزيتون متلئلئة فيها..

فسألها ويده ما زالت تحاول العبث تحت منامتها

" هل ستأخذين هذه البرطمانات لوالدك؟ هل انتهت مدة اعداده ..؟"

فتتنهد بقلق طفولي محبب

" نعم .. لقد وعدته ... ونعم انتهت المدة .. اتمنى فقط .. ان يعجبه .. كما كان يعجبه من يد أمي ..."

تبسم ويده تمسح على بطنها المسطحة

" وماذا عنا نحن ...؟ انا وانت وهذا الصغير الذي يشاركني بك .. "

فتلتفت بوجهها اليه تبتسم بعينين لامعتين جذابتين وتهمس بتلك الشفتين الصغيرتين

" لاتقلق حصتنا محفوظة "

تمد يدها لأول برطمان فتلتقط حبة وترفعها لفمه فتقول " تذوق من هذا واخبرني ... "

يتعمد ان يعض بخفة اصبعيها قبل ان يلتقط حبة الزيتون منهما فيعبس بعض الشيء وهو يعبر بالقول " مر لاذع قليلا .."

فتبتسم بحنان وهي تنظر في عينيه هامسة

" لنتعلم ان نحب الحياة بمذاقها الحلو والمر .."

ثم تمد يدها للبرطمان الثاني وتلتقط حبة أخرى فتضعها في فمه كما فعلت مع الاولى وهي تسأله " وهذا .. ما مذاقه ؟ "

بدى مستمتعا متلذذا بالطعم ليقول

" امممممممممم ... حامض.. كم أحب هذه الحموضة ... "

فترتسم الشقاوة على ملامحها وتطفح بها نظراتها لتقول بحيوية " انه المفضل لدي" ... مذاق الحموضة يشعرك بنوع من الادمان الذي لايقاوم .. يمنحك شعور ممتع مختلف عن اي مذاق آخر"

يحدق في وجهها ويكاد لايصدق حلاوتها بين يديه فتمد يدها لآخر برطمان وتلتقط الثالثة وتضعها في فمه دون ان تقول شيئا ...

بدت الحيرة على ملامحه وهو يمضع الحبة ببطء ويستطعمها ثم يقول بحيرته هذه

" هذا ... فيه... دعيني افكر قليلا ..."

تنتظره بتحفز طفلة لنتيجة امتحان مهم فيضيف اخيرا وقد بدا غير متأكد ومحتار

" انه نكهة .. غريبة .. لاأجد ما أصفها به ولم يسبق لي ان تذوقت مثله من قبل.. لكن مذاقها آسر.. فيه قليل من الطعم الحلو المغموس بالحامض مع نكهة اخرى محيرة .."

حدق فيها وقد بدت متأثرة للغاية بوصفه فيهمس لها وهو يرفع كفه لوجهه الصغير

" انه رائع عصفوتي ... احببته اكثر من الجميع "

تلمع عينيها بالدموع فتهمس بتحشرج

" انها خلطة امي السريّة .. لاأحد غيري يعرفها.. انها ابداع التفرد وسحر الغموض وعمق التساؤل لاكتشاف الاشياء المحيرة من حولنا"

يدير جسدها الصغير بين ذراعيه لتواجهه ثم يمسك وجهها بين كفيه الاثنين يهمس قرب شفتيها " من علمك وصف المذاقات بهذا العمق الفريد ...؟"

تمتمت بخجل وهي تسبل اهدابها " انها .. أمي "

قلبه يخفق .. يخفق بقوة .. هذه العصفورة فيها

الكثير ليكتشفه .. متى استطاعت جمع

كل هذا في روحها بعمرها الصغير هذا ...؟!!

لامس شفتيها هامسا

" هناك مذاق لم تعرفه أمك ابدا ..."

فترفع عينيها اليه بتساؤل بريء " أي مذاق ؟"

فيرد بصوت أجش " انه مذاق من برطمان

شفتيكِ .. لايعرفه أحد غيري على الاطلاق...

انه مذاق العسل ... العسل اللاسع يا سمراء ..

نحلاتك السريّات الصغيرات يقرصنني كلما

سقينني من عسلك "

تضحك ووجهها يتخضب حمرة بينما يستسلم

هو لقرصات تلك النحلات ...

في اليوم التالي ...

يقف على حافة الجدول يستمع لخرير الماء

يحدق في الخضرة الطبيعية حوله وتصل أنفه

رائحة الخبز من الافران البدائية التي ما زالت

اكثر ربات البيوت في هذه البلدة يقتنينها

حتى اليوم في بيوتهن المتواضعة ..

اطفال صغار من الجنسين يتلاعبون سباحة

عشوائية بماء الجدول ..

صِبْية اتخذوا من مساحة ترابية كملعب

لكرة القدم واخرون يتختلون هنا وهناك

ليتصيدوا العصافير المزقزقة ...

فتيات صغيرات يتسامرن تحت شجرة
فيتضاحكن وهن يهمسن لبعضهن بما لايصل
لمسامعه ...

الاحراش تبدو مشاغبة بتحركاتها ذات
اليمين وذات الشمال وباصوات خافته مقلقة
للترقب فتبدو كمشاغبة الاولاد لتلك
العصافير ...

اغصان الاشجار تتمايل على بعضها وكأنها
تهمس باسرارها لبعضها البعض كهمسات
اولائك الفتيات ..

كل شيء هنا يتحرك ويصدر صوتا حيّا
خاصا به وكأن الجميع اتفق على العزف في
اوركسترا غير معلنة لتقدم مقطوعة

موسيقية نادرة لامجال للخطأ في تناغمها
الطبيعي ..

ينحني بجسده ليجلس القرفصاء يمد يده
بتشوق لتلك التربة الباردة ...

يشعر براحة غير عادية لتلك الملامسة
فيعبث اكثر بالتراب كطفل يريد اثارة
الصخب بلعبه وضحكاته الرنانة .....

هنا فقط تتحرك حواسه الخمس بهذا
الوضوح المنعش ...

السمع والبصر والشم واللمس و .. التذوق ...

لاينقصه الا مذاق (العسل اللاسع) الذي يختبئ منه في مطبخ بيت والدها..

فجديلته هربت منه صباحا لتعد الافطار مع اختيها بينما خالتها زاهرة تتمنع بنوم متأخر..

تبسم بشقاوة وهو يعترف ان يتعمد الجرأة العاطفية معها كلما أتوا لبلدتها هنا .. يحب مناغشتها بهذه الطريقة وهي عاجزة عن رده فتلتجئ الى الهروب منه وهي تتوعده الانتقام حين عودتهما للعاصمة حيث بيتهما ...

حلاوة الصغيرة هنا ...مختلفة... تصبح اكثر حياء وانكماشا على نفسها .. خجلها من والدها يأسره .. وكأنها ما زالت صغيرة كأختيها عبير ونجوان ...

في حضرة والدها لاتستوعب انها غدت امرأة .. امرأة متزوجة وتحمل جنينا في احشائها ...

انها ببساطة تعود كطفلة .. طفلة تحمر من نظرة واحدة من والدها البسيط ...

نفض يده وهو يعاود الوقوف على قدميه هامسا في نفسه وهو يرخي جفنيه

" مكتوب لك هذا في صحيفة حياتك يا ابن سليماني .. ان تجد رضا نفسك في عمق هذه البلدة الصغيرة.. لقد عشت حياتك منذ الولادة بطريقة اقرب للصخب الغوغائي ..

كل حدث... كل احساس مرّ بك ... كان يتفاقم في داخلك ويصبح حالة متفجرة متمردة من الصخب ..

تمردك على قساوة والديك كان (صخب) ... بناؤك لحياتك ونجاحك في البناء كان (صخب) .. عشقك المتفجر لعشتار كان (صخب) ... خيانتها كانت .... (صخب) .. !

لتدفعك تلك الدوامات المتفاقمة الاكثر صخبا وجنونا وتمردا من ...منطقة (المنطق).. الى الـ (لا منطق) ... فتقف هناك .. وحيدا .. مظلما ... غاضبا كما لم تعرف الغضب يوما في حياتك ... تقف وسط عواصف الصخب الوحشية وسكاكينها الثلمة تتراشق عليك

من كل جانب ... تحولت لوحش البراري بعد أن مزقت رداء آدميتك .. تتآكلك رغبة دموية للنهش واضحيت تزأر طوال الوقت لكن .. دون أن يسمعك أحد ..!

لا ... بل سمعتك ...هي ...

وسط هذه البدائية المرعبة التي عشتها جاءت ترنيمتها الغريبة الخارجة عن ما ألفته يوما ... ترنيمة من جدائل الشمس.. من ثبات الارض... من صفاء جدول رقراق ...

ترنيمة أم رؤوم لطفلها المعلول الذي لايعرف للنوم سبيلا ... فتحايله وتشاغله ثم تدللّه وتعاود القاء ترانيمها الصبورة على مسامعه ...

نهشتها ... نعم فعلت يا ابن سليماني ..

فكتمت الصغيرة حتى توجعها وركنت لصبر الامومة الفطرية فيها لتسامح ولا تيأس ... شيئا فشيئا استسلمت وتركت لها قيادتك بينما صخبك يخفت بطريقة سحرية ويتراجع امام ترانيمها التي سرت في شرايينك...

فتُلبسك الصغيرة السمراء رداء آدميتك من جديد قبل ان تأخذ بيدك وتعبر بك الى المنطق مرة اخرى ...

فتجد نفسك حيّا من جديد ...

بل أخذتك الجديلة لحياة أخرى ما كنت تعرفها من قبل .... تمحو مذاق الخيانة من فمك لتذيقك من كل المذاقات المفعمة بالحياة وبعطاء لامحدود ... وها انت تجد نفسك بين اناس مثلها .. من طينتها .. بسطاء يعطون ... ويسخون بالعطاء... يفعلون ذلك بطبيعية دون تكلف .. دون تمنن .. يفعلونه وكأنهم يعيشون يوما عاديا من ايامهم التي تمضي بنمط هادئ مقارنة بنمط الحياة التي اعتدتها.. لكنك مع هذا تجد فيهم صدى لنفسك .. لروحك أنت ... تلك الروح التي تأخرت كثيرا في اكتشافها ... "

استنشق الهواء البارد العليل فامتلأ صدره بالرضا .... اصبحت خيالات الماضي ذكرى ... عشتار نفسها غدت ذكرى .. لن تمحى لكنها ستظل ذكرى عابقة بمشاعر شتى ...

سكنت ملامحه وهو يفتح عينيه بينما يفكر
بما فعله مع عشتار ... ربما لم يكن صريحا
تماما في تلك المكالمة الاخيرة التي
جمعته مع عشتار وجدايل على حد السواء ...
ربما ادّعى انه فعل ما فعل لأجل جدايل فقط..
لكنه في الواقع فعله لاجل عشتار ايضا ..!

ليس نادما ولا يشعر بالذنب لما اخفاه ...

فبعد ان احرقت عشتار نفسها وهي تتشبث به..
بوجوده في حياتها ... ومع تفاقم آلآم جدايل
التي لايطيقها لها لم تعطه عشتار بديلا آخر ..
فكان لزاما ان يجعلها تفيق .. ابعدها عنه
بقسوة لكنه منحها عصا تتوكأ عليها حتى
لاتقع .. منحها دعم اهلها وصلة رحمها ... بعد
ان كانت تراه هو فقط اهلها وصلة رحمها ..

يريدها ان تبرأ من عشقه كما برأ من عشقها ..
ان تبرأ من هجرانه لها ...

كما برأ من خيانتها له....

ويوما ما عندما تتعافى تماما ستفهم ان ما كان
بينهما لن يعود حتى لو لم تدخل جدايل في
حياته ... لم يكن سيعود اليها ...

لذلك لم يقلها لعشتار لانها كانت ستتشبث
بأمل ميت تريد احياءه في قبره .. !

ولم يكن يستطيع مصارحة جدايل بنواياه
واسبابه الحقيقية كاملة لان الصغيرة كانت
تتآكلها الغيرة والشك ولم يكن ليحمِلها
المزيد من الآلآم ويرهق رهافة سنها الفتيّ
بمزيد من الخوف نحو المستقبل ....

لكنه لو وقع في اضطرار الاختيار لم يكن سيتردد لحظة باختيار مصلحة جدايل على مصلحة عشتار ...

لم يكن سيسمح لأي شيء أن يؤذيها حتى لو آذى عشتار اضعافا ...

لجدايل ولاؤه كما لها قلبه..

هي الاهم في حياته كلها .. يفديها بروحه.. ستبقى هي من منحت الحياة لقلبه من جديد كبرعم نبت من شجرة عشقها ..."

ابتسم ابتسامة صغيرة مشاغبة يملؤه شعور مدغدغ ... يراها كطرفة ممتعة مشبعة ان ينتمي لـ(صغيرة الجسد) تلك بهذه الطريقة!

فيتمادى وهو يتخيل نفسه بكليته برعما صغيرا نما في شجرة جديلته ...

" أيهم ... الافطار جاهز ووالدي سيعود في اي لحظة ومعه ارغفة الخبر .."

التفت والابتسامة تشع من عينيه قبل شفتيه.. تلاشت افكاره الصبيانية المشاغبة وعيناه تشعان وهما تتمليان النظر فيها ....

يراها كأجمل ما خلق الله على ارضه ..

بجلبابها الهفهاف الانيق المطرز والذي اخذ لونه من لون احجار الشمس التي تزين صدرها..

وشاح ابيض خفيف تتطاير حوافه حول وجهها دون ان يغطي جيدها تماما ....

اقترب منها وعيناه تلمحان والدها قادما من بعيد ... من اول الطريق المعشوشب المؤدي للبيت ... ثم تنتقل عيناه اليها لتتعلقا بنقطة محددة من ذلك الجزء المكشوف من عنقها الدافئ فيميل نحوها هامسا برقة مشاكسة

" يبدو انني تهورت اكثر مما يجب ليلة الامس على سطح بيتكم .."

تخضبت وجنتاها وارتبكت ملامحها بينما تتذكر جنونه العاطفي بالامس في ظلام الليل وعلى ارض السطح البارد ...

لقد خدعها لتلحق به بعد منتصف الليل متعللا برغبته برؤية القمر معها..

وهناك ...

أفلت الامر منها ولم تستطع ايقافه ...

هذا المخادع المتهور المجنون ..!

همست تسأله بقلق " يا الهي لاتقل انه .. انه قد .. سمعنا أحد ؟ هل سمعنا احد ؟ قل لي بربك ولاتتلاعب باعصابي ! "

يضحك من قلبه وبمناغشة متعمدة يلف ذراعه حول خصرها يجذبها اليه فتبدا بدفع صدره وهي تهمس بهدير غاضب

" ابتعد أيهم .. ابتعد .. اقسم باللّه انك مجنون .. وتصبح احيانا كالحائط لايمكن دفعك بعيدا .."

تسأليني عن المذاق !

بقلم كاردينيا73

تمتم قرب اذنها " احتاج لمذاق العسل اللاسع الآن .. تحديدا .. لقد كنت افكر بهذا للتو قبل ان تناديني للافطار ... وبعد ان تعطيني ما اريد سأقول لك من سيكتشف فعلتنا الصغيرة البريئة ليلة الامس وكيف سيكتشفوها ؟ "

تشهق بعنف وتعقد حاجبيها بغضب بينما وجنتاها تفضحان خجلها الفطري لتقول بصوت منخفض حتى لايسمعها احد

" قليل الحياء عديم الاحترام .. ابتعد عني حالا والا سأصفعك على وجهك المغرور هذا!"

حدق فيها بابتسامة ذائبة وعينين غائمتين بالعاطفة ليفلتها اشفاقا عليها بينما يرى لهاثها وزوغان نظراتها يمينا وشمالا بخجل وخزي لايوصفان لكنه يهمس لها مشاكسا

" في باريس سأقبلك في الشارع وامام كل الناس وصدقيني لن يبالي بنا أحد بل سيجدون حالتنا الجياشة ملهمة لمشاعرهم ! "

قالت بغيظ وخجلها يتضاعف

" واظب على احراجي هكذا امام عائلتي واهل بلدتي وستضطر للسفر لباريس تلك بمفردك!"

عيناه حادتا لتريا والدها ما زال بمنتصف الطريق فأكمل مشاغبته معها " هل تعلمتِ المزيد من الفرنسية اليوم ؟ اعلم انك تدرسين مع الفجر ... "

فيتراجع غضبها وحنقها منه لتتنهد بينما ترد ببعض الحسرة " الانجليزية كانت صعبة بما فيه الكفاية خلال الاعوام الدراسية لاتعلم الفرنسية الآن في بضعة ايام ..."

فيرد برقة " قلت لك سابقا لستِ مضطرة لتعلمها .. انا اجيدها وسأكون لسانك واذنيك .. فلا داعي لتضغطي على نفسك هكذا في تعلمها .. لكنك عنيدة وتصرين.."

نظرت اليه نظرة بمعنى حيّره بينما حجابها يتراخى عند العنق اكثر دون ان تشعر به ثم همست بنظرات تتباعد عنه

" اريد ان .. اتعلم .. حتى لااحرجك .."

ارتفع حاجباه واتسعت عيناه فيتساءل باستهجان للكلمة " تحرجينني ؟! "

تعض شفتها السفلى وهي تطرق برأسها وتهمس

" لو كان الامر يعنيني وحدي لما شعرت بأي حرج من نفسي .. بل لكنت وجدت السفر كفرصة لاتعلم اكثر عن تلك اللغة .. لكن معك .. في عالمك اشعر اني .. احتاج لابذل جهدا مضاعفا في كل شيء ..

في طريقة كلامي .. في ملابسي .. في نوعية الثقافة العامة وتعلم مزيدا من اللغات .. والآن.. اسافر معك لبلدان لم أرها يوما ولم ألتق بأي من مواطنيها .. لااعرف لغتهم ومعلوماتي محدودة عن طبائعهم وتقاليدهم .. لا .. لااريد ان يتهمك الآخرون .. انك اسأت لواجهتك ومكانتك باختياري زوجة لك .. "

أمرها بصوت يرتجف حنقا

" انظري الي جدايل ..."

فعلت ما طلب بشجاعتها المؤثرة ليقول لها وهو ما زال يشعر بالحنق والغضب من كلماتها

" انا لااشعر بالحرج معك بأي صورة تكونينها.. وسأحطم وجه من يشعرك هكذا ولو للحظة عابرة .. انت مختلفة وانا احبك واعشقك مختلفة بهذه الطريقة .. اما أنا فلم يهمني يوما ما يقوله الآخرون عني .. لقد عرفتِ عني كل ماضيي.. كيف اعيش حياتي كما اشاء بجنون بصخب او اذوب في كسل الاسترخاء لاستعيد نشاط عقلي وجسدي ... لذلك لااحتاج لاراء الاخرين ولا تدخلاتهم السخيفة .. انا اعيش كما اشاء .. وانت فقط من تهمينني ... واتمنى لو اني اهمك وحدي فقط فلا تلقي بالا للتفاهات الاجتماعية هذه"

ظلت تحدق في عينيه بتأثر لتهمس بارتعاش

" هل تعلم كم أحب عينيك البندقيتين

هاتين ؟ عندما تنظر الي هكذا اشعر اني ..."

يقاطعها وهو يلامس خدها هامسا بخفوت

" عصفورتي .. فراشتي المضيئة .. قطعة قلبي

.. مليكتي وكل ملكي ..."

ترتعش ابتسامتها هذه المرة فيلامس بابهامه

شفتيها قائلا بصوت مبحوح

" ليلة الامس... كنت مشاغبة عاطفية انت

الاخرى ... "

احمرت بشدة وهي تهمس اسمه بعتب

" ايهم....! "

يتنهد بابتسامة صغيرة عاطفية ثم تنحدر

اصابع يده من خدها لاعلى عنقها من الجانب

يلامس بسبابته منطقة محددة هناك ثم

يهمس بشقاوة

" والدك وصل .. وهو يلوح لنا وقبل ان نلحق

به للداخل احكمي الوشاح حول عنقك لأني

تركت (اثرا) عاطفيا مشاغبا على بشرتك ..

ها قد اخبرتك من سيكتشف وكيف

سيكتشف فلا تلوميني بعدها .."

لم يشعر أيهم الا بضربات خفيّة عن الانظار

لكنها متلاحقة و موجعة على صدره وفي

بطنه بينما تحاول بنفس الوقت شد حجابها

اكثر ثم تعاجله بركلة على قصبة ساقه

فيتوجع بنبرة مسموعة قبل ان يضحك من قلبه وهو يستمع بجذل لهدير (موشح) شتائمها المعتادة له ...

(عديم الحياء .. عديم الاحترام ...)

فيهمس لها بحرارة وهي مستمرة في فورة غضبها الطفولي هذا

" اشتميني .. اضربيني .. اركليني .. لكن أبقي معي ... عصفورتي.. ابقي دائما .. معي .. و... أحبيني ... "

*** تمت ***